رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي

الجزء الثاني

لمجموعة من العلماء

طبع ونشر

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية
الرياض - المملكة العربية السعودية

وقف لله تعالى

الطبعة الثانية
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

على أن الأخذ بفتاوى الصحابة رضي الله عنهم أولى من الأخذ بفتاوى غيرهم، ونصه (ص١٣٨): (روى أبوداود الطيالسي، ثنا المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح)، ومن المحال أن يخطيء الحق في حكم الله خير قلوب العباد بعد رسول الله ﷺ ويظفر به من بعدهم).

الثاني من الأجوبة عن قول ابن مسعود في أثره هذا: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن)، أن المراد به ما أجمع عليه المسلمون ورأوه حسناً لا ما رآه بعضهم واستحسنه. ذكر هذا الجواب ابن حزم وابن قدامة وابن القيم والشاطبي، وفيما يلي نصوصهم:

قال ابن حزم في [الإحكام في أصول الأحكام] (ج٦ ص١٨، ١٩): (حدثنا المهلب التميمي، عن محمد بن عيسى بن مناس، عن محمد بن مسرور، عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، أخبرني عبدالله بن يزيد، عن عبدالرحمن بن عبد الله بن عتبة، عن عاصم بن بهدلة، عن شقيق، عن عبدالله فذكر كلاماً فيه: (فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) ثم قال ابن حزم: (فهذا هو الإجماع الذي لا يجوز خلافه لو تيقن، وليس ما رآه بعض المسلمين أولى بالاتباع مما رآه غيرهم من المسلمين، ولو كان ذلك لكنا مأمورين بالشيء وضده

وبفعل شيء وتركه معاً، وهذا محال لا سبيل إليه) ا.هـ كلام ابن حزم.

وقال ابن قدامة في [روضة الناظر] (ص٨٦) في الجواب عن خبر (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) ما نصه: (الخبر دليل على أن الإجماع حجة ولا خلف فيه).

وقال ابن القيم في كتابه [الفروسية] (ص٦٠) طبعة مطبعة الأنوار في أثر ابن مسعود هذا: (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاختاره لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فاختارهم لصحبته، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن).

قال: (هو ـ أي (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) في هذا الأثر ـ دليل على أن ما أجمع عليه المسلمون ورأوه حسناً فهو عند الله حسن، لا ما رآه بعضهم فهو حجة عليكم).

وقال الشاطبي في كلامه على الاستحسان في [الاعتصام] (ج٢ ص١٣٠) قال في الجواب عن حديث (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن][1]: (إن ظاهره يدل على أن ما رآه المسلمون حسناً فهو حسن، والأمة لا تجتمع على باطل، فاجتماعهم على حسن شيء يدل على حسنه شرعاً؛ لأن الإجماع يتضمن دليلاً شرعياً، فالحديث دليل

(١) مورد هذا الأثر الذي أجابه الشاطبي عزاه إلى النبي ﷺ وهو غلط؛ لأنه من قول ابن مسعود لا من قوله ﷺ.

عليكم لا لكم)، ولم يقتصر الشاطبي على هذا، بل أضاف إليه قوله (ص١٣١): (إنه إذا لم يرد به أهل الإجماع وأريد بعضهم يلزم عليه قبول استحسان العوام، وهو باطل بإجماع)، ثم قال: (لا يقال: إن المراد استحسان أهل الاجتهاد؛ لأنا نقول: هذا ترك للظاهر فيبطل الاستدلال، ثم إنه لا فائدة في اشتراط الاجتهاد؛ لأن المستحسن بالفرض لا ينحصر في الأدلة، فأي حاجة إلى اشتراط الاجتهاد)، قال: (فإن قيل: إنما يشترط حذراً من مخالفة الأدلة، فإن العامي لا يعرفها. قيل: بل المراد استحسان ينشأ عن الأدلة، بدليل أن الصحابة رضي الله عنهم قصروا أحكامهم على اتباع الأدلة وفهم مقاصد الشرع) وجزم الشاطبي بأن تعلق المبتدعة بهذا الخبر تعلق بما لا يغني ولا ينفع البتة). ويقرب من كلام الشاطبي هنا قوله (ج٢) من [الاعتصام] (ص٣٠٧، ٣٠٨) في معنى (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) إنما معناه عند العلماء: أن علماء الإسلام إذا نظروا في مسألة مجتهد فيها، فما رأوه فيها حسناً فهو عند الله حسن؛ لأنه جارٍ على أصول الشريعة قال: (والدليل على ذلك الاتفاق على أن العوام لو نظروا فأداهم اجتهادهم إلى استحسان حكم شرعي لم يكن عند الله حسناً حتى يوافق الشريعة)، قال: (والذين نتكلم معهم في المسألة ليسوا من المجتهدين باتفاق منا ومنهم، فلا اعتبار بالاحتجاج بالحديث على استحسان شيء واستقباحه بغير دليل شرعي)، ومنهم من ترقى في الدعوى حتى يدعي فيها الإجماع من أهل الأقطار وهو لم يبرح من قطره ولا بحث عن علماء أهل الأقطار ولا عن تبيانهم فيما عليه الجمهور، ولا عرف من أخبار الأقطار خبراً فهو ممن يسأل عن ذلك

يوم القيامة. وهذا الاضطراب كله منشأه تحسين الظن بأعمال المتأخرين، وإن جاءت الشريعة بخلاف ذلك والوقوف مع الرجال دون التحري للحق).

هذا ومما يتعلق بالبحث في (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) أمران هامان:

أحدهما: قول العجلوني في [كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس] (ج٢ ص١٨٨) ما نصه: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) رواه أحمد في [كتاب السنة] وليس في مسنده، كما وهم عن ابن مسعود بلفظ: إن الله نظر في قلوب العباد، فاختار محمداً ﷺ، فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد فاختار له أصحاباً فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح).

الثاني: جزم بعض أهل العلم برفع الأثر الذي ورد فيه (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) جزم بذلك ابن قدامة في [روضة الناظر]، والشاطبي في [الاعتصام]، حيث عبر كل واحد منهما بأنه قول رسول الله ﷺ، وقال الملا علي قاري في [الموضوعات الكبرى] (ص١٠٦) طبعة بيروت ما نصه: (قد صح عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن)، ونقل الشيخ محمد أحمد العدوي الشافعي أحد علماء الأزهر في كتابه [طريق الوصول إلى إبطال البدع بعلم الأصول] (ص٢٥، ٢٦) عن الشيخ محمد عبدالحي اللكنوي أنه قال في [تحفة الأخيار]: قال سعيد

الرومي في المجلس الثامن عشر من كتاب [مجالس الأبرار] ما نصه: (قد نسب جماعة هذا الحديث منهم الرازي في [التفسير الكبير] والعيني في [شرح الهداية] وغيره من شراحها إلى النبي ﷺ، وقالوا: قال رسول الله ﷺ: «**ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن**».

وفي الإجابة عن هذين الأمرين الهامين نقول: أما دعوى العجلوني أن أثر ابن مسعود الذي ورد فيه (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) ليس في [مسند الإمام أحمد بن حنبل] فغير صحيحة، فقد جاء في الجزء الخامس من [مسند الإمام أحمد] تحقيق الشيخ أحمد شاكر (ص٣٦٥١) ما نصه: (حدثنا أبوبكر، حدثنا عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود قال: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء). ومن طريق الإمام أحمد بن حنبل أورده ابن كثير في تفسيره، وفي تاريخه، قال في تفسيره (ج٢ ص١٧٣) في تفسير الآية الكريمة ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾: (قال الإمام أحمد: حدثنا أبوبكر، حدثنا عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود قال: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما

رأوه سيئاً فهو عند الله سيء).

وقال في الجزء العاشر من [البداية والنهاية] (ص٣٢٧، ٣٢٨) في ترجمة الإمام أحمد قال الإمام أحمد: حدثنا أبوبكر بن عياش، ثنا عاصم، عن زر، عن عبدالله هو ابن مسعود قال: ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه، إسناد صحيح، قلت - القائل ابن كثير -: وهذا الأثر فيه حكاية إجماع عن الصحابة في تقديم الصديق، والأمر كما قاله ابن مسعود ا.هـ.

وأما رفع الأثر الذي ورد فيه (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) إلى النبي ﷺ فقد جزم ابن الجوزي وابن القيم وابن عبدالهادي ببطلانه واستغربه الزيلعي: قال ابن الجوزي في [العلل المتناهية في الأحاديث الواهية] (ج١ ص٢٨٠): (أنا القزاز، قال: أخبرنا أبوبكر بن ثابت، قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن عمر البجلي، أخبرنا يوسف بن عمر البجلي، قال: قرىء على أحمد بن أبي زهير البخاري وأنا أسمع، قيل له: حدثكم علي بن إسماعيل، قال: نا أبومعاذ رجاء بن سعيد، قال: نا سليمان بن عمرو النخعي وأنا أسمع، قال: حدثنا أبان بن أبي عياش، وحميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله نظر في قلوب العباد، فلم يجد قلباً أتقى من أصحابي؛ ولذلك اختارهم فجعلهم أصحاباً، فما استحسنوا فهو عند الله حسن، وما استقبحوا فهو عند الله قبيح**»، قال ابن الجوزي: (تفرد به النخعي). قال أحمد بن حنبل: كان يضع الحديث، وقال

أيضاً: (هذا الحديث إنما يعرف من كلام ابن مسعود)[١] ا.هـ كلام ابن الجوزي. وأبوبكر بن ثابت الذي ورد في سنده هو الخطيب البغدادي، وقد روى هذا الحديث في الجزء الرابع من [تاريخ بغداد] (ص١٦٥) قال: (أخبرنا محمد بن إسماعيل بن عمر البجلي، أخبرنا يوسف بن عمر القواس قال: قرىء على أحمد بن أبي زهير البخاري وأنا أسمع وأصله في كتابي، قيل له: حدثكم علي بن إسماعيل، حدثنا أبومعاذ، رجاء بن معبد، حدثنا سليمان بن عمرو النخعي، حدثنا أبان بن أبي عياش وحميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله نظر في قلوب العباد فلم يجد قلباً أتقى من أصحابي ولذلك اختارهم فجعلهم أصحاباً فما استحسنوا فهو عند الله حسن وما استقبحوا فهو عند الله قبيح**» تفرد به أبوداود النخعي، ورد هذا في ترجمة أحمد بن أبي زهير البخاري من تاريخ بغداد.

وقال ابن القيم في [الفروسية] في الكلام على أثر ابن مسعود (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) ما نصه: (ليس من كلام رسول الله ﷺ وإنما يضيفه إلى كلامه من لا علم له بالحديث، وإنما هو ثابت عن ابن مسعود قوله، ذكره الإمام أحمد وغيره موقوفاً عليه.

وقال الحافظ ابن عبدالهادي: (روي - أي أثر ابن مسعود - مرفوعاً عن أنس بإسناد ساقط، والأصح وقفه على ابن مسعود)، نقل ذلك عن ابن عبدالهادي صاحب [كشف الخفا ومزيل الإلباس عما

---

(١) فما جاء في رفعه إذاً مع ضعفه ليس من رواية ابن مسعود وإنما هو من رواية أنس.

اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس] الشيخ إسماعيل العجلوني.
وقال العلامة الحافظ الزيلعي في (باب الإجارة الفاسدة) من [نصب الراية] تعليقاً على قول صاحب الهداية: (قال عليه السلام: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) قال: (ج٤ ص١٣٣، ١٣٤) قلت: غريب مرفوعاً، ولم أجده إلا موقوفاً على ابن مسعود، وله طرق أحدها: رواه أحمد في مسنده، حدثنا أبوبكر بن عياش، ثنا عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود قال: (إن الله نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء)، انتهى. ومن طريق أحمد رواه الحاكم في [المستدرك] في فضائل الصحابة، وزاد فيه: (وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلف أبوبكر) انتهى. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، انتهى. وكذلك رواه البزار في مسنده والبيهقي في كتاب [المدخل] وقالا: لا نعلم رواه من حديث زر عن عبدالله غير أبي بكر بن عياش، وغير أبي بكر يرويه عن عاصم عن أبي وائل عن عبدالله، زاد البيهقي: ورواية ابن عياش أشبه. انتهى.

طريق آخر رواه أبوداود الطيالسي في مسنده، حدثنا المسعودي عن عاصم عن أبي وائل، عن عبدالله بن مسعود فذكره إلا أنه قال: عوض سيء، قبيح. ومن طريق أبي داود رواه أبونعيم في [الحلية] في ترجمة ابن مسعود، والبيهقي في كتاب [الاعتقاد]، وكذلك رواه الطبراني في معجمه، والمسعودي ضعيف، طريق آخر: رواه البيهقي أيضاً في [المدخل]، أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، ثنا أبوالعباس الأصم،

ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا أبوالجواب، ثنا عمار بن زريق، عن الأعمش عن مالك بن الحارث، عن عبدالرحمن بن يزيد قال: قال عبدالله، فذكره.

وقد جمع العلائي في كلامه على أثر ابن مسعود هذا (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) بين ذكر عدم رفعه، وبين عزوه إلى [مسند أحمد]، ولفظه حسبما في [الأشباه والنظائر] للسيوطي (ص٨٩) لم أجده مرفوعاً في شيء من كتب الحديث أصلاً، ولا بسند ضعيف بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال، وإنما هو من قول عبدالله بن مسعود موقوفاً عليه أخرجه أحمد في مسنده.

وأما جمع الصحابة المصحف وقصرهم الناس عليه فقد أجاب الشاطبي في [الاعتصام] (ج١ ص١٤٥ ـ ١٤٧) عن إيراده في البدع المستحدثة بأنه ليس من قبيلها، وإنما هو من المصالح المرسلة، والمصالح المرسلة عمل بمقتضاها السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم يقول في ذلك: (أما جمع المصحف وقصر الناس عليه فهو على الحقيقة من هذا الباب ـ أي باب المصالح المرسلة ـ إذ أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ تسهيلاً على العرب المختلفات اللغات فكانت المصلحة في ذلك ظاهرة إلا أنه عرض في إباحة ذلك بعد زمان رسول الله ﷺ فتح لباب الاختلاف في القرآن حيث اختلفوا في القراءة فخاف الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ اختلاف الأمة في ينبوع الملة، فقصروا الناس على ما ثبت منها في مصاحف عثمان رضي الله عنه، واطرحوا ما سوى ذلك، علماً بأن ما اطرحوه مضمن فيما أثبتوه؛ لأنه من قبيل القراءات التي يؤدى بها

القرآن، ثم ضبطوا ذلك بالرواية حين فسدت الألسنة ودخل في الإسلام أهل العجمة؛ خوفاً من فتح باب آخر من الفساد، وهو أن يدخل أهل الإلحاد في القرآن أو في القراءات ما ليس منها فيستعينوا بذلك في بث إلحادهم، ألا ترى أنه لما لم يمكنهم الدخول من هذا الباب دخلوا من جهة التأويل والدعوى في معاني القرآن، فحق ما فعل أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأن له أصلاً يشهد له في الجملة وهو الأمر بتبليغ الشريعة، وذلك لا خلاف فيه؛ لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾[1] وأمته مثله. وفي الحديث «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**» وأشباهه، والتبليغ كما لا يتقيد بكيفية معلومة؛ لأنه من قبيل المعقول المعنى فيصح بأي شيء أمكن من الحفظ والتلقين والكتابة وغيرها، كذلك لا يتقيد حفظه عن التحريف والزيغ بكيفية دون أخرى إذا لم يعد على الأصل بالإبطال، كمسألة المصحف؛ ولذلك أجمع عليه السلف الصالح)، وبعد أن أجاب الشاطبي بهذا قال: (وإن تعلق ـ أي المعارض ـ بما ورد من الخلاف في المصالح المرسلة وأن البناء عليها غير صحيح عند جماعة من الأصوليين فالحجة عليهم إجماع الصحابة على المصحف والرجوع إليه، وإذا ثبت اعتبارها في صورة ثبت اعتبارها مطلقاً ولا يبقى بين المختلفين نزاع إلا في الفروع.

وفي الصحيح قوله ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**»، فأعطى الحديث ـ كما ترى ـ أن ما سنه الخلفاء الراشدون

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧.

لاَحِق بسنة رسول الله ﷺ؛ لأن ما سنوه لا يعدو أحد أمرين:

إما أن يكون مقصوداً بدليل شرعي فذلك سنة لا بدعة.

وإما بغير دليل ومعاذ الله من ذلك، ولكن هذا الحديث دليل على إثباته سنة، إذ قد أثبته كذلك صاحب الشريعة ﷺ، فدليله من الشرع ثابت فليس ببدعة، ولذلك أردف اتباعهم بالنهي عن البدع بإطلاق، ولو كان عملهم ذلك بدعة لوقع في الحديث التدافع).

وقال في الجزء الثاني من [الموافقات] (ص٣٤١، ٣٤٢) في جمع المصحف: (إن جمع المصحف لم يكن في زمان رسول الله ﷺ للاستغناء عنه بالحفظ في الصدور، ولأنه لم يقع في القرآن اختلاف يخاف بسببه الاختلاف في الدين، وإنما وقعت فيه نازلتان أو ثلاثة، كحديث عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم رضي الله عنهما، وقصة أبي بن كعب مع عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، وفيه قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر**».

فحاصل الأمر: أن جمع المصحف كان مسكوتاً عنه في زمانه ﷺ ثم لما وقع الاختلاف في القرآن وكثر حتى صار أحدهم يقول لصاحبه: أنا كافر بما تقرأ به ـ صار جمع المصحف واجباً ورأياً رشيداً في واقعة لم يتقدم بها عهد فلم يكن فيها مخالفة، والإلزام أن يكون النظر في كل واقعة لم تحدث في الزمان المتقدم بدعة وهو باطل باتفاق، لكن مثل هذا النظر من باب الاجتهاد الملائم لقواعد الشريعة وإن لم يشهد له أصل معين، وهو الذي يسمى: المصالح المرسلة. وكل ما أحدثه السلف الصالح من هذا القبيل لا يتخلف عنه بوجه

وليس من المخالف لمقصد الشارع أصلاً كيف وهو يقول[١]: «**ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن**» و«**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»، فثبت أن هذا المجمع عليه موافق لقصد الشارع، فقد خرج هذا الضرب عن أن يكون فيه الفعل أو الترك مخالفاً للشارع، وأما البدعة المذمومة: فهي التي خالفت ما وضع الشارع من الأفعال والتروك ا.هـ.

وأما كتابة العلم فقد أجاب الإمام الشاطبي في [الاعتصام] (ج١ ص١٤٦) عن دعوى كونها من البدع المحدثة بما نصه:

(قد ثبت في السنة كتابة العلم ففي الصحيح قوله ﷺ: «**اكتبوا لأبي شاه**»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: (ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني عن رسول الله ﷺ إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتبُ وكنت لا أكتب). وذكر أهل السير أنه كان لرسول الله ﷺ كُتَّاب يكتبون له الوحي وغيره، منهم: عثمان، وعلي، ومعاوية، والمغيرة بن شعبة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وغيرهم. وأيضاً فإن الكتابة من قبيل ما لا يتم الواجب إلا به إذا تعين لضعف الحفظ وخوف اندراس العلم، كما خيف دروسه حينئذٍ، وهو الذي نبه عليه اللخمي، قال الشاطبي: وإنما كره المتقدمون كتب العلم؛ لأمر آخر لا لكونه بدعة، فكل من سمي كَتْبَ العلم بدعة: فإما متجوز، وإما غير عارف بوضع لفظ البدعة، فلا يصح الاستدلال بهذه

(١) لم يثبت ذلك من قول النبي ﷺ، وإنما ثبت من قول ابن مسعود رضي الله عنه.

الأشياء على صحة العمل بالبدع).

وأما تقسيم القرافي في كلامه البدعة إلى أقسام أحكام الشرع الخمسة فقد تعقبه في الجزء الأول من [الاعتصام] (١٥٠ ـ ١٥٥) بقوله: (إن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي، بل هو في نفسه متدافع؛ لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة ولكان العمل داخلاً في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها، فالجمع بين عد تلك الأشياء بدعاً وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين. أما المكروه منها والمحرم فمسلم من جهة كونها بدعاً لا من جهة أخرى، إذ لو دل دليل على منع أمر أو كراهته لم يثبت ذلك كونه بدعة لإمكان أن يكون معصية؛ كالقتل، والسرقة، وشرب الخمر ونحوها، فلا بدعة يتصور فيها ذلك التقسيم البتة إلا الكراهية والتحريم حسبما يذكر في بابه. فما ذكره القرافي عن الأصحاب من الاتفاق على إنكار البدع صحيح، وما قسمه فيها غير صحيح، ومن العجب حكاية الاتفاق مع المصادمة بالخلاف ومع معرفته بما يلزمه في خرق الإجماع، وكأنه إنما اتبع في هذا التقسيم شيخه ـ أي العز ـ من غير تأمل، فإن ابن عبدالسلام ظاهر منه أنه سمى المصالح المرسلة بدعاً بناء ـ والله أعلم ـ على أنها لم تدخل أعيانها تحت النصوص المعينة وإن كانت تلائم قواعد الشرع. فمن هنالك جعل القواعد هي الدالة على استحسانها بتسميته لها بلفظ البدع، وهو من حيث فقدان الدليل المعين على المسألة، واستحسانها من حيث

دخولها تحت القواعد. ولما بنى على اعتماد تلك القواعد استوت عنده مع الأعمال الداخلة تحت النصوص المعينة وصار من القائلين بالمصالح المرسلة، وسماها بدعاً في اللفظ، كما سمى عمر رضي الله عنه الجمع في قيام رمضان في المسجد بدعة) وجزم الشاطبي بأن القرافي لا عذر له في نقل تلك الأقسام على غير مراد شيخه، وعلى غير مراد الناس؛ لأنه خالف الكل في ذلك التقسيم فصار مخالفاً للإجماع. هذا ما أجاب به الشاطبي على سبيل الإجماع، وأجاب على سبيل التفصيل بقوله: (أما قسم الواجب فقد تقدم ما فيه آنفاً[١] فلا نعيده، وأما قسم التحريم فليس فيه ما هو بدعة هكذا بإطلاق، بل ذلك كله مخالفة للأمر المشروع فلا يزيد على تحريم أكل المال بالباطل إلا من جهة كونه موضوعاً على وزان الأحكام الشرعية اللازمة، كالزكوات المفروضة والنفقات المقدرة) قال: (فإذاً لا يصح أن يطلق القول في هذا القسم بأنه بدعة دون أن يقسم الأمر في ذلك، وأما قسم المندوب فليس من البدع بحال، وتبيين ذلك بالنظر في الأمثلة التي مثل لها، بصلاة التراويح في رمضان جماعة في المسجد، فقد قام بها رسول الله ﷺ في المسجد واجتمع الناس خلفه، فخرَّج أبوداود عن أبي ذر قال: صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان فلم يقم بنا شيئاً من الشهر حتى بقي سبع، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، فلما كانت السادسة لم يقم بنا، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر

---

(١) وهو أن الجمع بين كون الشيء بدعة وبين كون الدليل يدل على وجوبه جمع بين متنافيين.

الليل، فقلنا: يا رسول الله، لو نفلتنا قيام هذه الليلة، قال: فقال: «**إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة**»، قال: فلما كانت الرابعة لم يقم، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قال: قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور، ثم لم يقم بنا بقية الشهر)، ونحوه في الترمذي وقال فيه: (حسن صحيح). لكنه ﷺ لما خاف افتراضه على الأمة أمسك عن ذلك، ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس، ثم صلى القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «**قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إلا أني خشيت أن يفرض عليكم**» وذلك في رمضان، وخرجه مالك في [الموطأ]. فتأملوا ففي هذا الحديث ما يدل على كونها سنة، فإن قيامه أولاً بهم دليل على صحة القيام في المسجد جماعة في رمضان وامتناعه بعد ذلك من الخروج خشية من الافتراض لا يدل على امتناعه مطلقاً؛ لأن زمانه كان زمان وحي وتشريع فيمكن أن يوحى إليه إذا عمل به الناس بالإلزام، فلما زالت علة التشريع بموت رسول الله ﷺ رجع الأمر إلى أصله، وقد ثبت الجواز فلا ناسخ له، وإنما لم يُقِمْ ذلك أبوبكر رضي الله عنه لأحد أمرين:

إما لأنه رأى أن قيام الناس آخر الليل وما هم به عليه كان أفضل عنده من جمعهم على إمام أول الليل ذكره الطرطوشي[1].

---

(١) في كتابه [الحوادث والبدع] (ص٥٢) طبعة دار الأصفهاني وشركائه بجدة، =

وإما لضيق زمانه رضي الله عنه عن النظر في هذه الفروع مع شغله بأهل الردة وغير ذلك مما هو أوكد من صلاة التراويح، فلما تمهد الإسلام في زمن عمر رضي الله عنه ورأى الناس في المسجد أوزاعاً، كما جاء في الخبر قال: لو جمعت الناس على قارىء واحد لكان أمثل، فلما تم له ذلك نبه على أن قيامهم آخر الليل أفضل، ثم اتفق السلف على صحة ذلك وإقراره، والأمة لا تجتمع على ضلالة، وقد نص الأصوليون على أن الإجماع لا يكون إلا عن دليل شرعي) ثم قال الشاطبي: (فإن قيل: فقد سماها ـ أي صلاة التراويح ـ عمر رضي الله عنه بدعة، وحسنها بقوله: (نعمت البدعة هذه)، وإذا ثبتت بدعة مستحسنة في الشرع ثبت مطلق الاستحسان في البدع.

فالجواب: إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال من حيث تركها رسول الله ﷺ واتفق أن لم تقع في زمان أبي بكر رضي الله عنه لا أنها بدعة في المعنى، فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي، وعند ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه؛ لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: (إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم)، وقد نهى النبي ﷺ عن الوصال رحمة بالأمة، وقال: «**إني لست كهيئتكم، إني**

= ولفظه: (يحتمل ـ أي عدم صلاة أبي بكر رضي الله عنه التراويح مع الناس ـ أن يكون رأى من قيام الناس في آخر الليل وقوتهم عليه ما كان أفضل عنده من جمعهم على إمام في أول الليل).

أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»، وواصل الناس بعده لعلمهم بوجه علة النهي.

وأجاب الشاطبي عن تمثيل القرافي للمندوب من البدع حسب تقسيمه بإقامة صور الأئمة والقضاة وولاة الأمور بقوله: (ليس ذلك من قبيل البدع بسبيل.

أما أولاً: فإن التجمل بالنسبة إلى ذوي الهيئات والمناصب الرفيعة مطلوب وقد كان للنبي ﷺ حلة يتجمل بها للوفود، ومن العلة في ذلك ما قاله القرافي من أن ذلك أهيب وأوقع في النفوس من تعظيم العظماء ومثله التجمل للقاء العظماء، كما جاء في حديث أشج عبدالقيس.

وأما ثانياً: فإن سلمنا أن لا دليل عليه بخصوصه فهو من قبيل المصالح المرسلة، وما قاله من أن عمر كان يأكل خبز الشعير ويفرض لعامله نصف شاة فليس فيه تفخيم صورة الإمام ولا عدمه، بل فرض له ما يحتاج إليه خاصة وإلا فنصف شاة لبعض العمال قد لا يكفيه لكثرة عيال وطروق ضيف، وسائر ما يحتاج إليه من لباس وركوب وغيرهما فذلك قريب من أكل الشعير في المعنى، وأيضاً فإن ما يرجع إلى المأكول والمشروب لا تجمل فيه بالنسبة إلى الظهور للناس)، وعلق الشاطبي على قول القرافي: (فكذلك يحتاجون إلى تجديد زخارف وسياسات لم تكن قديمة، وربما وجبت في بعض الأحوال)، علق عليه بأنه مفتقر إلى التأمل ففيه على الجملة أنه مناقض لقوله في آخر الفصل: (الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع) مع ما ذكر

قبله فهذا كلام يقتضي أن الابتداع شر كله فلا يمكن أن يجتمع مع فرض الوجوب، وهو قد ذكر أن البدع قد تجب، وإذا وجبت لزم العمل بها، وهي لما كانت ضمن الشر كله فقد اجتمع فيها الأمر بها والأمر بتركها ولا يمكن فيهما الانفكاك وإن كانا من جهتين؛ لأن الوقوع يستلزم الاجتماع وليسا كالصلاة في الدار المغصوبة؛ لأن الانفكاك عن الوقوع ممكن، وهاهنا إذا وجبت فإنما تجب على الخصوص، وقد فرض أن الشر فيها على الخصوص فلزم التناقض، وأما على التفصيل: فإن تجديد الزخارف فيه من الخطأ ما لا يخفى، وأما السياسات فإن كانت جارية على مقتضى الدليل الشرعي فليست ببدع وإن خرجت عن ذلك فكيف يندب إليها وهي مسألة النزاع).

وأجاب عن الأشياء التي أوردها القرافي في قسم المكروه: بأنها هي من قبيل البدع في الجملة ولا كلام فيها، أو من قبيل الاحتياط على العبادات المحضة أن لا يزاد فيها ولا ينقص منها، وذلك صحيح؛ لأن الزيادة فيها والنقصان منها بدع منكرة فحالاتها وذرائعها يحتاط بها في جانب النهي.

وأجاب عن إيراد القرافي في قسم المباح مسألة المناخل: بأنها ليست في الحقيقة من البدع، بل هي من باب التنعم، ولا يقال فيمن تنعم بمباح إنه قد ابتدع، وإنما يرجع ذلك إذا اعتبر إلى جهة الإسراف في المأكولات؛ لأن الإسراف كما يكون في جهة الكمية يكون في جهة الكيفية، فالمناخل لا تعدو القسمين: فإن كان الإسراف من ماله فإن كره وإلا اغتفر مع أن الأصل الجواز.

ومما يحكيه أهل التذكير من الآثار أن أول ما أحدث الناس أربعة أشياء: المناخل، والشبع، وغسل اليدين بالأشنان بعد الطعام، والأكل على الموائد.

وهذا كله إن ثبت نقلاً ليس ببدعة وإنما يرجع إلى أمر آخر، وإن سلم أنه بدعة فلا نسلم أنها مباحة، بل هي ضلالة ومنهي عنها ولكنا لا نقول بذلك، هذا ما أجاب به الشاطبي عن كلام القرافي إجمالاً وتفصيلاً، وقد أجاد فيه.

وأما تقسيم العز بن عبدالسلام ـ شيخ القرافي ـ البدعة إلى الأقسام الخمسة، فقد أجاب عنه العلامة إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي في الجزء الأول من [الاعتصام] (ص١٥٥ ـ ١٦٧) قال في الجواب عن أمثلة الواجب ما نصه: (فأمثلة الواجب منها من قبيل ما لا يتم الواجب إلا به، كما قال: فلا يشترط أن يكون معمولاً به في السلف ولا أن يكون له أصل في الشريعة على الخصوص؛ لأنه من باب المصالح المرسلة لا البدع، أما هذا الثاني فقد تقدم، وأما الأول فلأنه لو كان ثم من يسير إلى فريضة الحج طيراناً في الهواء أو مشياً على الماء لم يعد مبتدعاً بمشيه كذلك؛ لأن المقصود إنما هو التوصل إلى مكة لأداء الفرض وقد حصل على الكمال فكذلك هذا، على أن هذه أشياء قد ذمها بعض من تقدم من المصنفين في طريقة التصوف وعدها من جملة ما ابتدع الناس، وذلك غير صحيح، ويكفي في رده إجماع الناس قبله على خلاف ما قال، على أنه نقل عن القاسم بن مخيمرة أنه ذكرت عنده العربية فقال: أولها كبر وآخرها بغي، وحكى أن بعض السلف قال: النحو يذهب الخشوع من القلب،

ومن أراد أن يزدري الناس كلهم فلينظر في النحو، ونقل نحو من هذه، وهذه كلها لا دليل فيها على الذم؛ لأنه لم يذم النحو من حيث هو بدعة، بل من حيث يكتسب به أمر زائد، كما يذم سائر علماء السوء لا لأجل علومهم، بل لأجل ما يحدث لهم بالعرض من الكبر به والعجب وغيرهما، ولا يلزم من ذلك كون العلم بدعة، فتسمية العلوم التي يكتسب بها أمر مذموم بدعاً: إما على المجاز المحض من حيث لم يحتج إليها أولاً ثم احتيج بعد، أو من عدم المعرفة بموضوع البدعة؛ إذ من العلوم الشرعية ما يداخل صاحبها الكبر والزهو وغيرهما ولا يعود ذلك عليها بذم، ومما حكى بعض هذه المتصوفة عن بعض علماء الخلف أنه قال: العلوم تسعة: أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين، وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف:

فأما الأربعة المعروفة: فعلم الإيمان، وعلم القرآن، وعلم الآثار، والفتاوى.

وأما الخمسة المحدثة: فالنحو، والعروض، وعلم المقاييس، والجدل في الفقه، وعلم المعقول بالنظر. وهذا إن صح نقله فليس أولاً كما قال؛ فإن أهل العربية يحكون عن أبي الأسود الدؤلي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الذي أشار عليه بوضع شيء في النحو حين سمع أعرابياً قارئاً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالجر. وقد روي عن ابن أبي مليكة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أن لا يُقرىء القرآن إلا عالم باللغة وأمر أبا الأسود فوضع النحو، والعروض من جنس النحو. وإذا كانت الإشارة من واحد من الخلفاء الراشدين صار النحو والنظر في الكلام العربي من سنة الخلفاء الراشدين، وإن سُلِّم

أنه ليس كذلك فقاعدة المصالح تعم علوم العربية أي: تكون من قبيل المشروع فهي من جنس كتب المصحف وتدوين الشرائع. وما ذكر عن القاسم بن مخيمرة قد رجع عنه، قال أحمد بن يحيى ثعلب: كان أحد الأئمة في الدين يعيب النحو، ويقول: أول تعلمه شغل وآخره يزدري العالم به الناس، فقرأ يوماً: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ برفع ﴿ٱللَّهَ﴾ ونصب ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فقيل له: كفرت من حيث لا تعلم تجعل الله يخشى العلماء، فقال: لا طعنت في علم يدل إلى معرفة هذا أبداً، قال عثمان بن سعيد الداني: الإمام الذي ذكره أحمد بن يحيى هو القاسم بن مخيمرة قال: وقد جرى لعبدالله بن أبي إسحاق مع محمد ابن سيرين كلام، وكان ابن سيرين يتنقص النحويين فاجتمعا في جنازة، فقرأ ابن سيرين ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ برفع اسم الله فقال له ابن أبي إسحاق: كفرت يا أبا بكر تعيب على هؤلاء الذين يقيمون كتاب الله، فقال ابن سيرين: إن كنت أخطأت فأستغفر الله.

وأجاب الشاطبي عما ذكره العز بن عبدالسلام في شأن إحداث المدارس بقوله: (أما المدارس فلم يتعلق بها أمر تعبدي يقال في مثله بدعة، إلا على فرض أن يكون من السنة أن لا يقرأ العلم إلا في المساجد، وهذا لا يوجد، بل العلم كان في الزمان الأول يبث بكل مكان من مسجد أو منزل أو سفر أو حضر أو غير ذلك حتى في الأسواق، فإذا أعد أحد من الناس مدرسة يعنى بإعدادها الطلبة، فلا يزيد ذلك على إعداده له منزلاً من منازله أو حائطاً من حوائطه أو غير ذلك) قال: (وإن قيل: إن البدعة في تخصيص ذلك الموضع دون غيره، فالتخصيص هاهنا ليس بتخصيص تعبدي، وإنما هو تعيين

بالحبس، كما تتعين سائر الأمور المحبسة، وتخصيصها ليس ببدعة فكذلك ما نحن فيه، بخلاف الربط فإنها خصت تشبيهاً بالصفة بها للتعبد فصارت تعبدية بالقصد والعرف، حتى إن ساكنيها مباينون لغيرهم في النحلة والمذهب والزي والاعتقاد).

وأجاب عما ذكره العز بن عبدالسلام في بناء القناطر بأنه راجع إلى إصلاح الطرق وإزالة المشقة عن سالكيها قال: (وله أصل في شعب الإيمان، وهو إماطة الأذى عن الطريق، فلا يصح أن يعد في البدع بحال). وعلق على تمثيل العز للبدعة المندوبة بكل إحسان لم يعهد في العصر الأول علق عليه بقوله ما نصه: (قوله: ـ أي العز ـ وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول فيه تفصيل: فلا يخلو الإحسان المفروض أن يفهم من الشريعة أنه مقيد بقيد تعبدي أو لا، فإن كان مقيداً بالتعبد الذي لا يعقل معناه فلا يصح أن يعمل به إلا على ذلك الوجه، وإن كان غير مقيد في أصل التشريع بأمر تعبدي فلا يقال: إنه غير بدعة على أي وجه وقع إلا على أحد ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يخرج أصلاً شرعياً، مثل الإحسان المُتْبِع بالمن والأذى والصدقة من المديان المضروب على يده وما أشبه ذلك، ويكون إذ ذاك معصية.

والثاني: أن يلتزم على وجه لا يتعدى، بحيث يفهم منه الجاهل أنه لا يجوز إلا على ذلك الوجه، فحينئذٍ يكون الالتزام المشار إليه بدعة مذمومة وضلالة فلا تكون إذاً مستحبة.

والثالث: أن يجري على رأي من يرى المعقول المعنى وغيره بدعة مذمومة،كمن كره تنخيل الدقيق في الصيغة فلا تكون عنده البدعة

مباحة ولا مستحبة).

وأجاب عما ذكره العز في صلاة التراويح: بأنه قد تقدم الكلام عليها - أي في رده على القرافي فلا حاجة إلى إعادته. وأجاب الشاطبي عما ذكره العز في علم المقاييس وعلم المعقول بقوله: (أما علم المقاييس فأصله في السنة، ثم في علم السلف بالقياس، ثم قد جاء في ذم القياس أشياء حملوها على القياس الفاسد فذلك من قبيل النظر في الأدلة، وقد كان السلف الصالح يجتمعون للنظر في المسائل الاجتهادية التي لا نص فيها؛ للتعاون على استخراج الحق، فهو من قبيل التعاون على البر والتقوى، ومن قبيل المشاورة المأمور بها فكلاهما مأمور به. وأما علم المعقول بالنظر فأصل ذلك في الكتاب والسنة؛ لأن الله تعالى احتج في القرآن على المخالفين لدينه بالأدلة العقلية، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[١]، وقوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾[٢]، وقوله: ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[٣]، وحكى عن إبراهيم عليه السلام محاجته للكفار بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾[٤] إلخ، وفي الحديث حين ذكرت العدوى «**فمن أعدى الأول**» إلى غير ذلك من الأدلة، فكيف يقال: إنه من البدع؟!).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.
(٢) سورة الروم، الآية ٤٠.
(٣) سورة الأحقاف، الآية ٤.
(٤) سورة الأنعام، الآية ٧٦.

وأجاب عن قول عز الدين: إن الرد على القدرية وكذا غيرهم من أهل البدع من البدع الواجبة: بأنه غير جار على الطريق الواضح، ولو سلم فهو من المصالح المرسلة، قال: وأما أمثلة البدع المحرمة فظاهرة.

وأجاب عن تمثيل العز بن عبدالسلام للبدعة المندوبة حسب تقسيمه بإحداث الربط، أجاب عنه بقوله: (إن عنى بالربط ما بني من الحصون والقصور قصداً للرباط فيها، فلا شك أن ذلك مشروع بشرعية الرباط ولا بدعة فيه، وإن عنى بالربط ما بني لالتزام سكناها قصد الانقطاع إلى العبادة؛ لأن إحداث الربط التي شأنها أن تبنى تديناً للمنقطعين للعبادة في زعم المحدثين، ويوقف عليها أوقاف يجري منها على الملازمين لها ما يقوم بهم في معاشهم من طعام ولباس وغيرهما لا يخلو أن يكون لها أصل في الشريعة أم لا. فإن لم يكن لها أصل دخلت في الحكم تحت قاعدة البدع التي هي ضلالات فضلاً عن أن تكون مباحة، فضلاً عن أن تكون مندوباً إليها.

وإن كان لها أصل فليست ببدعة فإدخالها تحت جنس البدع غير صحيح.

ولم يكتف الشاطبي بهذا، بل أضاف إليه تفنيد القول بأن حال أهل تلك الربط يشبه حال أهل الصفة وأجاد الكلام في ذلك غاية الإجادة ونص كلامه: (إن كثيراً ممن تكلم على هذه المسألة من المصنفين في التصوف تعلقوا بالصُّفَّة التي كانت في مسجد رسول الله ﷺ يجتمع فيها فقراء المهاجرين، وهم الذين نزل فيهم ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ

يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ الآية[١]، وقوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَوٰةِ وَالْعَشِيِّ﴾ الآية[٢]، فوصفهم الله بالتعبد والانقطاع إلى الله بدعائه قصداً لله خالصاً، فدل على أنهم انقطعوا لعبادة الله بدعائه قصداً لله لا يشغلهم عن ذلك شاغل، فنحن إنما صنعنا صفة مثلها أو تقاربها، يجتمع فيها من أراد الانقطاع إلى الله ويلتزم العبادة ويتجرد عن الدنيا والشغل بها، وذلك كان شأن الأولياء ينقطعون عن الناس ويشتغلون بإصلاح بواطنهم ويولون وجوههم شطر الحق فهم على سيرة من تقدم، وإنما يسمى ذلك بدعة باعتبار ما، بل هي سنة وأهلها متبعون للسنة فهي طريقة خاصة لأناس، ولذلك لما قيل لبعضهم: في كم تجب الزكاة؟ قال: على مذهبنا أم على مذهبكم؟ ثم قال: أما على مذهبنا فالكل لله، وأما على مذهبكم فكذا وكذا، أو كما قال. وهذا كله من الأمور التي جرت عند كثير من الناس هكذا غير محققة ولا منزَّلة على الدليل الشرعي ولا على أحوال الصحابة والتابعين، ولابد من بسط طرف من الكلام في هذه المسألة بحول الله حتى يتبين الحق فيها لمن أنصف ولم يغالط نفسه وبالله التوفيق:

وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة كانت الهجرة واجبة على كل مؤمن بالله ممن كان بمكة أو غيرها: فكان منهم من احتال على نفسه فهاجر بماله أو شيء منه فاستعان به لما قدم المدينة في حرفته التي كان يحترف من تجارة أو غيرها كأبي بكر الصديق

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٢.
(٢) سورة الكهف، الآية ٢٨.

رضي الله عنه فإنه هاجر بجميع ماله وكان خمسة آلاف. ومنهم من فر بنفسه ولم يقدر على استخلاص شيء من ماله فقدم المدينة صفر اليدين، وكان الغالب على أهل المدينة العمل في حوائطهم وأموالهم بأنفسهم، فلم يكن لغيرهم معهم كبير فضل في العمل.

وكان من المهاجرين من أشركهم الأنصار في أموالهم، وهم الأكثرون، بدليل قصة بني النضير فإن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما افتتح رسول الله ﷺ بني النضير قال للأنصار: «**إن شئتم قسمتها بين المهاجرين وتركتم نصيبكم فيها وخلاً المهاجرون بينكم وبين دوركم وأموالكم فإنهم عيال عليكم**» فقالوا: نعم، ففعل ذلك نبي الله ﷺ غير أنه أعطى أبا دُجانة وسهل بن حنيف، وذكر أنهم فقراء، وقد قال المهاجرون أيضاً لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ما رأينا قوماً أبذل لكثير ولا أحسن مواساة بقليل من قوم نزلنا بين أظهرهم ـ يعنون الأنصار ـ لقد كفونا المؤنة وشاركونا في المهنأ حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال النبي ﷺ: «**لا، مادعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم**».

ومنهم: من كان يلتقط نوى التمر فيرضها ويبيعها علفاً للإبل ويتقوت من ذلك الوجه.

ومنهم: من لم يجد وجهاً يكتسب به لقوت ولا لسكنى، فجمعهم النبي ﷺ في صفة كانت في مسجده وهي سقيفة كانت من جملته، إليها يأوون وفيها يقعدون إذ لم يجدوا مالاً ولا أهلاً، وكان النبي ﷺ يحض الناس على إعانتهم والإحسان إليهم، وقد وصفهم أبوهريرة رضي الله تعالى عنه ـ إذ كان من جملتهم وهو أعرف الناس بهم ـ قال في الصحيح: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال

ولا على أحد، إذا أتته ـ يعني النبي ﷺ ـ صدقة بعث بها إليهم ولا يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها. فوصفهم بأنهم أضياف الإسلام وحكم لهم ـ كما ترى ـ بحكم الأضياف، وإنما وجبت الضيافة في الجملة؛ لأن من نزل بالبادية لا يجد منزلاً ولا طعاماً لشراء، إذ لم يكن لأهل الوبر أسواق ينال منها ما يحتاج إليه من طعام يشترى ولا خانات يؤوى إليها فصار الضيف مضطراً. وإن كان ذا مال، فوجب على أهل الموضع ضيافته وإيــواؤه حتى يرتحل، فإن كان لا مال له فذلك أحرى، فكذلك أهل الصفة لما لم يجدوا منزلاً آواهم النبي ﷺ إلى المسجد حتى يجدوا، كما أنهم حين لم يجدوا ما يقوتهم ندب النبي ﷺ إلى إعانتهم، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ .. إلى قوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية[1].

فوصفهم الله تعالى بأوصاف منها أنهم أحصروا في سبيل الله، أي: منعوا وحبسوا حين قصدوا الجهاد مع نبيه ﷺ كأن العدو أحصرهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض لاتخاذ المسكن ولاللمعاش؛ لأن العدو قد كان أحاط بالمدينة، فـلا هــم يقــدرون علــى الجهاد حتى يكسبوا من غنائمه، ولا هم يتفرغون للتجارة أو غيرها؛ لخوفهم من الكفار، ولضعفهم في أول الأمر فلم يجدوا سبيلاً للكسب أصلاً، وقد قيل: إن قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أنهم قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ فصاروا زمنى، وفيهم أيضاً نزل

---

(١) سورة البقرة، الآيات ٢٦٧ ـ ٢٧٣.

قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾[١]، ألا ترى كيف قال: ﴿أُخْرِجُوا۟﴾ ولم يقل: خرجوا من ديارهم وأموالهم؟ فإنه قد كان يحتمل أن يخرجوا اختياراً، فبان أنهم إنما خـــرجوا منها اضطراراً، ولو وجدوا سبيلاً أن لا يخرجوا لفعلوا، ففيه مايدل على أن الخروج من المال اختياراً ليس بمقصود للشارع وهو الذي تدل عليه أدلة الشريعة، فلأجل ذلك بوأهم رسول الله ﷺ الصفة، فكانوا في أثناء ذلك ما بين طالب للقرآن والسنة، كأبي هريرة فإنه قصر نفسه على ذلك ألا ترى إلى قوله في الحديث: (وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا)، وكان منهم من يتفرغ إلى ذكر الله وعبادته وقراءة القرآن، فإذا غزا رسول الله ﷺ غزا معه، وإذا أقام أقام معه حتى فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين فصاروا إلى ما صار الناس إليه غيرهم ممن كان له أهل ومال من طلب المعاش واتخاذ المسكن؛ لأن العذر الذي حبسهم في الصفة قد زال فرجعوا إلى الأصل لما زال العارض. فالذي تحصل أن القعود في الصفة لم يكن مقصوداً لنفسه ولا بناء الصفة للفقراء مقصوداً بحيث يقال: إن ذلك مندوب إليه لمن قدر عليه ولا هي رتبة شرعية تطلب بحيث يقال: إن ترك الاكتساب والخروج عن المال، والانقطاع إلى الزوايا يشبه حالة أهل الصفة، وهي الرتبة العليا؛ لأنها تشبهٌ بأهل صفة رسول الله ﷺ الذين وصفهم الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾

---

(١) سورة الحشر، الآية ٨.

الآية[١]، وقوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ الآية[٢]، فإن ذلك لم يكن على ما زعم هؤلاء، بل كان على ما تقدم.

والدليل من العمل: أن المقصود بالصفة لم يدم ولم يثابر أهلها ولا غيرهم على البقاء فيها ولا عمرت بعد النبي ﷺ، ولو كان من قصد الشارع ثبوت تلك الحالة لكانوا هم أحق بفهمها أولاً، ثم بإقامتها والمكث فيها عن كل شغل، وأولى بتجديد معاهدها، لكنهم لم يفعلوا ذلك البتة، فالتشبه بأهل الصفة إذاً في إقامة ذلك المعنى واتخاذ الزوايا والربط لا يصح، فليفهم الموفق هذا الموضع فإنه مزلة قدم لمن لم يأخذ دينه عن السلف الأقدمين والعلماء الراسخين. ولا يظن العاقل أن القعود عن الكسب ولزوم الربط مباح أو مندوب إليه أفضل من غيره إذ ليس ذلك بصحيح، ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها، ويكفي المسكين المغتر بعمل الشيوخ المتأخرين: أن صدور هذه الطائفة المتسمين بالصوفية لم يتخذوا رباطاً ولا زاوية ولا بنوا بناء يضاهون به الصفة للاجتماع على التعبد والانقطاع عن أسباب الدنيا؛ كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، والجنيد، وإبراهيم الخواص، والحارث المحاسبي، والشبلي... وغيرهم ممن سابق في هذا الميدان، وإنما محصول هؤلاء أنهم خالفوا رسول الله ﷺ وخالفوا السلف الصالح وخالفوا شيوخ الطريقة التي انتسبوا إليها، ولا توفيق إلا بالله).

وأجاب الشاطبي عن تمثيل العز بن عبدالسلام للبدعة المندوبة حسب تقسيمه بالكلام في دقائق التصوف.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٢.
(٢) سورة الكهف، الآية ٢٨.

أجاب عنه: بأن الكلام في دقائق التصوف ليس ببدعة بإطلاق ولا هو مما صح بالدليل بإطلاق، بل الأمر ينقسم؛ ثم قال[1]: (لفظ التصوف لابد من شرحه أولاً، حتى يقع الحكم على أمر مفهوم؛ لأنه أمر مجمل عند هؤلاء المتأخرين، فلنرجع إلى ما قال فيه المتقدمون.

وحاصل ما يرجع إليه لفظ التصوف عندهم معنيان:

أحدهما: التخلق بكل خلق سني، والتجرد عن كل خلق دنيء.

والآخر: أنه الفناء عن نفسه والبقاء لربه.

وهما في التحقيق إلى معنى واحد، إلا أن أحدهما يصلح التعبير به عن البداية، والآخر يصلح التعبير به عن النهاية، وكلاهما اتصاف إلا أن الأول لا يلزمه الحال، والثاني يلزمه الحال، وقد يعبر فيهما بلفظ آخر فيكون الأول عملاً تكليفياً، والثاني نتيجته، ويكون الأول اتصاف الظاهر، والثاني اتصاف الباطن، ومجموعهما هو التصوف.

وإذا ثبت هذا فالتصوف بالمعنى الأول لا بدعة في الكلام فيه؛ لأنه إنما يرجع إلى تفقه ينبني عليه العمل وتفصيل آفاته وعوارضه وأوجه تلافي الفساد الواقع فيه بالإصلاح، وهو فقه صحيح وأصوله في الكتاب والسنة ظاهرة، فلا يقال في مثله بدعة إلا إذا أطلق على فروع الفقه التي لم يُلْف مثلها في السلف الصالح أنها بدعة كفروع أبواب السلم، والإجارات، والجراح، ومسائل السهو والرجوع عن الشهادات وبيوع الآجال، وما أشبه ذلك. وليس من شأن العلماء إطلاق لفظ

---

(١) الاعتصام (ج١ ص١٦٣ ـ ١٦٦).

البدعة على الفروع المستنبطة التي لم تكن فيما سلف وإن دقت مسائلها، فكذلك لا يطلق على دقائق فروع الأخلاق الظاهرة والباطنة أنها بدعة؛ لأن الجميع يرجع إلى أصول شرعية.

وأما بالمعنى الثاني فهو على أضرب:

أحدها: يرجع إلى العوارض الطارئة على السالكين إذا دخل عليهم نور التوحيد الوجداني، فيتكلم فيها بحسب الوقت والحال، وما يحتاج إليه في النازلة الخاصة رجوعاً إلى الشيخ المربي وما بين له في تحقيق مناطها بفراسته الصادقة في السالك بحسبه وبحسب العارض، فيداويه بما يليق به من الوظائف الشرعية والأذكار الشرعية أو بإصلاح مقصده إن عرض فيه العارض فقلما يطرأ العامل، بل العارض إلا عند الإخلال ببعض الأصول الشرعية التي بنى عليها في بدايته فقد قالوا: إنما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول فمثل هذا لا بدعة فيه لرجوعه إلى أصل شرعي، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ جاءه ناس من أصحابه رضي الله عنهم فقالوا: يا رسول الله، إنا نجد في أنفسنا الشيء يعظم أن نتكلم به،أو الكلام به ما نحب أن لنا وأنا تكلمنا به قال: «**أو قد وجدتموه؟**» قالوا: نعم، قال: «**ذاك صريح الإيمان**»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه يعرض بالشيء، لأن يكون حممه أحب إليه من أن يتكلم به، قال: «**الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**»، وفي حديث آخر: «**من وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله**»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في مثله: «**إذا وجدت شيئاً من ذلك فقل:**

هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم» إلى أشباه ذلك، وهو صحيح مليح.

والثاني: يرجع إلى النظر في الكرامات وخوارق العادات وما يتعلق بها مما هو خارق في الحقيقة أو غير خارق، وما هو منها يرجع إلى أمر نفسي أو شيطاني، أو ما أشبه ذلك من أحكامها.

فهذا النظر ليس ببدعة، كما أنه ليس ببدعة النظر في المعجزات وشروطها والفرق بين النبي والمتنبي، وهو من علم الأصول فحكمه حكمه.

والضرب الثالث: ما يرجع إلى النظر في مدركات النفوس من العالم الغائب، وأحكام التجريد النفسي، والعلوم المتعلقة بعالم الأرواح وذوات الملائكة والشياطين والنفوس الإنسانية والحيوانية وما أشبه ذلك هو بلا شك بدعة مذمومة إن وقع النظر فيه، والكلام عليه بقصد جعله علماً ينظر فيه، وفناً يشتغل بتحصيله بتعلم أو رياضة فإنه لم يعهد مثله في السلف الصالح وهو في الحقيقة نظر فلسفي إنما يشتغل باستجلابه والرياضة لاستفادته أهل الفلسفة الخارجون عن السنة المعدودون في الفرق الضالة، فلا يكون الكلام فيه مباحاً، فضلاً عن أن يكون مندوباً إليه. نعم، قد يعرض للسالك فيتكلم فيه مع المربي حتى يخرجه عن طريق ويبعد بينه وبين فريقه؛ لما فيه من إمالة مقصد السالك إلى أن يعبد الله على حرف زيادة إلى الخروج عن الطريق المستقيم بتتبعه والالتفات إليه، إذ الطريق مبني على الإخلاص التام بالتوجه الصادق، وتجريد التوحيد عن الالتفات إلى الأغيار، وفتح باب الكلام في هذا الضرب مضاد لذلك كله.

والضرب الرابع: يرجع إلى النظر في حقيقة الفناء من حيث الدخول فيه، والاتصاف بأوصافه وقطع أطماع النفس عن كل جهة توصل إلى غير المطلوب وإن دقت فإن أهواء النفوس تدق وتسري مع السالك في المقامات فلا يقطعها إلا من حسم مادتها وبت طلاقها وهو باب الفناء المذكور وهذا نوع من أنواع الفقه المتعلق بأهواء النفوس ولا يعد من البدع لدخوله تحت جنس الفقه؛ لأنه ـ وإن دق ـ راجع إلى ما جل من الفقه ودقته وجلته إضافيان والحقيقة واحدة، ثم أقسام أخر جميعها إما يرجع إلى فقه شرعي حسن في الشرع وإما إلى ابتداع ليس بشرعي وهو قبيح في الشرع.

وقال الشاطبي في الرد على كلام العز بن عبدالسلام في الجدل وجمع المحافل للاستدلال قال: (أما الجدل وجمع المحافل للاستدلال على المسائل فقد مر الكلام فيه) أي: في الرد على القرافي، وقال في الرد على عد العز بن عبدالسلام زخرفة المساجد وتزويق المصاحف وتلحين القرآن من البدع المكروهة قال: (إن أراد مجرد الفعل من غير اقتران أمر آخر فغير مسلم وإن أراد مع اقتران أصل التشريع فصحيح ما قال، إن البدعة لا تكون بدعة إلا مع اقتران هذا القصد فإن لم يقترن فهو منهي عنها غير بدعة.

وقال في الرد على عد المصافحة عقب صلاة الصبح والعصر من أمثلة البدع المباحة قال: (أما إنها بدعة فمسلم، وأما أنها مباحة فممنوع، إذ لا دليل في الشرع يدل على تخصيص تلك الأوقات بها، بل هي مكروهة إذ يخاف بدوامها إلحاقها بالصلوات المذكورة).

وقال في الرد على عد التوسع في الملذات من البدع المباحة: (قد تقدم ما فيه) يشير بذلك إلى قوله (ص١٥٥) في الرد على عد القرافي المناخل في قسم المباح ما نصه: (ليست ـ أي المناخل ـ في الحقيقة من البدع، بل هي من باب التنعم، ولا يقال فيمن تنعم بمباح إنه قد ابتدع وإنما يرجع ذلك ـ إذا اعتبر ـ إلى جهة الإسراف في المأكول؛ لأن الإسراف كما يكون في جهة الكمية يكون في جهة الكيفية).

هذا آخر جواب الشاطبي عن كلام العز بن عبدالسلام، وقد وضح منه، كما ذكره الشاطبي (ص١٦٧ ج١): أن البدع لا تنقسم إلى ذلك الانقسام، بل هي من قبيل المنهي عنه: إما كراهة وإما تحريماً.

وأما دعوى الشيخ محمــد بن علـوي: (أنه لو كانت كل بدعة محرمة لوجب علينا حرب الكفار بالسهام والأقواس مع حربهم لنا بالرصاص والمدافع والدبابات والطيارات والأساطيل).

فالجواب عليها: بما بينه الإمام ابن القيم في كتابه [الفروسية] (ص١٠١) حيث قال في القسي الفارسية: (الصواب المقطوع به أنه لا يكره الرمي بها، ولا النضال عليها، وقد انعقد إجماع الأمة على إباحة الرمي بها وحملها وهي التي يقع بها الجهاد في هذه الأعصار، وبها يكسر العدو، وبها يعز الإسلام ويرعب المشركون. والمقصود: نصرة الدين وكسر أعدائه لا عين القوس وجنسها، وقد قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[1]، والرمي بهذه القسي من القوة المعدة،

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

وقد قال النبي ﷺ: «**ارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليَّ من أن تركبــوا**»، ولــم يخــص نوعــاً من نوع، وليس هذا الخطاب مختصاً بالصحابة، بل هو لهم وللأمة إلى يوم القيامة، فهو أمر لكل طائفة بما اعتادوه من الرمي والقسي، والأحاديث التي تقدمت في فضل الرمي وتبليغ العدو السهام عامة في كل نوع فلا يدعى فيها التخصيص بغير موجب. وأما النهي عنها ـ أي القسي الفارسية ـ[(١)] إن صح فذاك في وقت مخصوص ـ وهو حين كانت العرب هم عسكر الإسلام، وقسيهم العربية ـ فكلامهم بالعربية وأدواتهم عربية وفروسيتهم عربية، وكان الرمي بغير قسيهم والكلام بغير لسانهم حينئذٍ تشبهاً بالكفار من العجم وغيرهم، أما في هذه الأزمان فقسي عسكر الإسلام الفارسية أو التركية، وكلامهم وأدواتهم وفروسيتهم العربية، فلو كره لهم ذلك ومنعوا منه فسدت الدنيا والدين، وتعطل سوق الجهاد واستولى الكفار على المسلمين، وهذا من أبطل الباطل، فإن صح الخبر فالنبي ﷺ لعنها وأمر بإلقائها حين لم يكن العجم والترك قد أسلمـوا، فهي كانت شعاراً للكفار والمشركين، أو منع الرجل من حملها لعدم أهل الإسلام حينئذٍ، ولهذا قال: «**عليكم برماح القنا**»، فلم تستعمل الرماح حينئذٍ واستعمل معهم ما يخافون شوكته من السلاح، ومن هذا لو حاصرنا

---

(١) وكان ابن القيم قد قال قبل ذلك بعد أن ذكر أن الإمام أحمد نص على جواز المسابقة بالقسي الفارسية، وأباح الرمي بها، قال ما نصه: (قال أبوبكر من أصحابنا: يكره، واحتج بأن النبي ﷺ رأى مع رجل قوساً فارسية، فقال: «**ألقها فإنها ملعونة**».

حصناً وقوس الجرخ فيه أنفع من قوس اليد لكان الرمي بقوس الجرخ فيه أولى من الرمي بقوس اليد، بل كان يتعين. فإن كان الرمي بالمنجنيق أدعى إلى فتحه كان أولى من النشاب وحده، والكافر عدو والمقصود قتله كيفما أمكن كقتل الحية والكلب العقور، فكل طائفة من المسلمين الأفضل في حقها أن تقاتل بما اعتادته من القسي والآلات وأنواع الحرب والقتال، ولو كانت عساكر الإسلام اليوم تقاتل بين يدي رسول الله ﷺ بهذه القسي الفارسية وينصر الله ورسوله بها لمدحها وأثنى عليها، ولم ينههم عنها، وبالله التوفيق).

ومن أحسن ما جاء في الرد على تقسيم البدعة إلى الأحكام الخمسة قول الإمام تقي الدين ابن تيمية في [اقتضاء الصراط المستقيم] (ص٢٧٤، ٢٧٥) : (لا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله ﷺ الكلية، وهي قوله: «**كل بدعة ضلالة**» بسلب عمومها، وهو أن يقال: ليست كل بدعة ضلالة، فإن هذا إلى مشاقة الرسول أقرب منه إلى التأويل، بل الذي يقال فيما ثبت أنه حسن من الأعمال التي قد يقال، هي بدعة: إن هذا العمل المعين مثلاً ليس ببدعة، فلا يندرج في الحديث، أو إن اندرج لكنه مستثنى من هذا العموم؛ لدليل كذا وكذا الذي هو أقوى من العموم، مع أن الجواب الأول أجود، وهذا الجواب فيه نظر، فإن قصد التعميم المحيط ظاهر من نص رسول الله ﷺ بهذه الكلمة الجامعة، فلا يعدل عن مقصوده بأبي هو وأمي .

وكذلك قول السيد رشيد رضا في الجزء الرابع من فتاويه (ص١٣٧٨، ١٣٧٩) في البدع ما نصه: (منها: ما يكون كفراً أو وسيلة

إلى الكفر، ومنها: ما هو حرام، وما هو مكروه. وليس في البدع الشرعية شيء جائز كأن يكون مباحاً؛ لأنها لا تكون إلا ضلالة، كما ورد في الحديث.

وقد صرح بهذا الفقيه ابن حجر المكي في [الفتاوى الحديثية] (ص٢٠٦).

وأما البدعة غير الشرعية فهي التي قالوا: إنها تنقسم إلى الأحكام الخمسة، كما بينه ابن حجر في (ص١١٢) من [الفتاوى الحديثية] أيضاً، ولكنه أخطأ في بعض الأمثلة وعبر عن هذه البدعة بالبدعة اللغوية.

وقد فصل العلامة الشاطبي هذا البحث تفصيلاً تاماً في كتابه [الاعتصام]، وسبق لنا نقل كثير من فصوله ولم يبلغنا قبل اليوم أن الجهل بلغ من أحد ينسب إلى الإسلام مبلغاً حمله على القول بأن العمل بالبدعة الشرعية جائز وأنه خير من تركها، وبعد أن أثنى الشيخ رشيد رضا على فتوى للشيخ سليم البشري جيدة في التحذير من العمل بالبدع الشرعية قال: (لكن لدى الشيخ وسائل أخرى كل منها يؤثر ما لا تؤثر الفتاوى الفردية، يسهل على الشيخ ـ وهو رئيس العلماء ـ أن يؤلف لجنة من كبار علماء المذاهب الأربعة في الأزهر ويأمرها بإحصاء البدع الفاشية في المساجد والأضرحة والموالد وغيرها وتأليف رسائل في التنفير منها تطبع ويذكر فيها أسماء عشرات من العلماء الذين ألفوها وأقروها، وأن يعهد إلى علماء جميع المعاهد الدينية وطلابها بنشرها وقراءتها على الناس في المساجد بنظام متبع، وكذا في غير المساجد بشرط أن يكونوا أول العاملين بها والمنكرين على كل من

يخالفها ويمكن طبع الألوف من هذه الرسائل على نفقة الأوقاف الخيرية المطلقة وتوزيعها بغير ثمن، وأن يعهد إلى بعض المنشئين المجيدين بإنشاء خطب في ذلك توزعها وزارة الأوقاف على خطباء جميع المساجد؛ ليخطبوا بها، وأن يقترح على الشعراء المجيدين أن ينظموا ذلك في قصائد وموشحات تزجر الناس عن تلك البدع ويسهل عليه أيضاً أن يتوسل بالحكومة إلى إبطال كثير من تلك البدع، ولاسيما بدع المواسم والاحتفالات التي للحكومة يد فيها، فعسى الله أن يوفق الشيخ إلى هذا العمل الذي لا يقدر عليه غيره فيكون ذخراً له عند الله تعالى وموجباً لثناء الناس كلهم بحق).

* * * *

فصل
فيما ترتب على الاحتفال بذلك اليوم من أمور خطيرة ومفاسد كثيرة

ترتب على الاحتفال باليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي أمور خطيرة ومفاسد كثيرة.

فمن الأمور الخطيرة التي ترتبت عليه: صـــدور أوامر من بعض الولاة في العصور المتأخرة بتصيير ذلك اليوم عيداً، وورود تصريحات من بعض أهل العلم المشجعين على الاحتفال بذلك اليوم باعتباره عيداً، وعلى سبيل التمثيل لذلك ـ لا الحصر ـ أورد ما يلي:

١ ـ ما ورد في الجزء الثاني من [الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى] للشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي (ج٢ ص٤٣) ونصه: (وفي سنة إحدى وسبعين وستمائة أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن عبدالحق بعمل المولد النبوي وتعظيمه والاحتفال به وصيره عيداً من الأعياد في جميع بلاده، وذلك في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، وكان الأمر به قد صدر عنه وهو بصبرة من بلاد الريف في آخر صفر من السنة فوصل برسم إقامته بحضرة فاس الفقيه أبويحيى بن أبي الصبر)، هكذا ورد في [الاستقصاء]، وذكر السلاوي بعد ذلك أن بني العزفي أصحاب سبتة سبقوا السلطان يوسف إلى عمل المولد، ثم قال: (فهم أول من أحدث عمل المولد الكريم بالمغرب، والله أعلم).

٢ ـ ما جاء في [المدخل] لابن الحاج (ج٢ ص٤٦) ونصه: (لقد أحسن الشيخ الإمام أبويعقوب يوسف ابن الشيخ أبي الحسن علي ابن الشيخ أبي مروان عبدالملك البكري عرف بابن السماط... حيث قال:

أعلمت أنك يا ربيع الأول ... تاج على هام الزمان مكلل
مستعذب الإلمام مرتقب اللقا ... كل الفضائل حين تقبل تقبل
ما عدت إلا كنت عيداً ثالثاً ... بل أنت أحلى في العيون وأجمل
شرفاً بمولد مصطفى لما بدا ... أخفى الأهلة وجهه المتهلل

... إلخ.

نقل عنه هذه الأبيات ابن الحاج في الجزء الثاني من [المدخل] (ص٤٦) رغم أن ابن الحاج نفسه قد جزم بأن المواسم التي لم تثبت شرعاً هي: بين مواسم تنسب إلى الشرع وليست منه وبين مواسم تشبه أصحابها فيها بالنصارى[١]، وقد أطال في تفصيل ذلك.

٣ ـ ما جاء في [الإعلام بأعلام بيت الله الحرام] للشيخ قطب الدين الحنفي (ص١٩٦) في كلامه على الاحتفال بالمولد النبوي، ونصه: (كيف لا يفرح المؤمنون بليلة ظهر فيها أشرف الأنبياء والمرسلين ﷺ، وكيف لا يجعلونه عيداً من أكبر أعيادهم؟).

٤ ـ ما ورد في كتاب [التبر المسبوك في ذيل السلوك] للسخاوي (ص١٤) بصدد كلامه على الاحتفال باليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم

(١) راجع [المدخل] (ج٢ ص٢٧٦ ـ ٣٠٥).

المولد النبوي، ونصه: (وإذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيداً أكبر، فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر)، وقد تعقبه الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٢٩، ٣٠) بقوله: (قلت: مما يرد عليه أنا مأمورون بمخالفة أهل الكتاب) ا.هـ كلام علي القاري جزاه الله عنه خير الجزاء.

وعلى أساس اعتبار ذلك اليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي عيداً أفتى ابن عباد وابن عاشر بمنع صومه، كما بينه الشيخ أبوعبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن الطرابلسي المعروف بالحطاب في [مواهب الجليل شرح مختصر خليل] حيث قال: قال الشيخ زروق في [شرح القرطبية]: صيام يوم المولد كرهه بعض من قرب عصره ممن صح علمه وورعه، قال: إنه من أعياد المسلمين فينبغي أن لا يصام فيه، وكان شيخنا أبوعبدالله القوري يذكر ذلك كثيراً ويستحسنه انتهى. قلت: ـ القائل الحطاب ـ: لعله ـ أي زروق ـ يعني: ابن عباد، فقد قال في رسائله الكبرى ما نصه: (وأما المولد فالذي يظهر لي أنه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم، وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك: من إيقاد الشمع، وإمتاع البصر والسمع، والتزين بلبس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب، أمر مباح لا ينكر على أحد، قياساً على غيره من أوقات الفرح. والحكم بكون هذه الأشياء بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سر الوجود وارتفع فيه علم الشهود وانقشع فيه ظلام الكفر والجحود، وادعاء أن هذا الزمان ليس من المواسم الشرعية لأهل الإيمان، ومقارنة ذلك بالنيروز والمهرجان، أمر مستثقل تشمئز منه

القلوب السليمة، وتدفعه الآراء المستقيمة[١]. ولقد كنت فيما خلا من الزمان خرجت في يوم مولد إلى ساحل البحر فاتفق أن وجدت هناك سيدي الحاج ابن عاشر رحمه الله وجماعة من أصحابه، وقد أخرج بعضهم طعاماً مختلفاً ليأكلوه هناك فلما قدموه لذلك أرادوا مني مشاركتهم في الأكل وكنت إذ ذاك صائماً، فقلت لهم: إنني صائم، فنظر إلي سيدي الحاج نظرة منكرة، وقال لي ما معناه: إن هذا اليوم يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصيام بمنزلة العيد، فتأملت كلامه فوجدته حقاً، وكأنني كنت نائماً فأيقظني. انتهى ما في [مواهب الجليل شرح مختصر خليل] (ج٢ ص٤٠٦، ٤٠٧). وما ظنه من أن ابن عباد هو الذي جرت تلك القضية بينه وبين ابن عاشر جزم به الشيخ أحمد بابا التنبكتي في [الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب] (ص٧١)، والشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي في الجزء الثاني من [الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى] (ص١٤٤). قال الشيخ

---

(١) ورد في تعليق بعض الفضلاء على كلام ابن عباد هذا ما نصه: (يحرم استعمال آلة اللهو عند الاجتماع في هذه الليلة، ولا يجوز تعظيم نبي الله تعالى إلا بما يرضيه ويرضي الله تعالى، بل تنبغي الصدقة في السر بما يعمل في تلك الأيام من الأطعمة فإن ذلك أسلم من فساد النيات، ومن حضور الجماعات) ذكر ذلك صاحب [المعيار] (ج١١ ص٢٧٦)، كما ذكر في الجزء الثاني من [المعيار] (ص٤٧١، ٤٧٢) أن إيقاد الشمع ليلة مولد النبي ﷺ وليلة سابعه بدعة، وأن فيه مفاسد، ثم قال: (ولقد تصدى لتغيير ذلك وشدة النكير فيه شيخ شيوخنا الشيخ المحصل العالم أبوعبدالله سيدي محمد بن مرزوق برد الله ضجعته، وأسكنه جنته فانقطعت تلك المفاسد من تلمسان طول حياته رحمه الله، ثم عادت بموته رحمه الله، بل زادت).

أحمد بابا: (قال ابن عباد في رسائله: كنت قدماً خرجت يوم مولده ﷺ إلى ساحل البحر فوجدت هناك السيد الحاج ابن عاشر رحمه الله وجماعة من أصحابه معهم طعام يأكلونه فأرادوا مني الأكل، فقلت: إني صائم، فنظر إلي السيد الحاج نظرة منكرة، وقال: هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم، كالعيد، فتأملت مقاله فوجدته حقاً وكأنه أيقظني من النوم).

وقال السلاوي في ترجمة ابن عباد[1] ما نصه: (من فوائده التي نقلها عن شيخه ابن عاشر ما ذكره في رسائله قال: كنت قدماً خرجت في يوم مولد النبي ﷺ صائماً إلى ساحل البحر فوجدت هنالك سيدي الحاج أحمد بن عاشر رحمه الله ورضي عنه وجماعة من أصحابه ومعهم طعام يأكلونه فأرادوا مني الأكل فقلت: إني صائم فنظر إلي سيدي الحاج نظرة منكرة، وقال لي: هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم، كالعيد، فتأملت قوله فوجدته حقاً، وكأنه أيقظني من النوم) ا.هـ وقد اغتر بهذه الفتوى الخاطئة الشيخ محمد بن عرفة

---

(١) للشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب مشهورة بأيدي الناس يقرؤون منها ما يتعلق بالمولد النبوي الشريف بين يدي السلطان؛ تبركاً بها، ويقرؤونها في المجتمعات في المواسم، كأول رجب وشعبان ونصفهما والسابع والعشرين منهما، كرمضان، ذكر ذلك المقري في ترجمة ابن عباد من [نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب] (ج٥ ص٣٤٩، ٣٥٠) قال: (وقد حضرت بمراكش المحروسة سنة عشر وألف قراءة كراسة الشيخ ـ أي ابن عباد ـ في المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، بين يدي مولانا السلطان أحمد المنصور بالله الشريف الحسني رحمه الله تعالى، وقد احتفل لذلك المولد بأمور يستغرب وقوعها).

الدسوقي حيث قال في حاشيته على [شرح الدردير لمختصر خليل] (ج١ ص٤٧٤) في باب الصيام: (تنبيه: من جملة الصيام المكروه ـ كما قاله بعضهم ـ صوم يوم المولد المحمدي إلحاقاً له بالأعياد) ولا شك في أن اعتبار ذلك اليوم عيداً بدعة، كما أوضحه الإمام الشاطبي في [الاعتصام] (ج١ ص٢٠).

فقد قال في تعريف البدعة على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصها بالعبادات ما نصه: (فالبدعة إذن: عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه. وقال في تعريفها على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة: (البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها مايقصد بالطريقة الشرعية)، ثم قال بعد إيراد هذين التعريفين ما نصه: (قوله في الحد: (تضاهي الشرعية)، يعني: أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة، وذكر من أمثلة ذلك اتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيداً) ا.هـ.

كما لا شك في أن منع صوم اليوم الموافق ليوم المولد النبوي ـ لو كان معلوماً ـ مخالف لما خرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ سئل عن صيام يوم الإثنين فقال: «ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت علي فيه النبوة» فإن في إجابة النبي ﷺ في هذا الحديث عن صيام يوم الإثنين بهذا الجواب، كما في [لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف] لابن رجب (ص٩٨) إشارة إلى استحباب صيام الأيام التي تتجدد فيها نعم الله على

عباده[١]، فإن أعظم نعم الله على هذه الأمة إظهار محمد ﷺ لهم وبعثته وإرساله إليهم) واستمر إلى أن قال: (فأما النعمة بإرسال محمد ﷺ فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة، وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده،وكان قبوله سبب سعادتهم في دنياهم وآخرتهم،فصيام يوم تجددت فيه هذه النعم من الله على عباده المؤمنين حسن جميل، وهو من باب مقابلة النعم في أوقات تجددها بالشكر)،ثم قال: (ونظير هذا صيام يوم عاشوراء حيث أنجى الله فيه نوحاً من الغرق، ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده وأغرقهم في اليم، فصامه نوح وموسى شكراً لله فصامه رسول الله ﷺ متابعة لأنبياء الله، وقال لليهود: «**نحن أحق بموسى منكم**»، وصامه وأمر بصيامه). وهذه الرواية التي أشار إليها ابن رجب هنا عزاها إلى [مسند أحمد]قبل ذلك في المجلس الثاني في يوم عاشوراء (ص٤٦) من [لطائف المعارف] ولفظه: (وفي [مسند الإمام أحمد]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (مر النبي ﷺ بأناس من اليهود قد صاموا عاشوراء فقال: «**ما هذا الصوم؟**» قالوا:

---

(١) هذا هو الصواب لا قول الشيخ محمد بن علوي المالكي في (ص٧) من رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف]، وفي (ص١٠) من مقدمته لـ [المورد الروي في المولد النبوي]، وفي (ص٦) من مقدمته لطبعة [مولد ابن الديبع] تحت عنوان [مختصر في السيرة النبوية] في كلامه على حديث أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الإثنين، فقال: «**فيه ولدت وفيه أنزل علي**» قال في كلامه عليه: (هذا في معنى الاحتفال به إلا أن الصورة مختلفة، ولكن المعنى موجود، سواء كان ذلك بصيام أوإطعام طعام أو اجتماع على ذكر أو صلاة على النبي ﷺ أو سماع شمائله الشريفة).

هذا اليوم الذي نجى الله عز وجل موسى عليه السلام وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي، فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل، فقال النبي ﷺ: «**أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم**» فأمر أصحابه بالصوم)، ولو استغنى ابن رجب عن هذه الرواية بحديث ابن عباس في الصحيحين قال: (قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**» قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: «**فنحن أحق وأولى بموسى منكم**» فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه) أقول: لو استغنى ابن رجب بهذه الرواية عن تلك الرواية التي ورد فيها ذكر نوح لأجاد، فإن ذكر نوح فيها غريب، كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ قال (ج٢ ص٤٤٧): (قال الإمام أحمد: حدثنا أبوجعفر، حدثنا عبدالصمد بن حبيب الأزدي[1]، عن أبيه حبيب بن عبدالله، عن شبل، عن أبي هريرة قال: (مر النبي ﷺ بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء، فقال: «**ما هذا الصوم؟**» قالوا:

---

(١) عبدالصمد بن حبيب الأزدي الذي جاء ذكر نوح في حديث صوم يوم عاشوراء من روايته هو وإن قال فيه يحيى بن معين: لا بأس به، فقد قال أحمد والبخاري فيه: لين الحديث، وقال البخاري: هو عبدالصمد بن أبي الحنتر الراسبي، وذكره أحمد فوضع من أمره، ووالده حبيب بن عبدالله مجهول، في زمن التابعين، روى عنه ابنه عبدالصمد وحده، ذكر ذلك كله الحافظ الذهبي في [ميزان الاعتدال في نقد الرجال].

هذا اليوم الذي نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل، فقال النبي ﷺ: «**أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم**» فصام، وقال لأصحابه: «**من كان أصبح منكم صائماً فليتم صومه، ومن كان أصاب من غذاء أهله فليتم بقية يومه**» ثم قال ابن كثير: (هذا حديث غريب من هذا الوجه، ولبعضه شاهد في الصحيح) وذكر في [البداية والنهاية] (ج١ ص١١٧): أن ذكر نوح في هذا الحديث من المستغرب فيه، والله أعلم.

والمقصود: أن استحباب صوم اليوم الذي يوافق يوم المولد النبوي لو كان معيناً هو الذي يقتضيه حديث أبي قتادة عند مسلم في صحيحه: أن النبي ﷺ سئل عن صوم يوم الإثنين، فقال: «**ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت عليّ فيه النبوة**». ومنها: دعوى أن ليلة المولد النبوي أفضل من ليلة القدر، وهي دعوى ذكرها القسطلاني[1] في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص١٣٥، ١٣٦) ولفظه (فإن قلت: إذا قلنا: بأنه عليه السلام ولد ليلاً فأيما أفضل ليلة القدر أو ليلة مولده عليه السلام؟

أجيب: بأن ليلة مولده عليه السلام أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة:

---

(١) وقد حاد في ذلك عن الصواب، كما حاد عنه فيه قبله الشيخ الخطيب أبوعبدالله محمد بن أحمد بن مرزوق الذي صنف فيه مصنفاً سماه [جنى الجنتين في فضل الليلتين].

أحدها: أن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ وليلة القدر معطاة له. وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه، ولا نزاع في ذلك، فكانت ليلة المولد أفضل من ليلة القدر.

الثاني: أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد شرفت بظهوره ﷺ، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى، فتكون ليلة المولد أفضل.

الثالث: أن ليلة القدر وقع فيها التفضل على أمة محمد ﷺ وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات، فهو الذي بعثه الله عزوجل رحمة للعالمين، فعمت به النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أعم نفعاً فكانت أفضل).

وقد تعقب هذه الدعوى الشيخ محمد بن عبدالباقي الزرقاني في شرحه على [المواهب اللدنية] (ج١ ص١٣٦) بقوله: (وهذا الذي ساقه المصنف ـ يعني القسطلاني ـ وأقره متعقب، قال الشهاب الهيتمي: فيه إجمال واستدلال بما لا ينتج المدعى؛ لأنه إن أريد أن تلك الليلة ومثلها من كل سنة إلى يوم القيامة أفضل من ليلة القدر فهذه الأدلة لا تنتج ذلك، كما هو جلي، وإن أريد عين تلك الليلة، فليلة القدر لم تكن موجودة إذ ذاك، وإنما أتى فضلها في الأحاديث الصحيحة على سائر ليالي السنة بعد الولادة بمدة، فلم يمكن اجتماعهما حتى يتأتى بينهما تفضيل، وتلك انقضت وهذه باقية إلى اليوم، وقد نص الشارع على أفضليتها ولم يتعرض لليلة مولده ولا لأمثالها بالتفضيل أصلاً فوجب علينا أن نقتصر على ما جاء عنه، ولا نبتدع شيئاً من عند نفوسنا

القاصرة عن إدراكه إلا بتوقيف منه ﷺ على أنا وإن سلمنا أفضلية ليلة مولده لم يكن له فائدة إذ لا فائدة في تفضيل الأزمنة إلا بفضل العمل فيها. وأما تفضيل ذات الزمن لا يكون بكون العمل فيه فليس له كبير فائدة، قال الزرقاني بعد إيراد كلام الهيتمي هذا: (هو وجيه).

وتعقب أيضاً الملا علي القاري دعوى القسطلاني بأن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر بقوله (ص٩٧) من [المورد الروي في المولد النبوي]: (أغرب القسطلاني وقال: ليلة مولده ﷺ أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة ذكرها حيث لا يفيد الإطلاق مع أن الأفضلية ليست إلا لكون العبادة فيها أفضل بشهادة النص القرآني: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾[1]، ولا تعرف هذه الأفضلية لليلة مولده ﷺ لا من الكتاب ولا من السنة ولا عن أحد من علماء هذه الأمة).

يؤيد ذلك التعقب الصادر من الزرقاني، ومن علي القاري ما جاء عن قتادة في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[2] فقد جاء عن قتادة في تفسير قول الله تعالى في هذه الآية ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ ما نصه: (إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء، وقال: إن الله اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة

(١) سورة القدر، الآية ٣.
(٢) سورة التوبة، الآية ٣٦.

رسلاً ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل)، هكذا أورده الحافظ ابن كثير في تفسير الآية المذكورة، وعزاه السيوطي في [الدر المنثور في التفسير بالمأثور] إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ[١].

فقبول القسطلاني قول من قال بفضل ليلة المولد على ليلة القدر مادام الأمر كذلك ليس إلا من قبيل الغلو الذي وصفه به والد الشيخ نجم الدين الغزي،ونقله عنه ولده النجم في الجزء الثاني من [الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة] (ص١٢٧) ونصه: (وكان له ـ أي القسطلاني صاحب كتاب [المواهب اللدنية] ـ اعتقاد تام في الصوفية، وأكثر في [المواهب] من الاستشهاد بكلام سيد وفا وكان يميل إلى الغلو في رفعة قدر النبي ﷺ، ا.هـ المراد من كلام الغزي.

ومما يدل على ما وصف به والد النجم الغزي القسطلاني ما ورد في الفصل الذي عقده القسطلاني في آخر كتابه [المواهب اللدنية] لزيارة القبر النبوي والمسجد النبوي من الاستغاثة بالنبي ﷺ عند القحط وعدم الأمطار وعند الجوع،واعترافه بوقوع الاستغاثة منه بالنبي ﷺ فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، حيث قال (ج٨ ص٣١٨) ما

(١) إلا أنه قد سقط من [الدر المنثور] لفظ: (والأشهر الحرم) بعد قوله: (رمضان) ولفظ: (أهل) قبل لفظ: (العقل).

نصه: (ولقد كان حصل لي داء أعيى دواؤه الأطباء، وأقمت به سنين فاستغثت به ﷺ ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة ـ زادها الله شرفاً ـ ومنَّ عليَّ بالعود إليها في عافية بلا محنة، فبينا أنا نائم ثم إذا رجل معه قرطاس كتب فيه: هذا دواء لداء أحمد القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي، ثم استيقظت فلم أجد والله شيئاً مما كنت أجده، وحصل لي الشفاء ببركة النبي ﷺ)، قال: (ووقع لي أيضاً في سنة خمس وثمانين وثمانمائة بطريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر أن صرعت خادمتنا غزال الحبشية، واستمر بها أياماً، فاستغثت به ﷺ في ذلك، فأتاني آتٍ في منامي ومعه الجني الصارع لها، فقال: لقد أرسله لك النبي ﷺ، فعاتبته وحلفته أن لا يعود لها، ثم استيقظت وليس بها قلبة كأنما نشطت من عقال، ولازالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة في سنة أربع وتسعين وثمانمائة، فالحمد لله رب العالمين) ا.هـ كلام القسطلاني.

ثم أن ما أسس عليه القول بتفضيل ليلة المولد النبوي على ليلة القدر، وهو تقدير كون ولادة النبي ﷺ ليلاً غير موافق لما روى مسلم في صحيحه من طريق شعبة، عن غيلان، عن عبدالله بن معبد، عن أبي قتادة الأنصاري في حديث طويل، ولفظه: وسئل عن صوم يوم الإثنين، قال: «**ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه، أو أنزل علي فيه**»، فإن هذا الحديث يدل أوضح دلالة على أن النبي ﷺ ولد نهاراً؛ لقوله: «**ذاك يوم ولدت فيه**»، وليس للقول بأن النبي ﷺ ولد ليلاً مستند ثابت. ومن عدم تأمل الشيخ محمد بن علوي المالكي ذلك كله

استساغ التعليق على كلام الملا علي في [المورد الروي] الآنف الذكر بقوله: (أما نفس ليلة مولده التي مضت وانقضت فهي أفضل من ألف ليلة من ليالي القدر؛ لأن ليلة القدر من بركاتها، وأما ليلة المولد من كل عام الموافق لليلة المولد التي مضت، فصحيح أنها لا تعرف لها هذه الفضيلة) فإن تفضيله ليلة المولد التي مضت على ألف ليلة من ليالي القدر يحتاج إلى الدليل، كما يحتاج إليه تفضيل الليلة الموافقة لتلك الليلة التي وافق على أنها لا تعرف لها الفضيلة التي ثبتت لليلة القدر، ولو تمسك في كل واحدة من الليلتين بقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾[1] لم يتورط فيما تورط فيه[2].

ومنها: التوسع في الموالد إضافة إلى ذلك المولد جرياً على طريقة بني عبيد القداح المتسمين بالفاطميين[3] الذين توسعوا في

---

(١) سورة القدر، الآية ٣.

(٢) وقد كتب النووي طرة على كتابه [رياض الصالحين] جاء فيها ما نصه: (ليلة القدر أفضل ليالي السنة، خص الله بها هذه الأمة، وهي باقية إلى يوم القيامة، ذكر ذلك الشيخ ابن مرزوق في [جنى الجنتين في شرف الليلتين] وقال: نقلته إلى أصلي من هذا الكتاب ـ أي رياض الصالحين ـ من خطه، ثم قال ابن مرزوق: هذا نص أو قريب منه يدل على أفضلية ليلة القدر على ليلة المولد؛ لكونه قال فيها: (أفضل ليالي السنة، وليلة المولد منها)، وليت ابن مرزوق تلقى هذا بالقبول ولم يحد عنه إلى القول بفضل ليلة المولد على ليلة القدر الذي لم يذكر له رغم إطالته فيه ما يصلح الاعتماد عليه.

(٣) هم ملاحدة في الباطن، أخذوا من مذاهب الفلاسفة والمجوس ما خلطوا به أقوال الرافضة، فصار خيار ما يظهرونه من الإسلام دين الرافضة، وأما في الباطن فملاحدة شر من اليهود والنصارى، وإلا من لم يصل إلى منتهى دعوتهم فإنه يبقى =

الموالد بعد ابتداعهم الاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوم المولد النبوي.

فقد قال المقريزي في الجزء الثامن من [الخطط] (ص٣٨٤) تحت عنوان (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم) قال: (كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم، وهي: موسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي ﷺ، ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومولد الحسن، ومولد الحسين عليهما السلام، ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وسماط رمضان، وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النوروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات).

رافضياً داخلاً الإسلام؛ ولذا قال فيهم العلماء: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض، وهم من أشد الناس تعظيماً للمشاهد ودعوة الكواكب ونحو ذلك من دين المشركين، وأبعد الناس عن تعظيم المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه. وآثارهم في القاهرة تدل على ذلك، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في [الرد على البكري] وقال: (لقد كنت لما رأيت آثارهم أبين للناس أصل ذلك وحقيقة دينهم، وأنهم من أبرأ الناس من رسول الله ﷺ ديناً ونسباً، وقد صنف العلماء فيهم وفي أصولهم كتباً نظرية وخبرية) ورد هذا كله في تلخيص كتاب [الاستغاثة] المعروف بـ [الرد على البكري] (ص٣٠٧).

وقال العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية في كتابه [أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام] (ص٤٧) بعد ذكره موالد بني عبيد القداح: (قد استمر عمل الموالد إلى الآن غير أن الناس تركوا بعض الموالد الخمسة وزادوا موالد أخرى، حتى كادت الموالد الآن لا تحصى، وزادوا على ما كان يعمل فيها زمن الفاطميين أشياء ونقصوا أشياء وزادوا في أيامها) ثم جزم بأن الموالد ما كانت تعرف في دولة الإسلام إلا من قبل الفاطميين، وقال في (ص٥٢): (وأنت إذا علمت ما كان يعمله الفاطميون ومظفر الدين في المولد النبوي جزمت بأنه لا يمكن أن يحكم عليه كله بالحل).

ومنها: دعوى أن من صادف في ذلك اليوم الساعة التي ظهر فيها نبينا محمد ﷺ يسأل الله فيها شيئاً أعطاه إياه قياساً على ساعة يوم الجمعة التي صح فيها عن النبي ﷺ أنه لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا أعطاه إياه.

قال ابن الحاج في [المدخل] (ج٢ ص٣١): (إذا كانت تلك الساعة التي وجد فيها آدم عليه الصلاة والسلام لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا أعطاه إياه، فلا شك أن من صادف الساعة التي ظهر فيها ـ أي نبينا محمد ـ ﷺ إلى الوجود وهو يسأل الله تعالى شيئاً أنه قد نجح سعيه، وظفر بمراده إذ أن المعنى الذي فضل الله تعالى به تلك الساعة في يوم الجمعة هو خلق آدم عليه الصلاة والسلام، فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد الأولين والآخرين ﷺ).

وقال القسطلاني في [المواهب اللدنية] (ج١ ص١٣٢): (إذا كان يوم الجمعة الذي خلق فيه آدم عليه السلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد المرسلين ﷺ). وعبر عن ذلك المعنى الشيخ محمد بن علوي بن عباس المالكي في رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص١٢، ١٣) وفي مقدمته لطبعة [مولد الديبع] التي اخترع فيها تسمية ذلك المولد بـ [مختصر في السيرة النبوية] (ص٩، ١٠) وفي مقدمته لـ [المورد الروي في المولد النبوي] (ص١٢) بقوله: (يؤخذ من قوله ﷺ في فضل يوم الجمعة وعد مزاياه: «**وفيه ولد آدم**» تشريف للزمان الذي ثبت أنه ميلاد لأي نبي كان من الأنبياء عليهم السلام، فكيف باليوم الذي ولد فيه أفضل النبيين وأشرف المرسلين؟! ولا يختص هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه، بل يكون له خصوصاً، ولنوعه عموماً مهما تكرر، كما هو الحال في يوم الجمعة؛ شكراً للنعمة وإظهاراً لمزية النبوة، وإحياءً للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهم في تاريخ الإنسانية وجبهة الدهر وصحيفة الخلود).

وحذا حذو السيد محمد بن علوي في ذلك الأساتذة يوسف السيد هاشم الرفاعي في مقاله المنشور في عدد جريدة (السياسة) الكويتية (٤٨٧٠) الصادر يوم الإثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول في عام (١٤٠٢هـ) تحت عنوان (حول موضوع شرعية الاحتفال بالمولد النبوي) حلقة (٢)، وأنور أسعد أبوالجدائل في تعقيبه على رد فضيلة الشيخ صالح بن فوزان عليه المنشور في عدد جريدة (المدينة) (٥٤٢٧) الصادر يوم الثلاثاء (١/ ٤/ ١٤٠٢هـ)، وصاحب المقال المنشور في

عدد (المجتمع) (٥٥٩) الصادر يوم الثلاثاء ثامن ربيع الثاني (١٤٠٢هـ) بتوقيع (أخوكم في الله من السعودية ـ الرياض). وقد تعقب الزرقاني في شرحه لـ [المواهب اللدنية] (ج١ ص١٣٢، ١٣٣) القسطلاني في إيراده لذلك بقوله: (المصنف ـ أي: القسطلاني ـ في عهدة أن فيه ساعة كساعة يوم الجمعة؛ لأنه إن أراد في ذلك اليوم ومثله إلى يوم القيامة ساعة كساعة الجمعة أو أفضل فدليله هذا لا ينتج ذلك، وإن أراد عين تلك الساعة فساعة الجمعة لم تكن موجودة حينئذٍ، وإنما جاء تفضيلها في الأحاديث الصحيحة بعد ذلك بمدة، فلم يمكن اجتماعهما حتى يفاضل بينهما، وتلك انقضت وهذه باقية إلى اليوم، وقد نص الشارع عليها ولم يتعرض لساعة مولده ولا لأمثالها، فوجب علينا الاقتصار على ما جاءنا عنه ولا نبتدع شيئاً من عند نفوسنا القاصرة عن إدراكه إلا بتوقيف) ا. هـ كلام الزرقاني. وقد أجاد فيه.

هذا وقد وقع غلط من الشيخ محمد بن علوي والأساتذة الثلاثة في جزمهم بأن النبي ﷺ قال في حديث فضل الجمعة وعد مزاياه: «**وفيه ولد آدم**» فإنه لم يقل فيه (ولد) وإنما جاء عنه في رواية «**خلق آدم**» ببناء لفظ «**خلق**» للمفعول، فقد روى مالك في [الموطأ] عن أبي هريرة مرفوعاً «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط من الجنة وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس، شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه**» الحديث، وروى الحاكم في [المستدرك] عن أبي هريرة مرفوعاً «**سيد الأيام يوم**

الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة»، وجاء في رواية أخرى «**خلق الله آدم**» ففي [المسند] والسنن من حديث أوس بن أوس، عن النبي ﷺ: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق الله آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي**» قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ؟ ـ يعني: قد بليت ـ قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»، ورواه الحاكم في [المستدرك] وابن حبان في صحيحه، وروى الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق الله آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**»، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم. أفاد جميع ما يتصل بهاتين الروايتين الإمام ابن القيم في الفصل الذي عقده للجمعة وخصائص يومها من [زاد المعاد] (ج١ ص٣٦٥، ٣٦٦) طبعة مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية.

فصـــل

علماء العصور المتأخرة يذكرون المفاسد الموجودة في أزمنتهم في الموالد ويستنكرونها

وأما ما ترتب على الاحتفال بالمولد من المفاسد فقد أوضح منه أهل العلم ـ من لا يرى منهم الاحتفال ومن يراه ـ أموراً نسردها مع تحذيراتهم منها فيما يلي:

قال الونشريسي في [المعيار] (ج٨ ص٢٥٥) في كلامه على المولد: (وقعت فيه قضايا أخرجته إلى ارتكاب بعض البدع من كثرة الاجتماع فيه ـ أي: اجتماع آلات اللهو ـ إلى غير ذلك من البدع غير المشروعة. والتعظيم له ﷺ هو باتباع السنن والاقتداء بالآثار، لا بإحداث بدع لم تكن في السلف الصالح، حدث الشبلي أبومحمد رحمه الله عن شيخه أبي الحسن الغزاني أنه أراد أن يكتب التصلية والحديث وغير ذلك في إجازته بالذهب، فاستشار سيدي أبا علي بن قداح، فقال له: لِمَ تفعل ذلك؟ قال: للتعظيم، فقال: تعظيم النبي ﷺ إنما هو باتباع سنته، والاقتداء بهديه وهدي أصحابه، ولم يكن هذا في الزمن الأول)، وذكر في الجزء التاسع من [المعيار] (ص٢٥٢) أن أبا إسحاق الشاطبي سئل عمن عهد بثلثه ليوقف على إقامة مولده ﷺ فأجاب بقوله: أما الوصية بالثلث ليوقف على إقامة ليلة مولد النبي ﷺ فمعلوم أن إقامة المولد على الوصف المعهود بين الناس بدعة محدثة، وكل بدعة ضلالة، والإنفاق على إقامة البدعة لا يجوز، والوصية غير نافذة، بل يجب على القاضي فسخه، ورد الثلث إلى الورثة يقتسمونه فيما بينهم، وأبعد الله الفقراء الذين يطلبون إنفاذ مثل هذه الوصية، وما

ذكرتم[١] من وجهي المنع من الإنفاذ صحيح يقتضي عدم التوقف في إبطال الوصية، ولا يكفي في ذلك منكم السكوت؛ لأنه كالحكم بالإنفاذ عند جماعة من العلماء، فاحذروا أن يكون مثل هذا في صحيفتكم، والله يقينا وإياكم الشر بفضله.

كما ذكر الونشريسي في الجزء السابع من [المعيار] (ص١٠٠، ١٠١) في كتاب الحبس من [المعيار]: أن الأستاذ أبا عبدالله الحفار سئل عن التحبيس على إقامة المولد، فأجاب بقوله: (إن تلك الليلة ـ أي التي يقال: بأنها توافق ليلة المولد النبوي ـ تقام على طريقة الفقراء ـ أي المتصوفة ـ وطريقة الفقراء في هذه الأوقات شنعة من شنع الدين؛ لأن عهدهم في الاجتماع إنما هو الغناء والشطح، ويقررون لعوام المسلمين أن ذلك من أعظم القربات في هذه الأوقات وأنها طريقة أولياء الله، وهم قوم جهلة لا يحسن أحدهم أحكام ما يجب عليه في يومه وليلته، بل هو ممن استخلفه الشيطان على إضلال عوام المسلمين ويزينون لهم الباطل ويضيفون إلى دين الله ما ليس منه؛ لأن الغناء والشطح من باب اللهو واللعب، وهم يضيفونه إلى أولياء الله، وهم يكذبون في ذلك عليهم ليتوصلوا إلى أكل أموال الناس بالباطل، فصار التحبيس عليهم ليقيموا بذلك طريقتهم تحبيساً على ما لا يجوز تعاطيه، فيبطل ما حبس في هذا الباب على غير طريقته). وذكر في ذلك الجزء السابع من [المعيار] (ص١١٤): أن الأستاذ أبا عبدالله الحفار سئل عن امرأة تصدقت بموضع على ليلة المولد يزرع ذلك

---

(١) يخاطب أبوإسحاق الشاطبي بذلك السائلين عن كلام للحفار في الموضوع، ذكره صاحب [المعيار] (ج٧ ص٢٠٢، ٢٠٣) ومراده بالوجهين المانعين من إنفاذ الوصية: كون الاحتفال بالمولد النبوي بدعة، وابتداع المتصوفة فيه ما ابتدعوه من البدع.

الموضع ويؤخذ قمحه ويعمل به تلك الليلة المذكورة فيجتمع فقراء هذا الزمان ويذكرون الله عز وجل فيأخذون في الغناء والرقص ثم يأكلونه بعد ذلك، كما في علمكم فهل تبقى الوصية على حالها أو تقلب إلى الصدقة في تلك الليلة على المساكين أو ترجع لورثة المتصدقة؟ فأجاب بقوله: ما أوصت به المرأة المذكورة يصرف فائد الموضع المذكور في الوجه الذي قصدت لكن على الوجه الذي يستحب وينعقد قربة، وذلك أن يصرف ذلك للضعفاء والمساكين على جهة الشكر لله عز وجل الذي أنعم به على عباده من ولادة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم الذي كان سبباً في إنقاذهم من النار فهو محل الشكر وذلك لا يكون إلا على الوجه المشروع).

ومما أفاده صاحب [المعيار] (ج١ ص١٦٠، ١٦١) أن القاضي أبا عمرو بن منظور سئل عن إمام قرية يؤم الناس وهو يحب طريقة الفقراء، وفي القرية زاوية يجتمع فيها بعض من أصحاب القرية ليلة الجمعة وليلة الإثنين والإمام المذكور معهم يستفتحون بعشر من القرآن ويبدؤون بالذكر الموصوف لهم فإذا فرغوا منه يستفتح المداح وأصحابه دائرون عليه يضربون الكف ويقولون معه والإمام المذكور يمدح مع المداحين ويضرب الكف معهم ويرقص مع الذي رقص منهم فإذا كان ليلة مولد النبي ﷺ يمشي الإمام معهم إلى قرية أخرى بنحو عشرين ميلاً من قريتهم ويبقى المسجد بلا خطبة ولا إمام ولا أذان حتى يرجعوا، وتكون غيبتهم أربعة أيام أو ثلاثة أيام، فقيل: إن الإمام الذي يعمل هذا لا تجوز إمامته والذي يسمع العريف خير من الفقراء. والإمام المذكور يعلم أن طريقة الفقراء بدعة لم تكن في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد التابعين بعده، ويعلم أن أفضل الذكر ماخفي، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، لكن حمله على هذا محبته في

الذكر، وفي مدح رسول الله ﷺ ومحبته في مجامعة الإخوان، هل يلزم من اغتاب هذه الطريقة شيء أم لا؟

فأجاب: تأملت السؤال بمحوله، وقد سئل عن مثله العلماء الفقهاء الذين يقتدى بهم ويعمل على قولهم، والكل منعوا تلك الطريقة، وقالوا بتبديع مرتكبها، والسنة بخلاف ذلك، والرقص لا يجوز وهو تلاعب بالدين وليس من أفعال عباد الله المهتدين، وإمامة من يرى هذا المذهب ويسلك طريقهم لا تجوز، لاسيما وقد انضاف إليه مع عمله هذا تعطيل المسجد وتركه دون مؤذن ولا إمام ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾[1]، وهذا يدخل تحت الوعيد، وقول من قال: إن من يسمع العريف خير من الفقراء فهذا يظهر أنه صحيح ووجهه أن الذي يسمع العريف عاص ويعلم أنه على غير شيء، وهذا الذي يشطح ويرقص يعتقد أنه على شيء وهو على غير شيء أو متلاعب وما خلقنا للعب، وهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ويكون للإمام حظه من هذه الطريقة وحضوره كاف في منع إمامته؛ لأنه مكثر سوادهم، ومن كثر سواد نوع عد منهم. وأما محبة الرسول والصحابة فيتوصل إليها بغير هذا، وهي ساكنة في القلب، والإكثار من الصلاة والسلام عليه، والرضا عن أصحابه في نفسه وفي بيته هو وجه العبادة. والطاعن في هذا الإمام وإن كان من قرية أخرى قام على وجه الحسبة وتغيير المنكر فلا عتاب عليه إن شاء الله تعالى، فهذا وجه الجواب عن السؤال بمحوله.

كما ذكر صاحب [المعيار] (ج١٢ ص٤٨، ٤٩): أن أحمد القباب

---

(١) سورة البقرة، الآية ١١٤.

سئل عما يفعله المعلمون من وقد الشمع في مولد النبي ﷺ واجتماع الأولاد للصلاة على النبي ﷺ ويقرأ بعض الأولاد ممن هو حسن الصوت عشراً من القرآن وينشد قصيدة في مدح النبي ﷺ، ويجتمع الرجال والنساء بهذا السبب فهل ما يأخذه المعلم من الشمع جائز أم لا؟ لأن بعض الطلبة قال: إنه أجازه، ولا فرق بينه وبين حق الشهور والحذاق، ولاسيما من عرف منه أنه لا يزين المسجد ولا يقرأ أحد عنده عشراً، ولا ينشد مديحاً ولا غيره، ولا يسوق له إلا من يقرأ عنده؟ فقال له السائل: إن الأولاد يكلفون آباءهم بشراء الشمع ويشترونه كرهاً؟ فقال له: يلزمك هذا في حق الشهر والحذاق، والأولاد يطلبون من آبائهم فيعطونه كرهاً وهذا غير معتبر؛ لأن الآباء قد دخلوا عليه فيلزمهم؛ لأنه إذا رد ولده التزم أنه يعطي حق الشهر والحذاق والشمع في المولد ولو كانت ثم عادة أخرى لالتزمها، فهل ما قاله هذا الطالب صحيح أم لا؟ فإن كان صحيحاً فهل يؤثر اجتماع الرجال والنساء إن اجتمعوا أم لا يلزم هذا إلا الحاكم؟ لأن هذا أمر لا يقدر على تغييره إلا من له الأمر؟

فأجاب: بأن قال: جميع ما وصفت من محدثات البدع التي يجب قطعها، ومن قام بها أو أعان عليها أو سعى في دوامها فهو ساع في بدعة وضلالة، ويظن بجهله أنه بذلك معظم لرسول الله ﷺ قائم بمولده، وهو مخالف سنته مرتكب لمنهيات نهى عنها ﷺ، متظاهر بذلك، محدث في الدين ما ليس منه، ولو كان معظماً له حق التعظيم لأطاع أوامره فلم يحدث في دينه ما ليس منه، ولم يتعرض لما حذر الله تعالى منه حيث قال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ

أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾[1]، وأما ما يأخذه المعلم من ذلك فإن كان إنما يعطاه على القيام بهذه البدع والقيام بتلك الأمور فلا خفاء بقبح المأخوذ على هذا الوجه، وإن كانوا يعطونه ذلك في هذا الوقت وإن لم يفعل شيئاً من هذه البدع، فقد قال ابن حبيب: إنه لا يقضى للمعلم بشيء في أعياد المسلمين وإن كان ذلك ممايستحب فعله، وقال: إن الإعطاء في أعياد النصارى مثل النيروز والمهرجان مكروه لا يجوز لمن فعله ولا يحل لمن قبله؛ لأنه من تعظيم الشرك. قال ابن رشد: كان القياس أن لا فرق بين الحذاق وما يعطى في الأعياد إذ جرت بها العادة، وأنه يقضى بالجميع، وإنما فرق ابن حبيب بين ذلك؛ لأن الحذاق بلغها الصبي بتعليم المعلم والأعياد لا فعل فيها. وإذا كان ابن حبيب يقول: لا يقضى له بالأعياد والمواسم الشرعية فكيف بما ليس بشرعي؟

وعلى الجملة لا شك أن الأمر أخف إذا كان لا يقوم ببدعة في ذلك الوقت. وأما ما ذكرتم عن القائل: إن الصبي يطلب ذلك من أبيه حتى يعطيه كرهاً فكلام لا يساوي سماعه. ومن استقرأ العادة علم أن المعطي لشيء من ذلك إنما يقصد به إقامة تلك البدع وكون المعطى شمعاً يعين هذا المقصد، وإذا كان كذلك كان المأخوذ إنما هو على بدعة.

وقال ابن الحاج في الجزء الثاني من [المدخل]: (من جملة ما أحدثوه من البدع ـ مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات وإظهار الشعائر ـ ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد، وقد احتوى على

---

(١) سورة النور، الآية ٦٣.

بدع ومحرمات فأطنب في ذلك) كما ذكره القسطلاني في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص١٤٠) حيث قال: (لقد أطنب ابن الحاج في [المدخل] في الإنكار على ما أحدثه الناس من البدع والأهواء والغناء بالآلات المحرمة عند عمل المولد الشريف، فالله يثيبه على قصده الجميل ويسلك بنا سبيل السنة، فإنه حسبنا ونعم الوكيل). وقد لخص الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ كلامه في رسالة له في المولد النبوي تلخيصاً أحسن من أصله؛ فلذلك أستغني به عنه.

فأقول: قال مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: (قد ذكر ابن الحاج في [المدخل] مما احتوى عليه الاحتفال بالمولد النبوي في زمانه ـ فكيف بزماننا هذا ـ ما يلي:

١ ـ استعمال الأغاني وآلات الطرب من الطار المصرصر والشبابة وغير ذلك، قال ابن الحاج: (مضوا في ذلك على العوائد الذميمة في كونهم يشتغلون في أكثر الأزمنة التي فضلها الله وعظمها ببدع ومحرمات)، وذكر ابن الحاج قول القائل:

يا عصبة ما ضر أمة أحمد وسعى على إفسادها إلا هي
طار ومزمار ونغمة شادنٍ أرأيت قط عبادة بملاهي

٢ ـ قلة احترام كتاب الله عز وجل، فإنهم يجمعون في هذه الاحتفالات بينه وبين الأغاني، ويبتدؤون به وقصدهم الأغاني، قال ابن الحاج: ولذلك نرى بعض السامعين إذا طول القارىء القراءة يتقلقلون منه؛ لكونه طول عليهم ولم يسكت حتى يشتغلوا بما يحبونه

من اللهو، قال: وهذا غير مقتضى ما وصف الله به أهل الخشية من أهل الإيمان وهو أنهم يحبون سماع كلام مولاهم؛ لقوله تعالى في مدحهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1]، فوصف الله تعالى من سمع كلامه بما ذكر، وبعض هؤلاء يستعملون الضد من ذلك، فإذا سمعوا كلام ربهم عز وجل قاموا بعده إلى الرقص والفرح والسرور والطرب بما لا ينبغي، فإنا لله وإنا إليه راجعون على عدم الاستحياء من عمل الذنوب، يعملون أعمال الشيطان ويطلبون الأجر من رب العالمين، ويزعمون أنهم في تعبد وخير. وقال: ويا ليت ذلك لو كان يفعله سفلة الناس، ولكن قد عمت البلوى فتجد بعض من ينسب إلى شيء من العلم أو العمل يفعله، وكذلك بعض من ينسب إلى المشيخة ـ أعني: في تربية المريدين ـ كل هؤلاء داخلون فيما ذكر، ثم العجب كيف خفيت عليهم هذه المكيدة الشيطانية والدسيسة من اللعين؟!

٣ ـ الافتتان بالمردان، فإن الذي يغني في الاحتفالات ربما يكون شاباً نظيف الصورة حسن الكسوة والهيئة، أو أحداً من الجماعة الذين يتصنعون في رقصهم، بل يخطبونهم للحضور فمن لم يحضر منهم ربما عادوه ووجدوا في أنفسهم عليه، وحضوره فتنة، سيما وهم يأتون إلى ذلك شبه العروس، لكن العروس أقل فتنة؛ لأنها ساكنة حيية، وهؤلاء عليهم العنبر والطيب، يتخذون ذلك بين أثوابهم ويتكسرون مع ذلك في مشيهم إذ ذاك وكلامهم ورقصهم ويتعانقون،

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨٣.

فتأخذهم إذ ذاك أحوال النفوس الرديئة من العشق والاشتياق إلى التمتع بما يرونه من الشبان، ويتمكن منهم الشيطان، وتقوى عليهم النفس الأمارة بالسوء، وينسد عليهم باب الخير سداً. قال ابن الحاج: (وقد قال بعض السلف: لأن أؤتمن على سبعين عذراء أحب إليَّ من أن أؤتمن على شاب. وقوله هذا ظاهر بين؛ لأن العذراء تمتنع النفوس الزكية ابتداءً من النظر إليها بخلاف الشاب؛ لما ورد أن النظرة الأولى سهم، والشاب لا ينتقب ولا يختفي بخلاف العذراء، والشيطان من دأبه أنه إذا كانت المعصية كبرى أجلب عليها بخيله ورجله، ويعمل الحيل الكثيرة)، قال ابن الحاج: (وبعض النسوة يعاين ذلك على ما قد علم من نظرهن من السطوح والطاقات وغير ذلك، فيرينه ويسمعنه وهن أرق قلوباً وأقل عقولاً فتقع الفتنة في الفريقين).

هذا بعض ما ذكره ابن الحاج من المحرمات التي تحصل في احتفال الرجال بالمولد، ثم ذكر من المفاسد المتعلقة بالنساء مايلي:

١ ـ افتتان الرجال بالنساء؛ لأن بعض الرجال يتطلع عليهن من بعض الطاقات والسطوح، وتزداد الفتنة برفع أصواتهن وتصفيقهن بالأكف وغير ذلك، مما يكون سبباً إلى وقوع المفسدة العظمى.

٢ ـ افتتانهن في الاعتقاد؛ وذلك لأنهن لا يحضرن للمولد إلا ومعهن شيخة تتكلم في كتاب الله وفي قصص الأنبياء بما لا يليق، فربما تقع في الكفر الصريح وهي لا تشعر؛ لأنها لا تعرف الصحيح من السقيم، والحق من الكذب، فتدخل النسوة في الغالب وهن مؤمنات، ويخرجن وهن مفتتنات في الاعتقاد أو فروع الدين.

٣ ـ خروج النساء إلى المقابر وارتكاب أنواع المحرمات من الاختلاط وغيره، ويذكر ابن الحاج: أن هذه المفسدة من آثار بناء البيوت على المقابر قال: (فلو امتثلنا أمر الشرع في هدمها لانسدت هذه المثالم كلها وكفي الناس أمرها). قال: (فبسبب ما هناك من البنيان والمساكن وجد من لا خير فيه السبيل إلى حصول أغراضه الخسيسة ومخالفة الشرع، قال: ألا ترى إلى ما قد قيل: (من العصمة أن لا تجد) فإذا هم الإنسان بالمعصية وأرادها وعمل عليها ولم يجد من يفعلها أو وجده ولكن لا يجد مكاناً للاجتماع فيه فهو نوع من العصمة، فكان البنيان في القبور فيه مفاسد.

منها: هتك الحريم بخروجهن إلى تلك المواضع فيجدن أين يقمن أغراضهن، هذا وجه.

الثاني: تيسير الأماكن للاجتماع للأغراض الخسيسة فتيسير الأماكن هناك سبب وتسهيل لوقوع المعاصي هناك).

٤ ـ فتح باب الخروج لهن لغير ضرورة شرعية فإنهم ـ أي أهل زمانه[١] ـ ضموا لأيام المولد النبوي الثلاثة يوم الإثنين لزيارة الحسين، وجعلوا يوم الأربعاء لزيارة نفيسة، فالتزمن الزيارة في تلك الأيام لما يقصد من أغراض الله أعلم بها. قال ابن الحاج: (ولو حكي هذا عن الرجال لكان فيه شناعة وقبح فكيف به في النساء؟! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(١) أي أهل زمان ابن الحاج.

هذا ما ذكره ابن الحاج في [المدخل] من مفاسد الاحتفالات بالمولد في زمانه بالنسبة لمن يقصدون المولد، ثم قسم الذين ـ يعملون المولد في ذلك الزمن ـ لا لقصد المولد ـ إلى خمسة أقسام:

أحدها: من له فضة عند الناس متفرقة قد أعطاها لهم في بعض الأفراح والمواسم فيعمل المولد ليستردها، قال ابن الحاج: (فهذا قد اتصف بصفة النفاق، وهو أنه يظهر خلاف ما يبطن، إذ ظاهر حاله أنه عمل المولد يبتغي به الدار الآخرة وباطنه أنه يجمع به فضته).

الثاني: من يتظاهر من ذوي الأموال بأنه من الفقراء المساكين فيعمل المولد لتزيد دنياه بمساعدة الناس له، فيزداد هذا فساداً على المفاسد المتقدم ذكرها، ويطلب مع ذلك ثناء الناس عليه بما ليس فيه.

الثالث: من يخاف الناس من لسانه وشره وهو من ذوي الأموال فيعمل المولد؛ ليأخذ من الناس الذين يعطونه تقية على أنفسهم وأعراضهم. قال ابن الحاج: (فيزداد من الحطام بسبب ما فيه من الخصال المذمومة شرعاً وهذا أمر خطير؛ لأنه زاد على الأول أنه ممن يخاف من شره وهو معدود بفعله من الظلمة).

الرابع: من يعمل المولد وهو ضعيف الحال ليتسع حاله.

الخامس: من له من الفقراء لسان يخاف منه ويتقى لأجله، فيعمل المولد حتى يحصل له من الدنيا ممن يخشاه ويتقيه، حتى أنه لو تعذر عن حضور المولد الذي يفعله أحد من معارفه لحل به من

الضرر ما يتشوش به، وقد يؤول ذلك إلى العداوة أو الوقوع في حقه في محافل بعض ولاة الأمور قاصداً بذلك حط رتبته بالوقيعة فيه أو نقص ماله. إلى غير ذلك مما يقصده من لا يتوقف على مراعاة الشرع الشريف.

قال ابن الحاج بعد بسط الكلام على هذه المفاسد: هذا الذي ذكر بعض المفاسد المشهورة المعروفة، وما في ذلك من الدسائس ودخول وساوس النفوس وشياطين الإنس والجن مما يتعذر حصره، فالسعيد السعيد من أعطى قياده للاتباع وترك الابتداع وفقنا الله تعالى لذلك بمنه) ا.هـ، اختصار سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى لكلام ابن الحاج في [المدخل] في بيان ما أحدث عند عمل المولد من المضار، ولا شك عندي في أن من قارن بينه وبين كلام ابن الحاج نفسه في [المدخل] تبين له أنه من المختصرات التي تفوق أصولها، جزاه الله خير الجزاء.

وقال الشيخ أبوالحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي في تاريخ قضاة الأندلس الذي سماه كتاب [المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا] قال في ترجمة القاضي أبي عبدالله محمد بن عبدالسلام المنستيري[1] (ص١٦٢، ١٦٣) ط دار الكتاب المصري بالقاهرة: أخبرني ـ أي: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ـ عن هذا القاضي رحمه الله بما حاصله: أن الأمير

---

(١) توفي هذا القاضي في أوائل الطاعون النازل ببلده قبل عام (٧٥٠).

أبا يحيى استحضره مع الجملة من صدور الفقهاء للمبيت بدار الخلافة والمثول بين يديه ليلة المولد النبوي الشريف؛ إذ كان قد أراد إقامة رسمه على العادة المغربية من الاحتفال في الأطعمة وتزيين المحل بحضور الأشراف، وتخير القوالين للأشعار المقرونة بالأصوات المطربة فحين كمل المقصود من المطلوب وقعد السلطان على أريكة ملكه ينظر في ترتيبه والناس على منازلهم بين قاعد وقائم، هز المسمع طره، وأخذ يهنؤهم بألحانه، وتبعه صاحب يراعه بعادته من مساعدته فتزحزح القاضي أبو عبدالله عن مكانه وأشار بالسلام على الأمير وخرج من المجلس، فتبعه الفقهاء بجملتهم إلى مسجد القصر، فناموا به، فظن السلطان أنهم خرجوا لقضاء حاجاتهم، فأمر أحد وزرائه بتفقدهم والقيام بخدمتهم إلى عودتهم، وأعلم الوزير الموجه لما ذكر القاضي بالغرض المأمور به، فقال له: أصلحك الله هذه الليلة المباركة التي وجب شكر الله عليها وجمعنا السلطان أبقاه الله من أجلها لو شهدها نبينا المولود فيها صلوات الله وسلامه عليه لم يأذن لنا في الاجتماع على ما نحن فيه: من مسامحة بعضنا لبعض في اللهو، ورفع قناع الحياء بمحضر القاضي والفقهاء، وقد وقع الاتفاق من العلماء على أن المجاهرة بالذنب محظورة إلا أن تمس إليها حاجة؛ كالإقرار بما يوجب الحد أو الكفارة فليسلم لنا الأمير أصلحه الله في القعود بمسجده هذا إلى الصباح، وإن كنا في مطالبة أخرى من تبعات رياء ودسائس أنفس وضروب غرور لكنا كما شاء الله في مقام الاقتداء، لطف الله بنا أجمعين بفضله، فعاد عند ذلك الوزير المرسل للخدمة الموصوفة إلى الأمير أبي يحيى وأعلمه بالقصة فأقام يسيراً، وقام من

مجلسه وأرسل إلى القاضي من ناب عنه في شكره وشكر أصحابه، ولم يعد إلى مثل ذلك العمل بعد، وصار في كل ليلة يأمر في صبيحة الليلة المباركة بتفريق طعام على الضعفاء وإرفاق الفقراء شكراً لله. ا.هـ.

وقال العلامة أبوالعباس سيدي أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المعروف بابا التنبكتي في ترجمة أبي موسى عيسى بن محمد بن عبدالله ابن الإمام من كتابه [نيل الابتهاج بتطريز الديباج] (ص١٩٣) بهامش الديباج قال: (فائدة: قال الخطيب ابن مرزوق: سمعت شيخنا الإمام أبا موسى بن الإمام وغيره من شيوخ المغرب يستحسنون ما أحدثه العزفي وولده أبوالقاسم بالمغرب في ليالي المولد، وهما من الأئمة ويستصوبون قصدهما فيه والقيام به(١)، ونقل عن بعض علماء المغرب إنكاره، والأظهر عندي ما قاله بعض المغاربة استعمال الصلاة عليه ﷺ في هذه الليلة وإحياء سنته ومعونة آله وتعظيم حرمهم وفعل أنواع البر أفضل مما سواها مما أحدث، إذ لا يخلو من مزاحم في النية أو مفسد للعمل أو دخول شهوة. وطريق الحق والسلامة معروف فالأفضل تكثير الصلاة عليه ﷺ وأعمال البر). ا.هـ ملخصاً.

وقال المقري في [أزهار الرياض في أخبار عياض] (ج١ ص٢٤٣) بصدد كلامه على احتفال السلطان أبي حمو موسى بن يوسف

---

(١) ذكر ابن مرزوق ذلك في كتابه [جنى الجنتين في شرف الليلتين].

بعد أن ذكر أن العزفي صاحب سبتة[1] هو الذي سن ذلك في بلاد المغرب، قال: (على أن بعضهم قد خرج في ذلك إلى حد الإسراف والغلو، وكل يعمل على شاكلته.

وذكر البناني المالكي من أمثلة الإيصاء بالمعصية الذي صرح الشيخ خليل المالكي في مختصره ببطلانه أن يوصي المرء بإقامة مولد على الوجه الذي يقع في زمانه من اختلاط النساء بالرجال والنظر المحرَّم ونحو ذلك من المنكر، ونقله عنه الشيخ محمد عرفة الدسوقي في حاشيته على [شرح الدردير لمختصر خليل] في باب الوصايا.

وقال ابن حجر الهيتمي في كتابه الذي سماه [الفتاوى الحديثية] (ص١٠٩) الطبعة الأولى المصرية، في الموالد والأذكار التي تفعل عندهم في زمانه، قال: (أكثرها مشتمل على خير؛ كصدقة، وذكر، وصلاة وسلام على رسول الله ﷺ ومدحه، وعلى شر، بل شرور لو لم يكن منها إلا رؤية النساء للرجال الأجانب، وبعضها ليس فيها شر لكنه قليل نادر)، وذكر أن ما كان مشتملاً منها على شر ممنوع للقاعدة المشهورة المقررة: أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، قال: (فمن علم وقوع شيء من الشر فيما يفعله من ذلك فهو عاص آثم، وبفرض أنه عمل في ذلك خيراً فربما خيره لا يساوي شره، ألا ترى أن الشارع ﷺ اكتفى من الخير بما تيسر، وفطم عن جميع أنواع الشر،

---

(١) ذكر الحافظ الذهبي في الجزء الرابع من [تذكرة الحفاظ] (ص١٤٢٢) أن أبا العباس بن الخطيب محمد بن أحمد اللخمي العزفي صاحب سبتة، توفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة)، أي التي توفي فيها ابن دحية.

حيث قال: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**»، فتأمله تعلم ما قررته من أن الشر وإن قل لا يرخص في شيء منه، والخير يكتفى منه بما تيسر).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في [اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم] (ص٢٩١) في بيان مفاسد المواسم المبتدعة من موالد وغيرها: (منها: مع ما تقدم من المفسدة الاعتقادية والحالية أن القلوب تستعذبها وتستغني بها عن كثير من السنن، حتى تجد كثيراً من العامة يحافظ عليها ما لا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس. ومنها: أن الخاصة والعامة تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن وتفتر رغبتهم فيها، فتجد الرجل يجتهد فيها ويخلص وينيب ويفعل فيها ما لا يفعل في الفرائض والسنن، حتى كأنه يفعل هذه البدعة عبادة، ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة، وهذا عكس الدين، فيفوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة، والرقة والطهارة والخشوع، وإجابة الدعوة، وحلاوة المناجاة.. إلى غير ذلك من الفوائد، وإن لم يفته هذا كله فلابد أن يفوته كماله.

ومنها: ما في ذلك من مصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وما يترتب على ذلك من جهالة أكثر الناس بدين المرسلين، وانتشار زرع الجاهلية.

ومنها: اشتمالها على أنواع من المكروهات في الشريعة؛ مثل تأخير الفطور، وأداء العشاء الآخرة بلا قلوب حاضرة، والمبادرة إلى تعجيلها، والسجود بعد السلام لغير سهو، وأنواع من الأذكار

ومقاديرها لا أصل لها.. إلى غير ذلك من المفاسد التي لا يدركها إلا من استنارت بصيرته وسلمت سريرته.

ومنها: مسارقة الطبع إلى الانحلال من ربقة الاتباع وفوات سلوك الصراط المستقيم، وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع بحسب الإمكان، كما قال أبوعثمان النيسابوري رحمه الله: (ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه)، ثم هذا مظنة لغيره فينسلخ القلب عن حقيقة الاتباع للرسول ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه أو يكاد، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ومنها: ما تقدم التنبيه عليه في أعياد أهل الكتاب من المفاسد التي توجد في كلا النوعين المحدثين: النوع الذي فيه مشابهة، والنوع الذي لا مشابهة فيه) ا.هـ.

وقال الشيخ محمد بخيت المطيعي في كتابه [أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام] (ص٥٤) ما نصه: (والمحرمات ـ أي في عمل المولد ـ والمكروهات ما عدا ذلك ـ أي المباح ـ كشد الرحال إلى تلك البقاع، والسفر إليها، وإيقاد الشموع ونحوها مما يدخل تحت الإسراف والتبذير، وإحراق الصواريخ والشنكات ونحو ذلك مما هو إضاعة للمال في الباطل خصوصاً إن كان مايصرف على ذلك من أموال بيت المال أو من أموال الأوقاف، فإن الأوقاف إذا علمت شروط واقفيها وجب شرعاً العمل بها، وإن لم تعلم صرف ريعها للفقراء لا في مثل هذه الألاعيب. ومن المحرم أيضاً: كل ما

كان من أنواع الملاهي والمغاني المفسدة للأخلاق وما أشبه ذلك، فإن كل هذا محرم بلا شبهة وبدعة مذمومة، وفي الحديث الصحيح: «**إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

وقال السيد محمد رشيد رضا في الجزء التاسع من [المنار] (ص٩٦) في كلامه على الآية الكريمة: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[1] قال في الموالد ونحوها من الاحتفالات الموسمية المبتدعة: (هي مشتملة على كثير من المعاصي المجمع عليها، المعلومة من الدين بالضرورة، التي يعد مستحلها مرتداً عن الإسلام باتفاق المذاهب، والجمهور غافلون عن ضرر هذه البدع التي جعلت من قبيل شعائر الإسلام بالاحتفال بها، وشد الرحال إليها، وإنفاق الأموال العظيمة في سبيلها، وتعطيل كبرى شعائر الإسلام وهي الصلاة، وإبطال دروس العلوم الدينية من المساجد التي تقام فيها لأجلها؛ كالمسجد الأحمدي في طنطا، والمسجد الإبراهيمي في دسوق) ا.هـ المراد منه.

وقال السيد علي فكري في المحاضرة العاشرة من محاضراته (ص٨٤) تحت عنوان (البدع في الموالد) في بيان ما اشتملت عليه الموالد زمن تأليفه لتلك المحاضرات من المفاسد قال: (منها: إضاعة الأموال في الزينات بكثرة الوقود في المساجد والطرقات، وإيقاد الشموع في الأضرحة، وكل ما يرجع إلى الإسراف والتبذير، وفي

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٣٦.

الحديث الشريف: «**إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**» على أنه لو صرفت هذه الأموال في مشروع خيري؛ كبناء مسجد، أو مستشفى، أو ملجأ لكان خيراً وأبقى لهم وللأمة الإسلامية.

ومنها: انتهاك حرمة المساجد بتقذيرها بالأكل والشرب والمبيت فيها، وكثرة اللغط، ودخول الأطفال والرجال والبنات والنساء حفاة أو بالنعال، فلا يكاد يتيسر لأحد إقامة الشعائر الدينية في مسجد يعمل فيه مولد.

ومنها: خروج النساء متبرجات سافرات واختلاطهن بالرجال إلى حد لا يؤمن معه الفتنة وعدم العفة والصيانة.

ومنها: استعمال الأغاني وآلات الطرب في إقامة الأذكار على الوجه المحرم شرعاً بالإجماع.

ومنها: قراءة القرآن على غير الوجه المشروع الدال على عدم الاحترام لكتاب الله تعالى، بل إهانته والاستخفاف به.

ومنها: شرب الدخان في مجالس القرآن والتشويش على القارىء والإعراض عن استماعه بالمحادثة والمطالعة.

ومنها: ما ينفقه بعض الأغنياء في سبيل المولد بإحياء بعض الليالي بأسمائهم؛ حباً في الظهور وطلباً للشهرة والسمعة.. وغير ذلك مما يفسد أخلاق أبناء الأمة ويبعث في نفوسهم الميل إلى الشهوات وانتهاك الحرمات).

سرد هذه المفاسد، ثم قال: (فالواجب شرعاً على المسلمين عامة وأولياء الأمور خاصة أن يمنعوا الناس عن تلك المفاسد والمخازي، وأن يعملوا على إبطال تلك العادات في الموالد).

وقال في المحاضرة السادسة عشرة (ص١٢٩): (أما العادة المتبعة في الاحتفال بمولد النبي الشريف من إقامة الزينات والسرادقات، وتسيير المواكب، ودق الطبول والمزمار والإشارات، وسماع الأغاني والأناشيد، والرقص في حلقات الذكر، وإطلاق الصواريخ والألعاب النارية في الهواء وخروج النساء المتبرجات لرؤية الاحتفال والموكب، واختلاط الرجال والشبان بالنساء والفتيات، فكل ذلك مخالف لآداب الشريعة السمحة ومما يغضب رسول الله) ا.هـ.

وقال الأستاذ الشيخ علي محفوظ في [الإبداع في مضار الابتداع] (ص١٢٦ ـ ١٢٨) في بيان ما تحتوي عليه الاحتفالات بالمولد من المحرمات والمكروهات ما نصه: (فمن المحرمات: إضاعة الأموال بكثرة الوقود في المساجد والطرق، وإيقاد الشموع والسرج في الأضرحة، وكل ما يرجع إلى الإسراف والتبذير، وفي الحديث: «**إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

ومنها: انتهاك حرمة المساجد بتقذيرها وكثرة اللغط فيها ودخول الأطفال حفاة أو بالنعال، فلا يكاد يتيسر لأحد إقامة الشعائر في مسجد يعمل فيه مولد.

ومنها: خروج النساء متبرجات مع اختلاطهن بالرجال إلى حد لا يؤمن معه من وقوع الفاحشة، وناهيك ما يكون من البغايا وتطلبهن الفاحشة جهاراً.

ومنها: استعمال الأغاني وآلات الطرب على الوجه المحرم بالإجماع، وغير ذلك مما يفسد أخلاق الأمة ويبعث في نفوس الشبان روح العشق والميل إلى الفجور.

ومنها: قراءة القرآن على غير الوجه المشروع، فيرجعون فيه كترجيع الغناء غير مراعين فيه ما يجب له من الآداب، وبعضهم يفتتح اللهو والغناء بقراءة شيء من القرآن، وكل ذلك ـ مع ما فيه من تعريضه للإهانة وعدم الاحترام لكتاب الله تعالى ـ ضد ماوصف الله به المؤمنين عند سماع كلامه، حيث قال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1] ومما يشعر بالاستهانة والاستخفاف بكتاب الله تعالى ـ وإن لم يقصد الفاعل ذلك ـ شرب الدخان في مجلس القرآن الكريم، خصوصاً إذا كان ممن يقرب منه حال القراءة والتشويش عليه والإعراض عنه؛ لظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]، والاستماع: الإصغاء. والإنصات: السكوت.

قال العلامة الشبراوي في [شرح الورد] نقلاً عن شيخه السباعي: (الذي ندين الله به حرمة شرب الدخان في مجلس القرآن، ولا وجه للقول بالكراهة، وإذا كان الحديث الدنيوي في مجلس القرآن منهياً عنه فشرب الدخان في مجلسه أولى بالنهي؛ لما فيه من الرائحة الكريهة، وإن كان شاربوه لا يدركون ذلك للإلف والعادة، كالذين تعودوا

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٠٤.

معالجة المواد البرازية لا يتألمون من رائحتها، وإذا كان العقلاء يرون من الآداب أن لا يشرب الدخان بحضرة ملوك الدنيا وأمرائها أفلا يرون ذلك مخلاً بالآداب في وقت مناجاة ملك الملوك بقراءة القرآن؟! وكم من شيء لا يمنع بغير حضرة الملوك ولكن يمنع بحضرتهم، فعلى فرض أن شرب الدخان مكروه في غير مجلس القرآن فهو في مجلس القرآن ـ لإخلاله بالأدب في حضرة كلام ذي العظمة والجبروت ـ محرم، ألا ترى أن كثيراً من الأشياء مباح خارج الصلاة لكنه يحرم في أثنائها وإن لم يبطلها؛ وما ذاك إلا لإخلاله بآداب الوقوف بين يدي الله تعالى، ولنضرب لذلك مثلاً يوضحه لك ويزيدك إيماناً به: لو أن ملكاً أصدر قانوناً يتضمن شيئاً من مصالح الرعية؛ كنظام الضرائب، ومناوبات الري، وحفر الأنهار، وأمر عماله في الأقاليم أن يجمعوا العمد والمشايخ وأرباب المصالح في البلاد ويقرأوا عليهم هذا القانون ويشددوا عليهم في تنفيذه واحترامه فاجتمعوا وقام فيهم عمال الملك يتلون عليهم هذا القانون كما أمروا، ففي أثناء تلاوته رأى أحد العمال رجلين يتكلمان أو أحداً يشرب الدخان في مجلس الاجتماع ماذا يكون الحال؟ أليس يغضب التالي للقانون من ذلك، إن لم يعاقب بالطرد؛ لما في ذلك من انتهاك حرمة القانون وتاليه، فإذا كان هذا في قانون الملك المخلوق فما بالك بقانون ملك الملوك الخالق القادر رب الأرباب ومالك العباد. وفيه من ضروب المصالح والفوائد ما يضمن لمن اهتدى بهديه سعادة الدنيا والآخرة.

ومنها: تطلب الرياء والسمعة بما ينفق في سبيل المولد، فترى الأغنياء يتنافسون في الليالي التي يحيونها بأسمائهم، وكل يجد في أن

تكون ليلته أحسن الليالي؛ ليقال.

ومن المكروهات: قراءة القرآن على قارعة الطريق وفي الحوانيت، كما سبق لك.

ومنها: التكلف الذي يقع منهم في الوفاء بشهواتهم.

ومنها: الإفراط في السهر الذي يترتب عليه تضييع الصلوات وضرر الأبدان.

ومنها: شد الرحال إلى البقاع النائية وإهمال المزارع والصنائع والبيوت حتى تصير عرضة للتلف وسطو اللصوص.. إلى غير ذلك مما لا يخفى على بصير تركناه خوف الإطالة).

ثم ذكر الشيخ علي محفوظ أن الموالد التي تقام في زمانه لا شك أنها لا تخلو عن المحرمات والمكروهات قال: (وقد أصبحت - أي الموالد - مراتع الفسوق والفجور، وأسواقاً تباع فيها الأعراض، وتنتهك محارم الله تعالى، وتعطل فيها بيوت العبادة، فلا ريبة في حرمتها، والمصلحة المقصودة منها لا تبيح هذه المحظورات التي فيها ويمكن تأديتها من غير هذا الوجه.

والقاعدة (أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)، وأن النبي ﷺ اكتفى من الخير بما تيسر وفطم عن جميع أنواع الشر حيث قال: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**» متفق عليه، فهو صريح في أن الشر وإن قلَّ لا يرخص في شيء منه).

وقال تحت عنوان (المواسم التي نسبوها إلى الشرع وليست منه) (ص١٤١):

(ومنها: ـ أي تلك المواسم التي نسبوها إلى الشرع وليست منه ليلة الثاني عشر من ربيع الأول: يجتمع لها الناس في المساجد وغيرها فيهتكون حرمة بيوت الله تعالى ويسرفون في الوقود فيها، ويرفع القراء أصواتهم بقصائد الغناء التي تثير شهوة الشبان إلى الفسق والفجور، فتراهم عند ذلك يصيحون بأصوات منكرة ويحدثون في المساجد ضجة فظيعة، وقد لا يتعرضون في قصائدهم لشيء من خصائص رسول الله ﷺ وأخلاقه الكريمة وأعماله النافعة الجليلة، وفيهم من يشتغل بالذكر المحرف.

وكل ذلك لم يأذن به الله ورسوله، ولم يعهد عن السلف الصالح فهو بدعة وضلالة، كما سبق في بدع المولد) ا.هـ.

وقال السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من [المنار] (ص٧٤ ـ ٧٦) في كلامه على الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[1]، قال: (ولقد تشوهت سيرة مدعي التصوف في هذا الزمان، وصارت رسومهم أشبه بالمعاصي والأهواء من رسوم الدين، أفسدوا التصوف من قبلهم، وأظهرها في هذه البلاد الاحتفالات التي يسمونها الموالد، ومن العجيب أن تبع الفقهاء في استحسانها الأغنياء فصاروا يبذلون فيها الأموال العظيمة؛ زاعمين أنهم

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٥.

يتقربون بها إلى الله تعالى، ولو طلب منهم بعض هذا المال لنشر علم أو إزالة منكر أو إعانة منكوب، لضنوا به وبخلوا، ولا يرون ما يكون فيها من المنكرات منافياً للتقرب إلى الله تعالى، كأن كرامة الشيخ الذي يحتفلون بمولده تبيح المحظورات وتحل للناس التعاون على المنكرات!! فالموالد أسواق الفسوق: فيها خيام للعواهر، وخانات للخمور، ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المتهتكات الكاسيات العاريات، ومواضع أخرى لضروب من الفحش في القول والفعل يقصد بها إضحاك الناس، وبعض هذه الموالد يكون في المقابر، ويرى كبار مشايخ الأزهر يتخطون هذا كله لحضور موائد الأغنياء في السرادقات والقباب العظيمة التي يضربونها وينصبون فيها الموائد المرفوعة، ويوقدون الشموع الكثيرة احتفالاً باسم صاحب المولد، ويهنىء بعضهم بعضاً بهذا العمل الشريف في عرفهم.

وذكر الأستاذ الإمام عند شرح مفاسد الموالد هنا أن بعض كبار الشيوخ في الأزهر دعوه مرة للعشاء عند أحد المحتفلين فأبى، فقيل له في ذلك، فقال: إنني لا أحب أن أكثر سواد الفاسقين، فإن هذه الموالد كلها منكرات. ووصف ما يمر به المدعو قبل أن يصل إلى موضع الطعام، ثم قال لشيخ صديق لصاحب الدعوة: كم ينفق صاحبك في احتفاله بالمولد؟ فقال: أربعمائة جنيه، قال الأستاذ: لا شك أن هذا في سبيل الشيطان، فلو كلمت صاحبك في أن يجعل ذلك لجماعة من المجاورين في الأزهر يستعينون به على طلب العلم فيكون بذله شرعياً وهؤلاء المجاورون يذكرونه بخير ويدعون له، فأجاب ذلك الشيخ قائلاً: إن الكون يلزم أن يكون فيه من هذا وهذا، فقال الأستاذ: هذا

الذي أريد، فإن كوننا ليس فيه إلا هذه النفقات في الطرق المذمومة، فأحب أن ينفق صاحبك على نشر علم الدين؛ ليكون بعض الإنفاق عندنا في الخير ويبقى للموالد أغنياء كثيرون، فقال الشيخ حينئذٍ: أما قرأت حكاية الشعراني مع الزمار إذ رأى شيخاً كبيراً ينفخ في مزمار والناس يتفرجون عليه، فاعترض عليه في سره، فما كان من الشيخ إلا أن قال: يا عبدالوهاب، أتريد أن ينقص ملك ربك مزماراً؟ فعلم الشعراني أنه من أولياء الله تعالى. قال الأستاذ: ثم تركني المشايخ بعد سرد الحكاية وذهبوا إلى المولد. فلينظر الناظرون إلى أين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع، اتخذوا الشيوخ أنداداً، وصار يقصد بزيارة القبور والأضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق، بعد أن كانت للعبرة وتذكر القدوة وصارت الحكايات الملفقة ناسخة[1] فعلاً لما ورد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على الخير، ونتيجة ذلك كله أن المسلمين رغبوا عما شرع الله إلى ما توهموا أنه يرضي غيره ممن اتخذوهم أنداداً له، وصاروا كالإباحيين في الغالب، فلا عجب إذا عم فيهم الجهل، واستحوذ عليهم الضعف، وحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر؛ لأنهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين، ولم يكن في القرن الأول شيء من هذه التقاليد والأعمال التي نحن عليها، بل ولا في الثاني، ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة، وإنما سرت إلينا بالتقليد أو العدوى من الأمم الأخرى، إذ رأى

(١) عندهم.

قومنا عندهم أمثال هذه الاحتفالات فظنوا أنهم إذا عملوا مثلها يكون لدينهم عظمة وشأن في نفوس تلك الأمم، فهذا النوع من اتخاذ الأنداد كان من أهم أسباب تأخر المسلمين وسقوطهم فيما سقطوا فيه.

قلت: ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ من نظر فيما تقدم في وصف احتفال بني عبيد القداح بالموالد تبين له من إضاعة الأموال فيها ما لا ينبغي، وكذلك ما في [تاريخ ابن خلكان] و[مرآة الزمان] لسبط ابن الجوزي من ذكر الأموال الكثيرة التي تصرف في احتفال أبي سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد ـ الملقب بالملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل ـ بالمولد النبوي، فقد قال ابن خلكان (ج١ ص٤٣٦، ٤٣٧) في وصف احتفاله بذلك اليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد: كان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل ـ مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي ـ خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء، ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول، ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة أربع أو خمس طبقات، ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر، منها قبة له والباقي للأمراء وأعيان دولته لكل واحد قبة، فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المستجملة، وقعد في كل قبة جوق من الأغاني، وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي، ولم يتركوا طبقة من تلك الطباق حتى رتبوا فيها جوقاً، وتبطل معايش الناس في تلك المدة، وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم، وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان،

فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة قبة إلى آخرها، ويسمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه في القباب، ويبيت في الخانقاه ويعمل السماع، ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر، هكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد، وكان يعمله سنة في ثامن الشهر وسنة في الثاني عشر؛ لأجل الاختلاف الذي فيه، فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف، وزفها بجميع ما عنده من الطبول والأغاني والملاهي حتى يأتي بها إلى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة، فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة، ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير، وفي جملتها شمعتان أو أربع ـ أشك في ذلك ـ من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل، ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهي إلى الخانقاه، فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقجة وهم متتابعون، كل واحد وراء الآخر فينزل من ذلك شيء كثير لا أتحقق عدده ثم ينزل إلى الخانقاه، وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من بياض الناس وينصب كرسي للوعاظ، وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذي فيه الناس والكرسي، وشبابيك أخر للبرج أيضاً إلى الميدان، وهو ميدان كبير في غاية الاتساع ويجتمع فيه الجند ويعرضهم ذلك النهار، وهو تارة ينظر إلى عرض الجند وتارة إلى الناس والوعاظ، ولايزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم،

فعند ذلك يقدم السماط في الميدان للصعاليك، ويكون سماطاً عاماً فيه من الطعام والخبز شيء كثير لا يحد ولا يوصف، ويمد سماطاً ثانياً في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسي، وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحداً واحداً من الأعيان والرؤساء والوافدين؛ لأجل هذا الموسم ممن قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء، ويخلع على كل واحد منهم، ثم يعود إلى مكانه، فإذا تكامل ذلك كله حضروا السماط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره، ولا يزالون على ذلك إلى العصر أو بعدها، ثم يبيت تلك الليلة هناك ويعمل السماعات إلى بكرة، هكذا دأبه في كل سنة.

هذا ما ذكره ابن خلكان من وصف احتفال الملك المظفر بالمولد النبوي ثم قال: (وقد لخصت صورة الحال فإن الاستقصاء يطول، فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل إنسان إلى العود إلى بلده فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة[1]، وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب ابن دحية في حرف العين وصوله إلى إربل وعمله لكتاب [التنوير في مولد السراج المنير]؛ لما رأى من اهتمام مظفر الدين به وأنه أعطاه ألف دينار غير ما غرم عليه مدة إقامته من الإقامات الوافرة) يشير ابن خلكان بقوله: (وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب

---

(١) لخص المؤرخ الفقيه الأديب أبوالفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي في [شذرات الذهب في أخبار من ذهب] (ج٥ ص١٤٠) ما أورده ابن خلكان في ذلك ونقل عن ابن شهبة أنه قال في [تاريخ الإسلام]: (قال جماعة من أهل إربل: كانت نفقته على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار).

ابن دحية في حرف العين. . .) إلخ إلى قوله في ترجمة أبي الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية (ج١ص٣٨١) ما نصه: (قدم مدينة إربل في سنة أربع وستمائة وهو متوجه إلى خراسان فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمه الله تعالى مولعاً بعمل مولد النبي ﷺعظيم الاحتفال به، كما هو مذكور في ترجمته في حرف الكاف من هذا الكتاب ـ أي في ترجمة كوكبوري أبي سعيد الملك المعظم صاحب إربل ـ فعمل له كتاباً سماه كتاب [التنوير في مولد السراج المنير] وقرأه عليه بنفسه وسمعناه على الملك المعظم في ستة مجالس في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وستمائة) ا.هـ.

وقال أبوالمظفر يوسف بن قزاوغلي الشهير بسبط ابن الجوزي في القسم الأول من الجزء الثامن من [مرآة الزمان في تاريخ الأعيان] (ص٦٨١، ٦٨٢) قال في ترجمة مظفر الدين كوكبوري: (كان يعمل في كل سنة مولد النبي ﷺ في ربيع الأول يجتمع فيه الدنيا من العلماء والفقهاء والوعاظ والقراء والصوفية والفقراء من كل صنف ويضرب الخيام في الميدان، وينزل من القلعة بنفسه فيقرأ القراء ويعظ الوعاظ ويمد سماطاً أولها عنده وآخره في القلعة ويحضره الخلائق فلا يبقى إلا من يأكل ويحمل، وحكى لي من حضر بعض السنين فقال: عددت على السماط مائة قرش قشلميش وخمسة آلاف رأس شوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى ثم يخلع فيه على الأعيان ويفرق فيه الأموال على أقدارهم، ولا يحضر هذا السماط أحد من عسكره ثم يقوم في الميدان فيدخل الخانكاه وقد اجتمع فيه من الصوفية ما بين ثمانمائة إلى الألف فيأخذون في السماع من بعد

الظهر إلى الفجر وهو يرقص بينهم، فإذا كان من الغد بعث إليهم من يكتب أسماءهم وكل شيخ ومعه جماعة فيعطى المشايخ على قدر طبقاتهم من المائة دينار إلى الخمسين والثلاثين ولأتباعهم على حدة ومن شاء أن يسافر ومن شاء أن يقيم أياماً)، وقال (ص٦٨٣): (حكى لي بإربل أنه كان ينفق على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار) ا.هـ.

وكذلك الاحتفالات بالمولد التي وقعت بعد تلك الاحتفالات جرت على المبالغة والإسراف في صرف الأموال:

فقد قال شمس الدين السخاوي في كلامه على الاحتفال بالمولد النبوي: (وأكثرهم ـ أي أهل الأقطار ـ بذلك ـ أي بعمل المولد ـ عناية أهل مصر والشام ولسلطان مصر في تلك الليلة من العام الأعظم مقام. قال: ولقد حضرت في سنة خمس وثمانين وسبعمائة ليلة المولد عند الملك الظاهر برقوق رحمه الله بقلعة الجبل العلية فرأيت ما هالني وسرني وما ساءني، وحررت ما أنفق في تلك الليلة على القراء والحاضرين من الوعاظ والمنشدين وغيرهم من الأتباع والغلمان والخدام المترددين بنحو عشرة آلاف مثقال من الذهب العين بالحدس المصيب لا المين ما بين خلع ومطعوم، ومشروب ومشموم، ومشموع، وغيرها مما يستقيم به الضلوع، وعددت في ذلك خمساً وعشرين جوقة من القراء الصنتيين المرجو كونهم مثبتين، ولم ينزل واحد منهم إلا بنحو عشرين خلعة من السلطان ومن الأمراء الأعيان، قال السخاوي: قلت: ولم يزل ملوك مصر خدام الحرمين الشريفين

ممن وفقهم الله لهدم كثير من المناكير والشين ونظروا في الرعية كالوالد لولده وشهروا أنفسهم بالعدل فأسعفهم الله بجنده ومدده، كالملك الشهيد الظاهر المصدق أبي سعيد جمقمق يعتنون به ويتوجهون لطريق سببه بحيث ارتفعت جوق القراء في أيامه بيقين للزيادة على الثلثين فذكروا بكل جميل وكفوا من المهمات كل عريض وطويل) نقل هذا كله الملا علي قاري صاحب [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٢٥، ٢٦) عن السخاوي.

وورد في الجزء الأول من [أزهار الرياض في أخبار عياض] تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ص٢٤٣) ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

أن السلطان أبا حمو موسى بن يوسف يحتفل بليلة مولد رسول الله ﷺ غاية الاحتفال، كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك ولا يقع منهم فيه إغفال، قال: (وقد تقدم أن العزفي صاحب سبتة هو الذي سن ذلك في بلاد المغرب) قال: (ومن جملة احتفال السلطان أبي حمو المذكور ما قاله صاحب [راح الأرواح][1]: (إنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بمشورة من تلمسان المحروسة مدعاة حفيلة يحشر الناس فيها خاصة وعامة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة، وشمع كالأسطوانات، وموائد

---

(١) صاحب [راح الأرواح] هو أبوعبدالله التنسي ثم التلمساني، كما بينه المقري في الجزء الرابع من [نفخ الطيب] (ص٦٠٤).

كالهـــــالات، ومباخر صفر منصوبة، كالقباب يخالها المبصر من تبر مـــــذاب، ويفـــاض على الجميع أنواع الأطعمة كأنها أزهار الربيع المنمنمة، تشتهيها الأنفس، وتستلذها النواظر، ويخالط حسن رياها الأرواح ويخامر، رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال، وقد علت الجميع أبهة الوقار والإجلال، وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام، يخرجون فيها من فن إلى فن، ومن أسلوب إلى أسلوب، ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب، وبالقرب من السلطان رضوان الله عليه خزانة المنجانة، قد زخرفت كأنها حلة يمانية، لها أبواب مرتجة على عدد ساعات الليل الزمانية، فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها، وفتح عند ذلك باب من أبوابها، وبرزت منه جارية صورت في أحسن صورة، في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة، فتضعها بين يدي السلطان بلطافـــة، ويســـراها علـــى فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة، هكذا حالهم إلى انبلاج عمود الصباح، ونداء المنادي: حـي على الفلاح) انتهى كلام صاحب [راح الأرواح]. وقال[1] في نظم الدرر والعقيان في هذا المعنى ما نصه: (وكان ـ يعني: السلطان أبا حمو ـ يقوم بحق ليلة مولد المصطفى ﷺ ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم، يقيم مدعاة، يحشر لها الأشراف والسوقة، فما شئت

(١) أي: صاحب [راح الأرواح]، بيـــن ذلك المقري في (ج٤) من [نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب] (ص٦٠٥) الطبعة البولاقية.

من نمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، وشمع كالأسطوانات، وأعيان الحضرة على مراتبهم، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات، ينال كل منها بحظه، وخزانة المنجانة ذات تماثيل لجين محكمة الصنعة، بأعلاها أيكة تحمل طائراً، فرخاه تحت جناحيه، ويختله فيهما أرقم، خارج من كوة بجذر الأيكة صعداً، وبصدرها أبواب مرتجة بعدد ساعات الليل الزمانية، يصاقب طرفيها بابان كبيران، وفوق جميعها دوين رأس الخزانة قمر أكمل، يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفلك، ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج، فينقض من البابين الكبيرين عقابان، بفي كل واحد منهما صنجة صفر، يلقيها إلى طست من الصفر مجوف، بوسطه ثقب يفضي بها إلى داخل الخزانة فيرن، وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفر له أبواه، فهنا يفتح باب الساعة الذاهبة، وتبرز منه جارية محتزمة، كأظرف ما أنت راء، بيمناها إضبارة فيها اسم ساعتها منظوماً، ويسراها موضوعة على فيها، كالمبايعة بالخلافة، والمسمع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين، وخاتم النبيين، سيدنا ومولانا محمد ﷺ. ثم يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دوراً، والرياض نوراً، قد اشتملت من أنواع محاسن الطعام على ألوان تشتهيها الأنفس، وتستحسنها الأعين، وتلذ بسماعها الأذن، ويشره مبصرها للقرب منها والتناول وإن كان ليس بغرثان، والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه فيه، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع، حتى يصلي هناك صلاة الصبح. على هذا الأسلوب تمضي ليلة مولد المصطفى ﷺ في جميع أيام دولته، أعلى الله مقامه في عليين وشكر له في ذلك صنعه الجميل

آمين. وما من ليلة مولد مرت في أيامه إلا ونظم فيها قصيداً في مدح المصطفى ﷺ أول ما يبتديء المسمع في ذلك المحفل العظيم بإنشاده ثم يتلوه إنشاد من رفع إلى مقامه العلي في تلك الليلة نظماً، انتهى كلام صاحب [نظم الدرر والعقيان]، وهو أتم مساقاً من كلامه في [راح الأرواح].

هذه تصريحات أهل العلم من لا يرى منهم الاحتفال بالمولد النبوي ومن يراه، بما تحتوي عليه تلك الاحتفالات باليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي في أزمنتهم من بدع ومعاصٍ تتنافى مع دعوى المحتفلين تعظيم النبي ﷺ، وقد تقدم ما قاله الشيخ أبوالحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي في ترجمة القاضي أبي عبدالله محمد بن عبدالسلام المنستيري[1] من كتاب [المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا] (ص١٦٢، ١٦٣) طبعة دار الكتاب المصري بالقاهرة ما نصه: (أخبرني ـ أي أبوزيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ـ عن هذا القاضي رحمه الله بما حاصله أن الأمير أبا يحيى استحضره مع الجملة من صدور الفقهاء للمبيت بدار الخلافة وللمثول بين يديه ليلة الميلاد النبوي الشريف إذ كان قد أراد إقامة رسمه على العادة المغربية: من الاحتفال في الأطعمة، وتزيين المحل بحضور الأشراف، وتخير القوالين للأشعار المقرونة بالأصوات المطربة، فحين كمل المقصود من المطلوب وقعد السلطان على أريكة ملكه ينظر في ترتيبه، والناس على منازلهم بين قاعد وقائم، هز المسمع

(١) توفي هذا القاضي في أوائل الطاعون النازل ببلده عام (٧٥٠).

طره وأخذ يهنئهم بألحانه وتبعه صاحب يراعه بعادته من مساعدته، تزحزح القاضي أبوعبدالله عن مكانه وأشار بالسلام على الأمير، وخرج من المجلس فتبعه الفقهاء بجملتهم إلى مسجد القصر فناموا به، فظن السلطان أنهم خرجوا لقضاء حاجاتهم، فأمر أحد وزرائه بتفقدهم والقيام بخدمتهم إلى عودتهم، وأعلم الوزير الموجه لما ذكر القاضي بالغرض المأمور به، فقال له: أصلحك الله، هذه الليلة المباركة التي وجب شكر الله عليها وجمعنا السلطان أبقاه الله من أجلها، لو شهدها نبينا المولود فيها صلوات الله وسلامه عليه، لم يأذن لنا في الاجتماع على ما نحن فيه من مسامحة بعضنا لبعض في اللهو ورفع قناع الحياء بمحضر القاضي والفقهاء، وقد وقع الاتفاق من العلماء على أن المجاهرة بالذنب محظورة إلا أن تمس إليها حاجة كالإقرار بموجب الحد أو الكفارة، فليسلم لنا الأمير أصلحه الله في القعود بمسجده هذا إلى الصباح وإن كنا في مطالبات أخر من تبعات رياء ودسائس أنفس وضروب غرور، لكنا كما شاء الله في مقام الاقتداء لطف الله بنا أجمعين بفضله، فعاد عند ذلك الوزير المرسل للخدمة الموصوفة إلى الأمير أبي يحيى وأعلمه بالقصة فأقام يسيراً وقام من مجلسه وأرسل إلى القاضي من ناب عنه في شكره وشكر أصحابه، ولم يعد إلى مثل ذلك العمل بعد، وصار في كل ليلة يأمر في صبيحة الليلة المباركة بتفريق طعام على الضعفاء وإرفاق الفقراء شكراً لله) ا.هـ كلامه، وإذا كان هذا موقف ذلك القاضي من اللهو واللعب في عمل المولد فما بالك بما انضم إليهما بعد ذلك من المناكر، نسأل الله السلامة آمين.

فصـــل
في الكلام على قصص المولد
وعلى ما تحتوي عليه من أضرار

جرت عادة المحتفلين باليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي بالاجتماع على قصص تسمى بالموالد، وهي قصص ألفت لقراءتها في تلك المناسبة على هيئة يعتقد قراؤها أنها من القرب ويتوهم العوام أنها من السنن المأثورة، ولكون الكلام على تلك العادة يتطلب أمرين:

أحدهما: بيان حكم الاجتماع على قراءة تلك القصص.

والثاني: ذكر ما تحتوي عليه تلك القصص من أضرار نوضح ذلك فنقول: أما حكم الاجتماع على قراءة تلك القصص فهو أنه بدعة لا ريب في ذلك، كما بينه العلماء، ومن كلامهم في ذلك ما يلي:

١ ـ قال العلامة الإمام الشيخ عبدالله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في مناظرته لعلماء مكة التي وقعت بينه وبينهم عام (١٢١٨هـ) بصدد بيانه للبدع المذمومة ما نصه: (ومنها: ـ أي من البدع المذمومة ـ الاجتماع في وقت مخصوص على من يقرأ سيرة المولد الشريف اعتقاداً أنه قربة مخصوصة مطلوبة دون علم السير فإن ذلك لم يرد)، وذكر في التفرقة بين الوارد من الأذكار وغيرها ما نصه:

(ومنها: أي البدع المذمومة ـ ما اعتيد في بعض البلاد من قراءة مولد النبي ﷺ بقصائد بألحان وتخلط بالصلاة عليه وبالأذكار والقراءة ويكون بعد صلاة التراويح ويعتقدونه على هذه الهيئة من القرب، بل تتوهم العامة أن ذلك من السنن المأثورة فينهى عن ذلك) ورد ذلك كله في الجزء الأول من [الدرر السنية] (ص١٣٢، ١٣٣).

٢ ـ قال السيد رشيد رضا في الجزء الرابع من [الفتاوى] (ص١٢٤٣) ما نصه: (هذه الموالد ـ أي القصص المسماة بالموالد ـ بدعة بلا نزاع، وأول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد النبوي أحد ملوك الشراكسة بمصر).

وأما الأضرار المحتوية عليها تلك القصص المعروفة باسم الموالد فكثيرة.

الأول من الأضرار التي تقع في قصص المولد: إيراد أحاديث غير ثابتة فيها

نبه على وجود الأحاديث غير الثابتة في تلك القصص السخاوي والسيد رشيد رضا وعلي فكري، قال السخاوي: (أكثر ما بأيدي الوعاظ منه ـ أي مما يقرأ في المولد ـ كذب واختلاق، بل لم يزالوا يولدون ما هو أقبح وأسمج مما لا تحل روايته ولا سماعه، بل يجب على من علم بطلانه إنكاره والأمر بترك قراءته) نقل ذلك الملا علي قاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٣٢) عن السخاوي. وقال السيد رشيد رضا في الجزء الرابع من فتاويه (ص١٢٤٣): (لم نطلع على قصة من قصص المولد النبوي الشريف إلا ورأينا فيها كثيراً

من الأخبار الموضوعة)، وذكر أن تلك القصص التي يؤثرها الجهال زعماً منهم أنها أكثر تعظيماً للنبي ﷺ مشحونة بالموضوعات والأكاذيب، ثم قال: (وقد أغناه الله تعالى بفضله العظيم عليه عن تعظيم غيره بالكذب في سيرته) وذكر في الجزء السادس من [الفتاوى] (ص٢٤٢٨) تحت عنوان معجزات المولد النبوي (أن في تلك القصص الضعيف والموضوع، وأن أكثرها مراسيل وإسرائيليات منكرة)، وقال السيد علي فكري في المحاضرة السادسة عشرة من [المحاضرات الفكرية] (ص١٢٩): (يجب أن تكون القصة التي تتلى في المولد النبوي الشريف مأخوذة من الأحاديث الشريفة المقبولة، أما ما اعتاد الناس سماعه من أهل التلحين والترنيم من الأقوال الخرافية والأوصاف التي لا تقرها الشريعة الإسلامية في الذات المحمدية، فمنكر يجب الإقلاع عنه).

وعلى سبيل التمثيل لما في تلك القصص وبعض الكتب المصنفة في الدفاع عن المولد من أحاديث غير صحيحة أورد ما يلي:

١ ـ ما جاء عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه قال: (قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء، قال: «يا جابر، إن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نـــار، ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر، ولا جني ولا إنسي، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الأول القلم،

ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار. ثم قسم الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم وهو: التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله»، أورد هذا منه القسطلاني في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص٤٧) وزعم أن عبدالرزاق رواه كذلك بسنده عن جابر، وأشار إلى أن له بقية بقوله بعد إيراد ما أورده منه: (الحديث).

وأورده حسين بن محمد الديار بكري في الجزء الأول من [تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس] (ص١٩، ٢٠) عن جابر بن عبدالله الأنصاري بلفظ (سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله، قال: «هو نور نبيك يا جابر، خلقه ثم خلق منه كل خير، وخلق بعده كل شيء، وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام: خلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق الخلق من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء

والحلم والعلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة ثم نظر الله سبحانه إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبي أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة. فالعرش والكرسي من نوري والكروبيون من نوري والروحانيون من الملائكة من نوري وملائكة السموات السبع من نوري والجنة وما فيها من النعيم من نوري والشمس والقمر والكواكب من نوري والعقل والعلم والتوفيق من نوري وأرواح الأنبياء والرسل من نوري والشهداء والصالحون من نتائج نوري ثم خلق سبحانه اثني عشر حجاباً فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبدالله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض وكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم ثم خلق الله آدم في الأرض وركب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيث ومنه إلى يانش وهكذا كان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن أوصله الله تعالى إلى صلب عبدالله بن عبدالمطلب ومنه إلى رحم آمنة ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين هكذا بدء خلق نبيك يا جابر».

بهذا اللفظ أورده الديار بكري وقال: (ذكره البيهقي، وذكره ابن

الحاج في [المدخل][١] (ج٢ ص٣٤) أن الخطيب أبا الربيع روى في [شفاء الصدور] له أن أول ما خلق الله نور محمد ﷺ فأقبل ذلك النور يتردد ويسجد بين يدي الله عز وجل فقسمه الله تعالى إلى أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول العرش، ومن الثاني القلم، ومن الثالث، اللوح، ثم قال للقلم: إجر واكتب، فقال: يا رب، ما أكتب؟ قال: ما أنا خالقه إلى يوم القيامة فجرى القلم على اللوح وكتب حتى أتى على آخر ما أمره الله سبحانه وتعالى به، وأقبل الجزء الرابع يتردد بين يدي الله تعالى ويسجد لله عز وجل فقسمه الله أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول العقل، ومن الثاني المعرفة وأسكنها في قلوب العباد، ومن الجزء الثالث نور الشمس والقمر ونور الأبصار، والجزء الرابع جعله الله حول العرش حتى خلق آدم عليه الصلاة والسلام فأسكن ذلك النور فيه فنور العرش من نور محمد ﷺ ونور القلم من نور محمد ﷺ ونور اللوح من نوره ﷺ ونور النهار من نوره ﷺ ونور العقل من نوره ﷺ

---

(١) كتاب [المدخل] رغم ما فيه من تنبيهات على كثير من البدع، فيه كثير من الأحاديث الموضوعات. ذكر ذلك صاحب كتاب [السنن والمبتدعات] (ص٢٩١) وقد أجاد في تصريحه بذلك، وقال الشهاب الخفاجي في الجزء الأول من [نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض] (ص ٢٦٢) ط دار الكتاب العربي في كلامه على البدع: (قد استوفى أقسامها ابن الحاج في [المدخل] وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله، وإن كان فيه أمور غير مسلمة). قلت: ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ: من الأمور التي لا تسلم في المدخل؛ لمخالفتها النصوص الشرعية: دعوته في الفصل الذي عقده لزيارة القبور، وفي الفصل الذي عقده لزيارة النبي ﷺ إلى الاستغاثة بأصحاب القبور وإلى التردد على قبورهم لقضاء الحاجات، وقد شان ابن الحاج كتابه بذلك وبعدم التحري فيما يذكره فيه من الأحاديث.

ونور المعرفة ونور الشمس ونور القمر ونور الأبصار من نوره ﷺ، وأورد معه ابن الحاج في الباب ما أورد ثم قال: (وقد ورد في هذا المعنى كثير فمن أراده فليقف عليه في كتاب [الشفاء] لأبي الربيع ولأجل هذا المعنى قال آدم عليه الصلاة والسلام للنبي ﷺ فيما نقل: يا أبا معناي ويا ابن صورتي) ا.هـ. وإلى هذا الحديث أشار الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي في أول مولده بقوله (ص٤): (إن أول ما خلق الله نور هذا النبي الأواه)، والبرزنجي في مولده (ص٤٢)ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي بقوله في النبي ﷺ: (هو آخر الأنبياء بصورته وأولهم بمعناه)، والميرغني بقوله في مولده (ص٩): (قال ـ أي النبي ﷺ: «أول ما خلق الله نور نبيه يا جابر» جواباً للمسألة المحكية.

٢ ـ حديث «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» إليه أشار الميرغني في (ص٩) بقوله: (وقال ـ أي النبي ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[1]، ونقل الشيخ محمد بن علوي في تعليقه على الطبعة الأولى لـ [مولد الديبع] (ص٢٠) عن العلقمي أنه صححه في [شرح الجامع الصغير] ونصه: (الشيخ العلقمي في [شرح الجامع الصغير] قال عن هذا الحديث «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»: إنه حديث صحيح،

---

(١) ذكر ذلك في مولده وهو مولد يحتوي من الإطراء على أشياء كثيرة منها: هذا، ومنها قوله في (ص٤): (من ميم اسمه ـ أي محمد ﷺ ـ امتدت سائر العوالم الخلقية، وحاء رحمته التي رحم بها الملوان، ومن ميمه الأخرى تعينت مياه العوالم الحسية والمعنوية وامتلاؤها من أنوار وأسرار وإذعان، ومن دال ذلك الاسم دامت نظامات الممالك الملكية.

كذا في [شرح الجامع]، وقال الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٣٣): (هو ـ أي خبر «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**» وإن قال بعض الحفاظ: لم نقف عليه بهذا اللفظ، لكن جاء معناه من طرق صحيحة، منها ما رواه أحمد والبيهقي والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إني مكتوب عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته**»، أي: لطريح ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه.

ومنها: ما رواه أحمد والبخاري في تاريخه وأبونعيم في [الحلية] وصححه الحاكم عن ميسرة الضبي رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»، ويروى (كتبت) من الكتابة.

ومنها: خبر الترمذي وحسنه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**».

٣ ـ ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ الآية[(١)]، قال النبي ﷺ: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**»، أورده الشيخ محمد بن علوي المالكي في تعليقه على طبعة[مولد ابن الديبع] الأولى طبعة مطابع سحر بجدة (ص٢٠) وفي تعليقه على طبعة [مولد ابن الديبع] الأخرى ط مطبعة السعادة (ص١٤) وفي تعليقه على [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٤٢) قال في الجميع: (قال السخاوي: ورواه أبونعيم في [الدلائل] وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال ومن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧.

طريقه عن أبي هريرة مرفوعاً، وله شاهد صححه الحاكم وآخر في صحيحي ابن حبان والحاكم، وثالث عند الترمذي وقال: حسن صحيح.

٤ ـ خبر (لما أراد الله أن يخلق محمداً ﷺ أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الأعلى، فقبض قبضة رسول الله ﷺ من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم في معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء، لهـــــا شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والأرض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمداً ﷺ وفضله قبل أن تعرف آدم)، ذكره القسطلاني في المولد من [المواهب اللدنية] (ج١ص٤٢)، وذكر هو والزرقاني ـ شارح [المواهب اللدنية] ـ أنه أورده عبدالله بن أبي جمرة في [بهجة النفوس]، وأبوالربيع بن سبع في [شفاء الصدور] وأبوسعد في [شرف المصطفى] وابن الجوزي في [الوفاء].

٥ ـ ما جاء عن زين العابدين علي بن الحسين عن جده علي بن أبي طالب رضي الله عنهم رفعه: (كنت نوراً بين يدي الله عزوجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم جعل ذلك النور في صلبه فلم يزل ينقله من صلب إلى صلب حتى استقر في صلب عبدالمطلب)، هكذا أورده الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٥٧، ٥٨). وأورد منه أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني في [المواهب اللدنية] (ج١ ص٤٩) أورد منه: (كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام) مقتصراً عليه، وذكر

أنه في أحكام ابن القطان فيما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ. وجاء في طبعتي [مولد الديبع] اللتين أشرف عليهما الشيخ محمد بن علوي المالكي(١) ما نصه: (عن بحر العلم الدافق، ولسان القرآن الناطق، أوحد علماء الناس، سيدنا عبدالله ابن سيدنا العباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كنت نوراً بين يدي الله عزوجل قبل أن يخلق آدم بألفي عام، يسبح الله ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم أودع ذلك النور في طينته»، قال ﷺ: «فأهبطني الله عزوجل إلى الأرض في ظهر آدم وجعلني في السفينة في صلب نوح، وجعلني في صلب الخليل إبراهيم حين قذف به في النار، ولم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية الفاخرة حتى أخرجني الله من بين أبوي وهما لم يلتقيا على سفاح قط»، وعلى لفظ [مولد ابن الديبع] علق الشيخ السيد محمد بن علوي المالكي (ص٢٩)ـ بما نصه: قوله: «كنت نوراً» رواه محمد بن عمر(٢) العدني شيخ مسلم في مسنده وابن الجوزي في [الوفاء] (١/ ٣٥)، وفي [الموضوعات] له، والسيوطي في [اللآليء المصنوعة] (١/ ٢٦٥) والقاضي عياض في [الشفاء]، وقال يشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدحه ﷺ

---

(١) طبعة مطبعة السعادة (ص٢٣ ـ ٢٥)، وطبعة مطابع سحر بجدة (ص٢٩ ـ ٣١)، وأما طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر المؤرخة بعام (١٣٤٢هـ) فلفظها: (قريشاً) وهو اللفظ الوارد من رواية ابن عباس رضي الله عنهما، وأما رواية: (كنت نوراً) فإنما وردت من رواية علي وسلمان رضي الله عنهما.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: (أبي عمر).

(١/ ٨٣) وهو قوله رضي الله عنه:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألـ ... جم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صلب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مستتراً ... في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق

الخصائص (١/ ٩٧)

وقد ذكر الحافظ ابن عبدالبر هذه الأبيات في ترجمة خريم بن أوس قال: قال: هاجرت إلى رسول الله ﷺ فقدمت عليه منصرفه من تبوك فسمعت العباس عمه يقول: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك، فقال النبي ﷺ: «**قل، لا يفضض الله فاك**» فأنشأ يقول... وساق الأبيات، ثم قال: وقد روى هذه الأبيات جرير بن أوس أخو خريم بن أوس، كما رواه خريم كذا في [الاستيعاب] (٢/ ٤٤٧) قال مقيده: وجرير هذا قدم مع أخيه خريم على النبي ﷺ. قال ابن عبدالبر: جرير بن أوس الطائي هاجر إلى رسول الله ﷺ فورد عليه منصرفه من تبوك فأسلم وروى شعر العباس بن عبدالمطلب الذي مدح به النبي ﷺ، ثم قال: خريم وجرير قدما معاً على النبي ﷺ ورويا شعر العباس، [الاستيعاب] (٢/ ٢٤٠). قال مقيده عفا الله عنه: وذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن حجر في [الإصابة] في ترجمة خريم، وقال: رواها ابن أبي خيثمة والبزار وابن شاهين (١/ ٤٢٣) قال مقيده:

ثم ظفرت بفائدة نفيسة، وهي أن الحاكم روى أيضاً في كتابه [المستدرك] هذه الأبيات عن خريم وأقره الذهبي، وهو معروف بتشدده وتعنته، فقال: رواية الأعراب عن آبائهم ومثلهم لا يضعون، كذا في [المستدرك وتلخيصه] (٣/ ٣٢٧).

وقد ذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن كثير في [السيرة] (١/ ١٩٥) عن أبي السكين زكريا الطائي عن زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب قال: قال جدي خريم بن أوس: هاجرت إلى رسول الله ﷺ فسمعت العباس عمه يقول: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك، فقال له النبي ﷺ: «**قل: لا يفضض الله فاك**» فأنشأ يقول. . . وقال: قد روي هذا الشعر لحسان بن ثابت، والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس. ا.هـ تعليق محمد بن علوي.

٦ ـ ما ذكره ابن الجوزي في [سلوة الأحزان] وهو أن آدم عليه السلام لما رام القرب من حواء طلبت المهر منه ـ فقال: يا رب، وماذا أعطيها؟ قال: يا آدم، صل على حبيبي محمد عشرين مرة ففعل، أورده الملا علي القاري في [المورد الروي] (ص٤٥)، وقال قبل ذلك: عن ابن عباس رضي الله عنهما كان ـ أي زمن السجود لآدم[١] ـ يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم، وسميت حواء؛ لأنها خلقت من حي، فلما استيقظ ورآها سكن إليها ومد يده لها، فقالت الملائكة:

---

(١) لفظ (أي: زمن السجود لآدم) من [شرح المواهب اللدنية] للزرقاني، وقد أدى عدم ذكره في متن ذلك الخبر وعدم التنبيه عليه في بعض المراجع إلى الخلل.

مه يا آدم! قال: ولم وقد خلقها لي؟! فقال: حتى تؤدي مهرها قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد ثلاث مرات) وجمع الملا علي القاري بين الروايتين بقوله: قلت: ولعل الثلاث كان مهراً معجلاً والعشرين صداقاً مؤجلاً.

وأورده المناوي في مولده (ص١٩، ٢٠) بلفظ (خلق الله حواء من ضلع من أضلاع آدم الشمالية ـ أي خلقها الله تعالى منه ـ وهو في سِنَةِ المنام، فلما استيقظ منه ورآها جالسة على كرسي من المعادن الذهبية رام القرب منها، فقالت الملائكة له: مه يا آدم! قال: كيف وقد خلقها الله تعالى لي؟! وذلك من الله بإلهام فلما انقضت من آدم مقالته اللفظية قالت له الملائكة: حتى تؤدي صداقها بالكمال والتمام، فقال: وما هو؟ قالوا: أن تصلي على محمد بن عبدالله ثلاث مرات، وفي رواية عشرين عددية ففعل، فجرى وجوب الصداق في ذريته على ممر الدهور والأعوام، ثم جمع الله رؤساء الملائكة وقال: أشهدكم يا ملائكتي أني زوجت عبدي آدم من أمتي حواء).

٧ ـ حديث «إن الأرواح خلقت قبل الأجساد» أورده الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٣٥) بصدد الكلام على حديث «**كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد**»، وذكر كلام السبكي في تفسيره به ونصه: (جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجساد)، فالإشارة بـ «**كنت نبياً**» إلى روحه الشريفة أو حقيقة من حقائقه لا يعلمها إلا الله ومن حباه بالاطلاع عليها، ثم إنه تعالى يؤتى لكل حقيقة منها ما شاء في أي وقت شاء، فحقيقته ﷺ قد تكون من حين خلق آدم عليه السلام

آتاها الله تعالى ذلك الوصف، بأن خلقها متهيئة له وأفاض عليها من ذلك الوقت فصار نبياً وكتب اسمه الشريف على العرش؛ ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته الزائدة عنده. فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها فحينئذٍ تنجز إيتاؤه النبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاته معجل لا تأخر فيه، وإنما المتأخر تكونه وتنقله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظهر على الوجه الأتم ﷺ قال: (ومن فسر ذلك بعلم الله تعالى بأنه سيصير نبياً لم يصل لهذا المعنى؛ لأن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء فالوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له فيه، وإلا لم يختص بأنه نبي، إذ الأنبياء كلهم كذلك بالنسبة لعلمه سبحانه) ا.هـ ما نقله الملا علي قاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٣٥ ـ ٣٦) عن السبكي في تفسير حديث «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» بخبر «إن الأرواح خلقت قبل الأجساد» واعتبره أحسن ما قيل في تفسيره، وهذا الذي نقله الملا علي قاري عن السبكي مأخوذ من رسالة السبكي [التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه] وهي من محتويات الجزء الأول من [فتاوى السبكي].

٨ ـ ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد إلا غفرت لي، فقال الله تعالى: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب؛ لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله

تعالى: صدقت يا آدم؛ لأنه لأحب الخلق إلي،وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»، أورده الملا علي قاري في [المورد الروي في المولد النبوي]، وقال (ص٤٥، ٤٦): (رواه البيهقي في دلائله من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وقال: تفرد به عبدالرحمن ورواه الحاكم وصححه، وذكره الطبراني وزاد فيه: (وهو آخر الأنبياء من ذريتك)، ويظهر من صنيع الملا علي قاري في [المورد الروي] اعتماده على تصحيح الحاكم إياه وقد علق الشيخ محمد بن علوي على عبارة: (ورواه الحاكم وصححه) بقوله: (لا عبرة بقدح الذهبي فإنه مسرف في الحكم على الأحاديث بالنكارة والوضع دون مراعاة للطرق والشواهد).

٩ ـ ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى، آمن بمحمد وامر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن)، أورده ابن ناصر الدين في [مورد الصادي إلى مولد الهادي] وعزاه إلى [طبقات الأصبهانيين] لأبي الشيخ، وقال: (صحح الحاكم إسناده)، وأورده الزرقاني في الجزء الأول من [شرح المواهب اللدنية] (ص٤٤).

١٠ ـ ما ورد في حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في خطبة له تتعلق بشرف نسبه: «أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ابن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن

غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار» أشار إليه البرزنجي في مولده (ص٧٧) بقوله بعد سرد النسب النبوي إلى عدنان: (هذا سلك نظمت فرائده بنان السنة السنية)، وأورد ذلك الحديث الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٥٦) الطبعة الأولى وأشار إليه الشيخ محمد بن محمد بن محمد العزب في مولده بقوله (ص٦٣) بعد سرده نسب النبي ﷺ إلى عدنان:

. . . . (وإليه قد كان المشفع ينتهي).

١١ ـ حديث أن النبي ﷺ قال: «**أنا ابن الذبيحين**» يعني بهما: جده إسماعيل عليه السلام وأباه عبدالله، أورده الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٦٩).

١٢ ـ حديث وضع الحوامل الذكور في السنة التي ولد فيها النبي ﷺ كرامة له، إلى هذا الحديث أشار المناوي في مولده (ص٤٣) بقوله: (ووضعت الحوامل الذكور تعظيماً لقدوم ذاته المحمدية، وأشار إليه العزب في مولده بقوله (ص٦٦):

في عامه كل النساء كرامة للمصطفى حملت ذكوراً رشداً

١٣ ـ حديث: (أن كل دابة لقريش نطقت ليلة الحمل بمحمد ﷺ وقالت: حمل برسول الله ﷺ وفي بعض ألفاظه ما ينص على أن آسية ومريم ونساء من الحور العين حضرن ولادة النبي ﷺ) أشار البرزنجي إلى ما فيه من نطق الدواب بذلك ـ أشار إليه بقوله في مولده (ص٧٩): (ونطقت بحمله كل دابة لقريش بفصاح الألسن العربية)

قال: (وتباشرت وحوش المشارق والمغارب ودوابها البحرية وأشار إلى ما ورد في حضور آسية ومريم ونساء من الحور العين ولادته بقوله (ص١٢) ط مطبعة مصطفىٰ الحلبي: (حضر أمَّه ليلة مولده الشريف آسية، ومريم في نسوة من الحظيرة القدسية). وذكر السيد رشيد رضا أنه ورد أيضاً في قصة مولد الرياحي التونسي ذكر ذلك في (ج١ من [الفتاوى] ص٣٣٩).

١٤ ـ حديث أن النبي ﷺ قال: «**من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً**» أشار إليه البرزنجي في مولده بقوله: (ولد ـ أي: النبي ﷺ ـ نظيفاً مختوناً مقطوع السرة بيد القدرة الإلهية)، وقال الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٨٧): روى الطبراني وأبونعيم وغيرهما من طريق الحسن عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**من كرامتي على الله أني ولدت مختوناً، ولم ير أحد سوأتي**»، وعند ابن سعد من حديث عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ ولد مختوناً مسروراً) أي: مقطوع السرة، ففرح به جده، وقال: ليكونن لابني هذا شأن، وقال الحكيم أبوعبدالله الترمذي: إنه ولد مختوناً، ورغم ذكر الملا علي قاري (ص٨٨) أن الحافظ العراقي قال: لا يثبت في هذا كله ـ أي: في أنه ولد مختوناً أو في أن جده عبد المطلب ختنه ـ شيء، وأن الإمام أحمد توقف في كونه ولد مختوناً، وفي كون جده ختنه، قال المروذي[1]: سئل ـ أي الإمام أحمد ـ هل ولد النبي ﷺ مختوناً؟

---

(١) لفظ (المروذي) هو الصواب لا لفظ (المزي) الذي ورد في طبعة [المورد الروي].

فقال: الله أعلم، ثم قال: لا أدري، وقال أبوبكر بن عبدالعزيز بن جعفر من أئمة الحنابلة: قد روي أنه ﷺ ولد مختوناً مسروراً، ولم يجترىء أبوعبدالله - يعني الإمام أحمد بن حنبل - على تصحيح هذا الحديث، وقال بعض الأئمة: إن ختان جده له على ما في المروي به أشبه)، رغم ذكر علي القاري هذا كله لم يرتضه، بل تعقبه بقوله: (لكن قال الحاكم: إن الأول - يعني أنه ولد مختوناً - قد تواترت به الرواية، قال السخاوي: وهو الذي أميل إليه سيما مع قول أمه: ولدته نظيفاً).

١٥ - حديث مناغاة النبي ﷺ القمر في المهد، ذكره ابن طغر بك السياف في [النطق المفهوم] عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتك، رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك، فحيث أشرت إليه مال، قال: «**إني كنت أحدثه ويحدثني، ويلهيني عن البكاء، وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش**»، وأورده الملا علي قاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص١٠١) وذكر أنه أخرجه البيهقي والخطيب وابن عساكر في تاريخيهما. وإليه أشار المناوي في مولده (ص٤٣) بقوله: (وكان ﷺ وهو في المهد يناغي القمر ويتحرك مهده بتحريك الملائكة الروحانية وحديثه مع القمر؛ لأجل تسليته عن البكاء ونزول دموعه السجام).

١٦ - ما جاء عن بريدة رضي الله عنه قال: (رأت آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك حبلى بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدتيه فسميه أحمد أو محمداً، وعلقي عليه هذه، فانتبهت وعند

رأسها صحيفة من ذهب مكتوب عليها:

أعيذه بالواحد	من شر كل حاسدِ
وكل خَلْق رائد	من قائم وقاعد
عن السبيل حائد	على الفساد جاهد
من نافث أو عاقد	وكل خلق مارد
يأخذ بالمراصد	في طرق الموارد

أنهاهم عنه بالله الأعلى، وأحوطه منهم باليد العليا، والكنف الذي لا يرى، يد الله فوق أيديهم، وحجاب الله دون عاديهم، لا يطردونه ولا يضرونه في مقعد ولا منام، ولا سير ولا مقام، أول الليل وآخر الأيام) أورده الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي في [سبل الهدى والرشاد] (ج١ ص٣٩٤، ٣٩٥)، وذكر أنه مشهور في كتب الموالد، وأن بعض أهل السير جعل تلك الأبيات من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

١٧ ـ ما عند ابن عساكر عن سلمان رضي الله عنه قال: هبط جبريل على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول: «إن كنتُ اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً، وما خلقت خلقاً أكرم علي منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا» أورده الملا علي قاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٤٦).

١٨ ـ ما ورد في خبر وفاة النبي ﷺ أن جبريل عليه السلام قال

لرسول الله ﷺ: (يا رسول الله، هذا آخر موطئي من الأرض كنتَ حاجتي من الدنيا) ورد هذا في [مولد المناوي] (ص٨٢)[١].

هذه نبذة مما ورد في قصص المولد، وفي بعض الكتب التي بحثت في المولد من أحاديث غير صحيحة، بعد إيرادها نبين عدم صحتها، فنقول وبالله التوفيق:

أما حديث جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: (قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء، قال: «يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره» الحديث، فيؤخذ الجواب عن روايته التي أوردها القسطلاني وعزاها إلى عبدالرزاق وعن غيرها من رواياته التي أمضيناها، يؤخذ الجواب عن جميع ذلك مما يلي:

١ ـ ما في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية، حول ما جاء في أن النبي ﷺ لم يخلق مما خلق منه البشر، وإنما خلق من نور قبل المخلوقات ومنه خلقت الأشياء:

فقد قال في رسالة له في لباس الفتوة عند المتصوفة[٢]، ومسائل أخرى فشت فيهم جواباً لسؤال وجه إليه: هل خلق النبي ﷺ من النور، أم خلق من الأربع عناصر، أم من غير ذلك؟ وهل الحديث الذي يذكره

(١) طبعة شركة الشمرلي بالإسكندرية.

(٢) هي في الجزء الأول من [مجموعة الرسائل والمسائل] ط مطبعة المنار بمصر سنة (١٣٤٠ هـ).

بعض الناس: لولاك ما خلق الله عرشاً ولا كرسياً، ولاأرضاً ولاسماءً، ولا شمساً، ولا قمراً، ولا غير ذلك صحيح أم لا؟ قال في الجواب عن ذلك السؤال ما نصه: (النبي ﷺ خلق مما خلق منه البشر، ولم يخلق أحد من البشر من نور، بل قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصِف لكم**»، وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ما خلقت منه فقط، بل قد يخلق المؤمن من كافر، والكافر من مؤمن كابن نوح منه وكإبراهيم من آزر. وآدم خلقه الله من طين، فلما سواه ونفخ فيه من روحه: أسجد له الملائكة وفضله عليهم، بتعليمه أسماء كل شيء، وبأنْ خلقه بيديه وبغير ذلك؛ فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين وهؤلاء من نور. وهذه مسألة كبيرة مبسوطة في غير هذا الموضع، فإن فضل بني آدم هو بأسباب يطول شرحها هنا ، وإنما يظهر فضلهم إذا دخلوا دار القرار ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[1]، والآدمي خلق من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة، ثم انتقل من صغر إلى كبر، ثم من دار إلى دار، فلا يظهر فضله وهو في ابتداء أحواله، وإنما يظهر فضله عند كمال أحواله، بخلاف المَلَك الذي تشابه أول أمره وآخره، ومن هنا غلط من فضل الملائكة على الأنبياء حيث نظر إلى أحوال الأنبياء وهم في أثناء الأحوال قبل أن يصلوا إلى ما وعدوا به في الدار الآخرة من نهايات الكمال، وقد ظهر فضل نبينا

---

(١) سورة الرعد، الآيتان ٢٣، ٢٤.

على الملائكة ليلة المعراج لما صار بمستوى يسمع فيه صريف الأقلام وعلا على مقامات الملائكة. والله تعالى أظهر من عظيم قدرته وعجيب حكمته من صالحي الآدميين من الأنبياء والأولياء ما لم يظهر مثله من الملائكة حيث جمع فيهم ما تفرق في المخلوقات: فخلق بدنه من الأرض وروحه من الملأ الأعلى، ولهذا يقال: هو العالَم الصغير وهو نسخة العالَم الكبير، ومحمد سيد ولد آدم وأفضل الخلق وأكرمهم عليه، ومن هنا قال من قال: إن الله خلق من أجله العالم أو أنه لولا هو لما خلق عرشاً ولا كرسياً، ولا سماءً ولا أرضاً، ولا شمساً ولا قمراً، ولكن ليس هذا حديثاً عن النبي ﷺ لا صحيحاً ولا ضعيفاً، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي ﷺ، بل ولا يعرف عن الصحابة، بل هو كلام لا يدرى قائله) ا. هـ المراد من الرسالة المذكورة.

وقال في الجزء الثاني من [الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح] (ص٢٠٦) في كلامه على عبارة في الإنجيل، ظن بعض النصارى أن المراد بها وجود ذات المسيح قبل خلق الدنيا قال في ذلك الظن الخاطىء: (يضاهي ظن طائفة من غلاة المنتسبين إلى الإسلام وغيرهم الذين يقولون: إن ذات النبي ﷺ كانت موجودة قبل خلق آدم ويقولون: إنه خلق من نور رب العالمين، ووجد قبل خلق آدم، وأن الأشياء خلقت منه. حتى قد يقولون في محمد ﷺ من جنس قول النصارى في المسيح حتى قد يجعلون مدد العالم منه ويروون في ذلك أحاديث، وكلها كذب).

وجاء في تلخيص كتاب [الاستغاثة] المعروف بـ [الرد على

البكري] بصدد الرد على الاتحادية وغيرهم من الجهال (ص٩، ١٠) ما نصه: (هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذٍ ـ أي: قبل خلق آدم عليه السلام ـ موجوداً، وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة، مثل حديث فيه: أنه كان نوراً حول العرش فقال: يا جبريل، أنا كنت ذلك النور، ويدعي أحدهم أن النبي ﷺ كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل).

وقال في [الفتاوى] (ج١٨ ص٣٦٦، ٣٦٧)[1] فيما ذكره القُصَّاص: من أن الله قبض من نور وجهه قبضة، ونظر إليها فعرقت وزلقت؛ فخلق من كل قطرة نبياً، وأن القبضة كانت هي النبي ﷺ، وأنه بقي كوكباً درياً) قال فيه: (هذا كذب ـ أي على النبي ﷺ ـ باتفاق أهل المعرفة بحديثه، وكذلك ما يشبه هذا مثل أحاديث يذكرها شيرويه الديلمي في كتابه [الفردوس] ويذكرها ابن حمويه في حقائقه مثل كتاب [المحبوب] ونحو ذلك مثل ما يذكرون أن النبي ﷺ كان كوكباً وأن العالم خلق منه وأنه كان موجوداً قبل أن يخلق أبواه وأنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل وأمثال هذه الأمور فكل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بسيرته. والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي ﷺ، بل خلق كل واحد من أبويه!).

وقد نقل الزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص٢٨) هذا بإيجاز عن الإمام ابن تيمية، وذكر أن ابن كثير نقله عنه وأقره، ولفظ

---

(١) جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله تعالى.

الزرقاني: (وأما ما ذكر: أن الله قبض من نور وجهه قبضة، ونظر إليها فعرقت وزلقت فخلق الله من كل نقطة نبياً، وأن القبضة كانت هي النبي ﷺ، وأنه كان كوكباً درياً، وأن العالم كله خلق منه، وأنه كان موجوداً قبل أن يخلق أبواه، وأنه كان يحفظ القرآنَ قبل أن يأتيه جبريل وأمثال هذه الأمور، فقال أبوالعباس أحمد بن تيمية في فتاويه ونقله الحافظ ابن كثير في تاريخه وأقره: كل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بحديثه، والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي ﷺ، بل خلق كل واحد من أبويه).

٢ ـ ما في [الحاوي للفتاوي] (ج١ ص٣٢٣) أن السيوطي سئل هل الوارد في الحديث: أن الله خلق نور محمد ﷺ فجزأه أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول العرش وخلق من الجزء الثاني القلم، وخلق من الثالث اللوح ثم قسم الجزء الرابع وجزأه أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول العقل وخلق من الجزء الثاني المعرفة وخلق من الجزء الثالث نور الشمس والقمر ونور الأبصار ونور النهار وجعل الجزء الرابع تحت ساق العرش مدخوراً؟ فأجاب السيوطي عن ذلك السؤال بقوله (ص٣٢٥): (الحديث المذكور في السؤال ليس له إسناد يعتمد عليه).

٣ ـ ما في [الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية] للشيخ سليمان بن سحمان (ص١٥) حول قول صاحب تلك الشبه الداحضة: روى عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: «يا جابر إن الله تعالى خلق قبل

الأشياء نور نبيك من نوره»، فساق صاحب تلك الشبه من ذلك الخبر ما أورده القسطلاني في المواهب منه، مدعياً أن عبدالرزاق رواه بسنده عن جابر، فقد أجاب الشيخ سليمان عنه: بأنه حديث مكذوب موضوع على رسول الله ﷺ مخالف لصريح الكتاب والسنة لا حاجة بأهل الإسلام فيما يتعلق بخصائص النبي ﷺ وشمائله وفضائله إليه، ولا إلى غيره من الموضوعات، بل فيما ذكره أهل العلم بالله من حملة القرآن والسنة وأهل الحفظ والإتقان من خصائص النبي ﷺ وفضائله ومعجزاته وشمائله مما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ مقنع عما يذكر الوضاعون من الأكاذيب الموضوعة والأحاديث المصنوعة، ثم قال: (ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن هذا ـ أي: ذلك الحديث الذي يقال: بأن عبدالرزاق رواه عن جابر الأنصاري ـ من الكذب الذي لا يمتري فيه ـ أي: في كونه كذباً على رسول الله ﷺ ـ عاقل فضلاً عن العلماء الذين هم أعلم الخلق بالله وبكتابه وبرسوله وسنة نبيه.

واستدل العلامة سليمان بن سحمان في [الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية] على بطلان ذلك الحديث بأمور:

أحدها: ماثبت عن رسول الله ﷺ في بيان أول ما خلق الله من الأشياء، فقد جاء في بعض النصوص أنه القلم: روى أبوداود في سننه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يابني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: يارب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير**

كل شيء حتى تقوم الساعة» يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**».

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية: (حدثنا محمد بن كثير العبدي، أنبأنا سفيان الثوري، حدثنا أبوهاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال: (إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فكان أول ماخلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه). وجاء في بعض النصوص أن أول ما خلق الله العرش، فقد قال الإمام عثمان الدارمي في الرد على الجهمية: حدثنا محمد بن كثير العبدي، أنبأنا سفيان الثوري، حدثنا أبوهاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال: (إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فكان أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ماهو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه). ورواه أيضاً أبوالقاسم اللالكائي في كتابه في [شرح أصول السنة] من حديث يعلى عن سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد قال: قيل لابن عباس: إن ناساً يقولون في القدر، قال: يكذبون بالكتاب لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه ـ أي لآخذن بناصيته ـ إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فخلق القلم فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه)، وبعد إيراد الشيخ سليمان جملة من النصوص الواردة في الباب وتصحيحه أن العرش قبل القلم جزم بأن ذلك الحديث الذي جاء فيه أن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيه مناقض للأحاديث الواردة في أولية العرش والأحاديث الواردة في أولية القلم.

الثاني: ما في [صحيح البخاري] عن عمران بن حصين قال: إني

عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**» قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**» قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن هذا الأمر ما كان، قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء**»، ثم أتاني رجل فقال: يا عمران، أدرك ناقتك فقد ذهبت، فانطلقت أطلبها، فإذا السراب ينقطع دونها، وأيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم. قال الشيخ سليمان بن سحمان: قد سألوا النبي ﷺ عن أول هذا الأمر فأخبرهم أن الله كان ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ولو كان الله خلق نور محمد قبل الأشياء لذكره.

الثالث: ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**» فإنه يدل على أن آدم لم يخلق من نور محمد ﷺ وإنما خلق مما بينه الله في كتابه ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾﴾[1]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾﴾[2]، كما يدل هذا الحديث على أن الملائكة لم يخلقوا من نور محمد ﷺ.

الرابع: أن نور الله الذي ورد في ذلك الخبر الذي يقال: بأن عبدالرزاق رواه عن جابر قد يتوهم متوهم أنه نور الله الذي هو صفته وذلك محال؛ لأن صفة الله لا يتكون منها شيء مخلوق، وإنما تتكون

---

(١) سورة الرحمن، الآية ١٤.
(٢) سورة الحجر، الآية ٢٦.

الأشياء وتخلق بأمره تعالى وتكوينه ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾[١].

الخامس: أن قول الله تعالى: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾[٢] يدل على أن خلق الأرض متقدم على خلق السماء، وذلك الخبر الذي يقال: بأن عبدالرزاق رواه عن جابر صريح في أن السموات خلقت قبل الأرض.

السادس: أن ما تضمنه ذلك الخبر من أن النار مخلوقة من نور محمد ﷺ يتنافى غاية التنافي مع كون النار محل غضب الله وسخطه إذ لا يمكن مادام الأمر كذلك أن تكون النار مخلوقة من نور محمد ﷺ الذي هو أفضل خلق الله عز وجل.

هذا ما لخصناه من كلام الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى وجزاه خير الجزاء.

٤ ـ ما في [السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات] للشيخ محمد عبدالسلام الشقيري تعليقاً على قطعة من خطبة الشيخ عبدالرحيم بن محمد بن إسماعيل الشهير بابن نباتة الأولى لربيع الأول في المولد نصها (وقبض ـ أي: الله عزوجل ـ قبضة من نوره وقال: كوني محمداً سيد البشر[٣]، وقسم نوره أربعة أقسام: كما قد جاء في

---

(١) سورة يس، الآية ٨٢.

(٢) سورة فصلت، الآيات ٩ ـ ١٢.

(٣) في [ديوان خطب ابن نباتة] (ص٢٤، ٢٥) ط المطبعة اليوسفية بمصر بين (كوني محمداً سيد البشر) وبين (وقسم نوره) مانصه: (فكانت بين يديه كالمصباح الأنور الأزهر فشعشع ونور) وقد سقط في طبعة دار الكتب العلمية لكتاب [السنن والمبتدعات].

الخبر - فخلق من الجزء الأول اللوح والقلم، فكتب القلم ما به الله قد أمر، وخلق من الثاني العرش والكرسي وكان اسم الرسول على العرش مسطر، مكتوب عليه لا إله إلا الله لا أغفر لقائلها حتى معها يا محمد تذكر، وخلق من الثالث الشمس والقمر، ونور الفجر إذا ظهر، وخلق من الرابع الجنة والنار وما فيها من حور وقصور وثمر، فلما أراد الله أن يخلق آدم أبا البشر أفرغ على طينته من نور النبي المفتخر. وقال لها كوني آدم فكانت) فقد جاء في تعليق الشقيري على هذه القطعة (ص٩٣) من [السنن والمبتدعات] ما نصه: (مسألة خلق كل شيء من نور النبي ﷺ التي جعلها - أي ابن نباتة - موضوع خطبته قد أوضحها وبين بطلان حديثها صاحب [المنار] بالمجلد الثامن (ص٨٦٥)[1] فقد أفاض هنالك وأفاد وأجاد فجزاه الله عن تحقيق الحق خير الجزاء، وحديث: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» أخرجه عبدالرزاق ولا أصل له وليس فيه تعظيم للنبي ﷺ، بل هو مثار شبهات وشكوك في الدين قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[3]. وقد أصاب صاحب [السنن والمبتدعات] في إيضاحه أن الخبر الذي أشار إليه ابن نباته والذي يقال: بأن عبدالرزاق أخرجه لا أصل له أصاب في ذلك وأجاد، وليته اقتصر على ذلك ولم يضف إليه قوله بعد

---

(١) كذا في [السنن والمبتدعات].
(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٤.
(٣) سورة الكهف، الآية ١١٠.

ذلك ما نصه: (وقد قال محمد بن عثمان الثقفي البصري: والله الذي لا إله إلا هو إن عبدالرزاق كذاب) فإن هذا القول في عبدالرزاق ليس لمحمد بن عثمان المذكور، وإنما هو للعباس بن عبدالعظيم العنبري ولم يوافقه عليه أحد، كما بينه الإمام الحافظ الذهبي في [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] (ج٢ ص٦١٠، ٦١١) وفي [سير أعلام النبلاء] (ج٩ ص٥٧١، ٥٧٢): قال في [ميزان الاعتدال]: محمد بن عثمان الثقفي البصري قال: لما قدم العباس بن عبدالعظيم من صنعاء من عند عبدالرزاق أتيناه فقال لنا ونحن جماعة: ألستُ قد تجشمتُ الخروجَ إلى عبدالرزاق ووصلت إليه وأقمت عنده؟ فوالله الذي لا إله إلا هو إن عبدالرزاق كذاب والواقدي أصدق منه. قلت ـ القائل الحافظ الذهبي ـ: هذا ما وافق العباسَ عليه مُسْلِم، بل سائر الحافظ وأئمة العلم يحتجون به إلا في تلك المناكير المعدودة في سعة ما روى)، وقال في [سير أعلام النبلاء] ما نصه: (العقيلي في كتاب [الضعفاء] له ترجمة عبدالرزاق، حدثنا محمد بن أحمد بن حماد، سمعت محمد بن عثمان الثقفي قال: لما قدم العباس بن عبدالعظيم من عند عبدالرزاق من صنعاء قال لنا ونحن جماعة: ألست قد تجشمت الخروج إلى عبدالرزاق فدخلت إليه وأقمت عنده حتى سمعت منه ما أردت؟ والله الذي لا إله إلا هو إن عبدالرزاق كذاب والواقدي أصدق منه. قلت ـ القائل الذهبي ـ: بل والله ما بر عباس في يمينه ولبئس ما قال يعمد إلى شيخ الإسلام ومحدث الوقت ومن احتج به كل أرباب الصحاح ـ وإن كان له أوهام مغمورة وغيره أبرع في الحديث منه ـ فيرميه بالكذب ويقدم عليه الواقدي الذي أجمعت

الحفاظ على تركه[١] فهو في مقالته هذه خارق للإجماع).

وكلام أئمة العلم في الثناء على عبدالرزاق كثير يطول الكلام بمحاولة استيعابه، والذي يهمنا من كلام صاحب [السنن والمبتدعات] جزمه بأن حديث «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» لا أصل له.

هذا وبمناسبة جوابنا عن تلك القطعة التي وردت في خطب ابن نباتة، نستحسن أن نتكلم عن ابن نباتة وعن ديوان خطبه بكلام موجز مفيد، فنقول وبالله التوفيق:

ورد في ترجمة عبدالرحيم بن محمد بن إسماعيل الشهير بابن نباتة صاحب [ديوان الخطب] من [النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة] لجمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ج٤ ص١٤٦) ما نصه: (كان ـ أي عبدالرحيم المذكور ـ يحفظ [نهج البلاغة] وعامة خطبه بألفاظها ومعانيها)، وفي كلامه هذا شدة ارتباط خطب ابن نباتة بكتاب [نهج البلاغة] وهو كتاب تكلم فيه غير واحد من أهل العلم منهم الإمامان الحافظان: شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ الذهبي نصا على أنه غير معتبر، وفي كلامهما غنية عن كلام غيرهما، فلذلك نقتصر عليه فنقول:

---

(١) في حكاية الذهبي الإجماع على ترك الواقدي نظر فقد دافع عنه غير واحد من أهل العلم منهم: الحافظ أبوالفتح محمد بن محمد المعروف بابن سيد الناس في [عيون الأثر] وقد اعتمد على كلامه الإمام الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها في رسالته [نصيحة الإخوان في الرد على ابن حمدان] (ص٦٦ ـ ٧٣) جزاهما الله خير الجزاء عن الواقدي.

قال شيخ الإسلام في الجزء الرابع من [منهاج السنة] (ص٢٤) في [نهج البلاغة]: (أهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي؛ ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف فهذا الذي نقلها من أين نقلها؟! ولكن هذه الخطب بمنزلة من يدعي أنه علوي أو عباسي ولا نعلم أحداً من سلفه ادعى ذلك قط ولا أدّعي ذلك له، فيعلم كذبه فإن النسب يكون معروفاً من أصله حتى يتصل بفرعه، وكذلك المنقولات لابد أن تكون ثابتة معروفة عمن نقل عنه حتى تتصل بنا، فإذا صنف واحد كتاباً ذكر فيه خطباً كثيرة للنبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ولم يرو أحد تلك الخطب قبله بإسناد معروف ـ علمنا قطعاً أن ذلك كذب، وفي هذه الخطب ـ أي المذكورة في [نهج البلاغة] ـ أمور كثيرة قد علمنا من علي ما يناقضها)، وقال في نفس ذلك الجزء من [منهاج السنة] (ص١٥٩): (صاحب [نهج البلاغة] وأمثاله أخذوا كثيراً من كلام الناس فجعلوه من كلام علي ومنه ما يحكى عن علي أنه تكلم به، ومنه ما هو كلام حق يليق أن يتكلم به ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره؛ ولهذا يوجد في كتاب [البيان والتبيين] للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير علي، وصاحب [نهج البلاغة] يجعله عن علي. وهذه الخطب المنقولة في كتاب [نهج البلاغة] لو كانت كلها عن علي من كلامه، لكانت موجودة قبل هذا المصنف منقولة عن علي بالأسانيد وبغيرها، فإذا عرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيراً منها، بل أكثرها لا يعرف قبل هذا، علم أن هذا كذب، وإلا فليبين الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك ومن الذي نقله عن علي وما إسناده؟ وإلا فالدعوى المجردة لا

يعجز عنها أحد، ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد وتبين صدقها من كذبهـا، علم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن علي من أبعد الناس عن المنقولات والتمييز بين صدقها وكذبها).

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة علي بن الحسين المرتضى المتكلم المعتزلي من [ميزان الاعتدال] (ج٣ ص١٢٤): (من طالع كتابه [نهج البلاغة] جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ففيه السب الصراح والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهمـا، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفـس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين جزم بأن الكتاب أكثره باطل) ا.هـ. ما نقلناه عن [منهاج السنة] و[الميزان] يضاف إليه ما ورد في ترجمة الناصح من [ذيل طبقات الحنابلة] لابن رجب (ج٢ ص١٩٩): أن الناصح قال: كان أبواليمن الكندي قد أخذ على ابن نباتة في خطبه كلمات من جهة اللغة وفي قوله: الحمد لله الذي اختار البقاء لنفسه وارتضاه، قال: وكنت نظرت في خطب ابن نباتة فأخذت عليه مواضع كثيرة من حيث المعاني واعتذرت عنه في قوله: (اختار البقاء لنفسه) وحملته على محمل يصح[1] ثم قرأت هذا الكتاب على الكندي بحضرة جماعة فتغير وجهه وصار يقول في بعض المواضع: ما أراد هذا؟ فيقول: يسمع سيدنا الشيخ تمام الفصل فإن أراد كذا فباطل بكذا قال: وكان مجلسنا مشهوداً).

---

(١) كيف يعتذر عن هذه الكلمة؟

٥ ـ ما في الجزء الأول من فتاوى السيد رشيد رضا (ص٣٣٩) تعليقاً على قول إبراهيم الرياحي التونسي في قصته في المولد النبوي[١]: (إن أول ما خلق الله نور هذا النبي الأواه) ونصه: (لم تصح به ـ أي بكون نور محمد ﷺ أول ما خلق الله ـ رواية، وأقوى الروايات وأكثرها

---

(١) ذكر السيد رشيد رضا ذلك بعدما بين أن قصة المولد الرياحي كغيرها، من حيث وجود الموضوعات والواهيات فيها، وأوجب الاستغناء عما فيها من ذلك بالمناقب والآثار التي هي أوضح من النهار، وقد جاء في ترجمة مؤلف تلك القصة إبراهيم الرياحي من [فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات] للشيخ عبدالحي الكتاني (ج١ ص٤٣٩) طبعة دار الغرب الإسلامي ما نصه (للمترجَم ـ أي إبراهيم الرياحي التونسي ـ مولد نبوي مستعمل بالقطر التونسي، وختم صحيح البخاري، ورد على الوهابية، قرظه شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث وغيرها) فلا يستغرب من الرياحي مادام أمره هكذا أن يقع في الإطراء والابتداع، وممن ورث منه إبراهيم الرياحي عداوته لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب شيخه إسماعيل التميمي فقد جاء في ترجمته من تراجم المؤلفين التونسيين للشيخ محفوظ: أن من مؤلفاته [المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية] قال الشيخ محمد محفوظ (ج١ ص٢٤٨): ألفه بأمر من حموده باشا عندما بعث الشيخ محمد بن عبدالوهاب برسالة إلى الباشا الباي المذكور وضح فيها مذهبه من منع التوسل والبناء على القبور وزيارتها ـ أي على غير الطريقة الشرعية ـ وتطهير الإسلام من هذه البدع والخرافات التي أخذت صبغة القداسة مع تطاول الزمن، وأصبحت من العقائد التي ينافح عنها العلماء الذين لم تكن عقولهم هاضمة لتفكير محمد بن عبدالوهاب، وكانوا أكثر ميلاً إلى القبوريين والخرافات الشركية والبدعية، مثل إخوانهم في بقية العالم الإسلامي في هذا العصر المظلم الذي التبس فيه الباطل بالحق فتسابقوا للرد تأييداً للبدع ومقاومة للتوحيد الخالص.

في بدء الخلق أن أول شيء خلقه الله القلم)، وكذلك ما في الجزء الثاني من تلك الفتاوى (ص٤٤٧، ٤٤٨) في الكلام على ذلك الخبر المتضمن: أن أول ماخلق الله نور محمد ﷺ، وأن الله خلق كل شيء من ذلك النور ونصه: (هذا الحديث ـ حديث جابر المروي عن عبدالرزاق ـ لا أصل له، وليس فيه تعظيم لخاتم النبيين ورحمة الله تعالى للعالمين، بل هو مثار شبهات وشكوك في الدين يعسر تأويلها بما يقبله عقلاء الباحثين ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾[1]، وما الرسل إلا بشر مثلكم يوحى إليهم ما فيه هداية لكم، وما البشر إلا جند قليل من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو قال فيهم: ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾[2]، ورفع بعضهم فوق بعض درجات وجعل أفضلهم أنفعهم لعباده، ففضلية نبينا ﷺ على الناس أنه اختاره من خلقه لهداية جميع الناس في طور ارتقائهم واستعدادهم للاتصال بعضهم ببعض فهو ﷺ أنفع الناس للناس، ولو كان هو الأصل لجميع المخلوقات وفرضنا أن هذا معقول، أو أنه تعالى يكلفنا ما ليس في وسعنا أن نعقله لصرح بذلك في كتابه المبين الذي ما فرط فيه في شيء من مهمات الدين، أو لروي برواية صححها جماهير المحدثين وكل ذلك لم يكن، فانفراد عبدالرزاق بهذا لا يكفي في القول بهذه المسألة التي لا يتصورها عقل ولا يشهد لها نقل. ثم أورد السيد رشيد رضا كلام بعض أهل الحديث في عبدالرزاق، وأورد منه قول العباس بن

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

عبدالعظيم العنبري: والله الذي لا إله إلا هو إن عبدالرزاق كذاب والواقدي أصدق منه، وذكر أن الحافظ الذهبي تعقب قول العنبري بقوله: (قلت: هذا ما وافق العباس عليه مسلم، بل سائر الحفاظ وأئمة العلم يحتجون به إلا في تلك المناكير المعدودة في سعة ما روى، ونقل عن الذهبي أنه قال في ترجمة أحمد بن عبدالله ابن أخت عبدالرزاق: قال ابن حبان: كان يدخل على عبدالرزاق الحديث، فكل ما وقع في حديث عبدالرزاق من المناكير فبليته منه. وقال: كذبه أحمد والناس.

ومما ذكره السيد رشيد رضا في كلامه على هذا الخبر قوله في (ص٤٤٦): (إذا رجعت إلى استقصاء ما رووه ـ أي أهل الحديث ـ في خلق العالم، تراهم أهملوا ذلك الحديث ـ أي الذي يقال: بأن عبدالرزاق رواه عن جابر ـ ورووا ما يخالفه، كحديث عبادة بن الصامت عند أبي داود والترمذي: «**إن أول ما خلق الله القلم**» الحديث، وهو عند ابن أبي شيبة وأبي نعيم في [الحلية] والبيهقي عن ابن عباس: «**أن أول شيء خلقه الله القلم، فأمره فكتب كل شيء يكون**».

٦ ـ ما في [المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير] للشيخ أبي الفيض أحمد ابن أبي عبدالله محمد بن الصديق الغماري الحسني (ص٦، ٧) بصدد انتقاده صنيع السيوطي فيما يورده في كتبه من الأحاديث ونصه: (يورد ـ أي السيوطي ـ الحديث الموضوع الذي في نفس متنه ما يدل دلالة واضحة على وضعه؛ كطوله

المفرط، واشتماله على الألفاظ الركيكة، والمعاني المنكرة، فيذكر منه قطعة صالحة، أو يقتصر على أوله الذي ليس فيه نكارة ظاهرة ويترك باقيه الدال على وضعه، موهماً أحياناً أن ذلك هو الحديث بتمامه ويشير أحياناً إلى أن له بقية بقوله: (الحديث)، كما فعل في حديث جابر: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر»، فإنه أورد في [الخصائص الكبرى] قطعة من أوله وهي المشهورة في كتب من جاء بعده من المؤلفين في السير والخصائص، كـ [المواهب اللدنية] للقسطلاني الذي اتهمه الحافظ السيوطي أنه أخذها من كتابه [الخصائص]، كما هو معروف، وقال عقبه: (الحديث) وهو حديث موضوع لو ذكره بتمامه لما شك الواقف عليه في وضعه، وبقيته تقع في نحو ورقتين من القطع الكبير، مشتملة على ألفاظ ركيكة ومعانٍ منكرة، وقد ذكره بتمامه الديار بكري في [الخميس في سيرة أنفس نفيس] ﷺ فأحسن في ذلك[1] غاية الإحسان. انتهى ما في [المغير]. ولفظ الديار بكري الذي أشار إليه الغماري وهو في الجزء الأول من [تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس] (ص١٩، ٢٠) عن جابر بن عبدالله الأنصاري، سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله قال: «هو نور نبيك يا جابر، خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شيء، وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: خلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام

---

(١) أي: أحسن في ذكره بتمامه؛ لأن ذلك يبين وضعه وإلا فالديار بكري نفسه لا يدري عن درجته شيئاً.

الرابع في مقام الحب اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام: فخلق الخلق من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق الملائكة من جزء، وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق العقل من جزء والحلم والعلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة ثم نظر الله سبحانه إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبي أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري والروحانيون من الملائكة من نوري وملائكة السموات السبع من نوري والجنة وما فيها من النعيم من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والشهداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق سبحانه اثني عشر حجاباً فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين، فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض وكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب، كالسراج في الليل المظلم ثم خلق الله آدم في الأرض وركب فيه النور في جبينه،

ثم انتقل منه إلى شيث ومنه إلى يانش، وهكذا كان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن أوصله الله تعالى إلى صلب عبدالله بن عبدالمطلب، ومنه إلى رحم آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين، وقائد الغر المحجلين، هكذا بدأ خلق نبيك يا جابر» ا.هـ ماذكره الديار بكري.

فإن قيل: قد ورد في باب خلق النبي ﷺ من نور الله عز وجل وخلق غير النبي ﷺ من نور النبي ﷺ حديث رواه أبونعيم في أماليه قال: حدثنا محمد بن محمد بن عمرو بن زيد إملاء، حدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا أبوشعيب صالح بن زياد السوسي، حدثنا الهيثم بن جميل، حدثنا أبومعشر عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (خلقني الله من نوره وخلق أبا بكر من نوري وخلق عمر من نور أبي بكر وخلق أمتي من نور عمر، وعمر سراج أهل الجنة) نجيب بأن ذلك الحديث ذكره الذهبي في ترجمة أحمد بن يوسف المنبجي من [الميزان] (ج١ ص١٦٦) من طريق أبي نعيم وجزم بأنه كذب، وأن آفته المنبجي، وهو غير معروف.

ثم قال الذهبي: (قال أبونعيم ـ أي: في هذا الخبر ـ: هذا باطل يخالف كتاب الله) ثم أخذ أبونعيم يتكلم على رجاله بكلام غير مفيد، فقال: (أبومعشر ترك ولم يخرجا له، وأما أبوشعيب فمتروك، متفق على تركه، وكذلك الهيثم، ولم يخرج عنه شيء في الصحيحين، قلت ـ القائل الذهبي ـ: ما حدث به واحد من الثلاثة، وإنما الآفة عندي فيه المنبجي).

وأيد الحافظ ابن حجر في [لسان الميزان] (ج١ ص٣٢٨، ٣٢٩) تحميل الذهبي ذلك المنبجي مسؤولية هذا الحديث بقوله: (قد أورد له

ـ أي للمنبجي ـ ابن عبدالبر في [التمهيد] حديثاً من رواية عثمان بن محمد بن عثمان البغدادي عنه ـ أي عن المنبجي ـ عن حاجب بن سليمان، عن وكيع، عن مالك، عن سمي، عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم الناس ما للمسافر لأصبحوا على ظهر سفر إن الله لينظر إلى المغرب كل يوم مرتين» قال بعده: هذا حديث غريب لا أصل له في حديث مالك ولا في حديث وكيع، وليس في روايته من ينظر في أمره غير المنبجي).

وأما خبر: «كنت نبياً وآدم بين الماء الطين» فخبر باطل، صرح بذلك أئمة الحديث. ودعوى الشيخ محمد بن علوي المالكي أن العلقمي صححه في [شرح الجامع الصغير] دعوى مخالفة لنقل العزيزي في [شرح الجامع الصغير] (ج٣ ص١٠٤) عن العلقمي أنه قال مانصه: (تنبيه: ما اشتهر على الألسنة بلفظ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، فقال ابن تيمية والزرعي وغيرهما: لا أصل له، وكذا (كنت نبياً وآدم لاماء ولاطين) ا.هـ ما نقله العزيزي عن العلقمي،وهو الصواب، لا ما عزاه إليه السيد محمد بن علوي، ولو فرضنا أن العلقمي قال ذلك فهو خطأ منه.

وأما قول الملا علي قاري في خبر «كنت نبياً وآدم بين الماء الطين»: هو وإن قال بعض الحفاظ: لم نقف عليه بهذا اللفظ، لكن جاء معناه بطرق صحيحة،وجزمه بأن تلك الأحاديث التي سردها تشهد لمعناه فغير صحيحين، فإن معنى لفظ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» باطل لم يجيء في حديث ثابت، والأحاديث التي ذكرها لا

كما أوضحه شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في كثير من مصنفاته غاية الإيضاح.

فقد قال في رسالته التي صنفها ـ في حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية (ص٦٢ ـ ٦٥)[١]: (ثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج، بل العالم يعلم الشيء ويتكلم به ويكتبه وليس لذاته في الخارج ثبوت ولا وجود أصلاً. وهذا هو تقدير الله السابق لخلقه، كما في [صحيح مسلم] عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»، وفي [سنن أبي داود] عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: «**أول ماخلق الله القلم فقال: اكتب قال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»، وقال ابن عباس: إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون، ثم قال لعلمه: كن كتاباً، فكان كتاباً، ثم أنزل تصديق ذلك في كتابه فقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ﴾[٢]، وهذا هو معنى الحديث الذي رواه أحمد في مسنده عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كتبت نبياً؟ وفي رواية: متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**» هكذا لفظ الحديث الصحيح.

---

(١) حقيقة مذهب الاتحاديين ضمن المجموعة التي أولها الرسالة العرشيـــة، طبعة المنار.

(٢) سورة الحج، الآية ٧٠.

وأما ما يرويه هؤلاء الجهال كابن عربي في [الفصوص] وغيره من جهال العامة «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، «كنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين» فهذا لا أصل له: ولم يروه أحد من أهل العلم الصادقين ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ، بل هو باطل، فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط، فإن الله خلقه من تراب، وخلط التراب بالماء حتى صار طيناً، ويبس الطين حتى صار صلصالاً كالفخار فلم يكن له حال بين الماء والطين مركب من الماء والتراب، ولو قيل: بين الماء التراب لكان أبعد عن المحال مع أن هذه الحال لا اختصاص لها وإنما قال: «**بين الروح والجسد**»، وقال: «**وإن آدم لمنجدل في طينته**»؛ لأن آدم بقي أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾الآية[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ﴾الآيتين[2]، وقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾الآيتين[3]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾[4]، والأحاديث في خلق آدم ونفخ الروح فيه مشهورة في كتب الحديث والتفسير وغيرهما، فأخبر ﷺ أنه كان نبياً أي: كتب نبياً وآدم بين الروح والجسد. وهذا ـ والله أعلم ـ لأن هذه الحالة فيها يقدر التقدير الذي يكون بأيدي ملائكة

---

(١) سورة الإنسان، الآية ١.
(٢) سورة الحجر، الآية ٢٨.
(٣) سورة السجدة، الآية ٧.
(٤) سورة ص، الآية ٧١.

الخلق فيقدر لهم ويظهر لهم ويكتب ما يكون من المخلوق قبل نفخ الروح فيه، كما أخرج الشيخان في الصحيحين وفي سائر الكتب الأمهات حديث الصادق المصدوق، وهو من الأحاديث المستفيضة التي تلقاها أهل العلم بالقبول، وأجمعوا على تصديقها، وهو حديث الأعمش عن زيد بن وهب، عن عبدالله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه، وأجله وعمله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، وقال: فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة**»، فلما أخبر الصادق المصدوق أن الملك يكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد بعد خلق الجسد وقبل نفخ الروح وآدم هو أبوالبشر كان أيضاً من المناسب لهذا أن يكتب بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه ما يكون منه. ومحمد ﷺ سيد ولد آدم فهو أعظم الذرية قدراً وأرفعهم ذكراً فأخبر ﷺ أنه كتب نبياً حينئذٍ.

وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته، فإنه كون في التقدير الكتابي ليس كوناً في الوجود العيني إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين من عمره ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ

إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾الآية[١]، وقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾الآية[٢]، وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾الآية[٣]، ولذلك جاء هذا المعنى مفسراً في حديث العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجـــدل في طينته وسأخبركم بأول أمري: دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام**» هذا لفظ الحديث من رواية ابن وهب، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرباض رواه البغوي في [شرح السنة] هكذا، ورواه الليث بن سعد عنه ـ أي معاوية بن صالح ـ نحوه، ورواه الإمام أحمد في [المسند] عن ابن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح بالإسناد ـ أي المتقدم ـ عن العرباض قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم**» الحديث وفيه: «**كذلك أمهات النبيين يرين**»، وقوله: «**لمنجدل في طينته**» أي: ملتف ومطروح على وجه الأرض صورة من طين لم تجر فيه الروح بعد).

وقال شيخ الإسلام أيضاً في (ص١٢٦، ١٢٧) من هذا الكتاب [حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود] قال: (إن الله علم الأشياء وقدرها قبل أن يكونها، ولا تكون موجودة بحقائقها إلا حين

---

(١) سورة الشورى، الآية ٥٢.
(٢) سورة الضحى، الآية ٦.
(٣) سورة يوسف، الآية ٣.

توجد، ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم، ولم تكن حقيقته ﷺ موجودة قبل أن يخلق إلا كما كانت حقيقة غيره بمعنى: أن الله علمها وقدرها، لكن كان ظهور خبره واسمه مشهوراً أعظم من غيره فإنه كان مكتوباً في التوراة والإنجيل وقبل ذلك، كما روى الإمام أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ: **«إني لعند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي رأت حين ولدتني كأنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام»**.

وحديث ميسرة الفجر قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ وفي لفظ: متى كتبت نبياً؟ قال: **«وآدم بين الروح والجسد»**. وهذا لفظ الحديث. وأما قوله: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» فلا أصل له لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ وهو باطل فإنه لم يكن بين الماء والطين، إذ الطين ماء وتراب ولكن لما خلق الله جسد آدم قبل نفخ الروح فيه كتب نبوة محمد ﷺ وقدرها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: **«إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح»** قال: فأين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة؟

وقال شيخ الإسلام في [أحاديث القصاص] (ص٨٧) في لفظ: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)، ولفظ: (كنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين)، قال في لفظ كل واحد منهما: هذا اللفظ باطل، ولكن اللفظ

المأثور الذي رواه الترمذي وغيره أنه قيل: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»، وفي السنن عن العرباض بن سارية أنه قال: «**إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته**».

وجاء في [تلخيص كتاب الاستغاثة] المعروف بـ [الرد على البكري] (ج١ ص٨ ـ ١٠) ما نصه: (قد روى أبوبكر الآجري وابن الجوزي آثاراً في أن اسم النبي ﷺ كان مكتوباً على ساق العرش وعلى أبواب الجنة وهذا ممكن، فإنه قد ثبت عن ميسرة قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ وفي رواية: متى كتبت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»، وفي [مسند أحمد] وغيره بإسناد حسن عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ قال: «**إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول أمري: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي رأت حين ولدتني كأنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام**»، وفي حديث أبي هريرة، سئل النبي ﷺ: متى وجبت لك النبوة؟ قال: «**بين خلق آدم ونفخ الروح فيه**»رواه الترمذي وحسنه.

فتبين من هذه الأحاديث أن الله كتب اسمه بعد خلق آدم وقبل نفخ الروح فيه. وأما ما يرويه كثير من الجهال والاتحادية وغيرهم من أنه قال: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، وآدم لا ماء ولا طين) فهذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحداً من المحدثين لم يذكره ومعناه باطل فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد، ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذٍ موجوداً وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه: (أنه

كان نوراً حول العرش) فقال: (يا جبريل، أنا كنت ذلك النور).
ويدعي أحدهم أن النبي ﷺ كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل).

والمقصود هنا: أن الله سبحانه وتعالى كتبه نبياً بعد خلق آدم قبل نفخ الروح فيه. وهو موافق لما أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود: «**إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك**» إلى آخره، بين فيه خلق الجنين وتنقله من حال إلى حال؛ فناسب هذا أنه بين خلق آدم ونفخ الروح فيه تكتب أحواله، ومن أعظمها كتابة سيد ولده، وإذا كان هذا ثابتاً أمكن أن يكتب اسمه، كما رواه بالإسناد لكن الجزم بثبوته ـ أي ما روى الآجري وابن الجوزي من الآثار في أن اسم النبي ﷺ كان مكتوباً على ساق العرش وعلى أبواب الجنة ـ يحتاج إلى دليل يثبت بمثله، فما علمناه قلناه وما لم نعلمه أمسكنا عنه. والرب تعالى قد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء قد علمهم وما هم عاملون، ثم أبرزهم في أحايين قدَّرها فكل يوم هو في شؤون يبديها لا شؤون يبتديها).

وعلى هذا الذي أوضحه ابن تيمية في لفظ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» اعتمد تلميذه شمس الدين ابن القيم قال في فتاوى إمام المتقين ورسول رب العالمين التي ختم بها كتابه [إعلام الموقعين]: (سئل ﷺ متى وجبت لك النبوة؟ وفي لفظ: متى كنت نبياً؟ فقال: «وآدم بين الروح والجسد» هذا هو اللفظ الصحيح. والعوام يروونه (بين الماء والطين) قال شيخنا ـ يعني الإمام ابن تيمية ـ: وهذا باطل، وليس بين الماء والطين مرتبة، واللفظ المعروف ما ذكرناه) ا. هـ كلام ابن القيم.

كما اعتمد السخاوي في فتاويه على قول شيخ الإسلام تقي

الدين ابن تيمية ببطلان لفظ «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، ولفظ «كنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين» وأتبع السخاوي ذلك قوله: (وناهيك به ـ أي بالإمام ابن تيمية ـ اطلاعاً وحفظاً، أقر له بذلك المخالف والموافق قال: وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا؟ وقد قال فيه الحافظ الذهبي: ما رأيت أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه، وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة) أفاد ذلك الزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص٣٣).

وممن سلك مسلك شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في تلك الأحاديث التي ادعى الملا علي قاري أنها تشهد لمعنى (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) ـ ممن سلكه الإمام ابن كثير فيها حيث ذكر في (كتاب مبعث النبي ﷺ وذكر شيء من البشارات بذلك)، من [البداية والنهاية] (ج٢ ص٣٠٦، ٣٠٧) ذكر حديث أبي أمامة رضي الله عنه عند أحمد: (قلت: يا رسول الله، ما كان بدء أمرك؟ قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام**»، وذكر أن المراد به بدء أمر النبي ﷺ واشتهاره، وانتشاره، فذكر دعوة إبراهيم الذي تنسب إليه العرب، ثم بشرى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وأن هذا يدل على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضاً، ذكر ذلك كله ثم قال: (أما في الملأ الأعلى فقد كان أمره مشهوراً مذكوراً معلوماً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام، كما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني**

عند[١] **الله خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين**[٢] **يرين»**، وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال: «**إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام**».

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا عبدالرحمن، حدثنا منصور بن سعد، عن بديل بن ميسرة، عن عبدالله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: قلت: يارسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»، تفرد بهن أحمد. وقد رواه عمر بن أحمد بن شاهين في كتاب [دلائل النبوة] من حديث أبي هريرة فقال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز ـ يعني: أبا القاسم البغوي ـ حدثنا أبوهمام الوليد بن مسلم عن الأوزاعي، حدثني يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ متى وجبت لك النبوة؟ قال: «**بين خلق آدم ونفخ الروح فيه**»، ورواه من وجه آخر عن الأوزاعي به وقال: «**وآدم منجدل في طينته**»، وروى عن البغوي أيضاً عن أحمد بن المقدام

---

(١) لفظ (عند) بنون بعد العين ووقع في [البداية والنهاية] (عبد) بالباء، وهو كما في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص١١٦) تحريف؛ إذ ليس القصد الإخبار في هذا الحديث بأنه عبدالله، بل بأنه مكتوب عنده خاتم النبيين، وعلى الصواب ورد هذا اللفظ في [تفسير ابن كثير] (ج٤ ص٣٦٠) في تفسير ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

(٢) لفظ (النبيين) هو الصواب، لا ما ورد في [البداية والنهاية] بلفظ (المؤمنين)، وقد ذكر الزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] أن لفظ (المؤمنين) ورد في بعض نسخ [المواهب اللدنية] وجزم بأنه تحريف وأن الصواب (النبيين)، قلت: وهو ـ أي لفظ (النبيين) ـ الوارد في [تفسير ابن كثير] (ج٤ ص٣٦٠).

عن بقية عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي هريرة مرفوعاً في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**»، ومن حديث أبي مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي عن ابن عباس قيل: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**». وقال ابن كثير في ذلك الجزء من [البداية والنهاية] (ص٣٢٠ ـ ٣٢٢) ما نصه: قد روى الحافظ أبونعيم في كتاب [دلائل النبوة] من طرق عن الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، سئل النبي ﷺ متى وجبت لك النبوة؟ قال: «**بين خلق آدم ونفخ الروح فيه**»، وهكذا رواه الترمذي من طريق الوليد بن مسلم، وقال: حسن غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال أبونعيم: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي، حدثنا أبوجعفر النفيلي، حدثنا عمرو بن واقد عن عروة بن رويم، عن الصنابحي قال: قال عمر: يا رسول الله، متى جعلت نبياً؟ قال: «**وآدم منجدل في الطين**»، ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر الجعفي عن الشعبي عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»، ثم قال ابن كثير: (وفي هذا المعنى ـ أي التنويه بشرف النبي ﷺ وعلو قدره ـ الحديث الذي قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم**

لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين». ورواه الليث وابن وهب، عن عبدالرحمن بن مهدي وعبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح وزاد (إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرحمن، حدثنا منصور بن سعد، عن بديل، عن عبدالله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**» إسناده جيد أيضاً، وهكذا رواه إبراهيم بن طهمان وحماد بن زيد وخالد الحذاء، عن بديل بن ميسرة به، ورواه أبونعيم عن محمد بن عمر بن أسلم عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي عن شيبان عن الحسن بن دينار عن عبدالله بن سفيان عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»، وقال الحافظ أبونعيم في كتابه [دلائل النبوة]: حدثنا أبوعمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم عن خليد بن دعلج وسعيد، عن قتادة عن الحسن، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾[١]، قال: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**»، ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقية عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً مثله، وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال: ذكر لنا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧.

أن رسول الله ﷺ قال مثله، وهذا أثبت وأصح، والله أعلم. وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملأ الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح؛ لأن علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والأرض لا محالة، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملأ الأعلى، والله أعلم.

وقد أورد أبونعيم من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم**»، وزاد أبونعيم في آخره: فكان ﷺ آخرهم في البعث وبه ختمت النبوة وهو السابق يوم القيامة؛ لأنه أول مكتوب في النبوة والعهد)، ثم قال: (ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله ﷺ لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته مما سبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر الزمان. وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه ولله الحمد).

وبعد كتابتنا ما كتبنا حول دعوى للملا علي قاري أن الأحاديث التي سردها في [المورد الروي في المولد النبوي] بصدد كلامه على خبر: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» ـ تشهد لمعنى ذلك الخبر الموضوع الذي يحاول تصحيح معناه، بعد ذلك وجدنا في الجزء الخامس من [شرح مشكاة المصابيح] لعلي القاري طبعة بمباي (ص٣٦٧) ما نصه: (أما ما يدور على الألسنة بلفظ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، فقال السخاوي: لم أقف عليه بهذا اللفظ فضلاً عن زيادة: «كنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين»، وقال الحافظ ابن حجر في

بعض أجوبته: إن الزيادة ضعيفة وما قبلها قوي. وقال الزركشي: لا أصل له بهذا اللفظ، ولكن في الترمذي (متى كنت نبياً؟) قال: «**وآدم بين الروح والجسد**» قال السيوطي: وزاد العوام (ولا آدم ولا ماء ولا طين) ولا أصل له أيضاً) ا. هـ كلام الملا علي قاري، كما وجدنا في شرح حديث «**بعثت من خير قرون بني آدم**» الحديث من ذلك الجزء من [المرقاة شرح المشكاة] (ص٣٥٧) ما نصه: (قد ذكرت مجملاً من أحوال ولادته ﷺ في رسالة مستقلة سميتها بـ [المورد في المولد].

فبناءً على هذين الأمرين لا نستبعد أن يكون علي القاري قد رجع عما في [المورد الروي] إلى ذلك الذي نقلناه عن [المرقاة]، وعلى كلٍّ فالصواب ما بيّنه أئمة العلم من كون ذلك الخبر (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) موضوع اللفظ باطل المعنى.

وأما حديث: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**» فقد أجاد الحافظ ابن كثير الكلام عليه في تفسيره وفي تاريخه: قال في تفسيره في الكلام على الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ الآية (قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبوزرعة الدمشقي، حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير، حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[1]، قال النبي ﷺ: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم**»، سعيد بن بشير فيه ضعف وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة موقوفاً، والله أعلم)، وقال في

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧.

[البداية والنهاية] (ج٢ ص٣٢١): قال الحافظ أبونعيم في كتابه [دلائل النبوة]: حدثنا أبوعمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم عن خليد بن دعلج[1] وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[2] قال: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**»، ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقية عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً مثله، وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال مثله. هذا أثبت وأصح والله أعلم)، وسعيد بن بشير هذا الذي أعل به ابن كثير هذا الحديث، أفاد ابن كثير في تفسير سورة لقمان من تفسيره (ج٣ ص٤٤٤) أن سبب الكلام فيه أثر رواه في شأن لقمان عند ابن أبي حاتم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا العباس بن الوليد، حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي، حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال: خيَّر الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة، قال: فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة أو رش عليه الحكمة، قال: فأصبح ينطق بها قال سعيد: فسمعت عن قتادة يقول: قيل للقمان: كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك؟ فقال: إنه لو أرسل إليَّ بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه، ولكنت أرجو أن أقوم بها، ولكن خيرني فخفت أن أضعف

(١) خليد بن دعلج ضعيف.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٧.

عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي)، استغرب ابن كثير هذا الأثر بعد أن ساقه ثم قال: هذا من رواية سعيد بن بشير، وفيه ضعف، قد تكلموا فيه بسببه، والله أعلم) ا.هـ كلامه. والذين تكلموا في سعيد بن بشير ذكرهم الذهبي فقال: قال فيه البخاري: يتكلمون في حفظه، وقال عثمان عن ابن معين: ضعيف، وقال عباس عن ابن معين: ليس بشيء، وقال الفلاس: حدثنا عنه ابن مهدي ثم تركه، وقال النسائي: ضعيف، وقال يعقوب الفسوي: سألت أبا مسهر عن سعيد بن بشير فقال: لم يكن في جندنا أحفظ منه، وهو ضعيف منكر الحديث، وقال ابن نمير: يروي عن قتادة المنكرات، وذكره أبوزرعة في [الضعفاء]، وقال: لا يحتج به، ذكر جميع ذلك الذهبي في ج٢ من [ميزان الاعتدال]، وذكر أن هذا الحديث الذي رواه بقية قال: حدثني سعيد بن بشير، حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**»، من غرائبه هذا ما يتعلق بسند حديث: «**كنت أول النبيين في الخلق**» الحديث، وأما معناه على فرض ثبوته فيتضح من كلام ابن كثير في كتاب مبعث النبي ﷺ وذكر شيء من البشارات بذلك من [البداية والنهاية] (ص٣٠٧) أنه من الأحاديث التي تدل على أن أمر النبي ﷺ في الملأ الأعلى كان مشهوراً مذكوراً معلوماً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام.

وأما خبر (لما أراد الله أن يخلق محمداً ﷺ أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها، قال: فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الأعلى فقبض قبضة رسول الله ﷺ من

موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم في معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والأرض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلائق سيدنا محمداً ﷺ وفضله قبل أن تعرف آدم)، فمداره على كعب الأحبار، كما يتبين من مراجعة [المواهب اللدنية] للقسطلاني وشرحه للزرقاني (ج١ ص٤٢)، وزاد الزرقاني قوله فيه: (هو إما عن الكتب القديمة؛ لأنه حبرها، أو عن المصطفى بواسطة، فهو مرسل).

وأما لفظ: «كنت نوراً بين يدي ربي» ففي أحكام ابن القطان عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام» نقل ذلك القسطلاني في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص٤٩) عن ابن مرزوق لكن لم يذكر سند ابن القطان إلى علي بن الحسين فلذلك لا يمكن الاعتماد على هذا الحديث.

وقد وجدنا في الجزء الثاني من [فضائل الصحابة] للإمام أحمد بن حنبل تحت عنوان (ومن فضائل علي رضي الله عنه من حديث أبي بكر بن مالك عن شيوخه غير عبدالله) (ص٦٦٢، ٦٦٣) وجدنا فيه هذا الحديث من رواية القطيعي إياه بسنده عن سلمان رضي الله عنه قال: (حدثنا الحسن قال: حدثنا أحمد بن المقدام العجلي قال: حدثنا الفضيل بن عياض قال: حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن زاذان عن سلمان قال: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول:

«كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزوجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزأين فجزء أنا وجزء علي عليه السلام» هكذا جاء بهذا الإسناد في [فضائل الصحابة] من زيادات أبي بكر القطيعي، وزيادات القطيعي في [فضائل الصحابة] وغيره من كتب الإمام أحمد فيها أحاديث موضوعة، كما قرره الإمام ابن تيمية في الجزء الرابع من [منهاج السنة] (ص٢٧) ط المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر. ولا شك في أن هذا الحديث من ذلك الباب، والمتهم بوضعه الحسن بن علي بن زكريا بن صالح أبوسعيد العدوي البصري الملقب بالذئب شيخ أبي بكر بن مالك القطيعي وهو هالك، قال الذهبي في [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] في ترجمته: (قال الدارقطني: متروك، وقال حمزة السهمي: سمعت أبا محمد الحسن بن علي البصري يقول: أبوسعيد العدوي كذاب على رسول الله ﷺ يقول عليه ما لم يقل، وزعم لنا أن خراشاً حدثه عن أنس، وأن عروة بن سعيد حدثه عن ابن عون بنسخه. وقال ابن عدي فيه: عامة ما حدث به إلا القليل موضوعات وكنا نتهمه، بل نتيقن أنه هو الذي وضعها) كما نقل الذهبي عن ابن عدي أنه قال في الحسن بن علي بن صالح أبي سعيد العدوي البصري: (يضع الحديث روى عن خراش عن أنس أربعة عشر حديثاً، وحدث عن جماعة لا يدرى من هم وحدث عن الثقات بالبواطل)، وعن ابن حبان أنه قال فيه: لعله قد حدث عن الثقات بالأشياء الموضوعات ما يزيد على ألف حديث، وعن أبي أحمد الحاكم أنه قال: فيه نظر، يقـال حبسه إسماعيل القاضي إنكاراً عليه، وذكر الذهبي أن ابن عساكر قال في تاريخه: أنبأنا أبوغالب، أنبأنا

أبومحمد الجوهري، أخبرنا أبوعلي محمد بن أحمد بن يحيى حدثنا أبوسعيد العـــدوي ـ وهو الحسن بن علي بن زكريا بن صالح ـ حدثنا أبوالأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض، عن ثور، عن خالد بن معدان، عن زاذان، عن سلمان، عن النبي ﷺ قال: «كنت أنا وعلي نوراً يسبح الله ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام». وذكر الحديث. هذا ما أورده الذهبي عن الحسن بن علي بن صالح أبي سعيد العدوي بسنده إلى سلمان من طريق ابن عساكر في تاريخه وعنده (بأربعة آلاف عام) بدل (بأربعة عشر ألف عام) التي جاءت في رواية غير ابن عساكر، والرجل على كل حال هو كما قال الذهبي: شيخ قليل الحياء لا يفكر فيما يفتريه)، يضاف إلى ذلك أن هذا الحديث (كنت نوراً بين يدي ربي) يتناوله قول الإمام ابن تيمية في [حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية] (ص١٢٧، ١٢٨) في الرد على من قال: بأن حقيقة النبي ﷺ كانت موجودة قبل أن يخلق (ما يروى في هذا الباب من الأحاديث هو من هذا الجنس ـ أي جنس (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) مثل كونه كان نوراً يسبح حول العرش أو كوكباً يطلع في السماء) ونحو ذلك كما ذكره ابن حمويـــه صاحـــب ابن عربـــي، وذكر بعضه عمر الملا في [وسيلة المتعبدين] وأمثالهم ممن يروي الموضوعات المكذوبات باتفاق أهل المعرفة بالحديث فإن هذا المعنى رووا فيه أحاديث كلها كذب حتى إنه اجتمع بي قديماً شيخ معظم من أصحاب ابن حمويه يسميه أصحابه سلطان الأقطاب، وتفاوضنـــا في كتاب [الفصوص] وكان معظماً له ولصاحبه حتى أبديت له بعض ما فيه، فهاله ذلك وأخذ يذكر مثل هذه

الأحاديث، فبينت له أن هذا كله كذب).

قلت ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ: مما ورد في ذلك ما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عليه السلام فقال: يا جبريل كم عُمِّرت من السنين؟ فقال: يا رسول الله، لست أعلم غير أن في الحجاب الرابع نجماً يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة، رأيته اثنين وسبعين ألف مرة، فقال: يا جبريل وعزة ربي جل جلاله أنا ذلك الكوكب، عزاه علي بن برهان الحلبي في [السيرة الحلبية] (ج١ ص٣٦) إلى كتاب اسمه [التشريفات في الخصائص والمعجزات] لم يقف على اسم مؤلفه، وذكر أن ذلك الكتاب عزاه إلى البخاري، قلت: ليس في البخاري وإنما هو موضوع، كما ذكره التقي ابن تيمية جزاه الله عن الإسلام خير الجزاء. وإلى هذا الخبر الباطل أشار الشيخ محمد بن عثمان الميرغني في مولده المسمى [الأسرار الربانية] (ص٩، ١٠) بقوله: (وقال ﷺ لجبريل: كم عمرت يا جبريل؟ قال: لا أدري رواية جلية، غير أن كوكباً يبدو في الحجاب الرابع: يا معشر الإخوان بعد كل سبعين ألف سنة مرة فهذه علامات اجتبائية، وقد رأيته اثنين وسبعين ألف مرة بلا نقصان، فقال ﷺ تعريفاً بمقامه وأسراره المصطفوية: وعزة ربي أنا ذلك الكوكب الذي رأيته يا جبريل في حجاب المنان)

وأما تعليق الشيخ محمد بن علوي المالكي على لفظ «كنت نوراً» الوارد في طبعتيه لـ [مولد ابن الديبع] فترد عليه أمور:

أولها: أن لفظ «كنت نوراً» الذي عزاه السيد محمد بن علوي

المالكي إلى مسند العدني ليس عند العدني، وإنما عنده (أن قريشاً كانت نوراً) ومن طريقه رواه الآجري في باب قول الله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ من [كتاب الشريعة] (ص٤٣٠) قال: (حدثنا أبومحمد عبدالله بن صالح البخاري، قال: حدثنا محمد بن أبي عمر العدني، قال: حدثني عمر بن خالد، قال: حدثنا أبوعبدالله محمد الحُبُلِّي عن عبدالله بن الفرات، عن عثمان بن الضحاك، عن ابن عباس: أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله عزوجل آدم عليه السلام ألقى ذلك النور في صلبه) إلى آخر روايته المتقدمة، وبهذا اللفظ لفظ «إن قريشاً كانت نوراً» ورد هذا الحديث في [الشفا...] للقاضي عياض فعزاه السيوطي في [مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا] (ص١٣)، والشهاب الخفاجي في [نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض] (ج١ ص٤٣٥) إلى العدني، كما عزاه الزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص٤٩) إلى العدني بلفظ: (أن قريشاً أي المسعدة بالإسلام ـ ولفظ الزرقاني: روى محمد بن أبي عمر العدني شيخ مسلم في مسنده عن ابن عباس أن قريشاً ـ أي: المسعدة بالإسلام ـ كانت نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام وتسبح الملائكة بتسبيحه).

ثانيها: أن لفظ [الوفا] لابن الجوزي في (ص٣٥) التي أحال عليها الشيخ محمد بن علوي هو: (عن ابن عباس قال: قلت: يا رسول الله، أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: كنت في صلبه وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب نوح، وقذفت في النار في صلب

أبي إبراهيم، لم يلتق لي أبوان قط على سفاح لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما أخذ الله لي بالنبوة ميثاقي وفي التوراة بشربي وفي الإنجيل شهر اسمي تشرق الأرض لوجهي والسماء لرؤيتي، وقال العباس: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك فقال له: «قل، لا يفضض الله فاك»، فأنشأ يقول:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
وردت نار الخليل مكتتماً ... تجول فيها ولست تحترق
تنقل من صلب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ... وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور ... وسبل الرشاد نخترق

هذا نص ما في (ص٣٥) من [الوفاء] لابن الجوزي لا ذكر فيه للفظ «كنت نوراً» ولا للفظ «أن قريشاً كانت نوراً».

ثالثها: أن كتاب [الموضوعات] للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي ليس فيه لفظ «كنت نوراً» في الموضع الذي أشار إليه السيد محمد بن علوي، وإنما فيه في باب في ذكر انتقاله إلى الأصلاب (ج١ ص٢٨١) ما نصه: (أنبأنا علي بن أحمد الموحد، أنبأنا هناد بن إبراهيم النسفي قال: حدثنا أبوالحسن علي بن محمد بن بكران، قال: أنبأنا أبوصالح خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن

الوضاح ومحبوب بن يعقوب قالا: حدثنا يحيى بن جعفر بن أعين قال: حدثنا علي بن عاصم عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن عباس قال: قلت: يا رسول الله، أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: «كنت في صلبه وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق لي أبوان قط على سفاح لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً لا يتشعب شعبان إلا كنت في خيرهما، فأخذ الله لي بالنبوة ميثاقي، وفي التوراة بشر بي، وفي الإنجيل شهر اسمي، تشرق الأرض لوجهي والسماء لرؤيتي ورقى بي في سمائه، وشق لي اسماً من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمد)، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم سكنت البلاد لا بشر أنت ولا نطفة ولا علق

فذكر الأبيات قال: فحشت الأنصار فمه دنانير.

هذا ما ذكره ابن الجوزي هناك وأتبعه قوله: (هذا حديث موضوع قد وضعه بعض القصاص، وهناد لا يوثق به، ولعله من وضع شيخه أو شيخ شيخه، على أن علي بن عاصم قد قال فيه: يزيد بن هارون: مازلنا نعرفه بالكذب، وقال يحيى: ليس بشيء إلا أن التهمة بالمتأخرين أليق فالأبيات للعباس بلا خلاف) ا.هـ. فلا وجه للإحالة على ذلك الموضع مادام الخبر المذكور فيه موضوعاً وليس فيه لفظ «كنت نوراً».

رابعها: أن صفحة [اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة]

للسيوطي التي أحال عليها الشيخ محمد بن علوي ليس فيها لفظ «كنت نوراً» وإنما فيها بعض حديث (قلت: يا رسول الله، أين كنت وآدم في الجنة؟) وقد أورد ذلك الحديث من طريق ابن الجوزي، كما ذكرناه عنه آنفاً وأعله بنفس ما أعله به قال: (هذا حديث موضوع قد وضعه بعض القصاص، وهناد لا يوثق به ولعله من وضع شيخه أو شيخ شيخه). والأبيات للعباس بلا خلاف وزاد السيوطي قوله: (قلت: قال ـ أي الذهبي ـ في [الميزان]: علي بن محمد بن بكران شيخ لهناد النسفي جاء بخبر سمج أحسبه باطلاً، وقال الخليلي: خلف ضعيف جداً روى متوناً لا تعرف. والله أعلم).

خامسها: أن قول عياض في [الشفا...] بعد إيراده حديث (أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام بألفي عام، يسبـــح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه). الحديث: يشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس في النبي ﷺ) يعني الشعر الذي أوله:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستـودع حيـث يخصـف الـورق

لا يعني به أن ذلك الشعر الذي أشار إليه يشهد لما ورد في أول هذا الحديث «أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور بتسبيحه»، وإنما يعني أنه يشهد لصحة قوله في ذلك الحديث: «لمــا خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض، وجعلني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ولم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة

حتى أخرجني بين أبويَّ لم يلتقيا على سفاح قط» يدل على ذلك قول القاضي عياض في الفصل الذي عقده لمكانة النبي ﷺ عند ربه وتفضيله وسيادته ولد آدم ما نصه: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه ﷺ: «لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض، وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ولم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط»، وإلى هذا أشار العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه بقوله:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ... وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور ... وسبل الرشاد نخترق

وعلى فرض أن قول القاضي عياض: (يشهد لصحة هذا الخبر) إلخ. يشمل أول ذلك الحديث نعتبر ذلك مما يعتريه أحياناً في [الشفاء] من إيراد تأويلات واهية وأحاديث موضوعة فقد قال الذهبي في [شفاء القاضي عياض]: (إنه محشو بالأحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية الدالة على قلة تفقده مما لا يحتاج قدر النبوة له). وقال أيضاً: (إنه قلد فيما ذكره ابن سبع في

شفائه)[١]، وجاء في تلخيص كتاب [الاستغاثة الكبرى] المعروف بـ [الرد على البكري](ص٢٥، ٢٦) ما نصه: (كل عالم بالحديث يعلم أن في هذا الكتاب ـ يعني شفاء القاضي عياض ـ من الأحاديث والآثار ما ليس له أصل ولا يجوز الاعتماد عليه، فإذا قال القاضي عياض: ذكره فلان في كتابه فهو الصادق في خطابه وإذا لم يذكر من أين نقله لم نتهمه ولكن نتهم من فوقه وقد رأيناه ينقل من كتب فيها كذب كثير وهو صادق في نقله منها، لكن من فوقه لا يجوز الاعتماد عليه) ا.هـ. فيستفاد من كلام الإمامين الحافظين: الذهبي وتقي الدين ابن تيمية أن تصرفات القاضي عياض في [الشفاء] من ناحية التأويلات ومن ناحية الأحاديث التي يوردها فيه تحوج المستدل بها فيه إلى التحري.

سادسها: أن قول الشيخ محمد بن علوي في أبيات العباس المروية عن خريم بن أوس بن لام (وذكر هذه الأبيات الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة خريم وقال: رواها ابن خيثمة[٢] والبزار وابن شاهين. يرد عليه: أن الحافظ لم يذكر نفس تلك الأبيات في تلك الترجمة وإنما عبر بدل ذكرها بعبارة (فذكر الشعر)، ونص [الإصابة]: (روى ابن أبي خيثمة والبزار وابن شاهين من طريق حميد بن منهب

---

(١) نقل ذلك كله عن الذهبي صاحب [نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض] الشهاب الخفاجي (ج١ ص٤) طبعة دار الكتاب العربي بلبنان، وحاول الدفاع عن الشفاء، واعترف رغم ذلك بأن فيه بعض أحاديث ضعيفة وقليلاً مما قيل إنه موضوع تبع فيه ابن سبع في شفائه.

(٢) كذا، والصواب (ابن أبي خيثمة).

قال: قال خريم بن أوس كنا عند النبي ﷺ فقال له العباس: يا رسول الله، إني أريد أن أمدحك، فقال له النبي ﷺ: «**هات لا يفضض الله فاك**» فذكر الشعر. هذا لفظ الحافظ في [الإصابة] وبه اتضح أنه لم يذكر تلك الأبيات هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى يظهر من هذه العبارة التي نقلناها عن الحافظ أن مدار رواية ابن أبي خيثمة والبزار وابن شاهين لحديث خريم على حميد بن منهب وهو مجهول كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

سابعها: أن قول الشيخ محمد بن علوي في ذلك التعليق: (ظفرت بفائدة نفيسة، وهي: أن الحاكم روى أيضاً في كتابه [المستدرك] هذه الأبيات عن خريم، وأقره الذهبي وهو معروف بتشدده وتعنته فقال: رواية الأعراب عن آبائهم، ومثلهم لا يضعون، كذا في [المستدرك وتلخيصه] (٣/ ٣٢٧)، وقد ذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن كثير في [السيرة] (١/ ١٩٥) عن أبي السكين زكريا الطائي عن زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب، قال جدي خريم بن أوس: هاجرت إلى رسول الله ﷺ فسمعت العباس عمه يقول: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك، فقال له النبي ﷺ: «**قل، لا يفضض الله فاك**» فأنشأ يقول، وقال: قد روي هذا الشعر لحسان بن ثابت، والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس ـ لا يجدي، فإن سكوت الذهبي عن صنيع الحاكم في مستدركه (ج٣ ص٣٢٦، ٣٢٧) حيث قال: حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا أبوالبختري عبدالله بن محمد بن شاكر، حدثنا زكريا بن يحيى الخزاز، ثنا عم أبي زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب قال: سمعت جدي خريم بن أوس بن حارثة بن لام رضي الله عنه

قال: هاجرت مع رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك فأسلمت، فسمعت العباس بن عبدالمطلب يقول: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك فقال رسول الله ﷺ: «**قل، لا يفضض الله فاك**» قال: فقال العباس:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأ ... رض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي ... النور وسبل الرشاد نخترق

ثم قال: هذا حديث رواته أعراب عن آبائهم، وأمثالهم من الرواة لا يضعون.

إن سكوت الذهبي في [التلخيص] عن قول الحاكم هذا ـ بعد أن روى ذلك الحديث في [المستدرك] بذلك السند ـ غير معتبر مادام الذهبي قد تعقب ذلك في [سير أعلام النبلاء] (ج٢ ص١٠٣) فقد قال فيه: (روى الحاكم أن زحر بن حصين روى عن جده حميد بن منهب سمع جده خريم بن أوس يقول: هاجرت إلى رسول الله، ﷺ منصرفه من تبوك فسمعت العباس يقول: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك قال: «**قل، لا يفضض الله فاك**» قال:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأ رض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

قال الحاكم: رواته أعراب ومثلهم لا يضعون، قلت: ـ القائل الذهبي ـ ولكنهم لا يُعْرَفون. انتهى نص [سير أعلام النبلاء]، ويضاف إليه قوله في الجزء الثاني من [ميزان الاعتدال] (ص٦٩)، زحر بن حصين عن جده وعنه أبوالسكين الطائي لا يعرف ا.هـ. من هذا كله يتبين عدم اعتبار سكوت الذهبي في [تلخيص المستدرك] عن صنيع الحاكم في حديث خريم بن أوس بن حارثة بن لام وأنه من قبيل ما يقع له أحياناً من سكوته في تلخيص [المستدرك] عن تصرف الحاكم رغم وجود ما يدل على عدم قبوله في غير [المستدرك] من مصنفاته، مثل ماوقع له في تصحيح الحاكم حديث: «من أطعم أخاه المسلم خبزاً حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه، باعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام» بعد أن رواه الحاكم عن الأصم عن إبراهيم بن منقذ عن إدريس بن يحيى الخولاني عن رجاء بن أبي عطاء المؤذن عن واهب بن عبدالله الكعبي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، فإن الحافظ الذهبي لم يتعقب ذلك في [التلخيص]، بينما يقول في ترجمة رجاء بن أبي عطاء المؤذن من [ميزان الاعتدال] (ج٢ص٤٦) مانصه: (رجاء بن أبي عطاء المصري عن واهب المعافري صويلح، قال الحاكم: مصري صاحب موضوعات،

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات، ثم ساق له الحديث الذي وقع لنا مسلسلاً بالمصريين: أخبرنا محمد بن الحسين القريشي بمصر، أخبرنا محمد بن عباد، أخبرنا عبدالله بن رفاعة، أخبرنا أبوالحسن القاضي، أخبرنا عبدالرحمن بن عمر البزار، أخبرنا أبوطاهر أحمد بن محمد بن عمرو، حدثنا يونس بن عبدالأعلى، حدثنا إدريس بن يحيى الخولاني، حدثنا رجاء بن أبي عطاء المؤذن عن واهب بن عبدالله الكعبي عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطعم أخاه المسلم حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام»، هذا حديث غريب منكر تفرد به إدريس، أحد الزهاد ا.هـ. ولما ذكره الذهبي وما نقله عن الحاكم عاب الحافظ العسقلاني في [لسان الميزان] (ج٢ ص٤٥٧) صنيع الحاكم في [المستدرك] والذهبي في [التلخيص] في هذا الحديث فقال: (هذا الحديث أورده ابن حبان وقال: إنه موضوع، وحكاه صاحب الحافل، وأخرجه الحاكم في [المستدرك] عن الأصم عن إبراهيم بن منقذ عن إدريس عن رجاء به، وقال: صحيح الإسناد مع أنه قال في تاريخه: مصري صاحب موضوعات، فما أدري ما وجه الجمع بين كلاميه! كما لا أدري كيف الجمع بين قول الذهبي في [الميزان] في ترجمة رجاء صويلح، وسكوته عن تصحيح الحاكم في [تلخيص المستدرك] مع حكايته عن الحافظين: الحاكم وابن حبان أنهما شهدا عليه برواية الموضوعات؟!

ثامنها: أن أبا السكين زكريا بن يحيى الطائي الذي روى حديث خريم بن أوس بن حارثة بن لام في جزئه وعليه مداره هو وإن وثقه

الخطيب غير معتبر؛ لما بينه الحافظ ابن حجر العسقلاني في [هدي الساري] (ج٢ ص١٢٨) ط الطبعة المنيرية و[تهذيب التهذيب] (ج٣ ص٣٣٨): فقد قال في [هدي الساري]: (تكلم فيه الدارقطني فقال مرة: ليس بالقوي، وقال مرة: متروك، وقال الحاكم: يخطىء في أحاديثه)، ثم نبه الحافظ على أن البخاري روى في الصحيح حديثاً واحداً وهو في العيدين عنه، عن المحاربي عن محمد بن سوقة وعن أحمد بن يعقوب عن إسحاق بن سعيد كلاهما عن سعيد بن جبير عن ابن عمر في قصته مع الحجاج حين أصابه سنان الرمح، قال فيه البخاري: حدثنا زكريا بن يحيى أبوالسكين.

قال الحافظ: وأخرج ثلاثة أحاديث أخرى عن زكريا بن يحيى غير مكنى ولا منسوب: اثنان منهما عنه عن عبدالله بن نمير والآخر عنه عن أبي أسامة.

وزكريا بن يحيى في هذه المواضع الثلاثة هو البلخي وليس لأبي السكين عنده سوى الأول وقد أخرج شاهداً له بجانبه، والله أعلم.

وقال في [تهذيب التهذيب] في ترجمة أبي السكين يحيى بن زكريا: (قال الحاكم: قلت للدارقطني: فأبوالسكين الكلابي، قال: هو الطائي كوفي ليس بالقوي يحدث بأحاديث ليست بمضيئة. وقال الحاكم عنه أيضاً: يحدث بأحاديث خطأ. وقال البرقاني: سمعت الدارقطني يقول: زكريا بن يحيى الطائي متروك. وفي كتاب ابن أبي حاتم زكريا بن يحيى بن عمر: روى عن عم أبيه روى عنه الزعفراني ولم يذكر فيه شيئاً فكأنه ما عرفه جيداً.

وبما بيناه حول سند حديث خريم بن أوس بن حارثة بن لام عند

الحاكم، نجيب عن إيراد ابن كثير إياه؛ لأن مداره عنده على أبي السكين زكريا بن يحيى الطائي عن عم أبيه زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب عن خريم بن أوس كما هو عند الحاكم.

هذا ما يتعلق بإسناد حديث خريم بن أوس بن لام عند الحاكم، وأما معنى تلك الأبيات التي وردت في ذلك الحديث فقد أوضحه الإمام ابن قتيبة أحسن إيضاح في كتابه [تأويل مختلف الحديث] بصدد كلامه على دفع التعارض بين حديث «إن الله مسح على ظهر آدم عليه السلام وأخرج منه ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، قالوا: بلى» وبين قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[1]. ولشدة الارتباط بين كلامه في معاني تلك الأبيات وبين كلامه في دفع ذلك التعارض آتي بجميع ذلك.

فأقول: قال ابن قتيبة في الجواب عن دعوى التعارض بين تلك الآية وبين ذلك الحديث (ص١٠٤ ـ ١٠٧) ما نصه: (نحن نقول: إن ذلك ليس كما توهموا، بل المعنيان متفقان ـ بحمد الله ومنه ـ صحيحان؛ لأن الكتاب يأتي بجُمَلٍ يكشفها الحديث، واختصارٍ تدل عليه السنة، ألا ترى أن الله تعالى حين مسح ظهر آدم عليه السلام على ما جاء في الحديث فأخرج منه ذريته أمثال الذر إلى يوم القيامة إذ في تلك الذرية الأبناء وأبناء الأبناء وأبناؤهم إلى يوم القيامة، فإذا أخذ من

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

جميع أولئك العهد وأشهدهم على أنفسهم فقد أخذ من بني آدم جميعاً من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم. ونحو هذا قول الله تعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾[1] فجعل قوله للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ﴾ بعد ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ و﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾، وإنما أراد بقوله تعالى: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ و﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾: خلقنا آدم وصورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وجاز ذلك؛ لأنه حين خلق آدم خلقنا في صلبه وهيأنا كيف شاء فجعل خلقه لآدم خلقه لنا إذ كنا منه. ومثل هذا مثل رجل أعطيته من الشاء ذكراً وأنثى، وقلت له: قد وهبت لك شاءً كثيراً تريد أني وهبته لك بهبتي هذين الإثنين من النتاج شاءً كثيراً، وكان عمر بن عبدالعزيز وهب لدكين الراجز ألف درهم فاشترى به دكين عدة من الإبل فرمى الله تعالى في أذنابها بالبركة فنمت وكثرت فكان دكين يقول: هذا منائح عمر بن عبدالعزيز ولم تكن كلها عطاءه وإنما أعطاه الآباء والأمهات فنسبها إليه إذ كانت نتائج ما وهب له، ومما يشبه هذا قول العباس بن عبدالمطلب في رسول الله ﷺ:

من قبلها طبت في الظلال وفي   مستودع حيث يخصف الورق

يريد طبت في ظلال الجنة (وفي مستودع) يعني الموضع الذي استودعه من الجنة (حيث يخصف الورق) أي: حيث خصف آدم وحواء عليهما من ورق الجنة، وإنما أراد أنه كان إذ ذاك طيباً في

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١١.

صلب آدم ثم قال:

ثـم هبطـت البـلاد لا بشـر أنـت ولا مضغـة ولا علـق

يريد أن آدم هبط البلاد فهبطت في صلبه وأنت إذ ذاك لا بشر ولا مضغة ولا دم ثم قال:

بل نطفة تركب السفين وقد ألجـم نسـراً وأهلـه الغـرق

يريد أنك نطفة في صلب نوح ﷺ حين ركب الفلك ثم قال:

تنقـل مـن صـالـب إلـى رحـم إذا مضـى عـالـم بـدا طبـق

يريد أنه ينتقل في الأصلاب والأرحام فجعله طيباً وهابطاً للبلاد وراكباً للسفين من قبل أن يخلق، إنما يريد بذلك آباؤه الذين اشتملت أصلابهم عليه. ا.هـ كلام ابن قتيبة في [تأويل مختلف الحديث].

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما (أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه) الحديث، فقد رواه الآجري في [كتاب الشريعة] في باب قول الله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾[1] من طريق محمد بن أبي عمر العدني، ولفظه: حدثنا أبومحمد عبدالله بن صالح البخاري قال: حدثنا محمد بن أبي عمر العدني قال: حدثنـي عمر بن خالد قال: حدثنا أبوعبدالله محمد الحبلـي، عـن عبدالله بن الفرات، عن عثمان بن الضحاك، عن ابن عباس أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله عز وجل

(١) سورة الشعراء، الآية ٢١٩.

قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله عز وجل آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله ﷺ: فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذفني في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط.

وممن عزاه إلى مسند العدني السيوطي في [مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا]، والشهاب الخفاجي في [نسيم الرياض[1] في شرح شفاء القاضي عياض] (ج١ ص٤٣٥)، والزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص٤٩)، ولفظ الزرقاني (أن قريشاً ـ أي: المسعدة بالإسلام ـ كانت نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه. وعثمان بن الضحاك بن عثمان ـ راوي هذا الحديث عن ابن عباس ضعيف نقل الحافظ أبوالحجاج المزي في (ج٢) من [تهذيب الكمال] (ص٩١٠) عن أبي عبيد الآجري أنه قال: سألت أبا داود عن الضحاك بن عثمان الجدامي فقال: ثقة، وابنه عثمان بن الضحاك ضعيف).

وابن أبي عمر العدني ـ وإن كان صدوقاً صالحاً من مشايخ مسلم ـ قال فيه الإمام أبوحاتم: فيه غفلة رأيت عنده حديثاً موضوعاً رواه عن سفيان، نقل ذلك عن أبي حاتم الحافظ الذهبي في ترجمته من [تذكرة الحفاظ] (ج٢ ص٥٠١) طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد.

---

(١) نقلاً عن السيوطي.

وأما ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما (كان[١] يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر، ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم وسميت حواء؛ لأنهاخلقت من حي فلما استيقظ ورآها سكن إليها ومد يده إليها فقالت الملائكة: مه يا آدم! قال: ولم وقد خلقها لي؟! فقالوا: حتى تؤدي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد ثلاث مرات، وعند ابن الجوزي في [سلوة الأحزان] أنه لما رام القرب منها طلبت المهر منه فقال: يارب، وماذا أعطيها؟ قال: يا آدم، صل على حبيبي محمد بن عبدالله عشرين مرة ففعل. فقد ذكر الشيخ محمد عبدالسلام خضر الشقيري في كتابه [السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات] (ص٢٤٣) روايته الأخيرة، وجزم بأن هذا الخبر ليس له أصل في أي كتاب من الكتب المعتمدة، وأنه لا يوجد إلا في كتب من لا يفرقون بين الصحيح والموضوع من كلام المعصوم ﷺ. وهذا المسلك الذي سلكه الشقيري هو الصواب لا مسلك الشيخ السيد محمد بن علوي، حينما علق على ذلك الخبر في تعليقه على [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٤٤) بقوله: (هذا خبر موقوف على ابن عباس وليس من المرفوع، وقد نقلته كتب التواريخ والتفاسير، ولا اعتراض على ذكر المصنف ـ أي الملا علي القاري ـ له؛ لأنه كلام ابن عباس وهو نقله عنه، فمن شاء فليقبله ومن شاء فليرده وابن عباس لا يغضب عليه).

---

(١) أي زمن السجود لآدم، بين ذلك الزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص٥٢).

فإن هذا التعليق ليس للشيخ محمد بن علوي أن يكتبه حول ذلك الكلام الذي لا مجال للرأي فيه ولو كان لابن عباس، وإنما يجب عليه أن يقول ما قاله الشقيري وهو أن ذلك الكلام لا أصل له.

وأما خبر خلق الأرواح قبل الأجساد فقد بين ابن القيم والسيوطي والهيتمي أنه غير صحيح: قال الإمام ابن القيم في كتاب [الروح] (ص١٩٧) ما نصه: (روى أبوعبدالله بن منده قال: أخبرنا محمد بن صابر البخاري، حدثنا محمد بن المنذر بن سعد الهروي، حدثنا جعفر بن محمد بن هارون المصيصي، حدثنا عتبة بن السكن، حدثنا أرطاة بن المنذر، حدثنا عطاء بن عجلان، عن يونس بن حلبس، عن عمرو بن عبسة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»، ثم قال ابن القيم بعد ذلك (ص٢١٢): (أما حديث خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ـ يعني هذا الحديث ـ فلا يصح إسناده ـ أي الذي ذكره من قبل (ص١٩٧)، ففيه عتبة بن السكن، قال الدارقطني: متروك، وأرطاة بن المنذر قال ابن عدي: بعض أحاديثه غلط)، ولهذا لم يأخذ ابن القيم بما تضمنه من تقدم خلق الأرواح على خلق الأجساد. بل صرح في (ص٢١٢ ـ ٢١٦) بأن خلق الأرواح متأخر عن خلق أبدانها واستدل لذلك بأدلة منها: ما في الحديث الصحيح: إن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، قال: فالملك وحده يرسل إليه فينفخ فيه فإذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه، ولم يقل: يرسل

الملك إليه بالروح فيدخلها في بدنه وإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لا أن الله سبحانه أرسل إليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل مع الملك، ففرق بين أن يرسل إليه ملك ينفخ فيه الروح وبين أن يرسل إليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك، قال: (وتأمل ما دل عليه النص من هذين المعنيين وبالله التوفيق). وجزم في [روضة المحبين] (ص٧٥) ط مطبعة السعادة بمصر: بأن الصحيح الذي دل عليه الشرع والعقل أن الأرواح مخلوقة مع الأجساد، وأن الملك الموكل بنفخ الروح في الجسد ينفخ فيه الروح إذا مضى على النطفة أربعة أشهر ودخلت في الخامس، وذلك أول حدوث الروح فيه) قال: (ومن قال: إنها مخلوقة قبل ذلك فقد غلط).

وقال السيوطي في كتاب الأدب والرقائق من [الحاوي للفتاوي] (ج١ ص٣٧٠) في الجواب عن سؤال وجه إليه عن خبر ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»، وعن خبر ورد عن ابن عباس أنه قال: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة» كيف يدفع التعارض بين الخبرين؟ قال في الجواب عن ذلك السؤال: (إنما يطلب الجواب عن التعارض بين حديثين ثابتين، وهذان الحديثان غير ثابتين: أما الثاني: فباطل لا أصل له. وأما الأول: فورد بإسناد ضعيف جداً فلا يعول عليه، والمعول عليه في ذلك الحديث الصحيح: «**إن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»؛ وذلك شامل للأرزاق.

وقال ابن حجر الهيتمي في [الفتاوى الحديثية] (ص١١٦) في جوابه عن سؤال وجه إليه عن الجمع بين خبر خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام وبين قول ابن عباس رضي الله عنهما بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة قال: (ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما باطل لا أصل له، والأول ـ أي خبر خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام ـ ضعيف جداً فلا يعول عليه، نعم صح أن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وذلك شامل للأرزاق.

ومما جاء في باب خلق الأرواح قبل الأجساد ما رواه أبوالفرج ابن الجوزي في باب فضائل علي من [الموضوعات] (ج١ ص٤٠١) قال: (أنبأنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبدالجبار، أنبأنا عبدالباقي بن أحمد، أنبأنا محمد بن جعفر بن علاق قال: أنبأنا أبوالفتح الأزدي الحافظ، حدثنا هاشم بن نصير، حدثنا شيبان بن محمد، حدثنا عبدالله بن أيوب بن أبي علاج قال: حدثني أبي، عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عن أبيه عن جده علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، ثم حطها تحت العرش ثم أمرها بالطاعة لي، فأول روح سلمت عليَّ روح علي عليه السلام»، وهذا الحديث قال فيه ابن الجوزي: (هذا حديث موضوع، قال الأزدي: عبدالله بن أيوب وأبوه كذابان لا تحل الرواية عنهما[1]).

---

(١) هذا لفظ [الموضوعات] لابن الجوزي، وفي الجزء الثالث من [لسان الميزان] =

قلت: عبدالله راوي هذا الحديث قال الذهبي في [ميزان الاعتدال]: متهم بالوضع كذاب مع أنه من كبار الصالحين وذكر أن الحميدي كتب إلى والد علي بن حرب: يستتاب ابن أبي علاج ويؤدب). وقال الحافظ في [لسان الميزان] (ج٣ ص٢٦١، ٢٦٢): (قال الحاكم والنقاش وأبونعيم الأصبهاني: روى عن مالك ويونس أحاديث موضوعة، وقال الأزدي: هو وأبوه كذابان، وقال أبوالقاسم الطحان: حديثه منكر، وقال الحافظ أبوزكريا الأزدي في طبقات العلماء بالموصل: هو مولى عقيل بن أبي طالب كان رجلاً صالحاً كثير الحديث منكره).

وأما أبوعبدالله وهو أيوب بن أبي علاج ففي (ج١) من [الميزان] (ص٢٩٢) ما نصه: (أيوب بن أبي علاج روى عن أبي جعفر محمد بن علي متهم بالكذب ساقط، وابنه عبدالله أوهى منه).

وأما رواية الحاكم لما جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي) فلا يليق التعلق بصنيع الحاكم فيه حينما رواه في كتاب التاريخ من [المستدرك] (ج٢ ص٦١٥) قال: (حدثنا أبوسعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل، ثنا أبوالحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبوالحارث عبدالله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل بن مسلمة، أنبأنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن

= (ص٢٦٢) (قال الأزدي: أيوب كذاب وابنه عبدالله أكذب منه وأجرأ على الله، لا تحل الرواية عنه).

جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم، الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب؛ لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليَّ، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ماخلقتك» لا يليق التعلق بصنيع الحاكم في هذا الحديث، حيث قال بعد إيراده بالسند المذكور: (هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب؛ لما بينه الحفاظ من عدم اعتبارهم ذلك الصنيع، فقد قال البيهقي: تفرد به عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف، ونقل ذلك عنه الحافظ ابن كثير قال في باب ما ورد في خلق آدم عليه السلام، من تاريخه [البداية والنهاية] (ج١ ص٨١) قال: (روى الحاكم والبيهقي وابن عساكر من طريق عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد إلا غفرت لي، فقال الله: فكيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد؟! فقال: يا رب؛ لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليَّ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»، قال البيهقي: تفرد به

عبدالرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف، كما نقل ابن كثير كلام البيهقي هذا أيضاً في كتاب مبعث رسول الله ﷺ من [البداية والنهاية] (ج٢ ص٣٢٢) بعد إيراده هذا الحديث من طريق الحاكم قال: (روى الحاكم في مستدركه من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ـ وفيه كلام ـ عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد إلا غفرت لي» فساق ابن كثير هذا الحديث من طريق مستدرك الحاكم كما تقدم ثم قال: (قال البيهقي: تفرد به عبدالرحمن بن زيد بن أبي أسلم وهو ضعيف).

وقال الإمام الحافظ شيخ الإسلام ابن تيمية في [قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة] في حديث توسل آدم بالنبي محمد ﷺ: (هذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه من حديث عبدالله بن مسلم الفهري عن إسماعيل بن مسلمة عنه ـ أي عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ـ قال الحاكم: وهو أول حديث ذكرته لعبدالرحمن ـ أي ابن زيد بن أسلم ـ في هذا الكتاب ـ أي [المستدرك] ـ، وقال الحاكم: هو صحيح. ثم ذكر شيخ الإسلام أن رواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه قال: فإنه نفسه قد قال في كتاب [المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم]: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه قلت: ـ القائل تقي الدين ابن تيمية ـ وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً، ضعفه أحمد بن حنبل وأبوزرعة وأبوحاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم. وقال أبوحاتم ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم،

حتى كثر ذلك من روايته: من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك، وأما تصحيح الحاكم لهذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث، وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث هي موضوعة مكذوبة عند أهل العلم بالحديث، ومنها ما يكون موقوفاً يرفعه).

وقال الحافظ ابن عبدالهادي في [الصارم المنكي في الرد على السبكي] (ص٦٠ ـ ٦٢) تعقيباً على محاولة السبكي في كتابه [شفاء السقام في زيارة خير الأنام] تقوية عبدالرحمن بن زيد بن أسلم بتصحيح الحاكم حديثه المذكور في [المستدرك] قال: (إني لأتعجب منه ـ أي من السبكي ـ كيف قلد الحاكم فيما صححه من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم الذي رواه في التوسل، وفيه قول الله لآدم: (ولولا محمد ما خلقتك) مع أنه حديث غير صحيح ولا ثابت، بل هو حديث ضعيف الإسناد جداً، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع، وليس إسناده من الحاكم إلى عبدالرحمن بن زيد بصحيح، بل هو مفتعل على عبدالرحمن، قال ابن عبدالهادي: (ولو كان صحيحاً إلى عبدالرحمن لكان ضعيفاً غير محتج به؛ لأن عبدالرحمن في طريقه وقد أخطأ الحاكم في تصحيحه وتناقض تناقضاً فحاشاً، كما عرف له ذلك في مواضع: فإنه قال في كتابه [الضعفاء] بعد أن ذكر عبدالرحمن منهم وقال: ما حكيته عنه فيما تقدم أنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه، وقال في آخر هذا الكتاب: فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم؛ لأن الجرح لا يثبت إلا ببينة فهم الذين أبين جرحهم لمن طالبني به فإن الجرح لا أستحله تقليداً، والذي أختاره لطالب هذا

الشأن أن لا يكتب حديثاً واحداً من هؤلاء الذين سميتهم، فالراوي لحديثهم داخل في قوله ﷺ: «**من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**» هذا كله كلام الحاكم أبي عبدالله صاحب [المستدرك] وهو متضمن أن عبدالرحمن بن زيد - أي ابن أسلم - قد ظهر له جرحه بالدليل وأن الراوي لحديثه داخل في قوله ﷺ: «**من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**». ثم إنه رحمه الله لما جمع [المستدرك على الشيخين] ذكر فيه من الأحاديث الضعيفة والمنكرة، بل والموضوعة جملة كثيرة، وروى فيه لجماعة من المجروحين الذين ذكرهم في كتابه في الضعفاء وذكر أنه تبين له جرحهم، وقد أنكر عليه غير واحد من الأئمة هذا الفعل، وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره؛ فلذلك وقع منه ما وقع وليس ذلك ببعيد، ومن جملة ما خرجه في [المستدرك] حديث لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم في التوسل قال بعد روايته: هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب، فانظر إلى ما وقع للحاكم في هذا الموضع من الخطأ العظيم والتناقض الفاحش).

وقال الحافظ الذهبي في [تلخيص المستدرك] تعليقاً على قول الحاكم في حديث توسل آدم بخاتم الأنبياء محمد عليهما السلام: (هذا حديث صحيح الإسناد)، قال الذهبي: قلت: بل موضوع وعبدالرحمن واه، قال الحاكم: وهو أول حديث ذكرته له في هذا الكتاب، قلت: - القائل الذهبي - رواه عبدالله بن مسلم الفهري ولا أدري من ذا عن إسماعيل بن مسلمة عنه. وقال في ترجمة عبدالله بن مسلم الفهري أبي الحارث من [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] (ج٢

ص٥٠٤): روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم خبراً باطلاً فيه: (يا آدم، لـولا محمـد ما خلقتك) رواه البيهقي في [دلائل النبوة].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة محمد بن عبدالله الضبي النيسابوري الحاكم صاحب [المستدرك] من كتابه [لسان الميزان] (ج٥ ص٢٣٣) ما نصه: (ذكر بعضهم أنه ـ أي الحاكم ـ حصل له تغير وغفلة في آخر عمره ويدل على ذلك أنه ذكر جماعة في كتاب [الضعفاء] له وقطع بترك الرواية عنهم ومنع من الاحتجاج بهم ثم أخرج أحاديث بعضهم في [مستدركه] وصححها، من ذلك أنه أخرج حديثاً لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ـ يعني الحافظ حديث التوسل المتقدم ذكره، وكان ـ أي الحاكم قد ذكره ـ أي عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في [الضعفاء] فقال: إنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه. وقال في آخر الكتاب: فهؤلاء الذين ذكرتهم في هذا الكتاب ثبت عندي جرحهم[1]؛ لأني لا أستحل الجرح إلا مبيناً ولا أجيزه تقليداً والذي أختاره لطالب العلم أن[2] لا يكتب حديث هؤلاء أصلاً).

هذا ما ذكره أولئك الحفاظ حول تصحيح الحاكم الإسناد الذي

---

(١) لفظ: (جرحهم) هو الصواب لا ما في طبعة [لسان الميزان] المتداولة بلفظ: (صدقهم).

(٢) سقط لفظ: (لا) من [لسان الميزان] غلطاً من الطابع أو من الناسخ والصواب إثباتها.

روي به حديث توسل آدم عليه السلام بنبينا محمد ﷺ، وقد اتضح بما ذكروه عدم اعتبارهم تصحيح الحاكم لإسناده فلا وجه لاعتبار الملا علي القاري تصحيح الحاكم إياه مادام الأمر كذلك. كما تبين بكلام البيهقي وابن تيمية وابن عبدالهادي وابن كثير وابن حجر العسقلاني أن قول الشيخ محمد بن علوي في تعليقه على ذكر الملا علي قاري تصحيح الحاكم ذلك الحديث (ص٤٦): (لا عبرة بقدح الذهبي فإنه مسرف في الحكم على الأحاديث بالنكارة والوضع دون مراعاة الطرق والشواهد) هو الذي لا عبرة به، فإن مع الذهبي في إعلاله ذلك الحديث أولئك الأئمة الحفاظ، على أن رمي الذهبي بما رماه به لا يؤثر في إمامته في الجرح والتعديل.

وأما رواية الطبراني لما جاء عن عمر بن الخطاب في توسل آدم بنبينا محمد ﷺ ففي كتابه [المعجم الصغير] (ج٢ ص٨٢، ٨٣) طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة. قال الطبراني فيه: حدثنا محمد بن داود بن أسلم الصدفي المصري، حدثنا أحمد بن سعيد المدني الفهري، حدثنا عبدالله بن إسماعيل المدني، عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أذنب آدم صلى الله عليه وسلم الذنب الذي أذنبه، رفع رأسه إلى العرش فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لي، فأوحى الله إليه وما محمد ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله عزوجل إليه يا آدم**

إنه آخر النبيين من ذريتك، وإن أمته آخر الأمم من ذريتك ولولاه يا آدم ما خلقتك» هكذا رواه الطبراني في [المعجم الصغير][1] ثم قال: (لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد تفرد به أحمد بن سعيد). والجواب عن هذه الرواية هو نفس الجواب عن رواية الحاكم وهو: أنها من رواية عبدالرحمن بن زيد بن أسلم الذي تقدم كلام الأئمة فيه.

وأما ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى، آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ماخلقت الجنة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن) فعند الحاكم في كتاب التاريخ من [المستدرك] (ج٢ ص٦١٤، ٦١٥) قال: حدثنا علي بن حمشاذ العدل إملاءً، حدثنا هارون بن العباس الهاشمي، حدثنا جندل بن والق، ثنا عمرو بن أوس الأنصاري، ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: آمن بمحمد...) فساقه، ثم قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وتعقبه الحافظ الذهبي في [تلخيص المستدرك] بقوله: (قلت: أظنه موضوعاً على سعيد). وأشار في ترجمة عمرو بن أوس راويه عن سعيد بن أبي عروبة من [الميزان] (ج٣ ص٢٤٢) إلى أنه هو المتحمل لمسؤولية هذا الحديث، ولفظه:

---

(١) وإليه وإلى [المعجم الأوسط] عزا الحافظ الهيثمي في [مجمع الزوائد ومنبع الفوائد] (ج٨) هذا الحديث.

(عمرو بن أوس يجهل حاله أتى بخبر منكر أخرجه الحاكم في مستدركه وأظنه موضعاً من طريق جندل بن والق حدثنا عمرو بن أوس حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد فلولاه ماخلقت آدم ولا الجنة ولا النار.. الحديث. وعلى إعلال الذهبي هذا الحديث بعمرو بن أوس اعتمد السيوطي في الجزء الأول من [الخصائص الكبرى] (ص١٩) قال في (باب خصوصيته ﷺ بكتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وسائر ما في الملكوت): (أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: (أوحى الله إلى عيسى: آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن). قال الذهبي: في سنده عمرو بن أوس لا يدرى من هو) ا.هـ كلام السيوطي.

هذا ومما ذكر في باب (لولا محمد ما خلق كذا) ما أورده صاحب [اللجة] وزعم أنه حديث بلفظ: (لولا حبيبي محمد ماخلقت سمائي ولا أرضي ولا جنتي ولا ناري) وقد قال فيه العلامة الإمام الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في [بيان المحجة[1] على صاحب اللجة] (ص٢٤٤، ٢٤٥) ما نصه: (هذا

---

(١) هي في المجلد الرابع من [مجموعة الرسائل والمسائل النجدية] وهي رسالة دافع بها الشيخ عبدالرحمن عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين ورد على من اعترض عليه في جوابه عن أبيات من البردة سئل عنها فأوضح ما فيها من صرف =

من الموضوعات لا أصل له، ومن ادعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة في الحديث وأنى له ذلك، بل هو من أكاذيب الغلاة الوضاعين وقد بين الله تعالى حكمته في خلق السموات والأرض في كثير من سور القرآن، كما في الآية التي تأتي بعد وهي قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[(١)].

وأما حديث أنس رضي الله عنه قال: (خطب النبي ﷺ وقال: **«أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار»** الحديث فقد رواه البيهقي في الجزء الأول من [دلائل النبوة] (ص١١٧ ـ ١١٩) قال: أخبرنا أبوالحسن علي بن أحمد بن محمد[(٢)] بن حفص المقرىء ببغداد قال: حدثنا أبوعيسى بكار بن أحمد بن بكار قال: حدثنا أبوجعفر أحمد بن موسى بن سعيد إملاءً سنة ست وتسعين ومائتين قال: حدثنا أبوجعفر محمد بن أبان القلانسي قال: حدثنا أبومحمد عبدالله بن محمد بن ربيعة القدامي قال: حدثنا مالك بن أنس عن الزهري عن أنس بن مالك وعن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن

= خصائص الربوبية والألوهية لغير الله تعالى جزاهما الله عن دينه خير الجزاء.

(١) سورة الطلاق، الآية ١٢.

(٢) كذا في نسخة [دلائل النبوة] المذكورة (محمد) وفي [البداية والنهاية] لابن كثير من طريق البيهقي (عمر) بدل (محمد) كما سيأتي.

هشام قالا: بلغ النبي ﷺ أن رجالاً من كندة يزعمون أنه منهم فقال: إنما كان يقول ذلك العباس وأبوسفيان بن حرب إذا قدما المدينة ليأمنا بذلك وإننا لن ننتفي من آبائنا نحن بنو النضر بن كنانة قال: وخطب رسول الله ﷺ فقال: «**أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار، وماافترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرها، فأخرجت من بين أبوين فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأناخيركم نَفْساً وخيركم أباً**» ﷺ.

وأخبرنا أبوعبدالله الحافظ قال: أخبرني أبوعلي الحسين بن علي الحافظ قال: أخبرنا محمد بن سعيد بن بكر الرازي بعسقلان قال: حدثنا صالح بن علي النوفلي قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن ربيعة.. فذكره بإسناده نحوه إلا أنه لم يذكر قوله: «**فأخرجت**» إلى قوله: «**حتى خرجت**» تفرد به أبومحمد عبدالله بن محمد بن ربيعة القدامي هذا، وله عن مالك وغيره أفراد لم يتابع عليها والله أعلم)[١]. ومن طريق البيهقي أورد ابن كثير هذا الحديث في الجزء الثاني من [البداية والنهاية] (ص٢٥٥) قال بعد أن ساق نسب النبي ﷺ إلى عدنان، وذكر أنه لا خلاف فيه بين العلماء وأنه لا خلاف في أن النبي ﷺ من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ـ قال: (وقد ورد حديث في انتسابه

(١) طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

عليه السلام إلى عدنان ـ وهو على المنبر ـ الله أعلم بصحته، كما قال الحافظ أبوبكر البيهقي: أنبأنا أبوالحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرىء ببغداد فساق حديث البيهقي بسنده ومتنه المتقدمين، ثم قال: (هذا حديث غريب جداً من حديث مالك تفرد به القدامي وهو ضعيف) ا.هـ كلام الحافظ ابن كثير على ما في ذلك الحديث الذي رواه البيهقي من رفع النبي ﷺ نسبه إلى نزار، وقد راجعنا في [ميزان الاعتدال] للذهبي ترجمة القدامي الذي تفرد بتلك الزيادة فوجدنا الذهبي يقول فيه: (أحد الضعفاء تفرد عن مالك بمصائب)، ويقول: ضعفه ابن عدي وغيره، وأما ما سوى رفع النبي ﷺ نسبه إلى نزار الذي تفرد به القدامي من ذلك الحديث فله شواهد سردها الإمام الحافظ ابن كثير في تاريخه [البداية والنهاية].

هذا وفي باب رفع النبي ﷺ نسبه رواية أخرى رفعه فيها إلى النضر بن كنانة عند ابن سعد في طبقاته الكبرى قال: (أخبرنا معن بن عيسى، أخبرنا ابن أبي ذئب عمن لا يتهم عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا محمد بن عبدالله**...» فانتسب حتى بلغ النضر بن كنانة: (فمن قال غير ذلك فقد كذب)، وقد ضعف الحافظ ابن حجر العسقلاني هذه الرواية في [فتح الباري] (ج٦ ص٥٢٩) ولفظه: (روى ابن سعد من حديث عمرو بن العاص بسند فيه ضعف مرفوعاً: «**أنا محمد بن عبدالله**» وانتسب حتى بلغ النضر بن كنانة قال: من قال غير هذا فقد كذب) ا.هـ كلام الحافظ العسقلاني.

وأما «**أنا ابن الذبيحين**» ففي كتاب التاريخ من [مستدرك الحاكم]

(ج٢ ص٥٥٩) تحت عنوان (ذكر من قال: إن الذبيح إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام) ما نصه: (قد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن وهم لا يختلفون أن الذبيح إسماعيل، وقاعدتهم فيه قول النبي ﷺ: «**أنا ابن الذبيحين**» إذ لا خلاف أنه من ولد إسماعيل وأن الذبيح الآخر أبوه الأدنى عبدالله بن عبدالمطلب، والآن فإني أجد مصنفي هذه الأدلة يختارون قول من قال: إنه إسحاق) هذا نص المستدرك هناك قد جزم فيه الحاكم بأن النبي ﷺ قال: «**أنا ابن الذبيحين**»، لكن لم يسلم ذلك للحاكم فإن هذا اللفظ لم يرد عن النبي ﷺ، كما صرح به الزرقاني في [مختصر المقاصد الحسنة]، ونقل العجلوني في [كشف الخفاء] عن الزيلعي والعسقلاني أنهما قالا في تخريج الكشاف: لم نجده بهذا اللفظ) ا.هـ والذي ورد في الباب هو ما أخرجه الحاكم في [المستدرك] (ج٢ ص٥٥٤) تحت عنوان: (ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما)، وذلك في كتاب التاريخ قال: (حدثنا أبوبكر محمد بن عبدالله الشافعي ثنا عبيد بن حاتم الحافظ العجلي، ثنا إسماعيل بن عبيد بن عمر بن أبي كريمة الحراني، ثنا عبدالرحيم الخطابي، ثنا عبدالله بن محمد العتبي ثنا عبدالله بن سعيد الصنابحي قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم فقال بعضهم: الذبيح إسماعيل، وقال بعضهم: بل إسحاق الذبيح، فقال معاوية: سقطتم على الخبير، كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه الأعرابي فقال: يا رسول الله، خلفت البلاد يابسة والماء يابساً، هلك المال وضاع العيال فعد علي بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه، فقلنا: يا

أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ قال: إن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبدالله، فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم وقالوا: ارض ربك وافد ابنك، قال: ففداه بمائة ناقة، قال: فهو الذبيح، وإسماعيل الثاني.

هكذا روى الحاكم هذا الحديث في [المستدرك] وسكت عنه وتعقبه الحافظ الذهبي في تلخيصه بقوله: (قلت: إسناده واه) ا.هـ ورواه ابن جرير في تفسيره، ومن طريقه أورده الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره واستغربه جداً ولفظه (ج٤ ص١٨): (وقد روى ابن جرير في ذلك ـ أي في كون إسماعيل عليه السلام هو الذبيح ـ حديثاً غريباً فقال: حدثني محمد بن عمار الرازي، حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، حدثنا عمر بن عبدالرحيم الخطابي عن عبدالله بن محمد العتبي ـ من ولد عتبة بن أبي سفيان ـ عن أبيه، حدثني عبدالله بن سعيد عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبير سقطتم، كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فضحك رسول الله ﷺ. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: إن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليذبحن أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبدالله فمنعه أخواله وقالوا: افد ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل، والثاني إسماعيل)، قال ابن كثير بعد إيراده: (وهذا حديث غريب جداً، وأضاف إلى ذلك قوله: (وقد رواه الأموي في مغازيه: حدثنا بعض أصحابنا،

أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، حدثنا عمرو بن عبدالرحمن القرشي، حدثنا عبيدالله بن محمد العتبي ـ من ولد عتبة بن أبي سفيان ـ حدثناعبدالله بن سعيد، حدثنا الصنابحي قال: حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق، وذكره. كذا كتبته من نسخة مغلوطة) ا.هـ كلام ابن كثير رحمه الله تعالى، وممن جزم بضعف ذلك الحديث حديث معاوية الذي ورد فيه (يا ابن الذبيحين) القرطبي في تفسيره [الجامع لأحكام القرآن] (ج١٥ ص١١٣)، والسيوطي في [القول الفصيح في تعيين الذبيح] وهو من محتويات الحاوي للفتاوي (ج١ ص٣١٨): قال القرطبي: (وأما ما روي من طريق معاوية قال: سمعت رجلاً يقول للنبي ﷺ: يا ابن الذبيحين فضحك النبي ﷺ، ثم قال معاوية: إن عبدالمطلب لما حفر بير زمزم نذر لله إن سهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده لله، فسهل الله عليه أمرها، فوقع السهم على عبدالله فمنعه أخواله بنو مخزوم وقالوا: افد ابنك ففداه بمائة من الإبل وهو الذبيح وإسماعيل هو الذبيح الثاني)، فلا حجة فيه؛ لأن سنده لا يثبت على ما ذكرناه في [كتاب الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه السلام]؛ ولأن العرب تجعل العم أبا، قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾[2] وهما أبوه وخالته).

وقال السيوطي: (روى الحاكم في [المستدرك] وابن جرير في

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٣.

(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٠.

تفسيره، والأموي في مغازيه، والخلعي في فوائده من طريق إسماعيل بن أبي كريمة عن عمر بن أبي محمد الخطابي عن العتبي عن أبيه عن عبدالله بن سعيد عن الصنابحي قال: حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم أيهما الذبيح فقال بعض القوم: إسماعيل، وقال بعضهم: بل إسحاق، فقال معاوية: على الخبير سقطتم، كنا عند رسول الله ﷺ وعنده أعرابي فقال: يا رسول الله، خلفت الكلأ يابساً والماء يابساً، هلك العيال وضاع المال فعد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه، فقال القوم: من الذبيحان يا أمير المؤمنين؟ قال: إن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل أمرها أن ينحر بعض بنيه فلما فرغ أسهم بينهم ـ وكانوا عشرة ـ فخرج السهم على عبدالله فأراد أن ينحره فمنعه أخواله بنو مخزوم، وقالوا: ارض ربك وافد ابنك، ففداه بمائة ناقة قال معاوية: هذا واحد والآخر إسماعيل. هذا حديث غريب وفي إسناده من لا يعرف حاله) ا.هـ كلام السيوطي.

فإن قيل: إن الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني ذكر في كتابه [كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس] أن الزرقاني شارح [المواهب اللدنية] قال في هذا الحديث: (حسن، بل صححه الحاكم والذهبي لتقويه بتعدد طرقه). قلنا: إن ذلك وهم من العجلوني فإن الزرقاني لم يقل ذلك في الخبر الذي ورد فيه (يا ابن الذبيحين)، بل إنما قاله في حديث: (الذبيح إسحاق)، ونص كلامه (ج١ ص٩٧): (قوله ﷺ (الذبيح إسحاق) رواه الدارقطني عن ابن مسعود، وابن مردويه والبزار عن العباس وفيه المبارك بن فضالة

ضعفه الجمهور، ولكن رواه الحاكم من طرق عن العباس وقال: صحيح على شرطهما، وقال الذهبي: صحيح، ورواه ابن مردويه، قال ابن كثير: وفيه الحسن بن دينار متروك وشيخه منكر، وقد رواه ابن أبي حاتم مرفوعاً ثم رواه عن مبارك بن فضالة موقوفاً وهو أشبه[١] وتعقبه السيوطي بأن مباركاً قد رفعه مرة فأخرجه البزار عنه مرفوعاً وله شواهد عنده وعند الديلمي عن العباس مرفوعاً بلفظ: (وأما إسحاق فبذل نفسه للذبح)، وللطبراني وابن أبي حاتم عن أبي هريرة نحوه بسند ضعيف، وللطبراني بسند ضعيف عن ابن مسعود: سئل رسول الله ﷺ من أكرم الناس؟ قال: «**يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله**»، وأخرج في الكبير عن أبي الأحوص، قال: افتخر رجل عند ابن مسعود وفي لفظ: (فاخر أسماء بن خارجة رجلاً، فقال: أنا ابن الأشياخ الكرام، فقال عبدالله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (ج٤ ص١٧) قال في ذلك الحديث ما نصه: (قد ورد في ذلك ـ أي كون إسحاق هو الذبيح ـ حديث لو ثبت: لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده، قال ابن جرير: حدثنا أبوكريب، حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف ابن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال: (هو ـ أي الذبيح ـ: إسحاق).

ففي إسناده ضعيفان وهما: الحسن بن دينار البصري متروك، وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث، وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعاً ثم قال: (قد رواه مبارك ابن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم) ا.هـ كلام ابن كثير.

الله)، وإسناده صحيح موقوف ا.هـ ملخصاً، فهذه أحاديث يعضد بعضها بعضاً، فأقل مراتب الحديث الأول ـ أي حديث (الذبيح إسحاق) أنه حسن فكيف وقد صححه الحاكم والذهبي، وهو نص صريح لا يقبل التأويل بخلاف حديث معاوية ـ أي الذي ورد فيه إقرار النبي ﷺ الأعرابي على قوله له: (يا ابن الذبيحين) بالتبسم ـ فإنه قابل له[١] ا.هـ كلام الزرقاني في شرح المواهب اللدنية، وبإيراده تبين أن الحديث الذي حسنه الزرقاني وذكر أن الحاكم والذهبي صححاه هو حديث (الذبيح إسحاق) لا حديث معاوية الذي ورد فيه أن النبي ﷺ تبسم لما قال له الأعرابي: يا ابن الذبيحين، كما توهمه العجلوني، على أن تصحيح حديث مرفوع في كون إسحاق هو الذبيح غير معتبر، ولولا خشية الإطالة لأسهبنا في ذكر ماورد في ذلك وفي إيضاح علة كل حديث منه، لكن المقصود هنا إثبات أن لفظ: (أنا ابن الذبيحين) لم يرد عن النبي ﷺ، وأن حديث معاوية الذي ورد فيه أن الأعرابي قال للنبي ﷺ: يا ابن الذبيحين، فتبسم النبي ﷺ، غير صحيح.

وأما حديث وضع الحوامل في السنة التي ولد فيها النبي ﷺ الذكورَ كرامة له، فقد ذكره السيوطي في [الخصائص الكبرى] وبين أنه منكر شديد النكارة، ونصه (ج١ ص١١٧، ١١٨): (أخرج أبونعيم عن عمرو بن قتيبة قال: سمعت أبي ـ وكان من أوعية العلم ـ قال: (لما حضرت ولادة آمنة قال الله لملائكته: افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان كلها، وأمر الله الملائكة بالحضور، فنزلت تبشر بعضها بعضاً

---

(١) أي: للتأويل؛ لأن العرب تجعل العم أباً.

وتطاولت جبال الدنيا وارتفعت البحار وتباشر أهلها فلم يبق ملك إلا حضر وأخذ الشيطان فَغُل سبعين غِلاً، وألقي منكوساً في لجة البحار الخضراء وغلت الشياطين والمردة وألبست الشمس يومئذٍ نوراً عظيماً وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء في الهواء ينتظرون ولادة محمد ﷺ، وكان قد أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامة لمحمد ﷺ، وأن لا تبقى شجرة إلا حملت ولا خوف إلا عاد أمناً، فلماولد النبي ﷺ امتلأت الدنيا كلها نوراً، وتباشرت الملائكة وضرب في كل عمود من زبرجد وعمود من ياقوت قد استنار به فهي معروفة في السماء قد رآها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، قيل: هذا ما ضرب لك استبشاراً بولادتك وقد أنبت الله ليلة ولد على شاطىء نهر الكوثر سبعين ألف شجرة من المسك الأذفر ثمارها بخور أهل الجنة وكل أهل السموات يدعون الله بالسلامة ونكست الأصنام كلها وأما اللات والعزى فإنهما خرجا من خزانتهما، وهما يقولان: ويح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصديق لا تعلم قريش ماذا أصابها، وأما البيت فإنما سمعوا من جوفه صوتاً وهو يقول: الآن يرد علي نوري الآن يجيئني زواري، الآن أطهر من أنجاس الجاهلية، أيتها العزى هلكت، ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن وهذا أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله ﷺ). ثم قال السيوطي في هذا الأثر وأثرين آخرين معه (ص١٢٢) ما نصه: (فيها ـ أي تلك الآثار الثلاثة التي كان هذا من ضمنها ـ نكارة شديدة ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ولم تكن نفسي لتطيب بإيرادها لكنني تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك).

وأما حديث أن كل دابة لقريش نطقت ليلة الحمل بمحمد ﷺ

وقالت: حمل برسول الله ﷺ إلخ، فقد قال أبونعيم في الجزء الثالث من [دلائل النبوة] (ص٢٢١)، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا عمرو بن محمد بن الصباح قال: ثنا يحيى بن عبدالله البابلتي، ثنا أبوبكر بن أبي مريم عن سعيد بن عمرو الأنصاري عن أبيه قال: قال ابن عباس: فكان من دلالات حمل النبي ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم تبق كاهنة من قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم الكهنة ولم يكن سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والملك مخرساً لا ينطق يومه ذلك ومرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك البحار يبشر بعضهم بعضاً به في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً فكانت أمه تحدث عن نفسها وتقول: أتاني آت حين مر بي من حمله ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال: يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين طراً فإذا ولدتيه فسميه محمداً واكتمي شأنك قال: فكانت تقول: لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ذكر ولا أنثى وإني لوحيدة في المنزل وعبدالمطلب في طوافه قالت: فسمعت وجبة شديدة وأمراً عظيماً فهالني ذلك وذلك يوم الإثنين فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كل رعب وكل فزع ووجع كنت أجده ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء وظننتها لبناً وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن بنات عبدالمطلب يحدقن بي فبينا أنا أعجب

وأقول: واغوثاه من أين علمن بي هؤلاء؟ واشتد بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول فإذا أنا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا قائل يقول: خذوه عن أعين الناس، قالت: ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح مني عرق كالجمان أطيب ريحاً من المسك الأذفر وأنا أقول: يا ليت عبدالمطلب قد دخل علي وعبدالمطلب عني ناء، قالت: ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليواقيت فكشف لي عن بصري فأبصرت ساعتي مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات: علم في المشرق وعلم في المغرب وعلم على ظهر الكعبة وأخذني المخاض واشتد بي الأمر جداً فكنت كأني مستندة إلى أركان النساء كثرن علي حتى كان الأيدي معي في البيت وأنا لا أرى شيئاً فولدت محمداً ﷺ[1]، فلما خرج من بطني درت فنظرت إليه فإذا أنا به ساجد وقد رفع إصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته فغيب عن وجهي فسمعت منادياً ينادي يقول: طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار كلها؛ ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محى به في زمنه ثم تجلت عنه في أسرع وقت فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضاً من اللبن وتحته حريرة خضراء قد

---

(١) لفظ (صلى الله عليه وسلم) من بعض الرواة، كما في [شرح المواهب اللدنية] للزرقاني.

قبض على ثلاث مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض وإذا قائل يقول: قبض محمد على مفاتيح النصر ومفاتيح الذبح ومفاتيح النبوة، هكذا روى أبونعيم هذا الخبر في [دلائل النبوة] ومن طريق أبي نعيم أورده الحافظ ابن كثير في الجزء السادس من [البداية والنهاية] (ص٢٩٨، ٢٩٩)، والسيوطي في الجزء الأول من [الخصائص الكبرى] (ص١١٨ ـ ١٢١) والقسطلاني في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص١٠٨) ولما بين ما في نسختي [دلائل النبوة] اللتين عندي وبين ما عزاه ابن كثير والسيوطي والقسطلاني إلى أبي نعيم من اختلاف بزيادة تارة ونقصان تارة أخرى، أورد ما عند كل واحد منهم مقروناً ببيان ما قاله كل منهم في درجته. فأقول: قال الحافظ ابن كثير في (باب ما أعطي محمد ﷺ من الآيات وما أعطي من قبله من الأنبياء من الآيات): (قد أورد الحافظ أبونعيم هاهنا حديثاً غريباً مطولاً بالمولد فقال ـ أي أبونعيم ـ: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا حفص بن عمرو بن الصباح، حدثنا يحيى بن عبدالله البابلتي، أنا أبوبكر بن أبي مريم عن سعيد بن عمرو الأنصاري عن أبيه قال: قال ابن عباس: فكان من دلالات حمل محمد ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة: قد حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم يبق كاهن في قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والملك مخرساً لا ينطق يومه لذلك، وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار بشر بعضهم بعضاً وفي كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السموات: أبشروا

فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً قال: (وبقي في بطن أمه تسعة أشهر وهلك أبوه عبدالله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا، بقي نبيك هذا يتيماً، فقال الله تعالى للملائكة: أنا له ولي وحافظ ونصير فتبركوا بمولده ميموناً مباركاً وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته[١]، وكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول: أتى لي آت حين مر لي من حمله ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال: يا آمنة إنك حملت بخير العالمين طراً فإذا ولدتيه فسميه محمداً واكتمي شأنك قال: وكانت تحدث عن نفسها وتقول: لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ذكر ولا أنثى وإني لوحيدة في المنزل وعبدالمطلب في طوافه قالت: فسمعت وجبة شديدة وأمراً عظيماً فهالني ذلك وذلك يوم الإثنين، ورأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب كل رعب وكل فزع ووجل كنت أجد، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبناً وكنت عطشى، فتناولتها فشربتها فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن من بنات عبدالمطلب يحدقن بي فبينا أنا أعجب وأقول: واغوثاه من أين علمن

---

(١) ما بين قوله: (ميموناً مباركاً) وبين قوله: (وكانت آمنة) ليس فيما لدي من نسخ [دلائل النبوة] لأبي نعيم، وإنما هو عند ابن كثير وسيأتي فيما عند السيوطي في [الخصائص الكبرى] من طريق أبي نعيم بلفظ (قال: وبقي في بطن أمه تسعة أشهر كملاً لا تشكو وجعاً ولا ريحاً ولا مغصاً ولا ما يعرض للنساء ذوات الحمل وهلك أبوه عبدالله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا بقي نبيك هذا يتيماً فقال الله: أنا له وليٌّ وحافظ ونصير وتبركوا بمولده فمولده ميمون مبارك وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته).

بي؟ واشتد بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول وإذا أنا بديباج أبيض قد مد ما بين السماء والأرض وإذا قائل يقول: خذوه عن أعين الناس قالت: رأيت رجالاً وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح مني عرق كالجمان أطيب ريحاً من المسك الأذفر وأنا أقول: يا ليت عبدالمطلب قد دخل علي قالت: ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجري مناقيرها من الزمرد، وأجنحتها من اليواقيت فكشف الله لي عن بصري فأبصرت من ساعتي مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاث علامات مضروبات علم بالمشرق وعلم بالمغرب، وعلم على ظهر الكعبة، فأخذني المخاض واشتد بي الطلق جداً فكنت كأني مسندة إلى أركان النساء وكثرن علي حتى كأني (كذا) مع البيت وأنا لا أرى شيئاً فولدت محمداً فلما خرج من بطني درت فنظرت إليه فإذا هو ساجد وقد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته فغيب عن عيني فسمعت منادياً ينادي يقول: طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار كلها؛ ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا أنه سمي الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محي به قالت: ثم تخلوا عنه في أسرع وقت فإذا أنا به مدرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضاً من اللبن وتحته حريرة خضراء وقد قبض محمد ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض وإذا قائل يقول: قبض محمد مفاتيح النصر ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة، بهذا اللفظ أورد ابن كثير هذا الحديث من طريق أبي نعيم في [دلائل النبوة] ثم قال: (هكذا أورده ـ أي أبونعيم ـ وسكت عليه وهو غريب جداً).

وقال السيوطي في الجزء الأول من [الخصائص الكبرى] (ص١١٨ ـ ١٢١): (أخرج أبونعيم عن ابن عباس قال: كان من دلالات حمل رسول الله ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة وهو أمان الدنياوسراج أهلها ولم تبق كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والملك مخرساً لا ينطق يومه ذلك، ومرت وحش المشرق إلى وحش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً به في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً، قال: (وبقي في بطن أمه تسعة أشهر كملاً لا تشكو وجعاً ولا ريحاً ولا مغصاً ولا ما يعرض للنساء ذوات الحمل، وهلك أبوه عبدالله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا بقي نبيك هذا يتيماً فقال الله: أنا له ولي وحافظ ونصير وتبركوا بمولده فمولده ميمون مبارك وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته[1] فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول: أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال لي: يا آمنة، إنك قد حملت بخير العالمين طراً فإذا ولدتيه فسمه محمداً فكانت تحدث عن نفاسها وتقول: لقد أخذني

---

(١) ما بين القوسين في [الخصائص الكبرى] من طريق أبي نعيم بهذا اللفظ، وتقدم لفظه عند ابن كثير من طريقه، وليس فيما عندي من نسخ [دلائل النبوة] لا بهذا اللفظ ولا باللفظ الذي عند ابن كثير.

ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم فسمعت وجبة شديدة وأمراً عظيماً، فهالني ذلك، فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كل رعب وكل وجع كنت أجد، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء لبناً وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء مني نور عالٍ ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن من بنات عبدمناف يحدقن بي فبينا أنا أعجب وإذا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول: خذوه من أعين الناس قالت: ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجري مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليواقيت فكشف الله عن بصري وأبصرت تلك الساعة مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علماً في المشرق وعلماً في المغرب وعلماً على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فولدت محمداً ﷺ فلما خرج من بطني نظرت إليه فإذا أنا به ساجداً قد رفع إصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيب عن وجهي وسمعت منادياً ينادي: طوفوا بمحمد شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محي في زمنه ثم تجلت عنه في السرع فإذا أنا به مدرجاً في ثوب صوف أبيض وتحته حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب وإذا قائل يقول: قبض محمد على مفاتيح النصرة ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة[1]، ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان

---

(١) عبارة (ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل) إلى قوله: (ثم رده إلي) زيادة عند السيوطي في [الخصائص الكبرى] مما عزاه إلى أبي نعيم وليست فيما =

الأجنحة حتى غشيته فغيب عَن عيني فسمعت منادياً ينـــادي: طوفوا بمحمد الشرق والغرب وعلى موالد النبيين واعرضوه على كل روحاني من الجـــن والإنس والطير والسباع وأعطوه صفاء آدم ورقة نوح وخلة إبراهيم ولسان إسماعيل وبشرى يعقوب وجمال يوسف وصوت داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى، واغمروه في أخلاق الأنبياء، ثم تجلت عنه فإذا أنا قد قبض على حريرة خضراء مطوية، وإذا قائل يقول: بخ بخ، قبض محمد ﷺ على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل في قبضته وإذا أنا بثلاثة نفر في يد أحدهم إبريق من فضة، وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر، وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين دونه، فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده إلي)، هكذا ساقه السيوطي في [الخصائص الكبـــرى] وعزاه إلى أبي نعيم، وقال فيه وفي أثرين آخرين ذكرهما معه قال: فيها ـ أي في تلك الآثار الثلاثة التي كان هذا الأثر منها ـ نكارة شديدة، ولم أورد في كتابي هذا ـ أي [الخصائص الكبرى] ـ أشـــد نكارة منها ولم تطب نفسي بإيرادها لكني تبعت

= لدي من نسخ الدلائل، ولا في الرواية التي ذكرها ابن كثير وسيأتي لفظها عند القسطلاني ضمن ما عزاه إلى أبي نعيم، وبين لفظيهما من الاختلاف ما سيطلع عليه القارىء عند المقارنة بينهما إن كان مراد القسطلاني بقوله بعد ذكر رواية الخطيب التي فيها ذلك (ورواه أبونعيم): أن لفظهما واحد.

أبا نعيم في ذلك) ا.هـ كلام السيوطي[1].

وقال القسطلاني في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص١٠٨): (روى أبونعيم[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة وهو إمام[3] الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً. وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبوالقاسم ﷺ ميموناً مباركاً) الحديث وهو شديد الضعف، وقال في (ص١١١، ١١٢) من هذا الجزء: (روى أبونعيم من حديث ابن عباس قال: (كانت آمنة تحدث وتقول: أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر

---

(١) وعلى كلامه في هذا الأثر اعتمد السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من فتاويه (ص٤٤٩) فقد قال في بيان درجته: (إن الأثر الذي يذكرونه ـ أي مؤلفو الموالد في نطق الدواب والوحوش ليلة حمله ـ أي النبي محمد ﷺ قد أخذه واضعو قصص المولد من رواية أبي نعيم وهو منكر جداً أورده السيوطي في [الخصائص الكبرى] وأنكره مع آخرين، ثم جزم السيد رشيد رضا بأن تلك الآثار الثلاثة قد جمعت أكثر المنكرات في قصص المولد.

(٢) أي في [دلائل النبوة]، كما في [شرح المواهب اللدنية] للشيخ محمد بن عبدالباقي الزرقاني.

(٣) قال الزرقاني: (بالميم قدوة أهلها) قال: (ورأيته في خصائص السيوطي الكبرى عن أبي نعيم) أمان بالنون: أي أمانها من العاهات العامة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

في المنام وقال لي: يا آمنة، إنك قد حملت بخير العالمين، فإذا ولدته فسميه محمداً واكتمي شأنك قالت: ثم أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد لا ذكر ولا أنثى، وإني لوحيدة في المنزل وعبدالمطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وأمراً عظيماً هالني ثم رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل وجع أجده، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالاً كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن فبينما أتعجب وأنا أقول: واغوثاه، من أين علمن بي؟ قال في غير هذه الرواية: فقلن لي: نحن آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وهؤلاء من الحور العين[١] واشتد بي الأمر وإني أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينما أنا كذلك إذ بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول: خذاه عن أعين الناس قال: ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة، ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقـــوت، فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علماً بالمشرق، وعلماً بالمغرب، وعلماً على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فوضعت محمداً ﷺ[٢] فنظرت إليه

---

(١) قوله: (فقلن لي: نحن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور العين) مما عزاه القسطلاني إلى أبي نعيم ولم أجده فيما لدي من نسخ [دلائل النبوة] لأبي نعيم ولا فيما عزاه إليه ابن كثير ولا فيما عزاه إليه السيوطي.

(٢) لفظ (صلى الله عليه وسلم) ذكر الزرقاني أنه من الراوي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر
رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الريـاض – المملكة العربية السعودية
الطبعة الثانية: ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء

حكم الاحتفال بالمولد .- الرياض ، ١٤٢٣هـ

٢مج (٩٣٧) ؛ ١٧ × ٢٤ سم.

ردمك: ٤-٨٣-٠-١١-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-٢٦٧-١١-٩٩٦٠ (ج٢)

١- المولد النبوي ٢- البدع في الإسلام ٣- الفتاوى الشرعية

أ - العنوان

ديوي ٢١٢,٣ ١٤٢٣/٦٢١٧

رقم الإيداع: ١٤٢٣/٦٢١٧
ردمـك: ٤-٨٣-٠-١١-٩٩٦٠ (مجموعة)
٧-٢٦٧-١١-٩٩٦٠ (ج٢)

الجزء الثاني

الرسالة السادسة: القول الفصل في حكم التوسل بخير الرسل

لفضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري

الرسالة السابعة: الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع

لفضيلة الشيخ محمد بن سعد بن شقير

الرسالة السادسة

القـــول الفصـــل
في حكم التوسل بخير الرسل

لفضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين، محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإن الاحتفال باليوم الذي يُقال بأنه يوافق يوم المولد النبوي نال في عصرنا هذا اهتماماً كبيراً من سماحة العلامة الجليل الأثري الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله تعالى، فإنه بعد أن عرض أمره على كتاب الله تعالى وعلى سنة رسول الله ﷺ فلم يجد لذلك العمل أساساً فيهما ـ بحث عن عمل السلف الصالح فيه، ثم تتبع ما كتبه أهل العلم المتأخرون في ذلك الاحتفال فتوصل إلى ما أوضحه لطلاب الحق في كلمة قيمة نشرت له في ربيع الأول عام ١٤٠٢هـ يتلخص مضمونها فيما يلي:

١ ـ أن السلف الصالح الذين هم أعلم الناس بما جاء به رسول الله ﷺ وأكملهم حباً له ومتابعة لشرعه لم يحتفلوا بذلك اليوم، ولم يدعوا إلى الاحتفال به، وإنما أُحدث الاحتفال به بعدهم، وفي ذلك دليل على أن النبي ﷺ لم يحتفل به ولم يدع إلى الاحتفال به.

٢ ـ أن أول من أحدث الاحتفال به المتسمون بـ: (الفاطميين) وهم معروفون بفساد العقيدة وبالإفساد.

٣ ـ أن الذين بحثوا من المتأخرين في ذلك الاحتفال: منهم من أنكره اعتماداً على النصوص القطعية المحذرة من الابتداع في الدين؛ لأنه ـ أي: ذلك الاحتفال ـ لا أساس له، لا في الكتاب ولا في السنة ولا في عمل السلف الصالح.

ومنهم من أجاز الاحتفال به بشرط خلوه من المنكرات، لكن ذلك شرط لم يتقيد به المحتفلون به.

فقد وقع من بعضهم فيه الإطراء بالنبي ﷺ الذي نهى عنه بقوله: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**» رواه البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما وقع من بعضهم في مدة الاحتفال التخلف عما أوجبه الله عليه من حضور الجمع والجماعات نتيجة نشاطه مدة الاحتفال فيما يتعلق به، ووقع في بعض تلك الحفلات اختلاط النساء بالرجال كما يقع من بعض المحتفلين القيام أثناء قراءة بعض القصص التي تقرأ في تلك المناسبة باسم الموالد على أساس دعوى أن النبي ﷺ قد حضر المولد في ذلك الوقت الذي يتخيل حضوره فيه لتحيته ﷺ.

وأضاف سماحة العلاَّمة الأثري الشيخ حفظه الله في كلمته إلى ذلك التنبيه على أمرين هامين:

أحدهما: أن الاحتفال بذلك اليوم لا يحقق المراد من حب رسول الله ﷺ، وإنما يحققه اتباعه وطاعته.

الثاني: أن كثرة المحتفلين به وكثرة الدعاة إلى الاحتفال بـه، لا تدل على أن الاحتفال به حق، فإن كثرة المرتكبين الشيء وكثرة

الدعاة إليه لا تدلان على كونه حقاً، وإنما يدل على كونه حقّاً الأدلة الشرعية.

هذا تلخيص لمضمون تلك الكلمة القيمة.

وبعده نورد نصها فيما يلي:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه.

أما بعـد:

فإنه قد طرأ على صفاء هذا الدين ووضوح أحكامه في عصور انحطاط المسلمين كثير من البدع والمحدثات التي زادت انحطاطهم انحطاطاً، وشغلتهم عن العودة إلى العقيدة الصافية والتمسك بها، والرجوع إلى الحق بتتبع المظاهر الفارغة والتقاليد العمياء التي سنَّها من ضل وأضل، فحادت بهم عن طريق الحق، وسلكت بهم مسالك الضلال، ولبست على المسلمين في عقيدتهم، وأخمدت فيهم جذوة الإيمان وجمال الاتبـاع، وامتصت طاقاتهم المتعددة المتقدة قوةً وحماساً، بمظاهر فارغة وأعمال خاوية، فانتشرت بينهم أعمال الاحتفالات المبتدعة، واتجه رجاؤهم وتعلقهم بالله إلى التعلق بالقبور والأضرحة، والتماس الشفاعة منها، وطلب الحاجات إليها، فعاد أكثر المسلمين بهذه الضلالات إلى مظاهر الوثنية وتقديس الأشخاص فاستخفهم أعداؤهم، وازداد تدهورهم، وتحولت قوتهم إلى ضعف، وبحلول التاريخ الذي يعتقد الناس أنه يوافق مولد رسولنا الكريم ﷺ - تحل المناسبة فابتدع كثير من الناس إقامة الاحتفالات بالمولد، وزعموا أن ذلك مما يحقق المراد من حب رسول الله ﷺ وموالاته،

ويُغْفِلون الواجب في أن محبة الرسول إنما تكون باتباعه وطاعته.

أما هذه الاحتفالات الشائعة فهي غير جائزة، بل هي من البدع المحدثة في الدين؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعلها ولا خلفاؤه الراشدون، ولا غيرهم من الصحابة ـ رضوان الله على الجميع ـ ولا التابعون لهم بإحسان في القرون المفضلة، وهم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حباً لرسول الله ﷺ ومتابعةً لشرعه ممن بعدهم، وأول من ابتدعها فيما بلغنا هم الفاطميون في القرن الرابع الهجري، وهم معروفون بالعقيدة الفاسدة وإظهار التشيع لأهل البيت والغلو فيهم، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**» أي: مردود عليه، وقال في حديث آخر: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**».

ففي هذين الحديثين تحذير شديد من إحداث البدع والعمل بها.

وقد قال الله سبحانه في كتابه ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم

---

(١) سورة الحشر، الآية ٧.
(٢) سورة النور، الآية ٦٣.
(٣) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

بِإِحْسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٖ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾[١]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينٗاۚ﴾[٢]. والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وإحداث مثل هذه الموالد يفهم منه: أن الله سبحانه لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول ﷺ لم يبلغ ما ينبغي للأمة أن تعمل به حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به زاعمين أن ذلك مما يقرب إلى الله. وهذا بلا شك فيه خطر عظيم واعتراض على الله سبحانه، وعلى رسوله ﷺ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين وأتم عليهم النعمة، والرسول ﷺ قد بلَّغ البلاغ المُبين، ولم يترك طريقاً يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بيَّنه للأمة، كما ثبت في الحديث الصحيح عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بعث الله من نبي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم**» رواه مسلم في صحيحه.

ومعلوم أن نبينا ﷺ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم. وأكملهم بلاغاً ونصحاً، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي يرضاه الله سبحانه لبيَّنه الرسول ﷺ للأمة، أو فعله في حياته، أو فعله أصحابه رضي الله عنهم، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء،

---

(١) سورة التوبة، الآية ١٠٠.
(٢) سورة المائدة، الآية ٣.

بل هو من المحدثات في الدين التي حذر الرسول ﷺ منها أمته، كما تقدم ذكر ذلك في الحديثين السابقين.

وقد جاء في معناهما أحاديث أُخر، مثل قوله ﷺ في خطبة الجمعة: «**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة..**» رواه الإمام مسلم في صحيحه. والآيات والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وقد صرح جماعة من العلماء بإنكار الموالد والتحذير منها؛ عملاً بالأدلة المذكورة وغيرها، وخالف بعض المتأخرين فأجازها إذا لم تشتمل على شيء من المنكرات؛ كالغلو في رسول الله ﷺ، وكاختلاط النساء بالرجال، واستعمال آلات الملاهي، وغير ذلك مما ينكره الشرع المطهر، وظنوا أنها من البدع الحسنة.

والقاعدة الشرعية: رد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، كما قال الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ﴾[2]، وقد رددنا هذه المسألة ـ وهي الاحتفال بالموالد ـ إلى كتاب الله سبحانه فوجدناه يأمرنا باتباع الرسول ﷺ فيما جاء به، ويحذرنا عما نهى عنه، ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول ﷺ، فيكون ليس

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

(٢) سورة الشورى، الآية ١٠.

من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه، وقد رددنا ذلك أيضاً إلى سنة الرسول ﷺ فلم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به، ولا فعله أصحابه رضي الله عنهم، فعلمنا بذلك أنه ليس من الدين، بل هو من البدع المحدثة، ومن التشبه بأهل الكتاب، وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق وإنصاف في طلبه أن الاحتفال بالموالد ليس من دين الإسلام، بل هو من البدع المحدثات التي أمر الله سبحانه ورسوله ﷺ بتركها والحذر منها، ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار، فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين، وإنما يعرف بالأدلة الشرعية، كما قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾[2] الآية، ثم إن غالب هذه الاحتفالات بالموالد مع كونها بدعة لا تخلو من اشتمالها على منكرات أخرى؛ كاختلاط النساء بالرجال، واستعمال الأغاني والمعازف، وشرب المسكرات والمخدرات، وغير ذلك من الشرور، وقد يقع فيها ما هو أعظم من ذلك، وهو الشرك الأكبر، وذلك بالغلو في رسول الله ﷺ أو غيره من الأولياء؛ بدعائه، والاستعانة به، وطلبه المدد منه، واعتقاد أنه يعلم الغيب، ونحو ذلك من الأمور الكفرية التي يتعاطاها الكثير من الناس حين احتفالهم بمولد النبي ﷺ وغيره ممن يسمونهم

---

(١) سورة البقرة، الآية ١١١.
(٢) سورة الأنعام، الآية ١١٦.

بالأولياء، وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**»، وقال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله**» أخرجه البخاري في صحيحه، من حديث عمر رضي الله عنه.

ومن العجائب والغرائب أن الكثير من الناس ينشط ويجتهد في حضور هذه الاحتفالات المبتدعة ويدافع عنها، ويتخلف عما أوجب الله عليه من حضور الجمع والجماعات، ولا يرفع لذلك رأساً، ولا يرى أنه أتى منكراً عظيماً، ولا شك أن ذلك من ضعف الإيمان، وقلة البصيرة، وكثرة ما ران على القلوب من صنوف المعاصي والذنوب. نسأل الله العافية لنا ولسائر المسلمين.

ومن ذلك أن بعضهم يظن أن رسول الله ﷺ يحضر المولد، ولهذا يقومون له محيين ومرحبين، وهذا من أعظم الباطل وأقبح الجهل، فإن رسول الله ﷺ لا يحضر الموالد، ولا يحضر اجتماعاتهم، بل هو في قبره إلى يوم القيامة، وروحه في أعلى عليين عند ربه في دار الكرامة، كما قال تعالى في سورة المؤمنون: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ۝١٦﴾[(١)]، وقال النبي ﷺ: «**أنا أول من ينشق عنه القبر يوم القيامة، وأنا أول شافع وأول مشفع**» عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام، فهذه الآية الكريمة والحديث الشريف وما جاء في معناهما من الآيات والأحاديث كلها تدل على أن النبي ﷺ

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان ١٥ ، ١٦.

وغيره من الأموات إنما يخرجون من قبورهم يوم القيامة، وهذا أمر مجمع عليه بين علماء المسلمين ليس فيه نزاع بينهم، فينبغي لكل مسلم التنبه لهذه الأمور، والحذر مما أحدثه الجهال وأشباههم من البدع والخرافات التي ما أنزل الله بها من سلطان. والله المستعان، وعليه التكلان، ولا قوة إلا بالله.

أما الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ فهي من أفضل القربات، ومن الأعمال الصالحات، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾[1]، وقال النبي ﷺ: «**من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه بها عشراً**»، وهي مشروعة في جميع الأوقات، ومتأكدة في آخر كل صلاة، بل واجبة عند جمع من أهل العلم في التشهد الأخير، وسُنَّة مؤكدة في مواضع كثيرة. منها: ما بعد الأذان، وعند ذكره عليه الصلاة والسلام، وفي يوم الجمعة وليلتها، كما دلت على ذلك أحاديث كثيرة.

والله المسؤول أن يوفقنا وسائر المسلمين للفقه في دينه، والثبات عليه، وأن يمنَّ على الجميع بلزوم السُنَّة والحذر من البدع، إنه جواد كريم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

وقد أُثيرت ضجة كبيرة حول تلك الكلمة القيِّمة، المعروف كاتبها ـ العلامة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، الأثري ـ بالدعوة

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

إلى كتاب الله تعالى، وإلى سُنَّة رسول الله ﷺ، وإلى ما مضى عليه السلف الصالح، وبالدفاع عن ذلك، وبالرد على أهل البدع والأهواء، وكان الواجب بدل تلك الإثارة قبول الحق الذي تضمنته الكلمة، لكن المثيرون رفضوا ذلك وهم:

١ ـ د. محمد بن علوي بن عباس المالكي الحسني الذي قام بعد نشر تلك الكلمة بطبع كتاب [المورد الروي في المولد النبوي] لعلي القاري، وعلق عليه وقدم له بمقدمة دعا فيها إلى الاحتفال بالمولد النبوي، كما قام بطبع المولد المعروف بـ [مولـــد الدِّيبـــع] طبعتين، عنون إحداهما: بعنوان: [مولد الحافظ ابن الديبع]، والأخرى: بعنوان: [مختصر في السيرة النبوية] تأليف الإمام الحافظ عبدالرحمن بن الديبع الشيباني صاحب [تيسير الوصول]، وعلق على كل واحدة من الطبعتين، وقدم للثانية منهما، وألَّف رسالة سمَّاها: [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف].

٢ ـ الأستاذ يوسف السيد هاشم الرفاعي، فقد قام برد على كلمة سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، نشرت حلقته الأولى في عدد جريدة (السياسة) الكويتية (٤٨٥٩) الصادر في (١٢) ربيع الأول عام (١٤٠٢هـ)، ونشرت حلقته الثانية في عدد الجريدة المذكورة (٤٨٧٠) الصادر يوم الإثنين (٢٣/ ٣/ ١٤٠٢هـ).

٣ ـ كاتب نشرت كلمته في مجلة (المجتمع) عدد (٥٥٩) الصادر يوم الثلاثاء الثامن من ربيع الثاني عام (١٤٠٢هـ)، وهذا الكاتب لم يذكر اسمه، إنما وقع على كلمته بعبارة (أخوكم في الله من السعودية

بالرياض)، وأغلب ما في كلمة هذا الكاتب وما في كلمة الرفاعي مأخوذ من عبارات الشيخ محمد بن علوي المالكي.

٤ ـ الأستاذ أنور أسعد أبوالجدائل، احتوى رده على مقالات عديدة نشرت في أعداد من جريدة (المدينة المنورة) تحت عنوان (استرعى انتباهي).

وتحتوي ردودهم على ما يلي:

١ ـ عدم تسليم قول سماحة العلاَّمة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز في الموالد، (أول من ابتدعها فيما بلغنا هم الفاطميون في القرن الرابع الهجري، وهم معروفون بالعقيدة الفاسدة)، فقد تعقبه الرفاعي في الحلقة الثانية من رده المنشور في عدد جريدة (السياسة) الكويتية (٤٨٧٠) الصادر يوم الإثنين (٢٣) ربيع الأول عام (١٤٠٢هـ) بما نصه: ليس الاحتفال بالمولد من مخترعات الدولة الفاطمية، بل هو السلطان مظفر صاحب إربل المتوفى سنة (٦٣٠هـ).

٢ ـ أن للاحتفال بذلك اليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوي أدلة كثيرة:

أولها: قول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[1]، استدل به محمد بن علوي المالكي في رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي] (ص ٧، ٨)، وفي مقدمته لـ [المورد الروي، في المولد النبوي] (ص ١٠)، وفي مقدمته لطبعة [مولد الديبع] الأولى، طبعة مطابع سحر بجدة، (ص٦) للاحتفال بذلك اليوم، قال

---

(١) سورة يونس، الآية ٥٨.

في الجميع: (إن الفرح به ﷺ مطلوب بأمر القرآن من قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾(١)، فالله أمرنا أن نفرح بالرحمة، والنبي ﷺ أعظم الرحمة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(٢) ا. هـ.

وساق الأستاذ يوسف السيد هاشم الرفاعي في الحلقة الأولى من مقاله المنشور في عدد (السياسة) الكويتية (٤٨٧٠) الصادر يوم الإثنين (٢٣/ ٣/ ١٤٠٢هـ) نفس ما قاله في ذلك.

الثاني: ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجىٰ موسى، فنحن نصومه شكراً لله عز وجل، فقال ﷺ: «**فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم**» فصامه وأمر بصيامه، ورد الاستدلال بهذا الحديث في جواب للحافظ ابن حجر العسقلاني عن سؤال وجه إليه عن عمل المولد حسبما ذكره السيوطي في [حسن المقصد في عمل المولد]، وهو من محتويات الجزء الأول من [الحاوي للفتاوي] (ص ١٩٦) والزرقاني في الجزء الأول من شرحه لـ [المواهب اللدنية] (ص ١٤٠)، ونص [الحاوي]: (أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح في القرون الثلاثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن وتجنب ضدها كان بدعة حسنة، وإلا فلا، وقد ظهر لي تخريجها على أصل ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي

---

(١) سورة يونس، الآية ٥٨.
(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٠٧.

ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى، فنحن نصومه شكراً لله تعالى)[١]، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة. والشكر لله يحصل بأنواع العبادة، كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة، وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم، وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة وفيه ما فيه، فهذا ما يتعلق بأصل عمله. وأما ما يعمل فيه فينبغي أن يقتصر فيه على ما يفهم الشكر لله تعالى من نحو ما تقدم ذكره من التلاوة والإطعام والصدقة وإنشاد شيء من المدائح النبوية والزهدية المحركة للقلوب إلى فعل الخير وعمل الآخرة، وأما ما يتبع ذلك من السماع واللهو وغير ذلك فينبغي أن يقال: ما كان من ذلك مباحاً بحيث يقتضي السرور بذلك اليوم لا بأس بإلحاقه به، وما كان حراماً أو مكروهاً فيمنع، وكذا ما كان خلاف الأولى) ا.هـ.

هذا نص جواب الحافظ العسقلاني، ومنه أخذ محمد بن علوي المالكي قوله في (ص ٨) من رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف]. وفي (ص ٧) من مقدمته لطبعة [مولد الديبع] الأولى وفي

---

(١) كذا في المرجعين لم يذكر فيهما قول النبي ﷺ: «فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم» فصامه وأمر بصيامه، مع كون المقام يقتضي ذكره؛ لأن الاستدلال به.

(ص ١٠ ـ ١١) من مقدمته لـ [المورد الروي في المولد النبوي] قوله: (إن النبي ﷺ كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى التي مضت وانقضت، فإذا جاء الزمان الذي وقعت فيه كان فرصة لتذكرها وتعظيم يومها لأجلها، ولأنه ظرف لها، وقد أصل ﷺ هذه القاعدة بنفسه، كما صح في الحديث أنه ﷺ لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء سأل عن ذلك، فقيل له: إنهم يصومونه؛ لأن الله نجى فيه نبيهم وأغرق عدوهم، فهم يصومون شكراً لله على هذه النعمة، فقال ﷺ: «**نحن أولى بموسى منكم**» فصامه وأمر بصيامه، وقد أوجز صاحب المقال المنشور في عدد (المجتمع) (٥٥٩) الصادر يوم الثلاثاء الثامن من ربيع الثاني عام (١٤٠٢هـ) كلامه، ولفظه: (إن النبي ﷺ كان يلاحظ ارتباط الزمان بالحوادث الدينية العظمى، ودليل ذلك أن النبي ﷺ لما وصل إلى المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء، سأل عن ذلك، فقيل له: إنهم يصومونه؛ لأن الله نجي فيه نبيهم وأغرق عدوهم، فهم يصومونه شكراً لله على هذه النعمة، فقال عليه الصلاة والسلام: «**نحن أولى بموسى منكم**» فصامه وأمر بصيامه. كما اعتمد على عبارة محمد بن علوي في ذلك الأستاذ يوسف هاشم الرفاعي في الحلقة الثانية من حلقتي مقاله المنشور في عدد جريدة (السياسة) الكويتية (٤٨٧٠) الصادر يوم الإثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول عام (١٤٠٢هـ)، وأحال بعد ذكرها على مقدمة [المورد الروي في المولد النبوي]، وقد أخطأ الأستاذ الرفاعي في الحلقة الأولى من رده خطأً فاحشاً، حيث عزا فتوى الحافظ ابن حجر العسقلاني التي عبر عنها محمد بن علوي

المالكي بتلك العبارة التي قلده فيها ـ عزاها في الحلقة الأولى من رده إلى الهيتمي، ولفظه: ومنهم ـ أي الذين أفتوا بإباحة الاحتفال بالمولد النبوي ـ العلَّامة المحدث[١] الشيخ أحمد شهاب الدين بن حجر الهيتمي المكي (٩٠٩ ـ ٩٧٤) صاحب [الفتاوى الحديثية] الذي أفتى بجوازه، واستنبط له أصلاً من الشريعة الغرَّاء حيث قال: (وقد ظهر لي تخريجه على أصل ثابت وهو ما ثبت في الصحيحين من أن النبي ﷺ قدم المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى فنحن نصومه شكراً لله تعالى، فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة. والشكر لله يحصل بأنواع العبادة كالسجود والصيام والصدقة والتلاوة)، وقال ابن حجر بعد هذا: (وأي نعمة أعظم من النعمة ببروز هذا النبي نبي الرحمة في ذلك اليوم، وعلى هذا ينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء)، ويدل على كون عزو هذه الفتوى إلى ابن حجر الهيتمي خطأ ـ أمران:

أحدهما: أن السيوطي الذي نقل تلك الفتوى في رسالته [حسن المقصد في عمل المولد] توفي سنة إحدى عشرة وتسعمائة، وهي السنة التي ولد فيها أحمد بن حجر الهيتمي حسبما ذكره الشيخ الغزي في ترجمته [عن الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة] (ج٣

---

(١) وصف الهيتمي بأنه محدث غلط آخر، فإنه ليس بمحدث، وإنما هو فقيه متصوف.

ص١١١)، قال: (أخبرني عنه ـ أي: الهيتمي ـ تلميذه محمد بن عبدالعزيز الزمزمي مفتي مكة: أن مولده سنة إحدى عشرة وتسعمائة).

الثاني: وصف السيوطي أحمد بن حجر صاحب تلك الفتوى التي نقلها في [حسن المقصد في عمل المولد] بأنه حافظ العصر وتكنيته إياه بأبي الفضل، فإن هذين الأمرين لا ينطبقان إلا على أحمد بن حجر صاحب [فتح الباري شرح صحيح البخاري]، هو حافظ عصره بلا شك وهو المكنى أبا الفضل، كنَّاه به والده علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن حجر، كماصرح به الحافظ نفسه في ترجمة والده المذكور من [إنباء الغمر بأبناء العمر] (ج١ ص١٧٥) حيث قال: (تركني لم أكمل أربع سنين وأنا الآن أعقله، كالذي يتخيل الشيء ولا يتحققه، وأحفظ منه أنه قال: (كنية ولدي أحمد، أبوالفضل) رحمه الله تعالى.

الثالث: ما أخرجه البيهقي عن أنس رضي الله عنه: (أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة) خرج السيوطي في [حسن المقصد في عمل المولد] عليه، ولفظه بعد إيراده فتوى الحافظ المتقدمة في عمل المولد: (قلت: قد ظهر لي تخريجه ـ أي عمل المولد النبوي ـ على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي، عن أنس أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة) مع أنه قد ورد أن جده عبدالمطلب عق عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي ﷺ إظهار للشكر على إيجاد الله إياه رحمة للعالمين، وتشريع لأمته، كما كان يصلي على نفسه؛ لذلك فيستحب لنا أيضاً إظهار

الشكر بمولده) إلخ كلام السيوطي، وقد نقله عنه شارح [المواهب اللدنية] الزرقاني (ج١ ص١٤٠) قال: (قال السيوطي: وظهر لي تخريجه ـ أي عمل المولد ـ على أصل آخر، وهو ما رواه البيهقي عن أنس أنه ﷺ عق عن نفسه، ولا تعاد العقيقة مرة ثانية، فيحمل على أنه فعله شكراً، فكذلك يستحب لنا إظهار الشكر بمولده بالاجتماع وإطعام الطعام ونحو ذلك من وجوه القربات) ا.هـ.

الرابع: ما جاء عن عروة أنه قال في ثويبة مولاة أبي لهب، وكان أبولهب أعتقها، فأرضعت النبي ﷺ، فلما مات أبولهب أريه بعض أهله بشرحيبة، قال له: ماذا لقيت؟ قال أبولهب: لم ألق بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة؛ تعلق بهذا المرسل الشيخان: شمس الدين ابن الجزري، وشمس الدين بن ناصر الدين الدمشقي، قال الأول في كتابه المسمى [عرف التعريف بالمولد الشريف] ما نصه: (قد رؤي أبولهب بعد موته في النوم، فقيل له: ما حالك؟ فقال: في النار إلا أنه يخفف عني كل ليلة إثنين، وأمص من بين أصبعيَّ ماء بقدر هذا ـ وأشار لرأس أصبعه ـ وإن ذلك بإعتاقي لثويبة عندما بشرتني بولادة النبي ﷺ، وبإرضاعها له، قال: فإذا كان أبولهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ، فما حال المسلم الموحد من أمة النبي ﷺ يسر بمولده؟! ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته ﷺ، لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم)[1]، وقال الثاني في كتابه المسمى [مورد

(١) [حسن المقصد في عمل المولد] للسيوطي (ص١٩٦، ١٩٧) من [الحاوي للفتاوي] =

الصادي في مولد الهادي]: (قد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الإثنين لإعتاقه ثويبة سروراً بميلاد النبي ﷺ، ثم أنشد:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه　　وتبت يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الإثنين دائماً　　يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي طول عمره　　بأحمد مسروراً ومات موحدا[(١)]

وقد اعتمد محمد بن علوي المالكي على كلام ابن ناصر الدين هذا في رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص٥، ٦)، وفي مقدمته لطبعة [مولد الديبع] الأولى (ص٥، ٦)، وفي مقدمته لـ [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٩) ذكر في الجميع: أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف تعبير عن الفرح والسرور بالمصطفى ﷺ، ثم قال: وقد انتفع به الكافر، فقد جاء في البخاري أنه يخفف عن أبي لهب كل يوم الإثنين، بسبب عتقه لثويبة جاريته لما بشرته بولادة المصطفى ﷺ، قال: ويقول في ذلك الحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين[(٢)] الدمشقي:

إذا كان هذا كافراً جاء ذمه　　بتبتْ يداه في الجحيم مخلدا
أتى أنه في يوم الإثنين دائماً　　يخفف عنه للسرور بأحمدا
فما الظن بالعبد الذي كان عمره بأحمد مسروراً ومات موحدا

= (ج١). طبعة المنار، و[المورد الروي]، لعلي القاري (ص٨٢).

(١) [حسن المقصد في عمل المولد] (ص١٩٧).

(٢) لفظ (الدين) ساقط من مقدمة ابن علوي لـ [المورد الروي].

وحذا حذو محمد بن علوي في ذلك الاتجاه الأستاذ يوسف هاشم الرفاعي في الحلقة الثانية من مقاله المنشور في عدد جريدة (السياسة) الكويتية (٤٨٧٠) الصادر يوم الإثنين (٢٣/ ٣) عام (١٤٠٢هـ) تحت عنوان: (حول موضوع شرعية الاحتفال بالمولد النبوي) وصاحب المقال المنشور في مجلة (المجتمع) عدد (٥٥٩) الصادر يوم الثلاثاء الثامن من ربيع الثاني عام (١٤٠٢هـ).

الخامس: أن الذي احتفل بالمولد النبوي وتبعه غيره في ذلك وهو السلطان مظفر سلطان إربل ـ ملك عادل، ذكر ابن خلكان نتفاً من مظاهر احتفاله بالمولد في [وفيات الأعيان] (٣/ ٢٧٣)، كما ذكر ذلك سبط ابن الجوزي في [مرآة الزمان]، وأكثر الإمام أبوشامة شيخ النووي الثناء على الملك المظفر بما كان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف، وثناء ذلك الإمام الجليل على ذلك الفعل الجميل في تلك الليلة أول دليل على أن عمل المولد بدعة حسنة، وصنف الشيخ أبوالخطاب بن دحية للسلطان المذكور مجلداً في المولد النبوي سماه [التنوير في مولد البشير النذير]، وكان حافظاً، ومن أعيان العلماء، كما ترجم له بذلك ابن خلكان. استدل بجميع هذا الأستاذ الرفاعي في الحلقة الأولى من رده المنشور في عدد جريدة (السياسة) الكويتية (٤٨٥٩) الصادر يوم الخميس الثاني عشر من ربيع الأول عام (١٤٠٢هـ).

السادس: ما نقله محمد بن علوي المالكي عن الإمام ابن تيمية في [اقتضاء الصراط المستقيم]، ونص ما نقله عنه: (وكذلك ما يحدثه

بعض الناس؛ إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له، والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع)، ثم قال: (واعلم أن من الأعمال ما يكون فيه خير؛ لاشتماله على أنواع من المشروع، وفيه أيضاً شر من بدعة وغيرها، فيكون ذلك العمل شراً بالنسبة إلى الإعراض عن الدين بالكلية كحال المنافقين والفاسقين، وهذا قد ابتلي به أكثر الأمة في الأزمان المتأخرة، فعليك هنا بأدبين:

أحدهما: أن يكون حرصك على التمسك بالسنة باطناً وظاهراً في خاصتك وخاصة من يطيعك، واعرف المعروف وأنكر المنكر.

الثاني: أن تدعو الناس إلى السنة بحسب الإمكان، فإذا رأيت من يعمل هذا ولا يتركه إلا إلى شر منه فلا تدع إلى ترك منكر بفعل ما هو أنكر منه، أو بترك واجب أو مندوب تركه أضر من فعل ذلك المكروه، ولكن إذا كان في البدعة نوع من الخير فعوض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان، إذ النفوس لا تترك شيئاً إلا بشيء، ولا ينبغي لأحد أن يترك خيراً إلا إلى مثله أو إلى خير منه)، ثم قال: (فتعظيم المولد واتخاذه موسماً قد يفعله بعض الناس، ويكون له فيه أجر عظيم لحسن قصده، وتعظيمه لرسول الله ﷺ، كما قدمته لك أنه يحسن من بعض الناس ما يستقبح من المؤمن المسدد؛ ولهذا قيل للإمام أحمد عن بعض الأمراء: إنه أنفق على مصحف ألف دينار، ونحو ذلك فقال: دعه فهذا أفضل ما أنفق فيه الذهب، أو كما قال، مع أن مذهبه أن زخرفة المصاحف مكروهة، وقد تأول بعض

الأصحاب أنه أنفقها في تجديد الورق والخط، وليس مقصود أحمد هذا، وإنما قصده أن هذا العمل فيه مصلحة وفيه أيضاً مفسدة كره لأجلها)، نقل هذا كله السيد محمد بن علوي بن عباس المالكي في مقدمته لطبعة [مولد الديبع] الأولى (ص١٤ ـ ١٦)، وفي رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص١٩ ـ ٢١) عن شيخ الإسلام ابن تيمية، وعنونه فيهما بما لفظه: (رأي الشيخ ابن تيمية في المولد يقول: قد يثاب بعض الناس على فعل المولد).

السابع: ما في رحلة ابن بطوطة من الثناء على محمد بن محيي الدين الطبري أحد قضاة مكة أيام وصول ابن بطوطة إليها في رحلته باحتفاله بالمولد النبوي، فقد قال تحت عنوان: (ذكر قاضي مكة وخطيبها وإمام الموسم وعلمائها وصلحائها) (ج١ ص٩٢): (قاضي مكة العالم الصالح العابد نجم الدين محمد بن الإمام العالم محيي الدين الطبري، وهو فاضل كثير الصدقات والمشاهدة للكعبة الشريفة، يطعم الطعام الكثير في المواسم المعظمة، وخصوصاً في مولد رسول الله ﷺ تسليماً، فإنه يطعم فيه شرفاء مكة وكبراءها وفقراءها وخدام الحرم الشريف وجميع المجاورين). أورد الأستاذ أنور أسعد أبوالجدائل هذا في عدد جريدة (المدينة) الصادر في (٢٧) ربيع الثاني عام (١٤٠٢هـ) ضمن مناقشاته في الاحتفال بالمولد النبوي.

الثامن: أن الاحتفال بالمولد النبوي تذكير بأهمية صاحب الذكرى الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وأمر الجميع باتباعه ﴿ قُلْ إِن

كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[١]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[٢]، ومن أجل ذلك، ولأن العهد بين زمنهم وزمنه بعيد فإنهم يتخذون من هذا الاحتفال تذكيراً به وبما جاء به من الحق والخير، الذي سعدت به البشرية حيث أخرجها من ظلمات الشرك والجهل إلى نور التوحيد والعدل، ودفعاً للصبية الصغار وغيرهم من العامة إلى استشعار خطر صاحب هذه الرسالة والالتفاف حول دعوته، ولتذكير الجميع بها على أساس (إن الذكرى تنفع المؤمنين) ورد الاستدلال بهذا في الحلقة الأولى من حلقات كتابة الأستاذ أنور أسعد أبي الجدائل عن المولد النبوي الشريف، وقد نشرت تلك الحلقة الأولى في عدد جريدة (المدينة) (٥٤٠٩) الصادر في (١٢/٣/١٤٠٢هـ)، وأضاف إلى ذلك قوله: (إن التذكير بذلك ـ أي أهمية صاحب الذكرى ـ الآن يبدو مفيداً حيث كادت الجاهلية أن تعود سيرتها الأولى في الكثير من المجتمعات، ولذلك استحسن الكثير من المسلمين الاحتفاء بذكرى المولد).

التاسع: أن الاحتفال بالمولد النبوي إذا لم يقتصر فيه على الثاني عشر من ربيع الأول، ولا على ربيع الأول وحده ولا على وقت معين، بل وقع في غير ذلك من الأوقات فلا حرج على المحتفل به.

أورد هذا الأستاذ أنور أسعد أبوالجدائل في رده على رد فضيلة الشيخ صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان عليه، المنشور في عدد

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٣١.

(٢) سورة الأحزاب، الآية ٢١.

جريدة (المدينة المنورة) الصادر في يوم الإثنين الرابع عشر من ربيع الثاني عام (١٤٠٢هـ)، وجزم الأستاذ أنور بأنه لا حرج على المحتفل بالمولد في هذه الحالة، ولا داعي إلى استمرار النقاش فيه. وجاء في رسالة محمد بن علوي المالكي [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص٤)، وفي مقدمته لـ [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٨)، وفي طبعته الأولى لـ[مولد الديبع] (ص٤) ما نصه: (لا نقول بسنية الاحتفال بالمولد المذكور في ليلة مخصوصة، بل من اعتقد ذلك فقد ابتدع في الدين؛ لأن ذكره ﷺ والتعلق به يجب أن يكون في كل حين، ويجب أن تمتليء به النفوس، نعم إن في شهر ولادته يكون الداعي أقوى لإقبال النـــاس واجتماعهم وشعورهم الفياض بارتباط الزمان بعضه ببعض فيتذكرون بالحاضر الماضي، وينتقلون من الشاهد إلى الغائب).

العاشر: دعوى أن الحافظ ابن كثير صنف في المولد الشريف أجزاء عديدة منها: [جامع الآثار في مولد النبي المختار] في ثلاث مجلدات، [واللفظ الرائق في مولد خير الخلائق] وهو مختصر [مورد الصادي في مولد الهادي]، وأن للسخاوي في المولد كتاباً يسمى [التبر المسبوك في ذيل السلوك] ورد الاستدلال بذلك في المقال المنشور في عدد مجلة (المجتمع) (٥٥٩) الصادر يوم الثلاثاء ثامن ربيع الثاني عام (١٤٠٢هـ) بتوقيع (أخوكم في الله من السعودية ـ الرياض) بصدد ذكر المؤلفين في الاحتفال بالمولد النبوي ونصه: (الإمام الحافظ ابن كثير ألف في المولد النبوي كتباً عدة، ذكر صاحب [كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون] (ص٣١٩): أن الحافـــظ ابـــن كثيـــر قـــــد

صنف في المولد الشريف أجزاء عديدة منها: [جامع الآثار في مولد النبي المختار] في ثلاث مجلدات، و[اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق] وهو مختصر، وقال ابن فهد: إن لابن كثير كتاباً يسمى [مورد الصادي في مولد الهادي]، ومنهم الإمام الحافظ السخاوي له كتاب في المولد يسمى [التبر المسبوك في ذيل السلوك].

الحادي عشر: أن الاحتفال بالمولد النبوي أمر استحسنه العلماء وجرى به العمل في كل صقع، فهو مطلوب شرعاً للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسناً، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح)، ورد الاستدلال بهذا في رسالة محمد بن علوي [حول الاحتفال بالمولد النبوي] (ص١٣)، وفي طبعته الأولى لـ [مولد الديبع] (ص١٠)، وفي مقال يوسف هاشم الرفاعي، كما استدل بأثر ابن مسعود المذكور أنور أسعد أبوالجدائل في الحلقة الأولى من مقاله المنشور في عدد جريدة المدينة (٥٤٠٩) الصادر في (١٢/٣/١٤٠٢هـ) قال: وقد أثر عن الصحابي الجليل سيدنا عبدالله بن مسعود قولاً مرفوعاً إليه، (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما استقبحه المسلمون فهو عند الله قبيح).

وبنفس هذا الاتجاه بدأ محمد بن علوي في رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] وجوه استحسان القيام في المولد، قال (ص٢٩): (الوجه الأول: أنه جرى عليه العمل في سائر الأقطار والأمصار، واستحسنه العلماء شرقاً وغرباً، والقصد به تعظيم صاحب المولد الشريف ﷺ، وما استحسنه المسلمون فهو عند الله حسن، وما

استقبحوه فهو عند الله قبيح، كما تقـدم في الحديث، أي في كلامه على الاحتفال بالمولد.

الثاني عشر: أن المولد اجتماع ذكر وصدقة ومدح وتعظيم للجناب النبوي، وهذه أمور مطلوبة شرعاً وممدوحة، وجاءت الآثار الصحيحة بها وبالحث عليها. ذكر ذلك محمد بن علوي في رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص١٣).

هذا ما استدل به أولئك الذين أثاروا الضجة حول كلمة سماحة الشيخ الأثري عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله، وهناك أمور أخر مما تعلق به الدعاة إلى الاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوي:

أحدها: دعوى تلقي الأوامر النبوية بالاحتفال بذلك اليوم في المنام، يقول ابن طغربك في [الدر المنتظم]: ممن عمل ذلك ـ أي الاحتفال بذلك اليوم ـ على قدر وسعه: يوسف الحجار بمصر، وقد رأى النبي ﷺ وهو يحرض يوسف المذكور على عمل ذلك، قال: وسمعت يوسف بن علي بن زريق الشامي الأصل المصري المولد الحجار بمصر في منزله بها حيث يعمل مولد النبي ﷺ، يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام منذ عشرين سنة، وكان لي أخ في الله تعالى يقال له: الشيخ أبوبكر الحجار، فرأيت كأنني وأبا بكر هذا بين يدي النبي ﷺ جالسين، فأمسك أبو بكر لحية نفسه وفرقها نصفين، وذكر للنبي ﷺ كلاماً لم أفهمه، فقال النبي ﷺ مجيباً له: لولا هذا لكانت هذه في النار، ودار إلي، وقال: لأضربنك ـ وكان بيده قضيب ـ فقلت: لأي

شيء يا رســـول الله، فقال: حتى لا تبطل المولد ولا السنن، قال يوسف: فعملته منذ عشرين سنة إلى الآن، وقال: سمعت يوسف المذكور، يقول: سمعت أخي أبا بكر الحجار يقول: سمعت منصوراً النشار يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام يقول لي: قل لا يبطله ـ يعني: المولد ـ ما عليك ممن أكل وممن لم يأكل، قال: وسمعت شيخنا أبا عبدالله بن أبي محمد النعمان يقول: سمعت الشيخ أبا موسى الزرهوني يقول: رأيت النبي ﷺ في النوم، فذكرت له ما يقول الفقهاء في عمل الولائم في المولد، فقال ﷺ: من فرح بنا فرحنا به. نقل هذا كله الشامي في الجزء الأول من سيرته [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد] (ص٤٤٠، ٤٤١) عن ابن طغربك، وذكر صاحب [مولد شرف الأنام[(١)]]: أن عبدالواحد بن إسماعيل قال: كان بمصر رجل يصنع مولداً للنبي ﷺ كل عام، وكان إلى جانبه رجل يهودي، فقالت زوجة اليهودي: ما بال جارنا المسلم ينفق مالاً جزيلاً في مثل هذا الشهر؟ فقال لها زوجها: إنه يزعم أن نبيه ولد فيه وهو يفعل ذلك فرحة به وكرامة له ولمولده، قال: فسكتا ثم ناما ليلتهما، فرأت امرأة اليهودي في المنام رجلاً جميلاً جليلاً عليه مهابة وتبجيل ووقار دخل بيت جاره المسلم وحوله جماعة من أصحابه وهم يبجلونه ويعظمونه، فقالت لرجل منهم: من هذا الرجل الجميل الوجه؟ فقال لها: هذا رسول الله ﷺ دخل هذا المنزل؛ ليسلم على أهله ويزورهم لفرحهم به، فقالت له: هل يكلمني إذا كلمته؟ قال: نعم، فأتت إليه وقالت:

---

(١) مطبوع ضمن مجموعة منها مولد البرزنجي ونظمه.

يا محمد، فقال لها: لبيك، فقالت له: أتجيب لمثلي بالتلبية وأنا على غير دينك ومن أعدائك؟ فقال لها: والذي بعثني بالحق نبياً ما أجبت نداءك حتى علمت أن الله تعالى قد هداك. انتهى ما في [مولد شرف الأنام] (ص٥٩، ٦٠).

وورد في مقدمة مولد الشيخ محمد عثمان الميرغني المسمى [الأسرار الربانية] (ص٦، ٧) ما نصه: (لما كان يوم الجمعة وقع في الخاطر تأليف مولد يتلى في بعض أخبار ولادة الحقيقة الأحمدية، وسطع الوارد بتسميته بـ [الأسرار الربانية في مولد من وضع وهو مصحوب بالختان، والدرر الوهبية المجلية الحقية في بعض أنباء من ظهر وعيناه مكحولتان] فرأيت في تلك الليلة النبي ﷺ رؤية منامية، ورؤيته حق، كما أورد عنه ثقات الرواة بطرق الإحصان، فأمرني أن أصنف مولداً وأجعل إحدى قافيتيه هاء بهية، والأخرى نوناً، كما فعلت؛ لأنها نصف دائرة الأكوان، وبشرني أنه يحضر في قراءته إذا قرىء، فسطرت ليتشرف به كلما تلي حكاية نومية، وأنه يستجاب الدعاء عند ذكر الولادة وعند الفراغ منه فنسأل الله الغفران).

الأمر الثاني: ما نقله الأدفوي الشافعي في كتابه [الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد] في ترجمة محمد بن إبراهيم أبي الطيب السبتي القوصي، قال (ص٤٧٨): (حكى لي صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد محمد ـ أنه كان يجتاز بالفقيه عثمان باليوم الذي ولد فيه النبي ﷺ، فيقول: يا فقيه، هذا يوم سرور اصرف الصبيان، فيصرفنا)، ذكر السيوطي هذا ضمن ما استدل به في كتابه

[حسن المقصد في عمل المولد] للاحتفال بالمولد النبوي، وقال (ص١٩٧ ج١) بعد ذكره: (وهذا ـ أي قول محمد بن إبراهيم أبي الطيب السبتي: هذا يوم سرور ـ منه دليل على تقريره ـ أي الاحتفال بالمولد النبوي ـ وعدم إنكاره)، ثم قال السيوطي: (وهذا الرجل ـ أي محمد بن إبراهيم أبوالطيب السبتي ـ كان فقيهاً مالكياً متفنناً في علومه، متورعاً، أخذ عنه أبوحيان وغيره، مات سنة خمس وتسعين وستمائة) ا.هـ. كلام السيوطي.

الأمر الثالث: ما اعتاده أهل مكة ليلة الثاني عشر من ربيع الأول كل عام، من زيارة مولد النبي ﷺ المكاني، والاحتفال به على الكيفية المعروفة عندهم، التي وصفها قطب الدين حنفي في كتابه [الإعلام بأعلام بيت الله الحرام] حيث قال في صفحة (١٩٦) في كلامه على المولد النبوي: (يزار ـ أي مولد النبي ﷺ المكاني ـ في الليلة الثانية عشرة من شهر ربيع الأول في كل عام، فيجتمع الفقهاء والأعيان على نظام المسجد الحرام والقضاة الأربعة بمكة المشرفة بعد صلاة المغرب بالشموع الكثيرة والمفرغات والفوانيس والمشاعل وجميع المشايخ مع طوائفهم بالأعلام الكثيرة، ويخرجون من المسجد إلى سوق الليل، ويمشون فيه إلى محل المولد الشريف بازدحام، ويخطب فيه شخص ويدعو للسلطنة الشريفة، ثم يعودون إلى المسجد الحرام ويجلسون صفوفاً في وسط المسجد من جهة الباب الشريف خلف مقام الشافعية، ويقف رئيس زمزم بين يدي ناظر الحرم الشريف والقضاة، ويدعو للسلطان، ويلبسه الناظر خلعة، ويلبس شيخ الفراشين خلعة، ثم يؤذن للعشاء ويصلي الناس على عادتهم، ثم يمشي الفقهاء مع ناظر الحرم

إلى الباب الذي يخرج منه من المسجد، ثم يتفرقون، وهذا من أعظم مواكب ناظر الحرم الشريف بمكة المشرفة، ويأتي الناس من البدو والحضر وأهل جدة وسكان الأودية في تلك الليلة ويفرحون بها) ا.هـ كلام القطب الحنفي.

وقد استدل الشيخ محمد بن علوي المالكي ـ في مقدمته لـ [المورد الروي في المولد النبوي] (ص١٣)، وفي مقدمة طبعته الأولى لـ [مولد الديبع] (ص١٠)، وفي رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص١٢) لتعظيم المكان الذي ولد فيه نبي بأمر جبريل عليه السلام النبي ﷺ ليلة الإسراء بصلاة ركعتين ببيت لحم، حيث ولد عيسى عليه السلام.

هذا ما عورض به إنكار الاحتفال بالمولد النبوي من قبل الدعاة إليه.

كما عارض أولئك الذين أثاروا الضجة حول كلمة سماحة الشيخ في الاحتفال عارضوا ما ورد فيها وما أشارت إليه من النصوص القطعية الصريحة في ذم الابتداع في الدين بما يلي:

١ ـ حديث: «**من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً**» جاء في مقدمة محمد بن علوي المالكي لطبعة [مولد الديبع] الأولى التي سماه فيها باسم [مختصر في السيرة النبوية] (ص١٣)، وفي رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص١٨)، وفي مقدمته لـ [المورد

الروي في المولد النبوي] (ص١٧) ما نصه: (قد سمى الشارع بدعة الهدى سنة، ووعد فاعلها أجراً، فقال ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء**»، واستدل بهذا الحديث أيضاً أنور أبوالجدائل في كلمته المنشورة في عدد جريدة (المدينة) الصادر يوم الإثنين الرابع عشر من ربيع الثاني عام (١٤٠٢هـ)، وهذا الاتجاه ذكر الشاطبي في الجزء الأول من [الاعتصام] (ص١٣٩ ـ ١٤٢) أن من يتجهه يزعم أن معنى «**من سنَّ سنة حسنة**» في ذلك الحديث: (من اخترع السنة من عند نفسه بشرط أن تكون حسنة) لا من عمل بسنة ثابتة ويدعي أن التعبير عن العمل بالسنة الثابتة هو أن يقال: من عمل بسنتي أو سنة من سنتي وما أشبه ذلك، كما خرج الترمذي، أن النبي ﷺ قال لبلال بن الحارث: «**اعلم**» قال: أعلم يا رسول الله، قال: «**اعلم يا بلال**» قال: أعلم يا رسول الله، قال: «**إنه من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي فإن له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعة ضلالة لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل إثم من عمل بها لا ينقص ذلك من آثام الناس شيئاً**» حديث حسن، وعن أنس رضي الله عنه أنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا بني، إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل**» ثم قال لي: «**يا بني، وذلك من سنتي، ومن أحيا سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة**» حديث حسن، فقوله: «**من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي**» واضح في العمل بما ثبت أنه سنة، وكذلك قوله: «**من أحيا سنتي فقد أحبني**» ظاهر في السنن الثابتة، بخلاف قوله: (من سن

كذا) فإنه ظاهر في الاختراع أولاً من غير أن يكون ثابتاً في السنة، وأما قوله لبلال بن الحارث: «**ومن ابتدع بدعة ضلالة**» فظاهر أن البدعة لا تذم بإطلاق، بل بشرط أن تكون ضلالة، وأن تكون لا يرضاها الله ورسوله، فاقتضى هذا كله أن البدعة إذا لم تكن كذلك لم يلحقها ذم ولا تبع صاحبها وزر، فعادت إلى أنها سنة حسنة، ودخلت تحت الوعد بالأجر».

٢ ـ ما أخرجه الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح) استدل به محمد بن علوي بن عباس المالكي للاحتفال بالمولد النبوي في رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص١٣)، وفي مقدمته لـ [المورد الروي في المولد النبوي] (ص١٣، ١٤)، وفي مقدمته لطبعة [مولد ابن الديبع] الأولى (ص١٠)، قال في الجميع: (إن المولد أمر استحسنه العلماء والمسلمون من جميع البلاد وجرى به العمل في كل صقع، فهو مطلوب شرعاً للقاعدة المأخوذة من حديث ابن مسعود الموقوف: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح) أخرجه أحمد. وحذا حذو محمد بن علوي في الاستدلال بذلك الموقوف صاحب المقال المنشور في عدد مجلة (المجتمع) (٥٥٩) الصادر يوم الثلاثاء من ربيع الثاني عام (١٤٠٢هـ) ساق نفس عبارة محمد بن علوي من دون أن يعزوها إليه، كما حذا حذوه في الاستدلال بذلك الأثر أسعد أنور في مقاله المنشور في عدد جريدة (المدينة) (٥٤٠٩) الصادر في الثاني عشر من ربيع الأول عام (١٤٠٢هـ) تحت عنوان

(ذكرى مولد رسول الله ﷺ) قال: وقد أثر عن الصحابي الجليل سيدنا عبدالله بن مسعود قولاً مرفوعاً إليه: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما استقبحه المسلمون فهو عند الله قبيح) ا.هـ، وإلى ذلك الاتجاه اتجه من عارض نصوص ذم البدع بأن السلف الصالح رضي الله عنهم وأعلاهم الصحابة قد عملوا بما لم يأت به كتاب ولا سنة مما رأوه حسناً، ولا تجتمع أمة محمد ﷺ على ضلالة، وإنما يجتمعون على هدى وما هو حسن، فقد أجمعوا على جمع القرآن وكتبه في المصاحف، وعلى جمع الناس على المصاحف العثمانية وإطراح ما سوى ذلك من القراءات التي كانت مستعملة في زمان رسول الله ﷺ ولم يكن في ذلك نص ولا حظر، ثم اقتفى الناس أثرهم في ذلك الرأي الحسن، فجمعوا العلم ودونوه وكتبوه، ومن سباقهم في ذلك مالك بن أنس رضي الله عنه، وكان من أشدهم اتباعاً وأبعدهم من الابتداع، نقل الشاطبي ذلك عن بعض المعارضين.

٣ ـ تقسيم من قسم من أهل العلم المتأخرين البدعة إلى أحكام الشريعة الخمسة، وقد أكثر المثيرون للضجة من إيراد ذلك. ونظراً إلى أن أوسع المتأخرين كلاماً في ذلك القرافي وشيخه العز بن عبدالسلام نكتفي بإيراد كلامهما، فنقول:

قال القرافي: (اعلم أن الأصحاب متفقون على إنكار البدع، نص على ذلك ابن أبي زيد وغيره. والحق التفصيل، وأنها خمسة أقسام:

قسم واجب: وهو ما تناولته قواعد الوجوب وأدلته من الشرع،

كتدوين القرآن والشرائع إذ خيف عليها الضياع، وأن التبليغ لمن بعدنا من القرون واجب إجماعاً، وإهمال ذلك حرام إجماعاً، فمثل هذا النوع لا ينبغي أن يختلف في وجوبه.

القسم الثاني: المحرم: وهو كل بدعة تناولتها قواعد التحريم وأدلته من الشريعة؛ كالمكوس، والمحدثات من المظالم، والمحدثات المنافية لقواعد الشريعة، كتقديم الجهال على العلماء، وتولية المناصب الشرعية من لا يصلح بطريق التوريث وجعل المستند في ذلك كون المنصب كان لأبيه وهو في نفسه ليس بأهل.

القسم الثالث من البدع: ما هو مندوب إليه: وهو ما تناولته قواعد الندب وأدلته؛ كصلاة التراويح، وإقامة صور الأئمة والقضاة وولاة الأمور[١] على خلاف ما كان عليه الصحابة رضوان الله عليهم بسبب أن المصالح والمقاصد الشرعية لا تحصل إلا بعظمة الولاة في نفوس الناس، وكان الناس في زمن الصحابة رضي الله عنهم تعظيمهم إنما هو بالدين وسبق الهجرة، ثم اختل النظام وذهب ذلك القرن، وحدث قرن آخر لا يعظمون إلا بالصور. فتعين تفخيم الصور حتى تحصل المصالح. وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأكل خبز الشعير والملح ويفرض لعامله نصف شاة كل يوم؛ لعلمه بأن الحالة التي هو عليها لو عملها غيره لهان في نفوس الناس ولم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة فاحتاج إلى أن يضع غيره في صورة أخرى

---

(١) المراد بالصور هنا: هيئاتهم وأحوالهم في أزيائهم ومجالسهم ومطاعمهم وهي التي تسمى بالمظاهر.

تحفظ النظام؛ ولذلك لما قدم الشام وجد معاوية بن أبي سفيان قد اتخذ الحجَّاب واتخذ المراكب النفيسة والثياب الهائلة العلية وسلك ما سلكه الملوك، فسأله عن ذلك، فقال: إنا بأرض نحن فيها محتاجون لهذا، فقال له: لا آمرك ولا أنهاك. ومعناه: أنت أعلم بحالك هل أنت محتاج إليه، فدل ذلك من عمر وغيره على أن أحوال الأئمة وولاة الأمور تختلف باختلاف الأمصار والقرون والأحوال، فكذلك يحتاج إلى تجديد زخارف وسياسة لم تكن قديمة، وربما وجبت في بعض الأحوال.

القسم الرابع: بدعة مكروهة: وهي ما تناولته أدلة الكراهة من الشريعة وقواعدها؛ كتخصيص الأيام الفاضلة أو غيرها بنوع من العبادة؛ ولذلك في الصحيح خرج مسلم وغيره: أن رسول الله ﷺ نهى عن تخصيص يوم الجمعة بصيام وليله بقيام، ومن هذا الباب الزيادة في المندوبات المحدودات، كما ورد في التسبيح عقب الفريضة ثلاثاً وثلاثين فتفعل مائة، وورد صاع في زكاة الفطر فيجعل عشرة أصواع بسبب أن الزيادة فيها إظهار الاستظهار على الشارع وقلة أدب معه، بل شأن العظماء إذا حدوا شيئاً وقف عنده، وعد الخروج عنه قلة أدب. والزيادة في الواجب أو عليه أشد في المنع؛ لأنه يؤدي إلى أن يعتقد أن الواجب هو الأصل والمزيد عليه..

خرج أبوداود في مسنده: أن رجلاً دخل إلى مسجد رسول الله ﷺ فصلى الفرض وقام ليصلي ركعتين، فقال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اجلس حتى تفصل بين فرضك ونفلك. فهكذا أهلك

من قبلنا، فقال رسول الله ﷺ: «**أصاب الله بك يا ابن الخطاب**» يريد عمر أن من قبلنا وصلوا النوافل بالفرائض واعتقدوا الجميع واجباً، وذلك تغيير للشرائع وهو حرام إجماعاً.

القسم الخامس: البدع المباحة: وهي ما تناولته أدلة الإباحة وقواعدها من الشريعة، كاتخاذ المناخل للدقيق، ففي الآثار: (أول شيء أحدثه الناس بعد رسول الله ﷺ اتخاذ المناخل)؛ لأن تليين العيش وإصلاحه من المباحات، فوسائله مباحة. فالبدعة إذا عرضت تُعْرَض على قواعد الشريعة وأدلته فأي شيء تناولها من الأدلة والقواعد أُلحِقَت به من إيجاب أو تحريم أو غيرهما، وإن نظر إليها من حيث الجملة بالنظر إلى كونها بدعة مع قطع النظر فيما يتقاضاها كرهت، فإن الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتـــداع) ا.هـ كلام القرافي. وقد نقله عنه الشاطبي في [الاعتصام] (ج١) ص(١٤٧ ـ ١٥٠).

وقال العز بن عبدالسلام شيخ القرافي في فصل البدع من [قواعد الأحكام في مصالح الأنام] (ج٢) ص(١٧٢ ـ ١٧٤): (البدعة: فعل ما لم يعهد في عصر رسول الله ﷺ، وهي منقسمة إلى: بدعة واجبة، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة. والطريق في معرفة ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة؛ فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي محرمة، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة.

وللبدع الواجبة أمثلة:

أحدها: الاشتغال بعلم النحو الذي يفهم به كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ، وذلك واجب؛ لأن حفظ الشريعة واجب ولا يتأتى حفظها إلا بمعرفة ذلك، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

المثال الثاني: حفظ غريب الكتاب والسنة من اللغة.

المثال الثالث: تدوين أصول الفقه.

المثال الرابع: الكلام في الجرح والتعديل لتمييز الصحيح من السقيم وقد دلت قواعد الشريعة على أن حفظ الشريعة فرض كفاية فيما زاد على القدر المتعين، ولا يتأتى حفظ الشريعة إلا بما ذكرناه.

وللبدع المحرمة أمثلة:

منها: مذهب القدرية، ومنها: مذهب الجبرية، ومنها: مذهب المرجئة، ومنها: مذهب المجسمة. والرد على هؤلاء من البدع الواجبة.

وللبدع المندوبة أمثلة:

منها: إحداث الربط والمدارس، وبناء القناطر، ومنها: كل إحسان لم يعهد في الصدر الأول، ومنها: صلاة التراويح، ومنها: الكلام في دقائق التصوف، ومنها: الكلام في الجدل في جمع المحافل للاستدلال في المسائل إذا قصد بذلك وجه الله سبحانه.

وللبدع المكروهة أمثلة:

منها: زخرفة المساجد، ومنها: تزويق المصاحف، وأما تلحين القرآن بحيث تتغير ألفاظه عن الوضع العربي فالأصح أنه من البدع المحرمة.

وللبدع المباحة أمثلة:

منها: المصافحة عقب صلاة الصبح والعصر، ومنها: التوسع في اللذيذ من المآكل والمشارب والملابس والمساكن، ولبس الطيالسة وتوسيع الأكمام. وقد يختلف في بعض ذلك فيجعله بعض العلماء من البدع المكروهة، وجعله آخرون من السنن المفعولة على عهد رسول الله ﷺ فما بعده، كالاستعاذة في الصلاة والبسملة.

انتهى ما في [قواعد الأحكام في مصالح الأنام]، وقد اختصره الشاطبي في الجزء الأول من [الاعتصام]، ثم قال: (انتهى محصول ما قال - أي ابن عبدالسلام - وهو يصرح مع ما قبله[1] بأن البدع تنقسم بأقسام الشريعة، فلا يصح أن تحمل أدلة ذم البدع على العموم، بل لها مخصصات).

وأضاف الشيخ محمد بن علوي - في رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص١٦) - إلى ذلك دعوى أنه لو كانت كل بدعة محرمة لوجب علينا حرب الكفار بالسهام والأقواس مع حربهم لنا بالرصاص والمدافع والدبابات والطيارات والغواصات والأساطيل.

هذا ما أورده المثيرون لتلك الضجة حول كلمة سماحة العلامة

---

(١) يريد بما قبله كلام القرافي.

الأثري الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز حفظه الله[١]. وأداءً للواجب نحو الحق الذي تضمنته تلك الكلمة التزمنا كتابة هذا الرد على ردودهم ورتبناه على ما يلي:

١ ـ مقدمة في بيان أن الاحتفال بذلك اليوم لم يقع من السلف الصالح.

٢ ـ فصل في إيضاح أن بني عبيد القداح المتسمين باسم (الفاطميين) هم أول من احتفل بالمولد.

٣ ـ فصل في الجواب عما استدل به المثيرون لتلك الضجة على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي، وعما عارضوا به نصوص ذم الابتداع في الدين.

٤ ـ فصل في الكلام على القصص التي تقرأ في تلك المناسبة وعلى ما تحتوي عليه من أضرار.

٥ ـ خاتمة في قواعد لابد لمن يريد الحق من معرفتها والمحافظة عليها، وسميته [القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل].

والله تعالى أسأل التوفيق، وهو حسبي ونعم الوكيل.

إسماعيل الأنصاري

---

(١) وقد أضفنا إليه غير ذلك مما تعلق به بعض الدعاة إلى الاحتفال.

مقدمـــة
في بيان أن الاحتفال بالمولد النبوي لم يقع من السلف الصالح وأنه من البدع

اتفق أهل العلم من لا يرى منهم عمل المولد ومن يراه على أن الاحتفال بالمولد النبوي لم يفعله السلف الصالح، ومن تصريحاتهم بذلك ما يلي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في [اقتضاء الصراط المستقيملمخالفة أصحاب الجحيم] (ص٢٩٥) في الاحتفال بالمولد النبوي: (لم يفعله السلف الصالح مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان).

وفي [الفتاوى المصرية] له ـ أي لشيخ الإسلام ابن تيمية ـ أنه سئل عمن يعمل كل سنة ختمة في ليلة مولد النبي ﷺ، هل ذلك مستحب أم لا؟ فأجاب: الحمد لله، جمع الناس للطعام في العيدين وأيام التشريق سنة، وهو من شعائر الإسلام التي سنها رسول الله ﷺ

للمسلمين، وإعانة الفقراء بالإطعام في شهر رمضان هو من سنن الإسلام، فقد قال النبي ﷺ: «**من فطر صائماً فله مثل أجره**»، وإعطاء فقراء القراء ما يستعينون به على القرآن عمل صالح في كل وقت، ومن أعانهم على ذلك كان شريكهم في الأجر. وأما اتخاذ موسم غير المواسم الشرعية، كبعض ليالي شهر ربيع الأول التي يقال: إنها ليلة المولد، أو بعض ليالي رجب، أو ثامن عشر ذي الحجة، أو أول جمعة من رجب، أو ثامن شوال الذي يسميه الجهال عيد الأبرار فإنها من البدع التي لم يستحبها السلف ولم يفعلوها) (ج١ ص٣١٢).

وقال العلامة الإمام الشيخ تاج الدين عمر بن علي اللخمي السكندري المشهور بالفاكهاني في رسالته [المورد في الكلام على عمل المولد]: (الحمد لله الذي هدانا لاتباع سيد المرسلين، وأيدنا بالهداية إلى دعائم الدين، ويَسَّر لنا اقتفاء آثار السلف الصالحين، حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشرع وقواطع الحق المبين، وطهر سرائرنا من حدث الحوادث والابتداع في الدين، أحمده على ما من به من أنوار اليقين، وأشكره على ما أسداه من التمسك بالحبل المتين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، صلى الله عليه، وعلى آله وأصحابه، وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاة دائمة إلى يوم الدين.

أما بعـــد: فإنه تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول، ويسمونه: المولد: هل له أصل في الشرع أو هو بدعة وحدث في الدين؟ وقصدوا الجواب عن

ذلك مبيناً، والإيضاح عنه معيناً.

فقلت وبالله التوفيق: لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا يُنقل عمله عن أحد من علماء الأمة، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بدعة، أحدثها البطالون، وشهوة نفس اعتنى بها الأكالون، بدليل أنا إذا أدرنا عليه الأحكام الخمسة قلنا:

إما أن يكون واجباً، أو مندوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً، وليس بواجب إجماعاً، ولا مندوباً؛ لأن حقيقة المندوب: ما طلبه الشرع من غير ذمٍّ على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة، ولا التابعون، ولا العلماء المتدينون ـ فيما علمت ـ وهذا جوابي عنه بين يدي الله تعالى إن عنه سئلت، ولا جائز أن يكون مباحاً؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين، فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً أو حراماً، وحينئذٍ يكون الكلام فيه في فصلين، والتفرقة بين حالين:

أحدهما: أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله، لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يقترفون شيئاً من الآثام: وهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة، وشناعة، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة، الذين هم فقهاء الإسلام، وعلماء الأنام، وسرج الأزمنة، وزين الأمكنة.

والثاني: أن تدخله الجناية، وتقوى به العناية، حتى يُعطى أحدهم الشيء ونفسه تتبعه، وقلبه يؤلمه ويوجعه؛ لما يجد من ألم

الحيف، وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لاسيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء - مع البطون الملأى - بآلات الباطل من الدفوف، والشبابات، واجتماع الرجال مع الشباب المرد والنساء الفاتنات، إما مختلطات بهم أو مشرفات. والرقص بالتثني والانعطاف، والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف، وكذلك النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهنيك والتطريب في الإنشاد، والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد، غافلات عن قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾[1]، وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنما يحلو ذلك لنفوس موتى القلوب، وغير المستقلين من الآثام والذنوب، وأزيدك أنهم يرونه من العبادات، لا من الأمور المنكرات المحرمات، فإنا لله وإنا إليه راجعون، بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ. ولله در شيخنا القشيري رحمه الله تعالى حيث يقول فيما أجازَناه:

قد عرف المنكر واستنكر الـ	معروف في أيامنا الصعبة
وصار أهل العلم في وهدةٍ	وصار أهل الجهل في رُتبَة
حادوا عن الحق فما للذي	ساروا به فيما مضى نسبة
فقلت للأبرار أهل التقى	والدين لما اشتدت الكربة
لا تنكروا أحوالكم قد أتت	نوبتكم في زمن الغربة

---

(١) سورة الفجر، الآية ١٤.

ولقد أحسن الإمام أبوعمرو بن العلاء رحمه الله تعالى حيث يقول: لايزال الناس بخير ما تُعُجِّبَ من العَجَب ـ هذا مع أن الشهر الذي وُلِد فيه رسول الله ﷺ ـ وهو ربيع الأول ـ هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح بأولى من الحزن فيه. وهذا ما علينا أن نقول، ومن الله تعالى نرجو حسن القبول. هكذا ساق السيوطي في (ج١) من [الحاوي للفتاوي] ص(١٩٠ ـ ١٩٢) رسالة الفاكهاني(١)، وقال: (هذا

---

(١) اعترف أهل العلم للفاكهاني بالإمامة في العلم فقد قال ابن فرحون في ترجمته في [الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب] (ص١٨٦): (عمر بن أبي اليمن علي بن سالم بن صدقة اللخمي المالكي الشهير بتاج الدين الفاكهاني، يكنى: أبا جعفر الإسكندري، قرأ القرآن بالقراءات على أبي عبدالله محمد بن عبدالله بن عبدالعزيز المازوني وسمع منه وسمع من أبي عبدالله محمد بن طرخان وأبي الحسن علي بن أحمد القرافي وسمع من غيرهما، وكان فقيهاً فاضلاً متفنناً في الحديث والفقه والأصول والعربية والأدب، وكان على حظ وافر من الدين المتين والصلاح العظيم واتباع السلف الصالح، حسن الأخلاق، وذكر أنه ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، وقيل: سنة ست وخمسين. وتوفي بالإسكندرية في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، ودفن ظاهر باب البحر). وقال الحافظ ابن كثير في حوادث سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة من تاريخه [البداية والنهاية] (ج١٤ ص١٥٣) (في نصف رمضان ـ أي من تلك السنة ـ قدم الشيخ تاج الدين عمر بن علي بن سالم اللخمي ابن الفاكهاني المالكي، نزل عند القاضي الشافعي وسمع عليه شيئاً من مصنفاته وخرج إلى الحج عامئذٍ مع الشاميين، وزار القدس قبل وصوله إلى دمشق. ثم قال ابن كثير في حوادث سنة أربع وثلاثين وسبعمائة من ذلك المصدر [البداية والنهاية]: الشيخ الإمام ذو الفنون تاج الدين أبوحفص عمر بن علي بن سالم بن عبدالله اللخمي الإسكندراني المعروف بابن الفاكهاني، ولد سنة أربع وخمسين وستمائة، وسمع الحديث واشتغل بالفقه على مذهب مالك وبرع وتقدم =

بمعرفة النحو وغيره، وله مصنفات في أشياء متفرقة، قدم دمشق في سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة في أيام الإخنائي فأنزله في دار السعادة وسمعنا عليه ومعه وحج من دمشق عامئذٍ وسمع عليه في الطريق ورجع إلى بلاده، توفي ليلة الجمعة سابع جمادى الأولى ـ أي سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ـ وصلي عليه بدمشق حين بلغهم خبر موته. وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة عمر بن سالم اللخمي الإسكندراني تاج الدين الفاكهاني من [الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة] (ج٣ ص٢٥٤): (سمع على بن طرخان والمكين الأسمر وعيق العمري وغيرهم، وتفقه لمالك وأخذ عن ابن المنير وغيره، ومهر في العربية والفنون، وصنف [شرح العمدة] وغيرها، ومن تصانيفه الإشارة في النحو، و[المورد في المولد]، و[اللمعة في وقفة الجمعة]، و[الدرة القمرية في الآيات النظرية]، وحج من طريق دمشق سنة سبعمائة وثلاثين ورجع ومات ببلده سنة سبعمائة وإحدى وثلاثين). وعلى هذه الترجمة من الدرر الكامنة اعتمد المؤرخ الفقيه الأديب أبوالفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي في الجزء السادس من شذرات الذهب في أخبار من ذهب. وزاد أن الشمني قال: (له شرح مقدمة في النحو وسمع من التقي ابن دقيق العيد والبدر بن جماعة وأجاز لعبد الوهاب الهروي)، وقال السيوطي في [حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة] (ج١ ص١٩٥) في ذكره من كان بمصر من الفقهاء المالكية: (تاج الدين الفاكهاني عمر بن علي بن سالم اللخمي الإسكندراني، كان فقيهاً متفنناً في العلوم صالحاً عظيماً) ووصفه تلميذ السيوطي محمد بن يوسف الصالحي الشامي في [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد] (ج١ ص٤٤٦) بأنه الإمام العلامة وساق نص كتابه [المورد في الكلام على عمل المولد] بهذا كله يتبين أن قول السيوطي في [حسن المقصد في عمل المولد] في الفاكهاني (من متأخري المالكية) لا ينقص من مكانته، على أن المدار ليس على التقدم والتأخر وإنما هو على التوفيق، كما بينه ابن مالك في مقدمة التسهيل حيث قال: (وإذا كانت العلوم منحاً إلهية =

جميع ما أورده الفاكهاني في كتابه).

وعلى ما تضمنته رسالة الفاكهاني من كراهة عمل المولد اعتمد الشيخ العدوي المالكي في حاشيته على مختصر الشيخ خليل المالكي (ج٨ ص١٦٨) حيث قال في مبحث الوصية منها: (أما الوصية على المولد الشريف فذكر الفاكهاني أن عمل المولد مكروه)، ونقل ذلك عن العدوي، وتلقاه بالقبول أبوعبدالله محمد عليش في [فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك] (ج١ ص١٧١) قال: لما سُئل عن رجل عنده بقرة فمرضت والحال أنها حامل، فقال: إن شفى الله بقرتي فعلي ذبح ما في بطنها في مولد للرسول ﷺ، فشفاها الله تعالى وولدت أنثى ثم تراخى عن ذبحها حتى كبرت وحملت، فهل يلزمه ذبحها بعينها أو يلزمه ذبح بدلها أو لا يلزمه شيء؟

قال في الجواب عن هذا السؤال: (الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله.

لا يلزمه شيء؛ لأن عمل مولد للرسول ﷺ ليس مندوباً، خصوصاً إن اشتمل على مكروه، كقراءة بتلحين أو غناء، ولا يسلم في هذه الأزمان من ذلك وما هو أشد منه، والنذر إنما يلزم به ما ندب والله أعلم. قال العدوي في مبحث الوصية: (وأما الوصية على المولد الشريف فذكر الفاكهاني أن عمل المولد مكروه).

= ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين).

وقال الأستاذ أبوعبدالله محمد الحفار: (ليلة المولد لم يكن السلف الصالح ـ وهم أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون لهم ـ يجتمعون فيها للعبادة ولا يفعلون فيها زيادة على سائر ليالي السنة؛ لأن النبي ﷺ لا يعظم إلا بالوجه الذي شرع به تعظيمه، وتعظيمه من أعظم القرب إلى الله لكن يتقرب إلى الله جل جلاله بما شرع. والدليل على أن السلف لم يكونوا يزيدون فيها زيادة على سائر الليالي أنهم اختلفوا فيها: فقيل: إنه ﷺ ولد في رمضان، وقيل: في ربيع الأول. واختلف في أي يوم ولد فيه على أربعة أقوال، فلو كانت تلك الليلة التي ولد في صبيحتها تحدث فيها عبادة بولادة خير الخلق ﷺ لكانت معلومة مشهورة لا يقع فيها اختلاف، ولكن لم تشرع زيادة تعظيم. ألا ترى أن يوم الجمعة خير يوم طلعت عليه الشمس، وأفضل ما يفعل في اليوم الفاضل صومه، وقد نهى النبي ﷺ عن صوم يوم الجمعة مع عظيم فضله، فدل هذا على أنه لا تحدث عبادة في زمان ولا في مكان إلا إن شرعت، وما لم يشرع لا يفعل، إذ لا يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما أتى به أولها، ولو فتح هذا الباب لجاء قوم فقالوا: يوم هجرته إلى المدينة يوم أعز الله فيه الإسلام فيجتمع فيه ويتعبد، ويقول آخرون: الليلة التي أسري به فيها حصل له فيها من الشرف ما لا يقدر قدره فتحدث فيها عبادة فلا يقف ذلك عند حد. والخير كله في اتباع السلف الصالح الذين اختارهم الله له فما فعلوا فعلناه وما تركوا تركناه. قال: فإذا تقرر هذا ظهر أن الاجتماع في تلك الليلة ليس بمطلوب شرعاً، بل يؤمر بتركه). هذا نص ما جاء في جواب الأستاذ أبي عبدالله الحفار عن سؤال وجه إليه عن رجل حبس أصل توت على

ليلة مولد سيدنا محمد ﷺ ثم مات المحبس فأراد ولده أن يتملك أصل التوت المذكور، وبناء على ما قرره من كون الاحتفال بتلك الليلة بدعة جزم بأن وقوع التحبيس عليها ـ مادام أمرها كذلك ـ مما يحمل على بقاء ذلك العمل الذي ليس له أصل في الدين واستمراره وبأن محوه وإزالته مطلوبان شرعاً، ثم أضاف الحفار إلى ذلك أن تلك الليلة في زمنه تقام على طريقة الفقراء، ووصفها بقوله: وطريقة الفقراء في هذه الأوقات شنيعة من شنع الدين؛ لأن عهدهم في الاجتماع إنما هو الغناء والشطح، ويقررون لعوام المسلمين أن ذلك من أعظم القربات في هذه الأوقات، وأنها طريقة أولياء الله، وهم قوم جهلة لا يحسن أحدهم إحكام ما يجب عليه في يومه وليلته، بل هو ممن استخلفه الشيطان على إضلال عوام المسلمين، ويزينون لهم الباطل ويضيفون إلى دين الله تعالى ما ليس منه؛ لأن الغناء والشطح من باب اللهو واللعب، وهم يضيفونه إلى أولياء الله وهم يكذبون، في ذلك عليهم ليتوصلوا إلى أكل أموال الناس بالباطل، فصار التحبيس عليهم ليقيموا بذلك طريقتهم تحبيساً على ما لا يجوز تعاطيه فيبطل ما حبس في هذا الباب على غير طريقته، ويستحب للمحبس أن يصرف هذا الأصل من التوت إلى باب آخر من أبواب القربات الشرعية، وإن لم يقدر على ذلك فينقله لنفسه، والله تعالى يمن علينا باتباع هدي نبيه محمد ﷺ واتباع السلف الصالح الذين في اتباعهم النجاة.

ذكر ذلك كله العلامة أحمد بن يحيى الونشريسي في الجزء السابع من كتابه الشهير [المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقية والأندلس والمغرب] (ص٩٩ ـ ١٠١) في كتاب الحبس.

وبهذا الذي بينه الأستاذ أبوعبدالله الحفار يرد على فتوى ابن عباد المتصوف المذكورة في الجزء الحادي عشر من [المعيار] (ص٢٧٨، ٢٧٩) بإباحة الاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوي.

وقال العلامة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في بيان ما قام به الإمام محمد بن عبدالوهاب من الدعوة إلى الحق قال ما نصه: (وأنكر - أي الإمام محمد بن عبدالوهاب - ما كان عليه الناس في تلك البلاد وغيرها من تعظيم الموالد والأعياد الجاهلية التي لم ينزل في تعظيمها سلطان ولم ترد به حجة شرعية ولا برهان؛ لأن ذلك فيه مشابهة للنصارى الضالين في أعيادهم الزمانية والمكانية، وهو باطل مردود في شرع سيد المرسلين)[١].

وقال الإمام الشيخ عبدالرحمن بن حسن في الجواب عن سؤال وجه إليه عما يخص به يوم المولد من النحر ويسمونه نافلة، وما يفعل في السابع والعشرين من رجب من تخصيصه بالصوم والنحر، وما يفعل في ليلة النصف من شعبان من النحر وصيام اليوم، هل هو محرم أو مكروه أو مباح؟ وهل يجب على الأمراء والعلماء إنكار ذلك ويأثمون بالسكوت أم لا؟

قال: (هذه الأمور المذكورة من البدع؛ لما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، وقوله في

---

(١) [مجموعة الرسائل والمسائل النجدية]، طبعة مطبعة المنار (ص٤٤٠) من الجزء الرابع، و[الدرر السنية] (ج٤، ص٤٠٩).

الحديث الآخر: «**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة**»، والعبادات مبناها على الأمر والنهي والاتباع. وهذه الأمور لم يأمر بها رسول الله ﷺ ولا فعلها الخلفاء الراشدون، ولا الصحابة والتابعون، وقد قال النبي ﷺ في بعض ألفاظ الحديث الصحيح: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» وهذه الأمور ليس عليها أمره ﷺ، فتكون مردودة يجب إنكارها؛ لدخولها فيما أنكر الله ورسوله، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[1]، وهذه الأمور مما أحدثه الجهال بغير هدى من الله. والله سبحانه وتعالى أعلم)[2].

وقال الشيخ محمد بن عبداللطيف لما سئل عن صرف المال باسم مولد النبي ﷺ.

قال: إن عمل المولد من البدع المنكرات والأعمال السيئات، وصرف المال لأجل مولد النبي ﷺ بدعة محرمة، وفاعلها مأزور غير مأجور فيجب الإنكار على من فعل ذلك)[3].

---

(١) سورة الشورى، الآية ٢١.

(٢) القسم الثاني من [مجموعة الرسائل والمسائل النجدية]، طبعة مطبعة المنار (٣٥٧، ٣٥٨)، و(ج٤) من [الدرر السنية] (ص٣٨٩)، لكن ما في طبعة المنار أكمل.

(٣) [الدرر السنية] (ج٨ ص٢٨٥)، فإن قيل: إن الإمام عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله تعالى قال في [فتح المجيد شرح كتاب التوحيد] في شرح قول ابن حزم: (اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله، كعبد عمرو وعبد الكعبة وما أشبه ذلك حاشا عبدالمطلب)، قال في شرح كلام ابن حزم: هذا الذي أورده الإمام محمد بن عبدالوهاب في باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [سورة =

. . . .

= الأعراف، الآية ١٩٠] (ص٤٤٤) ما نصه: (قال الحافظ صلاح الدين العلائي في كتاب [الدرة السنية في مولد خير البرية] كان سن أبيه - أي أبي النبي ﷺ - عبدالله حين حملت منه آمنة برسول الله ﷺ نحو ثمانية عشر عاماً ثم ذهب إلى المدينة ليمتار منها تمراً لأهله فمات بها عند أخواله بني عدي بن النجار والنبي ﷺ حمل على الصحيح) انتهى. وهذا قد يتوهم منه متوهم أنه يقر عمل المولد. فالجواب: أن ما نقله الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن ذلك الكتاب أمر سِيَرِيٌّ لا صلة له بالاحتفال بالمولد النبوي الذي صرح بأنه بدعة وجزم بمنعه في غير ذلك الموضع، ونظير ما وقع منه في ذلك ما وقع من الحافظ ابن كثير في كلامه على أحاديث الإسراء في تفسيره المقبول، حيث قال (ج٣ ص٢٤): (فائدة: قال الحافظ أبوالخطاب عمر بن دحية في كتاب [التنوير في مولد السراج المنير]: وقد ذكر حديث الإسراء من طريق أنس وتكلم عليه فأجاد وأفاد، ثم قال: (وقد تواترت الروايات في حديث الإسراء عن عمر بن الخطاب وعلي وابن مسعود وأبي ذر ومالك بن صعصعة وأبي هريرة وأبي سعيد وابن عباس وشداد بن أوس وأبي ابن كعب وعبدالرحمن بن قرط وأبي حبة وأبي ليلى الأنصاريين وعبدالله بن عمرو وجابر وحذيفة وبريدة وأبي أيوب وأبي أمامة وسمرة بن جندب وأبي الحمراء وصهيب الرومي وأم هانيء وعائشة وأسماء ابنتي أبي بكر الصديق رضي الله عنهم أجمعين، منهم من ساقه بطوله ومنهم من اختصره على ما وقع في المسانيد، وإن لم تكن رواية بعضهم على شرط الصحة فحديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [سورة الصف، الآية ٨] ا.هـ كلام ابن كثير، وهو الذي نقل في الجزء الثالث عشر من تاريخه [البداية والنهاية] (ص١٤٤) عن سبط ابن الجوزي أنه قال في ابن دحية: (قد كان كابن عنين في ثلب المسلمين والوقيعة فيهم، ويتزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوه، وقد كان الكامل مقبلاً عليه فلما انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانه)، بل قال ابن كثير في ذلك الجزء ١٣ ص(١٤٥) بعد سرده ترجمة ابن خلكان لابن دحية ما نصه: (قلت :- القائل ابن كثير -

وقال السيد علي فكري في المحاضرة السادسة عشرة من [المحاضرات الفكرية] (ص١٢٨): (لم يكن في سنة العرب أن يحتفلوا بتاريخ ميلاد لأحد منهم. ولم تجر بذلك سنة المسلمين فيما سلف. والثابت في كتب التاريخ وغيرها أن عادة الاحتفال بمولد النبي ﷺ من العادات المحدثة).

وقال الشيخ محمد عبدالسلام خضر الشقيري في [السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات] (ص١٣٨، ١٣٩) في الفصل الذي عقده لشهر ربيع الأول وبدعة المولد فيه: (لا يختص هذا الشهر بصلاة ولا ذكر ولا عبادة ولا نفقة ولا صدقة، ولا هو موسم من مواسم الإسلام كالجمع والأعياد التي رسمها لنا الشارع صلوات الله وتسليماته عليه وعلى سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين ففي هذا الشهر ولد ﷺ وفيه توفي فلماذا يفرحون بميلاده ولا يحزنون لوفاته؟ فاتخاذ مولده موسماً والاحتفال به بدعة منكرة ضلالة لم يرد بها شرع ولا عقل، ولو كان في هذا خير كيف يغفل عنه أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وسائر الصحابة والتابعون وتابعوهم والأئمة وأتباعهم؟ لا شك أنه ما أحدثه إلا المتصوفون الأكالون البطالون أصحاب البدع، وتبع الناس بعضهم بعضاً فيه إلا من عصمه الله ووفقه لفهم حقائق دين الإسلام).

= قد تكلم الناس فيه ـ أي ابن دحية ـ بأنواع من الكلام ونسبه بعضهم إلى وضع حديث في قصر صلاة المغرب، وكنت أود أن أقف على إسناده لنعلم كيف حاله، وقد أجمع العلماء، كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن المغرب لا يقصر. والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعنه بمنه وكرمه) فالحق لا يرد من أي قائل ومن أي مصدر والحكمة ضالة المؤمن يأخذها من حيث وجدها، وعلى هذا مشيت في هذا الرد أنقل القول الحق عن قائله وإن كنت غير راضٍ عنه.

وقال ابن الحاج في [المدخل] (ج٢ ص١١، ١٢) بعد ذكره العوائد الرديئة التي اعتادها أهل وقته في عمل المولد والمفاسد المترتبة على عمله، قال ما نصه: (فإن خلا ـ أي عمل المولد النبوي ـ منه ـ أي من السماع ـ وعمل طعاماً فقط ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره ـ أي من المفاسد ـ فهو بدعة بنفس نيته فقط؛ إذ أن ذلك زيادة في الدين ليس من عمل السلف الماضين واتباع السلف أولى، بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه؛ لأنهم أشد الناس اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ وتعظيماً له ولسنته ﷺ، ولهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد، ونحن لهم تبع فيسعنا ما وسعهم، وقد علم أن اتباعهم في المصادر والموارد، كما قال الشيخ الإمام أبوطالب المكي رحمه الله تعالى في كتابه، وقد جاء في الخبر: (لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً)، وقد وقع ما قاله ﷺ بسبب ما تقدم ذكره وما سيأتي بعد؛ لأنهم يعتقدون أنهم في طاعة ومن لا يعمل عملهم يرون أنه مقصر بخيل، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقال أيضاً: وقد قال بعض الأدباء كلاماً منظوماً في وصف زماننا هذا كأنه شاهده:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم ... بعضاً ليدفع معور عن معور
أبني إن من الرجال بهيمة ... في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله ... فإذا أصيب بدينه لم يشعر
فسل الفقيه تكن فقيهاً مثله ... من يسع في علم بلب يظفر

بل وصل ابن الحاج في الجزء المذكور (ص٢٦) في كلامه على

محاذير عمل المولد إلى أن يقول ما نصه: (وبعضهم ـ أي المحتفلين بالمولد النبوي ـ يتورع عن هذا ـ أي ما يقع في المولد من المحاذير ـ ويعمل المولد بقراءة البخاري وغيره عوضاً عن ذلك، وهذا وإن كانت قراءة الحديث في نفسها من أكبر القرب والعبادات وفيها البركة العظيمة والخير الكثير لكن إذا فعل ذلك بشرطه اللائق على الوجه الشرعي، كما ينبغي لابنية المولد، ألا ترى أن الصلاة من أعظم القرب إلى الله تعالى، ومع ذلك فلو فعلها إنسان في غير الوقت المشروع لكان مذموماً مخالفاً، فإذا كانت الصلاة بهذه المثابة فما بالك بغيرها).

وقال الحافظ أبوزرعة العراقي وقد سئل عن فعل المولد أمستحب هو أم مكروه، وهل ورد فيه شيء أو فعله من يقتدى به؟ قال: (إطعام الطعام مستحب في كل وقت، فكيف إذا انضم لذلك السرور بظهور نور النبوة في هذا الشهر الشريف، ولا نعلم ذلك ـ أي عمل المولد ولو بإطعام الطعام ـ عن السلف[(١)]).

وقال الحافظ أبوالفضل بن حجر العسقلاني في فتواه في عمل المولد

---

(١) نقل ذلك عنه الشيخ أحمد بن محمد بن الصديق في كتابه [تشنيف الآذان] (ص١٣٦) ونص كلامه: (قال الحافظ أبوزرعة العراقي وقد سئل عن فعل المولد أمستحب أو مكروه، وهل ورد فيه شيء أو فعله من يقتدى به؟ ما نصه: إطعام الطعام مستحب في كل وقت فكيف إذا انضم لذلك السرور بظهور نور النبوة في هذا الشهر الشريف، ولا نعلم ذلك عن السلف. ولا يلزم من كونه بدعة كونه مكروهاً، فكم من بدعة مستحبة، بل واجبة) اهـ ما نقله، والشاهد منه تصريح العراقي بأن عمل المولد بدعة لا يعلمها عن السلف، وأما دعوى العراقي أن البدعة تكون مستحبة وتكون واجبة فيدل على بطلانها عموم قول النبي ﷺ: «وكل بدعة ضلالة».

التي ساقها السيوطي في [حسن المقصد في عمل المولد] قال فيها: (أصل عمل المولد بدعة لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة)، وقال السخاوي في فتاويه: (عمل المولد الشريف لم ينقل عن أحد من السلف الصالح في القرون الثلاثة الفاضلة، وإنما حدث بعد) نقل ذلك عن السخاوي الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي في الجزء الأول من سيرته [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد] (ص٤٣٩)، والملا علي القاري في كتابه [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٢٤).

وقال الشيخ نصير الدين المبارك الشهير بابن الطباخ في فتوى بخطه: (ليس هذا ـ أي عمل المولد ـ من السنن).

وقال الشيخ ظهير الدين جعفر التزمنتي في عمل المولد: (هذا الفعل لم يقع في الصدر الأول من السلف الصالح مع تعظيمهم وحبهم له ـ أي للنبي ﷺ ـ إعظاماً ومحبة لا يبلغ جمعنا الواحد منهم ولا ذرة منه). نقل ذلك عن ابن الطباخ والتزمنتي صاحبُ [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد] (ج١ ص٤٤١، ٤٤٢).

بهذه النقول يتضح أن السلف الصالح لم يحتفلوا بمولد النبي ﷺ، بل تركوه، وما تركوه لا يمكن أن يكون تركهم إياه إلا لكونه لا خير فيه، كما أوضحه ابن الحاج في الجزء الرابع من [المدخل] (ص٢٧٨) حيث قال بصدد استنكاره لصلاة الرغائب ما نصه:

ما حدث بعد السلف رضي الله عنهم لا يخلو إما أن يكونوا علموه وعلموا أنه موافق للشريعة ولم يعملوا به ومعاذ الله أن يكون ذلك؛ إذ أنه يلزم منه تنقيصهم وتفضيل من بعدهم عليهم، ومعلوم أنهم أكمل الناس في كل شيء وأشدهم اتباعاً. وإما أن يكونوا علموه

وتركوا العمل به، ولم يتركوه إلا لموجب أوجب تركه فكيف يمكن فعله؟! هذا مما لا يتعلل، وإما أن يكونوا لم يعلموه فيكون من ادعى علمه بعدهم أعلم منهم وأفضل وأعرف بوجوه البر وأحرص عليها ولو كان ذلك خيراً لعلموه ولظهر لهم، ومعلوم أنهم أعقل الناس وأعلمهم، وقد قال مطرف بن عبدالله بن الشخير: عقول الناس على قدر أزمنتهم. ولأجل هذا المعنى لم يكن عندهم إشكال في الدين ولا في الاعتقادات لوفور عقولهم، وإنما حدثت الشبه بعدهم لما خالطت العجمة الألسن، فلنقصان عقول من بعدهم عن عقولهم وقع ما وقع) ا.هـ كلام ابن الحاج، وفيه دليل من ناحية أخرى على أن ما تركه السلف الصالح لابد أن يكون النبي ﷺ قد تركه، وتركه سنة، كما أن فعله سنة، فمن استحب فعل ما تركه النبي ﷺ كان كمن استحب ترك ما فعله ولا فرق، كما بينه الإمام شمس الدين ابن القيم في [إعلام الموقعين] (ج٢ ص٣٩٠، ٣٩١)، وقال بعده: (فإن قيل: من أين لكم أنه لم يفعلـه، وعـدم النقل لا يستلزم نقل العدم؟! فهذا سؤال بعيد جداً عن معرفة هديه وسنته وما كان عليه، ولو صح هذا السؤال وقبل لاستحب لنا مستحبٌّ: الأذانَ للتراويح، وقال: من أين لكم أنه لم ينقل؟! واستحب لنا مستحبٌّ آخر: الغسل لكل صلاة، وقال: من أين لكم أنه لم ينقل؟!واستحب لنا مستحب آخر: النداء بعد الأذان للصلاة بـ: يرحمكم الله، ورفع بها صوته وقال: من أين لكم أنه لـم ينقـل؟! واستحب لنا آخر: لبس السواد والطرحة للخطيب وخروجه بالشاويش يصيح بين يديـه، ورفـع المؤذنين أصواتهم كلما ذكر الله واسم رسوله جماعة وفرادى، وقال: من أين لكم أن هذا لم ينقل؟! واستحب لنا

آخر: صلاة ليلة النصف من شعبان أو ليلة أول جمعة من رجب وقال: من أين لكم أن إحياءها لم ينقل؟! وانفتح باب البدعة وقال كل من دعا إلى بدعة: من أين لكم أن هذا لم ينقل؟! ومن هذا تركه أخذ الزكاة من الخضروات والمباطخ وهم يزرعونها بجواره بالمدينة كل سنة فلا يطالبهم بزكاة ولا هم يؤدونها إليه) ا.هـ. ولعدم انتباه محمد بن علوي لذلك كله قال في رسالته: [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص١٧، ١٨)، وفي مقدمته لطبعة [مولد الديبع] الأولى (ص١٣)، وفي مقدمته لـ [المورد الروي في المولد النبوي] (ص١٧) ما نصه: (وقول المتعصب: إن هذا لم يفعله السلف ليس هو دليلاً له، بل هو عدم دليل كما لا يخفى على من مارس علم الأصول).

ومما يدل على أن السلف الصالح لم يحتفلوا بيوم المولد النبوي اختلافهم في تحديد اليوم الذي ولد فيه النبي ﷺ، كما تقدم من كلام أبي عبدالله الحفار الذي نقله عنه صاحب [المعيار] (ج٧ ص١٠٠) ونص كلامه: (والدليل على أن السلف لم يكونوا يزيدون فيها ـ أي: في ليلة المولد النبوي ـ زيادة على سائر الليالي أنهم اختلفوا فيها، فقيل: إنه ﷺ ولد في رمضان، وقيل: في ربيع ـ أي الأول ـ واختلف في أي يوم ولد فيه على أربعة أقوال، فلو كانت تلك الليلة التي ولد في صبيحتها تحدث فيها عبادة لولادة خير الخلق ﷺ لكانت معلومة مشهورة لا يقع فيها اختلاف) ا.هـ المراد من كلام أبي عبدالله الحفار هنا، وقد بسط الكلام على ذلك الخلاف الذي أشار إليه الإمام العلامة الحافظ ابن كثير في الجزء الثاني من تاريخه [البداية والنهاية]

(ص٢٦٠، ٢٦١) والقسطلاني في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص١٣١، ١٣٢) فقد قال ابن كثير بعد أن جزم بأنه لا خلاف في أن النبي ﷺ ولد يوم الإثنين قال: الجمهور على أن ذلك ـ أي ولادته ـ كان في شهر ربيع الأول، فقيل: لليلتين خلتا منه، قاله ابن عبدالبر في [الاستيعاب]، ورواه الواقدي عن أبي معشر نجيحْ بن عبدالرحمن المدني، وقيل: لثمان خلون منه، حكاه الحميدي عن ابن حزم، ورواه مالك وعقيل ويونس بن يزيد وغيرهم عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم، ونقل ابن عبدالبر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي، ورجحه الحافظ أبوالخطاب ابن دحية في كتابه [التنوير في مولد البشير النذير]. وقيل: لعشر خلون منه، نقله ابن دحية في كتابه، ورواه ابن عساكر عن أبي جعفر الباقر[1]، ورواه مجاهد عن الشعبي كما مر. وقيل: لاثنتي عشرة خلت منه، نص عليه ابن إسحاق، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه، عن عفان، عن سعيد بن ميناء، عن جابر وابن عباس أنهما قالا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج

---

(١) وقول أبي جعفر الباقر هذا هو الذي صححه الحافظ الدمياطي، نقل ذلك عنه تلميذه الحافظ الذهبي في الجزء الأول من تاريخه الكبير (ص٢٣) ط مكتبة القدسي، قال: (قال شيخنا أبومحمد الدمياطي في السيرة من تأليفه: عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر قال: ولد رسول الله ﷺ يوم الإثنين لعشر ليال خلون من ربيع الأول، وكان قدوم أصحاب الفيل قبل ذلك في النصف من المحرم، وقال أبومعشر نجيح: ولد لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، قال الدمياطي: والصحيح: قول أبي جعفر).

به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات. وهذا هو المشهور عند الجمهور، والله أعلم. وقيل: لسبعة عشر خلت منه، كما نقله ابن دحية عن بعض الشيعة. وقيل: لثمان بقين منه[١] نقله ابن دحية من خط الوزير أبي رافع بن الحافظ أبي محمد بن حزم عن أبيه، والصحيح عن ابن حزم: الأول: أنه لثمان مضين منه، كما نقله عنه الحميدي وهو أثبت)، وذكر ابن كثير القول بأنه ولد في رمضان فاستغربه جداً.

وقال القسطلاني في الجـــزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص١٣١، ١٣٢): (اختلف في أي يوم من الشهر -أي شهر ربيع الأول- ولد، فقيل: إنه غير معين، إنما ولد يوم الإثنين من ربيع الأول من غير تعيين، والجمهور على أنه معين، فقيل: لليلتين خلتا منه. وقيل: لثمان خلت منه، قال الشيخ قطب الدين القسطلاني: وهو اختيار أكثر أهل الحديث، ونقل عن ابن عباس وجبير بن مطعم، وهو اختيار أكثر من له معرفة بهذا الشأن، واختاره الحميدي وشيخه ابن حزم، وحكى القضاعي في [عيون المعارف] إجماع أهل الزيج[٢]

---

(١) نقل الشيخ علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي في [إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون] المعروف بـ [السيرة الحلبية] عن أبي الخطاب بن دحية أن القول بأن ولادة النبي ﷺ كانت لثمان مضين من ربيع الأول هو الذي لا يصح غيره، وعليه أجمع أهل التاريخ).

(٢) الزيج: بزاي مكسورة فتحتية ساكنة فجيم، أي: الميقات، وهو لغة: خيط البناء، ثم نقل وجعل لقباً لعمل الميقات؛ لقولهم علا الخيط في أحد استواء النجوم القاموس، الزيج: خيط البناء معرب ومقتضاه فتح الزاي؛ لأنه إذا أطلق أراد الفتح إلا فيما اشتهر بخلافه، كما قال في خطبته: وقد ضبطه بعضهم بكسرها =

عليه، ورواه الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم، وكان عارفاً بالنسب وأيام العرب، أخذ ذلك عن أبيه جبير. وقيل: لعشر. وقيل: لاثني عشر، وعليه عمل أهل مكة في زيارتهم موضع مولده في هذا الوقت. وقيل: لسبع عشرة. وقيل: لثمان عشرة. وقيل: لثمان بقين منه. وقيل: إن هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية) ا.هـ كلام القسطلاني، ولمراعاة الخلاف في اليوم الذي ولد فيه خاتم الأنبياء محمد ﷺ من شهر ربيع الأول، لمراعاته نوعاً ما كان صاحب إربل يحتفل بالمولد النبوي سنة في ثامن شهر ربيع الأول وسنة في ثاني عشرة، جاء ذلك في وصف ابن خلكان في تاريخه [وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان] لاحتفاله بالمولد النبوي قال (ج١ ص٤٣٧): (كان ـ أي صاحب إربل يعمله ـ أي عمل المولد ـ سنة في ثامن الشهر ـ أي شهر ربيع الأول ـ وسنة في ثاني عشرة؛ لأجل الاختلاف الذي فيه) ا.هـ.

يضاف إلى ذلك أن الشهر الذي ولد فيه نبينا محمد ﷺ هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه، نبه على ذلك غير واحد من أهل العلم، منهم ابن الحاج والفاكهاني.

فقد قال ابن الحاج في [المدخل] (ج٢ ص١٦، ١٧) في كلامه على عمل المولد، قال: العجب العجيب كيف يعملون المولد بالمغاني والفرح والسرور، كما تقدم لأجل مولده ﷺ، كما تقدم في

= فلعله مما اشتهر) ا.هـ من [شرح المواهب اللدنية] للزرقاني (ج١ ص١٣١، ١٣٢).

هذا الشهر الكريم وهو ﷺ فيه انتقل إلى كرامة ربه عز وجل وفجعت الأمة وأصيبت بمصاب عظيم لا يعدل ذلك غيرها من المصائب أبداً، فعلى هذا كان يتعين البكاء والحزن الكثير وانفراد كل إنسان بنفسه لما أصيب به، لقوله ﷺ: «**ليعزَّىٰ المسلمون في مصائبهم المصيبة بي**».
فلما ذكر ﷺ المصيبة به ذهبت كل المصائب التي تصيب المرء في جميع أحواله وبقيت لا خطر لها، ولقد أحسن حسان حين رثاه ﷺ بقوله:

كنت السواد لناظري فعمى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت فعليك كنت أحاذر

فانظر في هذا الشهر الكريم ـ والحالة هذه ـ كيف يلعبون فيه ويرقصون ولا يبكون ولا يحزنون، ولو فعلوا ذلك لكان أقرب إلى الحال؛ لأجل اقتراف الذنوب والحزن والبكاء من أجل فقد النبي ﷺ، وكان ذلك مذهباً للذنوب وممحّياً لآثارها، مع أنهم لو فعلوا ذلك والتزموه لكان أيضاً بدعة، وإن كان الحزن عليه ﷺ واجباً على كل مسلم دائماً لكن لا يكون على سبيل الاجتماع لذلك والتباكي وإظهار التحزن بل ذلك ـ أعني: الحزن ـ في القلوب، فإن دمعت العين فيا حبذا وإلا فلا حرج إذا كان القلب عامراً بالحزن والتأسف، إذ هو المقصود بذلك كله، وإنما وقع الذكر لهذا الفصل؛ لكونهم فعلوا الطرب الذي للنفوس فيه راحة وهو اللعب والرقص والدف والشبابة وغير ذلك مما تقدم بخلاف البكاء والحزن إذ أنه ليس للنفس فيه راحة، بل الكمد وحبس النفوس عن شهواتها وملاذها. ولو قال قائل:

أنا أعمل المولد للفرح والسرور لولادته ﷺ ثم أعمل يوماً آخر للمآتم والحزن والبكاء عليه. فالجواب: أنه قد تقدم أن من عمل طعاماً بنية المولد ليس إلا، وجمع له الإخوان، فإن ذلك بدعة، هذا وهو فعل واحد ظاهره البر والتقرب ليس إلا، فكيف بهذا الذي جمع بدعاً جملة في مرة واحدة، فكيف إذا كرر ذلك مرتين مرة للفرح ومرة للحزن، فتزيد به البدع ويكثر اللوم عليه من جهة الشرع؟! والله أعلم).

وقال الفاكهاني في رسالته [المورد في عمل المولد]: إن الشهر الذي ولد فيه رسول الله ﷺ هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح فيه بأولى من الحزن فيه.

فصـــل
في إثبات احتفال بني عبيد القداح بالموالد قبل صاحب إربل وأنهم أول من احتفل بها

قال تقي الدين أحمد بن علي بن عبدالقادر بن محمد المعروف بالمقريزي في الجزء الأول من كتابه [المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار] (ص٤٩٠) تحت عنوان (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم) قال: (كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم، وهي: موسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي ﷺ، ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومولد الحسن،

ومولد الحسين عليهما السلام، ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وسماط رمضان، وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النوروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات) ثم بعد إيضاحه غاية الإيضاح تلك الأعياد والمواسم ذكر أن الموالد الستة كانت مواسم جليلة يعمل الناس فيها ميزات من ذهب وفضة وخشكنانج وحلواء، وبسط في ذلك الجزء من ذلك الكتاب [كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار] (ص٤٣٢، ٤٣٣)[١]

ـ الكلام على وصف جلوس الخليفة في الموالد بالمنظرة علو باب الذهب) قال: (قال ابن المأمون في أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة: وفي الثاني عشر من المحرم كان المولد الآمري واتفق كونه في هذا الشهر يوم الخميس، وكان قد تقرر أن يعمل أربعون صينية خشكنانج وحلوى وكعك وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج، وتقدم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى وتفرق على المتصدرين والقراء والفقراء، للمتصدرين ومن معهم في صحون، وللفقراء على أرغفة السميذ، ثم حضر في الليلة المذكورة القاضي والداعي والشهود وجميع المتصدرين وقراء الحضرة وفتحت الطاقات التي قبلي باب الذهب وجلس الخليفة

---

(١) طبعة دار صادر بيروت.

وسلموا عليه، ثم خرج متولي بيت المال بصندوق مختوم ضمنه عيناً مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهماً برسم أهل القرافة وساكنيها وغيرهم وفرقت الصواني بعدما حمل منها للخاص وزمام القصر ومتولي الدفتر خاصة وإلى دار الوزارة والأجلاء الإخوة والأولاد وكاتب الدست ومتولي حجبة الباب والقاضي والداعي ومفتي الدولة ومتولي دار العلم والمقرئين الخاص وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر وبقية الأشراف، قال: وخرج الآمر - يعني في سنة سبع عشرة وخمسمائة - بإطلاق ما يخص المولد الآمري برسم المشاهد الشريفة من سكر وعسل وشيرج ودقيق وما يصنع مما يفرق على المساكين بالجامعين الأزهر بالقاهرة، والعتيق بمصر، وبالقرافة خمسة قناطر حلوى وألف رطل دقيق وما يعمل بدار الفطرة ويحمل للأعيان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية صينية خشكنانج، وحضر القاضي والداعي والمستخدمون بدار العيد والشهود في عشية اليوم المذكور وقطع سلوك الطريق بين القصرين، وجلس الخليفة في المنظرة وقبلوا الأرض بين يديه والمقرئون الخاص جميعهم يقرؤون القرآن وتقدم الخطيب وخطب خطبة وسع القول فيها وذكر الخليفة والوزير ثم حضر من أنشد وذكر فضيلة الشهر والمولود فيه، ثم خرج متولي بيت المال ومعه صندوق من مال النجاوي خاصة مما يفرق على الحكم المتقدم ذكره.

قال: (واستهل ربيع الأول ونبدأ بما شرف به الشهر المذكور وهو ذكر مولد سيد الأولين والآخرين محمد ﷺ لثلاث عشرة منه، وأطلق ما هو برسم الصدقات من مال النجاوي خاصة ستة آلاف

درهم، ومن الأصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطـــــرة، ومن الخزائن برسم المتولين والسدنة للمشاهد الشريفة التي بين الجبل والقرافة التي فيها أعضاء آل رسول الله ﷺ سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد وما يتولى تفرقته سنا الملك بن ميسر أربعمائة رطل حلاوة وألف رطل خبزاً، قال: (وكان الأفضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الأربعة: النبوي والعلوي والفاطمي والإمام الحاضر، وما يهتم به، وقدم العهد به حتى نسي ذكرها فأخذ الأستاذون يجددون ذكرها للخليفة الآمر بأحكام الله ويرددون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها وإعادتها وإقامة الجواري والرسوم فيها فأجاب إلى ذلك وعمل ما ذكر، وقال ابن الطوير: ذكر جلوس الخليفة في الموالد الستة في تواريخ مختلفة وما يطلق فيها وهي: مولد النبي ﷺ، ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد فاطمة عليها السلام، ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام، ومولد الخليفة الحاضر، ويكون هذا الجلوس في المنظرة التي هي أنزل المناظر وأقرب إلى الأرض قبالة دار فخر الدين جهاركس والفندق المستجد، فإذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ـ وهو يوم مولد النبي ﷺ ـ تقدم بأن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطاراً من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائفها، وتعبأ في ثلاثمائة صينية من النحاس فتفرق تلك الصواني في أرباب الرسوم من أرباب الرتب، وكل صينية في قوارة من أول النهار إلى ظهره، فأول أرباب الرسوم قاضي القضاة، ثم داعي الدعاة، ويدخل في ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقوَمة المشاهد، ولا يخرج ذلك مما يتعلق بهذا الجانب يدعو

بخرج من دفتر المجلس كما قدمناه، فإذا صلى الظهر ركب قاضي القضاة والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصواني فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة، ثم يستدعى قاضي القضاة ومن معه، فإن كانت الدعوة مضافة إليه وإلا حضر الداعي معه بنقباء الرسائل، فيركبون ويسيرون إلى أن يصلوا إلى آخر المضيق من السيوفيين قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين فيقفون هناك، وقد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق ومن سويقة أمير الجيوش عند الحوض هناك، وكنست الطريق فيما بين ذلك ورشت بالماء رشاً خفيفاً وفرش تحت المنظرة المذكورة بالرمل الأصفر، ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة ووالي القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة، فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضي ومن معه من مكان وقوفهم فيقربون من المنظرة ويترجلون قبل الوصول إليها بخطوات فيجتمعون تحت المنظرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة، فتفتح إحدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل، وعلى رأسه عدة من الأستاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم، ويفتح بعض الأستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى في كمه، ويشير به قائلاً: أمير المؤمنين يرد عليكم السلام، فيسلم بقاضي القضاة أولاً بنعوته، وبصاحب الباب بعده كذلك، وبالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين أحد، فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة، ويكونون قياماً في الصدر وجوههم للحاضرين وظهورهم إلى حائط المنظرة فيقدم خطيب الجامع الأنور المعروف

بجامع الحاكم فيخطب، كما يخطب فوق المنبر إلى أن يصل إلى ذكر النبي ﷺ فيقول: وإن هذا يوم مولده إلى ما من الله به على ملة الإسلام من رسالته، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يؤخر، ويقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك، ثم خطيب الجامع الأقمر فيخطب كذلك، والقراء في خلال خطابة الخطباء يقرؤون، فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ رأسه ويده في كمه من طاقته ورد على الجماعة السلام، ثم تغلق الطاقتان فتنفض الناس ويجري أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام إلى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولا نقص، انتهى.

وقال أبوالعباس أحمد بن علي القلقشندي في الجزء الثالث من [صبح الأعشى في صناعة الإنشاء] (ص٤٩٨، ٤٩٩) في كلام له طويل في جلوسات الخليفة الفاطمي، قال بعد أن ذكر جلوسه في المجلس العام أيام المواكب، وجلوسه ليلة أول رجب وليلة نصفه وليلة أول شعبان وليلة نصفه للقاضي والشهود في ليالي الوقود الأربع من كل سنة قال: (الجلوس الثالث: جلوسه في مولد النبي ﷺ في الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وكان عادتهم فيه أن يعمل في دار الفطرة عشرون قنطاراً من السكر الفائق حلوى من طرائف الأصناف، وتعبأ في ثلاثمائة صينية نحاس، فإذا كان ليلة ذلك المولد تفرق في أرباب الرسوم؛ كقاضي القضاة وداعي الدعاة وقراء الحضرة والخطباء والمتصدرين بالجوامع بالقاهرة ومصر وقومة المشاهد وغيرهم ممن له اسم ثابت بالديوان ويجلس الخليفة في منظرة قريبة من الأرض مقابل الـــدار القطبية المتقدمة الذكر (وهي البيمارستان المنصوري الآن)، ثم يركب

القاضي بعد العصر ومعه الشهود إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصواني المتقدمة الذكر فيجلسون في الجامع مقدار قراءة الختمة الكريمة وتسد الطريق تحت القصر من جهة السيوفيين وسويقة أمير الجيوش ويكنس ما بين ذلك ويرش بالماء رشّاً، ويرش تحت المنظرة بالرمل الأصفر، ويقف صاحب الباب ووالي القاهرة على رأس الطرق لمنع المارة، ثم يستدعى القاضي ومن معه فيحضرون ويترجلون على القرب من المنظرة، ويجتمعــون تحتها وهم متشوفون لانتظار ظهور الخليفة فيفتح إحدى طاقات المنظرة فيظهر منها وجهه، ثم يخرج أحد الأستاذين المحنكين يده ويشير بكمه بأن الخليفة يرد عليكم السلام، ويقرأ القراء ويخطب الخطباء، كما تقدم في ليالي الوقود[1]، فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ يده مشيراً برد السلام كما تقدم، ثم تغلق الطاقتان وينصرف الناس إلى بيوتهم، وكذلك شأنهم في مولد علي بن أبي طالب الخاص في أوقات معلومة عندهم من السنة.

وممن صرح من المتأخرين بأن أول من أحدث المولد المتسمون بالفاطميين ـ مفتي الديار المصرية الشيخ محمد بن بخيت المطيعي، والشيخ علي محفوظ، والسيد علي فكري.

فقد قال العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية سابقاً في كتابه [أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام] (ص٤٤، ٤٥): (مما أحدث وكثر السؤال عنه الموالد،

---

(١) في كلامه على ليالي الوقود حيث قال: (فإذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الأستاذ الأول يده من تلك الطاقة فيرد على الجماعة السلام).

فنقول: إن أول من أحدثها بالقاهرة الخلفاء الفاطميون، وأولهم المعز لدين الله توجه من المغرب إلى مصر في شوال سنة (٣٦١) إحدى وستين وثلاثمائة هجرية، فوصل إلى ثغر إسكندرية في شعبان سنة (٣٦٢) اثنتين وستين وثلاثمائة، ودخل القاهرة لسبع خلون من شهر رمضان في تلك السنة فابتدعوا ستة موالد: المولد النبوي، ومولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ومولد السيدة فاطمة الزهراء، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد الخليفة الحاضر. وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش، وكان أبوه أمير الجيوش قد قدم من الشام إلى مصر في خلافة المستنصر بالله بناءً على دعوة منه، فدخل مصر في عشية الأربعاء لليلتين خلتا من جمادى الأولى سنة (٤٦٥) خمس وستين وأربعمائة هجرية، فلما توجه لمحاربة أهل الشام استناب ولده الأفضل. وفي ربيع الآخر أو في جمادى الأولى سنة (٤٨٧) سبع وثمانين وأربعمائة مات أمير الجيوش فأقام الجند ولده الأفضل مقامه، ثم مات المستنصر بالله لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة (٤٨٧) سبع وثمانين وأربعمائة هجرية، ومدة خلافته ستون سنة وأربعة أشهر وثلاثة أيام، فأقام الأفضل بعد المستنصر ابنه المستعلي بالله، ثم مات المستعلي في ليلة ثلاث عشرة بقيت من صفر سنة (٤٩٥) خمس وتسعين وأربعمائة هجرية، ومدة خلافته سبع سنين وشهران، فأقام الأفضل بعده في يوم موته ابنه الآمر بأحكام الله، ثم قتل الأفضل ليلة عيد الفطر من سنة (٥١٥) خمس عشرة وخمسمائة هجرية، ثم قتل الآمر بأحكام الله في سنة (٥٢٤) خمسمائة وأربعة وعشرين هجرية. ثم قال المطيعي في بيان ما كان

يعمل في المولد النبوي من الفاطميين (ص٤٥ ـ ٤٧): (وفي خلافة الآمر بأحكام الله أعاد الموالد الستة المذكورة قبل، بعد أن أبطلها الأفضل وكاد الناس ينسونها، وكان الخليفة يجلس في هذه الموالد في تواريخ مختلفة ويكون جلوسه كما في [الخطط] للمقريزي نقلاً عن ابن الطوير في (المنظرة) التي هي أنزل المناظر وأقرب إلى الأرض، ففي المولد النبوي إذا كان اليوم الثاني عشر من ربيع الأول يعمل في دار الفطرة عشرون قنطاراً من السكر اليابس حلوى يابسة، وتعبأ في ثلاثمائة صينية من النحاس فتفرق تلك الصواني على أرباب الرسوم من ذوي الرتب من أول النهار إلى ظهره. فأولهم قاضي القضاة. ثم داعي الدعاة وقراء حضرة الخليفة والخطباء والمتصدرون بالجوامع، فإذا صلى الظهر ركب قاضي القضاة والشهود بأجمعهم إلى الجامع الأزهر ومعهم أرباب تفرقة الصواني فيجلسون فيه مدة، ثم يستدعى قاضي القضاة ومن معه بالأزهر فيركبون وقد كنست الطريق ورشت بالماء رشاً خفيفاً وفرش ما تحت المنظرة بالرمل الأصفر، ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة، كل ذلك ووالي مصر يغدو ويروح لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة، فيقرب جميع المدعوين من المنظرة ويترجلون قبل الوصول إليها بخطوات فيجتمعون تحتها دون الساعة الزمانية لانتظار الخليفة فتفتح إحدى طاقات المنظرة فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل. وفوق رأسه عدة رجال يسمون بالأستاذين وغيرهم من الخواص، ويفتح بعض الأستاذين طاقة أخرى ويخرج منها رأسه ويده في كمه، ويشير به قائلاً: أمير المؤمنين يرد عليكم السلام، فيبدأ بقاضي القضاة أولاً فيسلم عليه بنعوته، ثم بعده

صاحب الباب، ثم بالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين واحد، فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة ويكونون وقوفاً في الصدر وجوههم وظهورهم إلى حائط المنظرة، فيتقدم خطيب الجامع الأنور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر إلى أن يصل إلى ذكر النبي ﷺ فيقول: إن هذا اليوم مولده ﷺ، وقد بعثه الله فيه برسالة عامة، ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة، ثم يتقدم خطيب الجامع الأزهر فيخطب كذلك، ثم خطيب الجامع الأقمر فيخطب كذلك، والقراء في خلال الخطب يقرؤون فإذا انتهت الخطب أخرج الأستاذ رأسه ويده في كمه من طاقتـــه ورد على الجماعة السلام، ثم تغلق الطاقتان فينفض الناس ويجري أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام إلى حين فراغها من غير زيادة ولا نقص إلا فيما يتعلق بصاحب المولد في الخطب فإنه يكون في كل مولد بما يناسب صاحبه). ذكر المطيعي هذا كله، ثم قال (ص٤٧): (وقد استمر عمل الموالد إلى الآن غير أن الناس تركوا بعض الموالد الخمسة وزادوا موالد أخرى، حتى كادت الموالد الآن لا تحصى وزادوا على ما كان يعمل فيها زمن الفاطميين أشياء ونقصوا أشياء وزادوا في أيامها) ثم بعدما نقل المطيعي ما كان يعمله مظفر الدين صاحب إربل بمولد النبي ﷺ عن ابن خلكان، ونقل عنه أيضاً قضية ابن دحية معه وتأليفه له [التنوير في مولد السراج المنير] بعد ما نقل ذلك قال في (ص٥٢): (من ذلك تعلم أن مظفر الدين إنما أحدث المولد النبوي في مدينة إربل على الوجه الذي وصف فلا ينافي ما ذكرناه من أن أول من أحدثه بالقاهرة الخلفاء الفاطميون من قبل ذلك، فإن دولة الفاطميين انقرضت بموت

العاضد بالله أبي محمد عبدالله بن الحافظ بن المستنصر في يوم الإثنين عاشر المحرم سنة (٥٦٧) سبع وستين وخمسمائة هجرية. وما كانت الموالد تعرف في دولة الإسلام من قَبْلِ الفاطميين.

وأضاف الشيخ محمد بخيت المطيعي إلى ذلك قوله: (وأنت إذا علمت ما كان يعمله الفاطميون ومظفر الدين في المولد النبوي جزمت بأنه لا يمكن أن يحكم عليه بالحل).

وقال الأستاذ الشيخ علي محفوظ في [الإبداع في مضار الابتداع] (ص١٢٦)[1] في فصل عقده لبدع الموالد وأول من أحدثها وأدوارها التاريخية: (أول من أحدثها ـ أي الموالد ـ بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع فابتدعوا ستة موالد: المولد النبوي، ومولد الإمام علي رضي الله عنه، ومولد السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها، ومولد الحسن والحسين رضي الله عنهما، ومولد الخليفة الحاضر، وبقيت هذه الموالد على رسومها إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش، ثم أعيدت في خلافة الحاكم بأمر الله في سنة أربع وعشرين وخمسمائة بعد ما كاد الناس ينسونها، وأول من أحدث المولد النبوي بمدينة إربل الملك المظفر أبوسعيد في القرن السابع) قال: (وقد استمر العمل بالموالد إلى يومنا هذا، وتوسع الناس فيها وتبدعوا بكل ما تهواه أنفسهم ويوحيه إليهم الشيطان).

وقال الأستاذ السيد علي فكري في المحاضرة العاشرة من

---

(١) طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة للنمنكاني.

[المحاضرات الفكرية] (ص٨٤) تحت عنوان: (البدع في الموالد): (أول من أحدثها ـ أي الموالد ـ بالقاهرة الخلفاء الفاطميون في القرن الرابع فابتدعوا سنة المولد النبوي، ومولد الإمام علي، والسيدة فاطمة الزهراء وسيدينا الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين، وبقيت هذه الموالد إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش، ثم أعيدت في خلافة الحاكم بأمر الله في سنة (٥٢٤)، وأول من أحدث المولد ـ أي بعد ذلك ـ الملك المظفر أبوسعيد في القرن السابع بمدينة إربل بالموصل، وقد استمر العمل بالموالد إلى يومنا هذا وتوسع الناس فيها وتبدعوا بكل ما تهواه أنفسهم ويزين لهم الشيطان).

وممن بحث في احتفالات بني عبيد القداح بالموالد والأعياد الدكتوران: حسن إبراهيم حسن مدير جامعة أسيوط سابقاً، وطه أحمد شرف مفتش المواد الاجتماعية بوزارة التربية في كتابهما [المعز لدين الله] قالا (ص٢٨٤) تحت عنوان: (الحفلات والأعياد): عمل الفاطميون على كسب احترام رعاياهم، وساروا على هذه السياسة في بلاد المغرب، وغلا خلفاؤهم في مصر في إقامة الحفلات التي طبعوها بطابع خاص، وأقاموا المناظر وبخاصة في أنحاء القاهرة، فكان المعز ومن أتى بعده من الخلفاء يحتفلون بصلاة الجمعة على ما رأينا وصلاة العيدين وتوديع الحملات الحربية، كما كانوا يحتفلون بيوم عاشوراء ومولد بعض أئمتهم[1]، مثل: علي بن أبي طالب، وفاطمة الزهراء ابنة الرسول وزوجة علي، ومولد الحسن والحسين، كما كانوا يحتفلون

---

(١) أي: فيما يدعون، وإلا فعلي وفاطمة والحسن والحسين براء منهم.

أيضاً ببعض الأعياد الأخرى التي تميزهم عن السنيين مثل: عيد الغدير ومولد الخليفة القائم بالأمر وكانوا يحتفلون كذلك بأعياد أخرى، مثل: ليلة أول رجب، وليلة نصف رجب، وليلة أول شعبان، وليلة نصف شعبان، وبعيد غرة رمضان، وكانوا يشاركون الأهلين في الاحتفال ببعض أعيادهم: مثل عيد جبر الخليج، وعيد النوروز، وشاركوا القبط في الاحتفال بيوم الغطاس وخميس العهد وغيرها. ونلاحظ على هذه الأعياد أموراً منها: أن المعز لدين الله كان أول من مهد لهذه الأعياد في مصر وعمل على ترويجها بإقامة الولائم الضخمة؛ احتفالاً بها فكان يقيم الأسمطة في قصور الخلافة وفي المساجد، وحذا خلفاؤه حذوه فكانوا يقيمون الأسمطة في قاعة الذهب بالقصر الكبير طوال شهر رمضان وأيام العيدين، وكانت هذه الأسمطة آية في الروعة والجلال، وكان يدعى إليها قاضي القضاة وكبار القواد والموظفين، ويمثل الخليفة فيها الوزير غالباً، كما كانت الدولة تنفق عليها أموالاً طائلة، مما يدل على وفرة ثروة مصر في عهد الفاطميين، وكان الفاطميون يتخذون هذه الأعياد وسيلة لجذب الرعايا إليهم، لذلك شارك المعز القبط في الاحتفال بعيد خميس العهد، وعيد يوم الغطاس، وعيد الميلاد وغيرها. وقد نهج أبناؤه وأحفاده نهجه في ذلك حقاً لم ينل عيد النوروز من تقدير المعز ما ناله على يد الخلفاء الفاطميين الذين ولوا الخلافة من بعده، فقد أمر هذا الخليفة في سنة (٣٦٢هـ) بمنع الاحتفال بعيد النوروز وشهَّر بكل من حدثته نفسه بالابتهاج بلياليه. وإنما فعل المعز ذلك لما كان يصحب هذا العيد من عادات لم تنل رضا هذا الخليفة، فقد كان الفساد والخلاعة يقترنان

به، كما يتبين ذلك مما أورده المقريزي نقلاً عن ابن زولاق حيث يقول عند كلامه على حوادث سنة (٣٦٢هـ): (منع أمير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في السكك ومن صب الماء يوم النوروز)، ويقول في حوادث سنة (٣٦٤هـ): (وفي يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف أهل الأسواق وعملوا فيه وخرجوا إلى القاهرة بلعبهم، ولعبوا ثلاثة أيام ثم أظهروا السماجات والحلي في الأسواق، ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء، وأخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال)، وليس معنى ذلك أن المعز كان يقف في وجه رعاياه، وإنما كان يعمل على حفظ الأمن وبسط الطمأنينة والمحافظة على الآداب والفضيلة(١)، وسوف يصبح عيد النوروز من أهم أعياد الفاطميين. ومما يدل على أن المعز كان يتخذ من الأعياد وسيلة لجذب رعاياه إليه تلك الجهود التي كان يبذلها لإحياء بعض الأعياد القومية، مثل: عيد جبر الخليج، فقد سن المعز لخلفائه من بعده سنة التودد إلى المصريين في ذلك اليوم فكان الفاطميون ينفقون الأموال الجزلة للاحتفال به فتعطل الحكومة وتحتفل به الدولة احتفالاً رسمياً. أضف إلى ذلك أن المعز كان يشترك مع رعاياه في الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية ومولد النبي ﷺ، وليلة أول رجب ونصفه وأول شعبان ونصفه وموسم غرة رمضان حتى لا يثير

---

(١) كيف يكون محافظاً على الآداب والفضيلة من سيأتي في آخر هذه العبارة أنه استغل الأعياد التي زخر بها عهده في نشر خصائص المذهب الإسماعيلي وعقائده.

نفوس السنيين ويقرب مسافة الخلاف بين المباديء السنية والعقائد الشيعية، وكذلك كان المعز لدين الله يستغل هذه الأعياد التي كان زخر بها عهده في نشر خصائص المذهب الإسماعيلي وعقائده، لذلك كان يحتفل بيوم عاشوراء ليحيي فيها ذكرى الحسين رضي الله عنه، كما كان يحيي ذكرى مولد كثير من الأئمة وذكر مولد الخليفة القائم بالأمر، وهكذا اتخذ المعز من الاحتفال بهذه الأعياد وسيلة لجذب رعاياه إليه ونشر مباديء المذهب الإسماعيلي) ا.هـ.

كما بحث في تلك الاحتفالات الدكتور أحمد مختار العبادي أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعتي الإسكندرية وبيروت العربية في تأليفه في التاريخ العباسي والفاطمي (ص٢٦١، ٢٦٢) قال في احتفالات المتسمين بالفاطميين بالأعياد ما نصه:

(أما احتفالاتهم بالأعياد الإسلامية فقد خرجت عن التقليد المعروف بالاحتفال بالعيدين فقط عيدالفطر وعيد الأضحى، إذ تجاوزت ذلك إلى الاحتفال بميلاد أهل البيت؛ كالمولد النبوي، ومولد الحسين، ومولد السيدة زينب، إلى جانب الاحتفال برؤيا هلال رمضان وبليالي رمضان وليلة الإسراء والمعراج (٢٧ رجب) وليلة النصف من شعبان. . . إلخ. وكان يصاحب ذلك بيع الحلوى واللعب وعرائس المولد. . إلخ. كل هذه الأشياء ابتدعها الفاطميون) ا.هـ المراد من كلامه.

فصــــل
في الجواب عما استدل به المعارضون على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي

أما الاستدلال بقول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾[١] على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي فمن قبيل حمل كلام الله تعالى على ما لم يحمله عليه السلف الصالح والدعاء إلى العمل به على غير الوجه الذي مضوا عليه في العمل به، وهو أمر لا يليق؛ لما بينه الإمام الشاطبي في كتاب الأدلة الشرعية من [الموافقات في أصول الشريعة] (ج٣ ص٧١) وهو أن الوجه الذي لم يثبت عن السلف الصالح العمل بالنص عليه لا يقبل ممن بعدهم دعوى دلالة النص الشرعي عليه، قال: (إذ لو كان دليلاً عليه لم يعزب عن فهم الصحابة والتابعين، ثم يفهمه من بعدهم، فعمل الأولين كيف كان مصادم لمقتضى هذا المفهوم ومعارض له، ولو كان ترك العمل، قال: فما عمل به المتأخرون من هذا القسم مخالف لإجماع الأولين، وكل من خالف الإجماع فهو مخطىء، وأمة محمد ﷺ لا تجتمع على ضلالة. فما كانوا عليه من فعل أو ترك فهو السنة والأمر المعتبر وهو الهدى، وليس ثم إلا صواب أو خطأ فكل من خالف السلف الأولين

---

(١) سورة يونس، الآية ٥٨.

فهو على خطأ وهذا كاف. والحديث الضعيف الذي لا يعمل العلماء بمثله جارٍ هذا المجرى، ومن هنالك لم يسمع أهل السنة دعوى الرافضة أن النبي ﷺ نص على علي أنه الخليفة بعده؛ لأن عمل كافة الصحابة على خلافه دليل على بطلانه أو عدم اعتباره؛ لأن الصحابة لا تجتمع على خطأ) قال: (وكثيراً ما تجد أهل البدع والضلالة يستدلون بالكتاب والسنة يُحَمِّلونهما مذاهبهم ويعبرون بمشتبهاتهما في وجوه العامة ويظنون أنهم على شيء، ولذلك أمثلة كثيرة، كالاستدلالات الباطنية على سوء مذاهبهم بما هو شهير في النقل عنهم، وسيأتي منه أشياء في دليل الكتاب إن شاء الله تعالى، واستدلال التناسخية على صحة ما زعموا بقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾[1]. وكثير من فرق الاعتقادات تتعلق بظواهر من الكتاب والسنة في تصحيح ما ذهبوا إليه مما لم يجرِ له ذكر ولا وقع ببال أحد من السلف الأولين وحاشا لله من ذلك، ومنه أيضاً استدلال من أجاز قراءة القرآن بالإدارة، وذكر الله برفع الأصوات وبهيئة الاجتماع بقوله ﷺ: «**ما اجتمع قوم يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم**» الحديث. والحديث الآخر: «**ما اجتمع قوم يذكرون الله**» إلخ، وبسائر ما جاء في فضل مجالس الذكر، وكذلك استدلال من استدل على جواز دعاء المؤذنين بالليل بقوله تعالى: ﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ الآية[2]، وقوله:

---

(١) سورة الانفطار، الآية ٨.

(٢) سورة الكهف، الآية ٢٨.

﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾(١) ، وبجهر قوام الليل بالقرآن، واستدلالهم على الرقص في المساجد وغيرها بحديث لعب الحبشة في المسجد بالدرق والحراب، وقوله ﷺ: «**دونكم يا بني أرفدة**»، واستدلال كل من اخترع بدعة أو استحسن محدثة لم تكن في السلف الصالح بأن السلف اخترعوا أشياء لم تكن في زمان رسول الله ﷺ؛ ككتب المصحف، وتصنيف الكتب، وتدوين الدواوين، وتضمين الصناع، وسائر ما ذكر الأصوليون في أصل المصالح المرسلة، فخلطوا وغلطوا واتبعوا ما تشابه من الشريعة ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويلها، وهو كله خطأ على الدين واتباع لسبيل الملحدين، فإن هؤلاء الذين أدركوا هذه المدارك وعبروا على هذه المسالك إما أن يكونوا قد أدركوا من فهم الشريعة ما لم يفهمه الأولون أو حادوا عن فهمها، وهذا الأخير هو الصواب، إذ المتقدمون من السلف الصالح هم كانوا على الصراط المستقيم ولم يفهموا من الأدلة المذكورة وما أشبهها إلا ما كانوا عليه، وهذه المحدثات لم تكن فيهم ولا عملوا بها، فدل على أن تلك الأدلة لم تتضمن هذه المعاني المخترعة بحال وصار عملهم بخلاف ذلك دليلاً إجماعياً على أن هؤلاء في استدلالهم وعملهم مخطئون ومخالفون للسنة، فيقال لمن استدل بأمثال ذلك: هل وجد هذا المعنى الذي استنبطت في عمل الأولين أو لم يوجد؟ فإن زعم أنه لم يوجد ولابد من ذلك، فيقال له: أفكانوا غافلين عما تنبهت أو جاهلين به أم لا؟ ولا يسعه أن يقول بهذا؛ لأنه فتح لباب الفضيحة على نفسه وخرق

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٥٥.

للإجماع. وإن قال: إنهم كانوا عارفين بمآخذ هذه الأدلة، كما كانوا عارفين بمآخذ غيرها، قيل له: فما الذي حال بينهم وبين العمل بمقتضاها على زعمك حتى خالفوها إلى غيرها؛ ما ذاك إلا لأنهم اجتمعوا فيها على الخطأ دونك أيها المتقول. والبرهان الشرعي والعادي دال على عكس هذه القضية، فكل ما جاء مخالفاً لما عليه السلف الصالح فهو الضلال بعينه. فإن زعم أن ما انتحله من ذلك إنما هو من قبيل المسكوت عنه في الأولين، وإذا كان مسكوتاً عنه ووجد له في الأدلة مساغ فلا مخالفة، إنما المخالفة أن يعاند ما نقل عنهم بضده وهو البدعة المنكرة، قيل له: بل هو مخالف؛ لأن ما سكت عنه في الشريعة على وجهين: أحدهما: أن تكون مظنة العمل به موجودة في زمان رسول الله ﷺ فلم يشرع له أمر زائد على ما مضى فيه فلا سبيل إلى مخالفته؛ لأن تركهم لما عمل به هؤلاء مضاد له، فمن استلحقه صار مخالفاً للسنة حسبما تبين في [كتاب المقاصد].
والثاني: أن لا توجد مظنة العمل به ثم توجد فيشرع له أمر زائد يلائم تصرفات الشرع في مثله، وهي المصالح المرسلة، وهي من أصول الشريعة المبني عليها، إذ هي راجعة إلى أدلة الشرع حسبما تبين في علم الأصول، فلا يصح إدخال ذلك تحت جنس البدع. وأيضاً فالمصالح المرسلة عند القائل بها لا تدخل في التعبدات البتة، وإنما هي راجعة إلى حفظ أصل الملة وحياطة أهلها في تصرفاتهم العادية؛ ولذلك تجد مالكاً وهو المسترسل في القول بالمصالح المرسلة مشدداً في العبادات أن لا تقع إلا على ما كانت عليه في الأولين؛ فلذلك نهى عن أشياء، وكره أشياء وإن كان إطلاق الأدلة لا ينفيها بناء منه على

أنها تقيدت مطلقاتها بالعمل فلا مزيد عليه، وقد تمهد أيضاً في الأصول أن المطلق إذا وقع العمل به على وجه لم يكن حجة في غيره. فالحاصل أن الأمر أو الإذن إذا وقع على أمر له دليل مطلق فرأيت الأولين قد عنوا به على وجه واستمر عليه عملهم فلا حجة فيه على العمل على وجه آخر، بل هو مفتقر إلى دليل يتبعه في إعمال ذلك الوجه، وذلك مبين في باب الأوامر والنواهي من هذا الكتاب لكن على وجه آخر، فإذاً ليس ما انتحل هذا المخالف العمل به من قبيل المسكوت عنه ولا من قبيل ما أصله المصالح المرسلة فلم يبق إذاً أن يكون إلا من قبيل المعارض لما مضى عليه عمل الأقدمين، وكفى بذلك مزلة قدم).

وبعد هذا عقد الشاطبي فصلاً في المخالفة. ذكر فيه أن المخالف على ضربين:

أحدهما: أن يكون من أهل الاجتهاد، فلا يخلو أن يبلغ في اجتهاده غاية الوسع أو لا، فإن كان كذلك فلا حرج عليه وهو مأجور على كل حال، وإن لم يعط الاجتهاد حقه وقصر فيه فهو آثم حسبما بينه أهل الأصول.

والثاني: أن لا يكون من أهل الاجتهاد، وإنما أدخل نفسه فيه غلطاً أو مغالطة، إذ لم يشهد له بالاستحقاق أهل الرتبة، ولا رأوه أهلاً للدخول معهم فهذا مذموم. وقلما تقع المخالفة لعمل المتقدمين إلا من أهل هذا القسم؛ لأن المجتهدين ـ وإن اختلفوا في الأمر العام في المسائل التي اختلفوا فيها ـ لايختلفون إلا فيما اختلف فيه الأولون أو

في مسألة موارد الظنون لا ذكر لهم فيها.

فالأول: يلزم منه اختلاف الأولين في العمل، والثاني: يلزم منه الجريان على ما ورد فيه عمل.

أما القسم الثاني: فإن أهله لا يعرفون ما في موافقة العمل من أوجه الرجحان، فإن موافقته شاهد للدليل الذي استدل به ومصدق له على نحو ما يصدقه الإجماع فإنه نوع من الإجماع فعليّ بخلاف ما إذا خالفه، فإن المخالفة موهنة له أو مكذبة. وأيضاً فإن العمل مخلص للأدلة من شوائب المحامل المقدرة الموهنة؛ لأن المجتهد متى نظر في دليل على مسألة احتاج إلى البحث عن أمور كثيرة لا يستقيم إعمال الدليل دونها. والنظر في أعمال المتقدمين قاطع لاحتمالاتها معاً، ومعين لناسخها من منسوخها، ومبين لمجملها إلى غير ذلك، فهو عون في سلوك الاجتهاد عظيم؛ ولذلك اعتمده مالك بن أنس ومن قال بقوله، وقد تقدم منه أمثلة. وأيضاً فإن ظواهر الأدلة إذا اعتبرت من غير اعتماد على الأولين فيها مؤدية إلى التعارض والاختلاف وهو مشاهد معنى، ولأن تعارض الظواهر كثير مع القطع بأن الشريعة لا اختلاف فيها؛ ولذلك لا تجد فرقة من الفرق الضالة ولا أحد من المختلفين في الأحكام لا الفروعية ولا الأصولية يعجز عن الاستدلال على مذهبه بظواهر من الأدلة، بل قد رأينا من ذلك أمثلة، بل قد شاهدنا ورأينا من الفساق من يستدل على مسائل الفسق بأدلة ينسبها إلى الشريعة المنزهة.

وفي كتب التواريخ والأخبار من ذلك أطراف ما أشنعها في

الافتيات على الشريعة، وانظر في مسألة التداوي من الخمار في درة الغواص للحريري وأشباهها، بل قد استدل بعض النصارى على صحة ما هم عليه الآن بالقرآن ثم تحيل، فاستدل على أنهم مع ذلك كالمسلمين في التوحيد، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً؛ فلهذا يجب على كل ناظر في الدليل الشرعي مراعاة ما فهم منه الأولون وما كانوا عليه في العمل به فهو أحرى بالصواب وأقوم في العلم والعمل.

وبعد هذا التبيان الشافي من الشاطبي جزاه الله عن دين الإسلام خير الجزاء ذكر في (ص٧٧، ٧٨) سبب وجوب مراعاة ما فهم الأولون من الدليل وما كانوا عليه في العمل به، وهو أن أخذ الأدلة على الأحكام يقع في الوجود على وجهين:

أحدهما: أن يؤخذ الدليل مأخذ الافتقار واقتباس ما تضمنه من الحكم ليعرض عليه النازلة المفروضة لتقع في الوجود على وفاق ما أعطى الدليل من الحكم، أما قبل وقوعها فبأن توقع على وفقه. وأما بعد وقوعها فليتلافى الأمر ويستدرك الخطأ الواقع فيها بحيث يغلب على الظن أو يقطع بأن ذلك قصد الشارع. قال: وهذا الوجه هو شأن اقتباس السلف الصالح الأحكام من الأدلة.

والثاني: أن يؤخذ مأخذ الاستظهار على صحة غرضه في النازلة العارضة بأن يظهر بادي الرأي موافقة ذلك الغرض للدليل من غير تحر لقصد الشارع، بل المقصود منه تنزيل الدليل على وفق غرضه. قال: وهذا الوجه هو شأن اقتباس الزائغين الأحكام من الأدلة. قال الشاطبي: (ويظهر هذا المعنى من الآية الكريمة: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ

زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾[١]، فليس مقصودهم الاقتباس منها، وإنما مرادهم الفتنة بها بهواهم، إذ هو السابق المعتبر وأخذ الأدلة فيه بالتبع لتكون لهم حجة في زيغهم والراسخون في العلم ليس لهم هوى يقدمونه على أحكام الأدلة فلذلك يقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾، ويقولون: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ فيتبرؤون إلى الله مما ارتكبه أولئك الزائغون؛ فلذلك صار أهل الوجه الأول محكمين للدليل على أهوائهم وهو أصل الشريعة؛ لأنها إنما جاءت لتخرج المكلف عن هواه حتى يكون عبداً لله، وأهل الوجه الثاني يحكمون أهواءهم على الأدلة حتى تكون الأدلة في أخذهم لها تبعاً.

وقال في الجزء الأول من [الاعتصام] (ص٢٣١): (كل من اتبع المتشابهات، أو حرف المناطات، أو حمل الآيات ما لا تحمله عند السلف الصالح، أو تمسك بالأحاديث الواهية، أو أخذ الأدلة ببادىء الرأي؛ ليستدل على كل فعل أو قول أو اعتقاد وافق غرضه بآية أو حديث لا يفوز بذلك أصلاً، والدليل عليه استدلال كل فرقة شهرت بالبدعة على بدعتها بآية أو حديث من غير توقف، قال: فمن طلب خلاص نفسه تثبت حتى يتضح له الطريق، ومن تساهل رمته أيدي الهوى في معاطب لا مخلص له منها إلا ما شاء الله)، وجزم قبل ذلك بأن عدم الوقوف في فهم النصوص والعمل بها على ما مضى عليه السلف الصالح هو طريق لأهل البدع يتأتى به لكل زائغ وكافر أن يستدل على زيغه وكفره بأدلة الشرع حتى ينسب النحلة التي التزمها إلى

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٧.

الشريعة. قال: (فقد رأينا وسمعنا عن بعض الكفار أنه استدل على كفره بآيات القرآن) وأورد الشاطبي لذلك أمثلة يطول الكلام بإيرادها.

وقال الحافظ ابن عبدالهادي في [الصارم المنكي في الرد على السبكي] بصدد رده تأويل السبكي آية من القرآن بما لم يسبقه إليه أحد من السلف ـ قال (ص٤٢٧) طبعة (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد): (هذا التأويل الذي تأول عليه المعترض هذه الآية تأويل باطل قطعاً، ولو كان حقاً لسبقونا إليه، علماً وعملاً وإرشاداً أو نصيحة، ولا يجوز إحداث تأويل في آية أو سنة لم يكن على عهد السلف ولا عرفوه ولا بينوه للأمة، فإن هذا يتضمن أنهم جهلوا الحق في هذا وضلوا عنه واهتدى إليه هذا المعترض المستأخر).

وقال الشيخ محمد بن الموصلي في [مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة] لابن القيم (ج٢ ص١٢٨): إن إحداث القول في تفسير كتاب الله الذي كان السلف والأئمة على خلافه يستلزم أحد أمرين: إما أن يكون خطأ في نفسه، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ، ولا يشك عاقل أنه أولى بالغلط والخطأ من قول السلف.

هذه إرشادات من الشاطبي وابن عبدالهادي وابن الموصلي لو مشى على ضوئها محمد بن علوي المالكي لم يقع فيما وقع فيه من تحميل قول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾[1] ما لم

(١) سورة يونس، الآية ٥٨.

يحمله السلف من الاحتفال بالمولد النبوي.

وقد أجاد الإمام شمس الدين ابن القيم في [اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية] في تفسير هذه الآية الكريمة ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ حيث قال فيه (ص٥) ط مطبعة الإمام: (وقد دارت أقوال السلف على أن فضل الله ورحمته ـ أي في هذه الآية ـ الإسلام والسنة. وعلى حسب حياة القلب يكون فرحه بهما وكلما كان أرسخ فيهما كان قلبه أشد فرحاً، حتى إن القلب إذا باشر روح السنة ليرقص فرحاً أحزن ما يكون الناس، فإن السنة حصن الله الحصين الذي من دخله كان من الآمنين، وبابه الأعظم الذي من دخله كان إليه من الواصلين، تقوم بأهلها وإن قعدت بهم أعمالهم، ويسعى نورها بين أيديهم إذا أطفئت لأهل البدع والنفاق أنوارهم. وأهل السنة هم المبيضة وجوههم إذا اسودت وجوه أهل البدعة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[1]، قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة والتفرق، وهي: ـ أي السنة ـ الحياة والنور اللذان بهما سعادة العبد وهداه وفوزه، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾[2]، فصاحب السنة حي القلب مستنيره، وصاحب البدعة ميت القلب مظلمه) ا.هـ كلام ابن القيم جزاه الله خير الجزاء.

وأما حديث أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٠٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٢٢.

عاشوراء، فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى، فنحن نصومه شكراً لله عزوجل، فقال ﷺ: «**فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم**»، فصامه وأمر بصومه، فتخريج الحافظ ابن حجر العسقلاني في فتواه عمل المولد عليه، لا يمكن الجمع بينه وبين جزمه أول تلك الفتوى بأن ذلك العمل بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة، فإن عدم عمل السلف الصالح بالنص على الوجه الذي يفهمه منه من بعدهم يمنع اعتبار ذلك الفهم صحيحاً، إذ لو كان صحيحاً لم يعزب عن فهم السلف الصالح ويفهمه من بعدهم، كما يمنع اعتبار ذلك النص دليلاً عليه، إذ لو كان دليلاً عليه لعمل به السلف الصالح، فاستنباط ابن حجر الاحتفال بالمولد النبوي مادام الأمر كذلك من حديث صوم يوم عاشوراء أو من أي نص آخر مخالف لما أجمع عليه السلف من ناحية فهمه ومن ناحية العمل به، وما خالف إجماعهم فهو خطأ؛ لأنهم لا يجتمعون إلا على هدى، وقد بسط الشاطبي الكلام على تقرير هذه القاعدة في كتابه [الموافقات] وأتى في كلامه بما لا أشك في أن الحافظ ابن حجر العسقلاني لو تنبه له لما خرج عمل المولد على حديث صوم يوم عاشوراء مادام السلف لم يفهموا تخريجه عليه منه، ولم يعملوا به على ذلك الوجه الذي فهمه منه، وقد ذكرنا من كلام الإمام الشاطبي في ذلك بصدد الرد على استدلال محمد بن علوي بقول الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[1] ذكرنا منه ما يكفي ويشفي.

---

(١) سورة يونس، الآية ٥٨.

هذا ما يرد به على استدلال العسقلاني للاحتفال بحديث صوم يوم عاشوراء وأما ما سوى ذلك مما يلاحظ على فتواه في عمل المولد فقد أجاد السيد رشيد رضا في الجزء الخامس من فتاويه (ص٢١١٢، ٢١١٣) في تعقبه بأمور نلخص منها ما يلي:

١ ـ أن تصريحه في تلك الفتوى بأن أصل عمل المولد بدعة لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة يكفي، فقد قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها).

٢ ـ أن المحاسن التي وَرَدَ في فتوى الحافظ أن من تحراها في عمل المولد وتجنب ضدها كان عمل المولد بدعة حسنة لا تعد هي بنفسها من البدع، وإنما البدعة فيها جعل ذلك الاجتماع المخصوص بالهيئة المخصوصة في الوقت المخصوص واعتبار ذلك العمل من قبيل شعائر الإسلام التي لا تثبت إلا بنص الشارع، بحيث يظن العوام والجاهلون بالسنن أن عمل المولد من أعمال القرب المطلوبة شرعاً. وعمل المولد بهذه القيود بدعة سيئة وجناية على دين الله تعالى وزيادة فيه تعدُّ من شرع ما لم يأذن به الله، ومن الافتراء على الله والقول في دينه بغير علم.

٣ ـ أن أمر الاحتفال بالمولد قد وصل إلى تكفير تاركه فصار بذلك كأنه من قواعد العقائد المعلومة من الدين بالضرورة، وبذلك يعتبر زيادة في ضروريات الدين القطعية، والزيادة في ضروريات الدين القطعية وشعائره تخرج المزيد عن كونه من الدين الذي جاء به

خاتم النبيين عن الله تعالى القائل فيه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[(١)]، فهو إذاً تشريع ظاهر مخالف لنص إكمال الدين وناقض له، ويقتضي أن مسلمي الصدر الأول كان دينهم ناقصاً وكانوا هم كفاراً، فيجب مادام الأمر قد وصل إلى ذلك ترك حضور الحفلات المولدية وإن خلت من القبائح واشتملت على المحاسن؛ لئلا يظن العوام والجهال بالسنة أنها من الفرائض التي يكفر تاركها.

قلت ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ: (قد وصل إلى السيد رشيد رضا سؤال عن وضع العلويين في جاوه وهو أنهم يعقدون في كل سنة حفلات ـ أي للمولد النبوي ـ كثيرة في أماكن متعددة وأوقات مخصوصة يذبحون لها الذبائح وتشد لها الرحال من أماكن بعيدة، ويلقنون الناس في تلك الحفلات أن من لم يحضر المولد فهو كافر، ومن لم يقم عند سماعه ـ أثناء قراءة قصة المولد ـ (مرحباً...) إلخ فهو كافر، فإذا سألهم سائل: هل هذا أمر من الله ورسوله؟ أجابوه بقولهم: أنت كافر، اسكت لا تنازعنا في هذا فإنا أحفاد النبي ﷺ، فأجاب السيد رشيد رضا بجواب طويل لخصنا منه ما هنا، والذي أعتقده أن الحافظ ابن حجر العسقلاني لو كان يعلم أن أمر الاحتفال بالمولد النبوي يصل إلى تكفير تاركه لما أفتى بتلك الفتوى التي صدرت منه فيه.

٤ ـ أن أكثر القصص التي اعتيد التغني بها في الحفلات المولدية يشتمل على الكذب على رسول الله ﷺ في سيرته وأفعاله.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٣.

٥ ـ أن ابن حجر العسقلاني وإن كان أحفظ الحفاظ في عصره لم يؤت من قوة الاستنباط ما أوتيه الأئمة المجتهدون.

قلت ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ: يدل على أنه لم يؤت قوة الاستنباط في مسألة عمل المولد بالخصوص محاولته تخريج عمل المولد على حديث صوم يوم عاشوراء، رغم تصريحه قبل ذلك بأن عمل المولد لم ينقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة لما قدمناه.

ويضاف إلى هذا التلخيص لكلام السيد رشيد رضا أن حديث صوم يوم عاشوراء لنجاة موسى عليه السلام فيه وإغراق فرعون فيه ليس فيه سوى أن النبي ﷺ صامه وأمر بصومه.

كما يضاف إليه أن الشرط الذي شرطه الحافظ ابن حجر للاحتفال بالمولد النبوي وهو تحري ذلك اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى عليه السلام لا سبيل إليه، وأن وصف البدعة في الدين بأنها حسنة مردود بالأدلة الشرعية، كما سنبينه بعد إن شاء الله تعالى.

وأما ما رواه البيهقي، عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة، فتخريج السيوطي عمل المولد النبوي عليه ساقط؛ لعدم ثبوت ذلك الحديث عند أهل العلم، فقد قال مالك لمن سأله عما روي أن رسول الله ﷺ عق عن نفسه بعد ما جاءته النبوة، قال له: (أرأيت أصحاب رسول الله ﷺ الذين لم يعق عنهم في الجاهلية ـ أعقوا عن أنفسهم في الإسلام، هذه الأباطيل) نقل ذلك ابن رشد في كتاب العقيقة من [المقدمات الممهدات لبيان ما اقتضته رسوم المدونة من الأحكام والتحصيلات المحكمات الشرعيات

لأمهات مسائلها المشكلات] (ج٢ ص١٥)، ـ ط مطبعة السعادة بجوار ديوان محافظة مصر ـ عن الإمام مالك بن أنس رحمه الله تعالى، وقال عبدالرزاق في مصنفه: (أنا عبدالله بن محرر، عن قتادة، عن أنس أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة) ثم قال عبدالرزاق: إنما تركوا ابن محرر لهذا الحديث[1]، ذكر ذلك ابن القيم في [تحفة المودود بأحكام المولود] (ص٦١) طبعة بمباي.

وقال أبوداود في [مسائل الإمام أحمد] روايته عنه: (سمعت أحمد حدثهم بحديث الهيثم بن جميل، عن عبدالله بن المثنى، عن ثمامة، عن أنس: أن النبي ﷺ عق عن نفسه، فقال أحمد: عبدالله بن محرر، عن قتادة، عن أنس، أن النبي ﷺ عق عن نفسه) قال مهنا: قال أحمد: هذا منكر، وضعف عبدالله بن المحرر. ذكر ذلك ابن القيم في [زاد المعاد]، وقال في [تحفة المودود بأحكام المولود] (ص٥١) طبعة بمباي: قال الخلال: أنى أبوالمثنى العنبري أن أبا داود حدثهم قال: سمعت أحمد يحدث بحديث الهيثم بن جميل، عن عبدالله بن المثنى، عن ثمامة، عن أنس: أن النبي ﷺ عق عن نفسه) قال أحمد:

---

(١) عبارة: (إنما تركوا ابن محرر لهذا الحديث) ليست في طبعة مصنف عبدالرزاق التي أشرف عليها الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي، وفي ذلك دلالة على أن النسخة التي اعتمد عليها في الطبع ليست فيها تلك العبارة، ولذلك احتاج الأعظمي حينما رأى كلام ابن القيم المحتوي على تلك العبارة إلى أن يعلق على ذلك الحديث بقوله في الجزء الرابع من [مصنف عبدالرزاق] (ص٣٢٥) ما نصه: (نقله ابن القيم عن [مصنف عبدالرزاق]، ثم قال عبدالرزاق: إنما تركوا عبدالله ابن محرر لهذا الحديث، كذا في [تحفة المودود] (ص٢٨).

عبدالله بن المحرر، عن قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ عق عن نفسه منكر ـ وضعف عبدالله بن محرر).

وقال ابن حبان في الجزء الثاني من [كتاب المجروحين] (ص٢٩) طبعة دائرة المعارف العثمانية في ترجمة عبدالله بن محرز[(١)]: (روى عن قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعدما بعثه الله عز وجل نبياً) حدثناه يعقوب بن إسحاق العسقلاني بتستر، ثنا محمد بن حماد الطهراني، ثنا عبدالرزاق) ـ أي عن عبدالله بن محرر به ـ وقال ابن حبان في عبدالله بن محرز: كان من خيار عباد الله إلا أنه كان ممن يكذب ولايعلم، ويقلب الأخبار ولا يفهم، حدثناه محمد بن عبدالرحمن الدغولي، ثنا ابن قهزاذ سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول: سمعت ابن المبارك يقول: لو خيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبدالله بن محرز لاخترت أن ألقاه، ثم أدخل الجنة فلما رأيته كانت بعرة أحب إلي منه[(٢)]، سمعت الدارمي يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: (عبدالله بن محرز ليس بثقة).

وقال البزار: حدثنا سهيل بن إبراهيم الجارودي أبوالخطاب ثنا

---

(١) هكذا ورد لفظ محرر في [المجروحين] بالزاي في آخره، وضبطه النووي والعسقلاني بحاء مهملة وراء مكررة.

(٢) من طريق محمد بن قهزاذ عن أبي إسحاق الطالقاني روى مسلم في مقدمة صحيحه هذا الكلام عن ابن المبارك ولفظه: (وحدثني محمد بن عبدالله بن قهزاذ قال: سمعت أبا إسحاق الطالقاني يقول: سمعت عبدالله بن المبارك يقول: (لو خيرت بين أن أدخل الجنة وبين أن ألقى عبدالله بن محرر لاخترت أن ألقاه ثم أدخل الجنة، فلما رأيته كانت بعرة أحب إليَّ منه).

عوف بن محمد المرادي، ثنا عبدالله بن المحرر، عن قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد ما بعث نبياً) تفرد به عبدالله بن المحرر، وهو ضعيف جداً إنما يكتب عنه ما لا يوجد عند غيره، ورد هذا في باب قضاء العقيقة من [كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب الستة] للحافظ الهيثمي، وقال البيهقي في (باب العقيقة سنة) من [السنن الكبرى] (ج٩ ص٣٠٠): (روى عبدالله بن محرر في عقيقة النبي ﷺ عن نفسه حديثاً منكراً، أخبرنا أبوالحسن محمد بن الحسين بن داود العلوي رحمه الله، أنبأ حاجب بن أحمد بن سفيان الطوسي، ثنا محمد بن حماد الأبيوردي، ثنا عبدالرزاق، أنبا عبدالله بن محرر، عن قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة) قال عبدالرزاق: إنما تركوا عبدالله بن محرر لحال هذا الحديث، وقد روي من وجه آخر عن قتادة، ومن وجه آخر عن أنس وليس بشيء) ا.هـ كلام البيهقي الذي عزا إليه السيوطي ذلك الحديث الذي ادعى أنه ظهر له تخريج عمل المولد عليه، وقد أساء السيوطي التصرف حيث لم يذكر كلام البيهقي في الحديث، بل تركه ليوهم من يقرأ تخريجه أنه صالح للاستدلال به.

وقال النووي في الجزء الثامن من [المجموع شرح المهذب] (ص٣٣٠) في (باب العقيقة): أما الحديث الذي ذكره ـ أي الشيرازي ـ في عق النبي ﷺ عن نفسه فرواه البيهقي بإسناده، عن عبدالله بن محرر بالحاء المهملة والراء المكررة، عن قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة. وهذا حديث باطل، قال البيهقي: هو حديث منكر، وروى البيهقي بإسناده عن عبدالرزاق قال: (إنما تركوا

عبدالله بن محرر بسبب هذا الحديث، قال البيهقي: وقد روي هذا الحديث من وجه آخر عن قتادة، ومن وجه آخر عن أنس، وليس بشيء فهو حديث باطل وعبدالله بن محرر ضعيف متفق على ضعفه، قال الحفاظ: هو ـ أي عبدالله بن محرر ـ متروك).

وقال الحافظ أبوالحجاج المزي في ترجمة عبدالله بن محرر من [تهذيب الكمال في أسماء الرجال] بعد إيراده كلام أئمة الجرح والتعديل فيه قال: قال عبدالرزاق عن عبدالله بن محرر، عن قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة، قال عبدالرزاق: إنما تركوه ـ أي عبدالله بن محرر ـ لحال هذا الحديث).

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة عبدالله بن محرر من [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] من بلاياه ـ أي عبدالله بن محرر ـ (روى عن قتادة، عن أنس: أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد ما بعث) رواه شيخان عنه، ذكر الذهبي ذلك بعد أن قال في عبدالله بن محرر: (قال أحمد: ترك الناس حديثه. وقال الجوزجاني: هالك. وقال الدارقطني وجماعة: متروك. وقال ابن حبان: كان من خيار عباد الله إلا أنه كان يكذب ولا يعلم ويقلب الأخبار ولا يفهم وقد ولي الرقة للمنصور. وقال هلال بن العلاء: ولاه أبوجعفر قضاء الرقة. وقال ابن معين: ليس بثقة) وذكر قول ابن المبارك المتقدم فيه.

ـ وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في (كتاب العقيقة) من [التلخيص الحبير]، (ج٤ ص١٤٧): قوله ـ أي الرافعي ـ رَوَى ـ أنه ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة ـ البيهقي من حديث قتادة عن أنس،

وقال: منكر وفيه عبدالله بن محرر وهو ضعيف جداً. وقال عبدالرزاق: إنما تكلموا فيه لأجل هذا الحديث: قال البيهقي: وروي من وجه آخر عن قتادة، ومن وجه آخر عن أنس، وليس بشيء قلت ـ القائل ابن حجر العسقلاني ـ: أما الوجه الآخر عن قتادة فلم أره مرفوعاً، وإنما ورد أنه كان يفتي به كما حكاه ابن عبدالبر، بل جزم البزار وغيره بتفرد عبدالله بن محرر به عن قتادة. وأما الوجه الآخر عن أنس فأخرجه أبوالشيخ في الأضاحي، وابن أيمن في مصنفه، والخلال من طريق عبدالله بن المثنى، عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أبيه، وقال النووي في [شرح المهذب]: هذا حديث باطل) ا.هـ كلام الحافظ في [التلخيص الحبير].

وذكر في الجزء التاسع من [فتح الباري] في شرح باب إماطة الأذى عن الصبي، في العقيقة، حديث أن النبي ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة وجزم بعدم ثبوته، قال: (فقد أخرجه البزار من رواية عبدالله بن محرر ـ وهو بمهملات ـ عن قتادة عن أنس، قال البزار: تفرد به عبدالله وهو ضعيف). وأخرجه أبوالشيخ من وجهين آخرين:

أحدهما: من رواية إسماعيل بن مسلم عن قتادة وإسماعيل ضعيف أيضاً، وقد قال عبدالرزاق: إنهم تركوا عبدالله بن محرر من أجل هذا الحديث فلعل إسماعيل سرقه منه.

ثانيهما: من رواية أبي بكر المستملي عن الهيثم بن جميل وداود ابن المحبر قالا: حدثنا عبدالله بن المثنى عن ثمامة عن أنس، وداود ضعيف لكن الهيثم ثقة، وعبدالله من رجال البخاري، فالحديث قوي

الإسناد، وقد أخرجه محمد بن عبدالملك بن أيمن عن إبراهيم بن إسحاق السراج عن عمرو الناقد، وأخرجه الطبراني في الأوسط عن أحمد بن مسعود كلاهما عن الهيثم بن جميل به وحده فلولا ما في عبد الله بن المثنى من المقال لكان هذا الحديث صحيحاً، لكن قد قال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: ليس بقوي، وقال أبوداود: لا أخرج حديثه. وقال الساجي: فيه ضعف لم يكن من أهل الحديث روى مناكير، وقال العقيلي: لا يتابع على أكثر حديثه، وقال ابن حبان في الثقات: ربما أخطأ، ووثقه العجلي والترمذي وغيرهما، فهذا من الشيوخ الذين إذا انفرد أحدهم بالحديث لم يكن حجة، قال: وقد مشى الحافظ الضياء على ظاهر الإسناد فأخرج هذا الحديث في [الأحاديث المختارة] مما ليس في الصحيحين[1].

وقال الشيخ محمد بن عبدالباقي الزرقاني في الجزء الأول من [شرح المواهب اللدنية] (ص١٤٠) تعليقاً على قول السيوطي في الاحتفال بالمولد النبوي: ظهر لي تخريجه على أصل آخر وهو ما أخرجه البيهقي، عن أنس أنه ﷺ عق عن نفسه بعد النبوة قال: (تعقبه النجم بأنه حديث منكر كما قاله الحافظ، بل قال - أي النووي - في [شرح المهذب]: إنه حديث باطل، فالتخريج عليه ساقط).

وأما خبر عروة في شأن أبي لهب مع جاريته ثويبة فيمنع من قبول الاستدلال به على الاحتفال بالمولد النبوي أمور:

---

(١) أي وذلك غلط منه.

أولها: أنه مرسل، كما يتبين من سياقه عند البخاري في باب ﴿وَأُمَّهَـٰتُكُمُ ٱلَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ﴾ و(يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب) من صحيحه، فقد قال: (حدثنا الحكم بن نافع، أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عروة بن الزبير: أن زينب ابنة أبي سلمة أخبرته أن أم حبيبة بنت أبي سفيان، أخبرتها: أنها قالت: يا رسول الله، انكح أختي بنت أبي سفيان، فقال: «**أوتحبين ذلك؟**»، فقلت: نعم، لست لك بمخلية، وأحب من شاركني في خير أختي، فقال النبي ﷺ: «**إن ذلك لا يحل لي**». قلت: فإنا نحدث أنك تريد أن تنكح بنت أبي سلمة، قال: «**بنت أم سلمة؟**» قلت: نعم، فقال: «**لو أنها لم تكن في حجري ما حلت لي، إنها لابنة أخي من الرضاعة أرضعتني وأبا سلمة ثويبة فلا تعرضن علي بناتكن ولا أخواتكن**». قال عروة: وثويبة مولاة لأبي لهب وكان أبولهب أعتقها فأرضعت النبي ﷺ، فلما مات أبولهب أريه بعض أهله بشرحيبة قال له: ماذا لقيت؟ قال أبولهب: لم ألق بعدكم، غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة ؛ولهذا قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في الجزء التاسع من [فتح الباري] (ص١٤٥) ط المطبعة السلفية: (إن الخبر ـ أي المتعلق بتلك القضية ـ مرسل أرسله عروة ولم يذكر من حدثه به).

الثاني: أن ذلك الخبر لو كان موصولاً لا حجة فيه؛ لأنه رؤيا منام ذكر ذلك أيضاً الحافظ ابن حجر.

الثالث: أن ما في مرسل عروة هذا من أن إعتاق أبي لهب ثويبة كان قبل إرضاعها النبي ﷺ يخالف ما عند أهل السير من أنْ إعتاق أبي

لهب إياها كان بعد ذلك الإرضاع بدهر طويل، ذكر ذلك الحافظ ابن حجر في [فتح الباري] وأوضحه في الجزء الرابع من [الإصابة في تمييز الصحابة] (ص٢٥٠) بقوله: (قال ابن سعد: أخبرنا الواقدي عن غير واحد من أهل العلم، قالوا: كانت ثويبة مرضعة رسول الله ﷺ يصلها وهو بمكة، وكانت خديجة تكرمها وهي على ملك أبي لهب، وسألته أن يبيعها لها فامتنع، فلما هاجر رسول الله ﷺ أعتقها أبولهب، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بصلة وبكسوة حتى جاء الخبر أنها ماتت سنة سبع مرجعه من خيبر ومات ابنها مسروح قبلها) انتهى كلام الحافظ ابن حجر في [الإصابة].

وقد راجعت ـ أنا إسماعيل الأنصاري ـ كتاب [طبقات ابن سعد] للاطلاع على نقل الحافظ ابن حجر هذا، فوجدته قال فيه تحت عنوان: (ذكر من أرضع رسول الله ﷺ وتسمية إخوته وأخواته من الرضاعة) (ج١ ص١٠٨) قال بعد إيراد مرسل عروة بن الزبير ما نصه: (وأخبرنا محمد بن عمر عن غير واحد من أهل العلم قالوا: وكان رسول الله ﷺ يصلها وهو بمكة وكانت خديجة تكرمها وهي يومئذٍ مملوكة وطلبت إلى أبي لهب أن تبتاعها منه لتعتقها، فأبى أبولهب، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة أعتقها أبولهب، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بصلة وكسوة حتى جاءه خبرها أنها قد توفيت سنة سبع مرجعه من خيبر، فقال: «ما فعل ابنها مسروح؟» فقيل: مات قبلها. ولم يبق من قرابتها أحد) هذا نص [طبقات ابن سعد]. ويظهر من صنيع الحافظين: أبي عمر بن عبدالبر، وابن الجوزي الميل إلى قول أهل السير الذي تعقب به ابن سعد في طبقاته مرسل عروة بن الزبير.

فقد قال الإمام الحافظ أبوعمر بن عبدالبر في [الاستيعاب في أسماء الأصحاب] (ج١ ص١٢): (ولدت آمنة لعبدالله رسول الله ﷺ، وولدت هالة لعبدالمطلب حمزة، فأرضعت رسول الله ﷺ وحمزة ثويبة جارية أبي لهب، وأرضعت معهما أبا سلمة بن عبدالأسد، فكان رسول الله ﷺ يكرم ثويبة، وكانت تدخل على النبي ﷺ بعد أن تزوج خديجة، فكانت خديجة تكرمها، وأعتقها أبولهب بعدما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، فكان رسول الله ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر، فبلغت وفاتها النبي ﷺ، فسأل عن ابنها مسروح وبلبنه أرضعتهم، فقيل له: قد مات، فسأل عن قرابتها، فقيل: لم يبق منهم أحد)[١].

وقال أبوالفرج بن الجوزي في [الوفا بأحوال المصطفى] (ج١ ص١٠٦ ـ ١٠٧) في الباب السابع والعشرين في ذكر أول من أرضعه ﷺ: أول من أرضعه ثويبة مولاة أبي لهب أياماً، ثم قدمت حليمة.

---

(١) ومن طريق ابن عبد البر أورد المحب الطبري في [ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى] (ص٢٥٩) طبعة مكتبة القدسي قول أهل السير الذي عورض به مرسل عروة في الفصل الذي عقده لبيان أمهات النبي ﷺ من الرضاع، ولفظه: (وأرضعته ـ أي النبي ﷺ ـ أيضاً ثويبة جارية أبي لهب بلبن ابنها مسروح، وكانت تدخل على النبي ﷺ بعد أن تزوج خديجة، فكانت خديجة رضي الله عنها تكرمها، وأعتقها أبولهب لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها من المدينة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر، فبلغت وفاتها النبي ﷺ، فسأل عن ابنها مسروح. فقيل: مات. فسأل عن قرابتها، فقيل: لم يبق منهم أحد. ذكره أبوعمر بن عبدالبر.

وكان عبدالمطلب قد تزوج هالة بنت وهب بن عبد مناف وزوج ابنه عبدالله آمنة بنت وهب بن عبدمناف في مجلس واحد فولد حمزة ثم ولد رسول الله ﷺ فأرضعتهما ثويبة بلبن ابنها مسروح أياماً؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ وقد عرضت عليه ابنة حمزة ليتزوجها: «**إنها لا تحل لي، إنها بنت أخي أرضعتني وأباها ثويبة**»، وكانت ثويبة تدخل على رسول الله ﷺ بعدما تزوج خديجة فيكرمها رسول الله ﷺ وتكرمها خديجة وهي يومئذٍ أمة ثم أعتقها أبولهب، وكان رسول الله ﷺ يبعث إليها بعد الهجرة بكسوة وصلة حتى ماتت بعد فتح خيبر.

الرابع: أن مرسل عروة الذي خرج عليه ابن ناصر الدين الدمشقي وابن الجزري عمل المولد النبوي مخالف لظاهر القرآن، كما أوضحه الحافظ ابن حجر العسقلاني في [فتح الباري] حيث قال في كلامه على ذلك المرسل: (وفيه دلالة على أن الكافر قد ينفعه العمل الصالح في الآخرة، لكنه مخالف لظاهر القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾[1]، ونقل عن حاشية ابن المنير ـ أن ما في ذلك المرسل من اعتبار طاعة الكافر مع كفره محال؛ لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح؛ وذلك مفقود من الكافر. فإعتاق أبي لهب لثويبة مادام الأمر كذلك لم يكن قربة معتبرة، فإن قيل: إن قصة إعتاق أبي لهب ثويبة مخصوصة من ذلك كقصة أبي طالب. قلنا: إن تخفيف العذاب عن أبي طالب ثبت بنص صحيح عن النبي ﷺ، وأما ما وقع لأبي لهب في ذلك المرسل فمستنده مجرد

---

(١) سورة الفرقان، الآية ٢٣.

كلام لأبي لهب في المنام فشتان ما بين الأمرين، بهذا كله اتضح بطلان الاستدلال بذلك المرسل على عمل المولد النبوي، وأن قول ابن ناصر الدين في [مورد الصادي في مولد الهادي]: (وقد صح أن أبا لهب يخفف عنه عذاب النار في مثل يوم الإثنين لإعتاقه ثويبة سروراً بميلاد النبي ﷺ]، وقول ابن الجزري في [عرف التعريف بالمولد الشريف] بعد ذكره قضية أبي لهب مع ثويبة: (فإذا كان أبولهب الكافر الذي نزل القرآن بذمه جوزي في النار بفرحه ليلة مولد النبي ﷺ به فما حال المسلم الموحد من أمة النبي ﷺ يسر بمولده ويبذل ما تصل إليه قدرته في محبته ﷺ، لعمري إنما يكون جزاؤه من الله الكريم أن يدخله بفضله جنات النعيم). غير صحيح لا من ناحية جزمه بمضمون مرسل عروة، ولا من ناحية ضمان جنات النعيم لمن احتفل بالمولد النبوي.

وأما الاحتجاج للاحتفال بالمولد النبوي بأن صاحب إربل أباسعيد كوكبوري الذي احتفل به أول الأمر هو ملك عادل.

فالجواب عنه من ناحية احتفاله به ما بينه سماحة مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى في رسالة له في [بيان حكم الاحتفال بالمولد النبوي] وادحاض شبه الدعاة إليه بقوله (ص٧٧): (هذا ـ أي احتفال صاحب إربل بالمولد النبوي ـ ليس بحجة فإن البدعة في الدين لا تقبل من أي أحد كان؛ لنصوص الأحاديث فلا يمكننا أن نعارض الأحاديث المحذرة من الابتداع في الدين بعمل أبي سعيد كوكبوري ابن أبي

الحسن علي بن بكتكين الذي أحدث الاحتفال بالمولد ـ أي بإربل ـ في القرن السادس، وعدالته لا توجب عصمته. وقد ذكر ابن خلكان أنه يحب السماع)، انتهى كلام الإمام الشيخ محمد بن إبراهيم جزاه الله عن سنة نبيه ﷺ خير الجزاء. ونص عبارة ابن خلكان في حب صاحب إربل للسماع التي أشار إليها سماحته (يعمل السماع وإذا طاب خلع شيئاً من ثيابه وسير للجماعة بكرة شيئاً من الأنعام ولم يكن له لذة سوى السماع)، وقال: (وبنى للصوفية خانقاهين فيهما خلق كثير من المقيمين والواردين ويجتمع أيام المواسم فيهما من الخلق ما يعجب الإنسان من كثرتهم، ولهما أوقاف كثيرة تقوم بجميع ما يحتاج إليه ذلك الخلق، ولابد عند سفر كل واحد من نفقة يأخذها وكان ـ أي الملك المظفر ـ ينزل بنفسه إليهم ويعمل عندهم السماعات في كثير من الأوقات) ا.هـ كلام ابن خلكان الذي أشار إليه سماحة الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ، ويضاف إلى ذلك ما ذكره ياقوت الحموي في [معجم البلدان] (ص١٣٨) ونصه (طباع هذا الأمير ـ أي صاحب إربل ـ مختلفة متضادة، فإنه كثير الظلم عسوف بالرعية راغب في أخذ الأموال من غير وجهها، وهو مع ذلك مفضل على القراء كثير الصدقات على الغرباء يسير الأموال الجمة الوافرة يستفك بها الأسارى من أيدي الكفار، وفي ذلك يقول الشاعر:

كساعية للخير من كسب فرجها ... لك الويـــــل لا تزني ولا تتصدقي

ا.هـ.

وأما دعوى كون صاحب إربل أول من احتفل بالمولد النبوي،

فباطلة لأمرين:

أحدهما: تصريحات أهل العلم المتقدمة ـ بأن أول من احتفل بالمولد النبوي بنو عبيد القداح المتسمون بالفاطميين.

الثاني: ما بينه أبوعبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة في [الباعث على إنكار البدع والحوادث] في كلامه على الاحتفال (ص١٣) حيث قال: (وكان أول من فعل ذلك بالموصل الشيخ عمر بن محمد الملا أحد الصالحين المشهورين، وبه اقتدى في ذلك صاحب إربل وغيره رحمهم الله تعالى). وممن ذكر احتفال الشيخ عمر بن محمد الملا بالمولد في الموصل أبوالمظفر يوسف بن غزاوغلي سبط ابن الجوزي في الجزء الثامن من [مرآة الزمان في تاريخ الأعيان] (ص٣١٠)، والحافظ ابن كثير في الجزء الثاني عشر من تاريخه [البداية والنهاية] (ص٢٦٣). قال سبط ابن الجوزي: (كان ـ أي عمر بن محمد الملا ـ يعمل مولد رسول الله ﷺ كل سنة ويحضر عنده صاحب الموصل والأكابر، وكان نور الدين يحبه ويكاتبه). وقال ابن كثير: (قد كانت له ـ أي الشيخ عمر الملا ـ زاوية يقصد فيها وله في كل سنة دعوة في شهر المولد يحضر فيها عنده الملوك والأمراء والعلماء والوزراء ويحتفل بذلك)، كما ذكر سبط ابن الجوزي وابن كثير ما ابتلي الناس به من الاعتقاد في عمر الملا. قال الأول: (جميع الملوك والعلماء والأعيان يزورونه ويتبركون به)، وقال الثاني: أي ابن كثير ـ في الجزء المذكور (ص٢٨٣): (كان نور الدين يعتقده ـ أي الشيخ عمر الملا ـ ويعتقد أخاه أبا البيان، وأتاه زائراً مرات ووقف

عليه وقفاً). فأصل ما وقع من صاحب إربل أبي سعيد كوكبوري ومن نور الدين قبله من الاحتفال بالمولد النبوي إذاً من ذلك الصوفي عمر الملا، وكان الواجب على نور الدين أن يعمل معه في قضية المولد مثل ما عمل معه في قضية أخرى جرت بينهما ذكرها ابن كثير (ج١٢) من تاريخه (ص٢٨٢، ٢٨٣) هي: أن الشيخ عمر الملا كتب إلى نور الدين: إن المفسدين قد كثروا ويحتاج إلى سياسة. ومثل هذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب، وإذا أخذ إنسان في البرية من يجيء يشهد له، فكتب إليه الملك نور الدين على ظهر كتابه: إن الله خلق الخلق وشرع لهم شريعة، وهو أعلم بما يصلحهم، ولو علم أن في الشريعة زيادة للمصلحة لشرعها لنا فلا حاجة بنا إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى، فمن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته، وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه. والعقول المظلمة لا تهتدي، والله سبحانه يهدينا وإياك إلى صراط مستقيم. فلما وصل الكتاب إلى الشيخ عمر الملا جمع الناس بالموصل وقرأ عليهم الكتاب، وجعل يقول: انظروا إلى كتاب الزاهد إلى الملك، وكتاب الملك إلى الزاهد).

وأما ذكر ابن خلكان في [وفيات الأعيان] نتفاً من مظاهر احتفال صاحب إربل للمولد النبوي فلا اعتبار به، فإنه قد أورد في تاريخه المذكور أموراً لم يرتضها أهل العلم، كما نبه عليه ابن كثير وابن العماد الحنبلي، فقد قال الحافظ ابن كثير في ترجمة الحضر بن نصر بن علي بن نصر الإربلي الفقيه الشافعي أول من درس بإربل، قال في ترجمته من [البداية والنهاية] (ج١٢ ص٢٨٧): (ترجمه ابن خلكان في [الوفيات] وقال: قبره يزار، وقد زرته غير مرة، ورأيت الناس

ينتابون قبره ويتبركون به، وهذا الذي قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور).

وقال ابن كثير في ترجمة ابن الراوندي أحد مشاهير الزنادقة من [البداية والنهاية] (ج١١ ص١١٣): (قد ذكره ابن خلكان في [الوفيات] وقلس عليه ولم يجرحه بشيء ولا كان الكلب أكل له عجيناً على عادته في العلماء والشعراء، فالشعراء يطيل تراجمهم، والعلماء يذكر لهم ترجمة يسيرة، والزنادقة يترك ذكر زندقتهم) ا.هـ، وابن الراوندي هذا الذي عاتب ابن كثير ابن خلكان على عدم تجريحه ذكر ابن كثير فيه قبل ذلك العتاب ما نصه: (كان أبوه يهودياً فأظهر الإسلام، ويقال: إنه حرف التوراة، كما عادى ابنه القرآن بالقرآن وألحد فيه، وصنف كتاباً في الرد على القرآن سماه [الدامغ] وكتاباً في الرد على الشريعة والاعتراض عليها سماه [الزمردة]، وكتاباً يقال له: [التاج] في معنى ذلك، وله كتاب [الفريد]، وكتاب [إمامة المفضول الفاضل]، وقد انتصب للرد على كتبه هذه جماعة منهم: الشيخ أبوعلي محمد بن عبدالوهاب الجبائي شيخ المعتزلة في زمانه، وقد أجاد في ذلك. وكذلك ولده أبوهاشم عبدالسلام بن أبي علي، قال الشيخ أبوعلي: قرأت كتاب هذا الملحد الجاهل السفيه ابن الراوندي فلم أجد فيه إلا السفه والكذب والافتراء، قال: وقد وضع كتاباً في قدم العالم ونفي الصانع وتصحيح مذهب الدهرية والرد على أهل التوحيد، ووضع كتاباً في الرد على محمد رسول الله ﷺ في سبعة عشر موضعاً، ونسبه إلى الكذب ـ يعني النبي ﷺ ـ وطعن على القرآن، ووضع كتاباً لليهود والنصارى وفضل دينهم على المسلمين والإسلام يحتج لهم فيها على

إبطال نبوة محمد ﷺ إلى غير ذلك من الكتب التي تبين خروجه عن الإسلام، نقل ذلك ابن الجوزي عنه، وقد أورد ابن الجوزي في منتظمه طرفاً من كلامه وزندقته وطعنه على الآيات والشريعة ورد عليه في ذلك[١]، وهو أقل وأخس وأذل من أن يلتفت إليه وإلى جهله وكلامه وهذيانه وسفهه وتمويهه، وقد أسند إليه حكايات من المسخرة والاستهتار والكفر والكبائر، منها ما هو صحيح عنه، ومنها ما هو مفتعل عليه ممن هو مثله وعلى طريقه ومسلكه في الكفر والتستر في المسخرة، يخرجونها في قوالب مسخرة وقلوبهم مشحونة بالكفر والزندقة، وهذا كثير موجود فيمن يدعي الإسلام وهو منافق. يتمسخرون بالرسول ودينه وكتابه، وهؤلاء ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾[٢] الآية، وقد كان أبوعيسى الوراق مصاحباً لابن الراوندي قبحهما الله، فلما علم

---

(١) مما قاله ابن الجوزي فيه ما في [تلبيس إبليس] (ص١١١ ـ ١١٢) ونصه: (أنبأنا محمد بن أبي طاهر، عن أبي القاسم علي بن المحسن التنوخي، عن أبيه قال: كان ابن الراوندي ملازم الرافضة وأهل الإلحاد، فإذا عوتب قال: إنما أريد أن أعرف مذاهبهم ثم كاشف وناظر، ثم قال ابن الجوزي: من تأمل حال ابن الراوندي وجده من كبار الملاحدة، وصنف كتاباً اسماه [الدامغ] زعم أنه يدمغ به هذه الشريعة فسبحان من دمغه وهو في شرخ الشباب، وكان يعترض على القرآن ويدعي عليه التناقض وعدم الفصاحة وهو يعلم أن فصحاء العرب تحيرت عند سماعه فكيف بالألكن) ا.هـ.

(٢) سورة التوبة، الآيتان ٦٥، ٦٦.

الناس بأمرهما طلب السلطان أبا عيسى فأودع السجن حتى مات، وأما ابن الراوندي فلجأ إلى ابن لاوى اليهودي، وصنف له في مدة مقامه عنده كتابه الذي سماه [الدامغ للقرآن] فلم يلبث بعده إلا أياماً يسيرة حتى مات لعنه الله، ويقال: إنه أخذ وصلب. قال أبوالوفاء بن عقيل: ورأيت في كتاب محقق أنه عاش ستاً وثلاثين سنة مع ما انتهى إليه من التوغل في المخازي في هذا العمر القصير، لعنه الله وقبحه ولا رحم عظامه) ا. هـ كلام ابن كثير في تاريخه (ج١١ ص١١٢، ١١٣).

وقال ابن العماد الحنبلي في ترجمة أحمد بن يحيى الراوندي بعد أن وصفه بالإلحاد ـ قال (ج٢ ص٢٣٥) من [شذرات الذهب]: (والعجب من ابن خلكان كيف يترجمه ترجمة العلماء ساكتاً عن عواره مع سعة اطلاع ابن خلكان ووقوفه على إلحاده، وقد اعترض جماعات كثيرة على ابن خلكان من أجل ذلك، حتى قال العماد ابن كثير: هذا على عادته من تساهله وغضه عن عيوب مثل هذا الشقي، والله أعلم) ا. هـ كلام ابن العماد.

قلت ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ: لإيضاح صنيع ابن خلكان في ابن الراوندي الذي استنكره ابن كثير وابن العماد أستحسن إيراد ترجمة ابن الراوندي، كما وردت في [تاريخ ابن خلكان] (ج١ ص٢٧) فأقول: قال ابن خلكان فيه: (أبوالحسين أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي العالم المشهور له مقالة في علم الكلام، وكان من الفضلاء في عصره وله من الكتب المصنفة نحو من مائة وأربعة عشر كتاباً منها: كتاب [فضيحة المعتزلة]، و[كتاب التاج]، و[كتاب الزمرد]، و[كتاب

القصب]، وغير ذلك وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام، وقد انفرد بمذاهب نقلها أهل الكلام عنه في كتبهم، توفي سنة خمس وأربعين ومائتين برحبة مالك بن طوق الثعلبي، وقيل: ببغداد وتقدير عمره أربعون سنة، وذكر في البستان أنه توفي سنة خمسين، والله أعلم رحمه الله تعالى) ا.هـ كلام ابن خلكان.

وأما إيراد سبط ابن الجوزي في [مرآة الزمان] احتفال صاحب إربل بالمولد النبوي فلا يدل مجرده على أن ذلك معتبر لضعف الرجل واشتمال مصنفاته على الغث والسمين، فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الجزء الثاني من [منهاج السنة]، (ص١٣٣): (هذا الرجل ـ أي يوسف بن قزاوغلي سبط ابن الجوزي صاحب [مرآة الزمان] يذكر في مصنفاته أنواعاً من الغث والسمين، ويحتج في أغراضه بأحاديث كثيرة ضعيفة وموضوعة، وكان يصنف بحسب مقاصد الناس يصنف للشيعة ما يناسبهم ليعوضوه بذلك، ويصنف على مذهب أبي حنيفة لبعض الملوك لينال بذلك أغراضه، فكانت طريقته طريقة الواعظ الذي قيل له: ما مذهبك؟ قال: في أي مدينة؟! ولهذا يوجد في بعض كتبه ثلب الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة؛ لأجل مذاهب من قصد بذلك من الشيعة ويوجد في بعضها تعظيم الخلفاء الراشدين وغيرهم).

وقال الحافظ الذهبي في ترجمته من [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] (ج٤ ص٤٧١): (يوسف بن قزاوغلي الواعظ المؤرخ شمس الدين أبوالمظفر سبط ابن الجوزي، روى عن جده وطائفة، وألف كتاب [مرآة الزمان] فتراه يأتي فيه بمناكير الحكايات، وما أظنه بثقة

فيما ينقله، بل يجنف ويجازف، ثم إنه ترفض، وله مؤلف في ذلك، نسأل الله العافية، مات سنة أربع وخمسين وستمائة بدمشق، قال الشيخ محي الدين السوسي: لما بلغ جدي موت سبط ابن الجوزي قال: لا رحمه الله، كان رافضياً).

وقد نقل العلامة أبومحمد عبد القادر بن أبي الوفاء محمد بن محمد بن نصر الله بن سالم بن أبي الوفاء القرشي الحنفي المصري في الجزء الثاني من [الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية] (ص٢٣١) عن الحافظ الذهبي طعنه في سبط ابن الجوزي ونصه: (قال الذهبي في [الميزان]: وألَّف مرآة الزمان فرآه يأتي فيه بمناكير الحكايات، وما أظنه ثقة فيما ينقله، بل ينخس ويجازف، ثم إنه ترفض وله مؤلف في ذلك).

وقال الحافظ ابن كثير في ترجمة سبط ابن الجوزي من [البداية والنهاية] (ج١٣ ص١٩٤) بعد ذكره ثناء الشيخ شهاب الدين أبي شامة على سبط ابن الجوزي قال: (لكنه ـ أي أبا شامة ـ قال: قد كنت مريضاً ليلة وفاته فرأيت وفاته في المنام قبل اليقظة ورأيته في حالة منكرة ورآه غيري أيضاً، فنسأل الله العافية).

وقال ابن العماد الحنبلي في [شذرات الذهب] (ج٥ ص٢٦٧) في ترجمة سبط ابن الجوزي: (كان ـ أي سبط ابن الجوزي ـ في شبيبته حنبلياً، وكان وافر الحرمة عند الملوك، نقله الملك المعظم إلى مذهب أبي حنيفة فانتقد عليه ذلك كثير من الناس حتى قال له بعض أرباب الأحوال وهو على المنبر: إذا كان للرجل كبير ما يرجع عنه إلا

بعيب ظهر له فيه فأي شيء ظهر لك في الإمام أحمد حتى رجعت عنه؟! فقال له: اسكت، فقال له الفقير ـ أي الصوفي ـ: أما أنا فسكت وأما أنت فتكلم، فرام الكلام فلم يستطع فنزل عن المنبر) ذكر هذا ابن العماد في وفيات سنة أربع وخمسين وستمائة من [شذرات الذهب].

* وأما قول الرفاعي في رده: (قد أكثر الإمام أبوشامة شيخ النووي الثناء على الملك المظفر بما كان يفعله من الخيرات ليلة المولد الشريف، وثناء هذا الإمام الجليل على هذا الفعل الجميل في هذه الليلة أول دليل على أن عمل المولد بدعة حسنة) يعني بذلك الثناء: قول أبي شامة في [الباعث على إنكار البدع والحوادث] (ص١٣): (ومن أحسن ما ابتدع في زماننا من هذا القبيل ما كان يفعل بمدينة إربل ـ جبرها الله تعالى ـ كل عام في اليوم الموافق ليوم مولد النبي ﷺ من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور، فإن ذلك مع ما فيه من الإحسان إلى الفقراء مشعر بمحبة النبي ﷺ وتعظيمه وجلالته في قلب فاعله وشكر الله على ما من به من إيجاد رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين ﷺ وعلى جميع المرسلين).

فالجواب عنه بأمور:

أولها: أن أبا شامة ذكر في ذلك الثناء على صاحب إربل: أن أول من احتفل بذلك اليوم ـ الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي ـ بالموصل الشيخ عمر الملا أحد الصالحين المشهورين، وأنه هو الذي اقتدى به صاحب إربل في احتفاله به، فبين أبو شامة بهذا أن صاحب إربل إنما أخذ ذلك عن عمر الملا، وعمر الملا هذا قال فيه

سبط ابن الجوزي في [مرآة الزمان في تاريخ الأعيان] (ج٨ ص٣١٠) ما نصه: (كان ـ أي عمر بن محمد الملا ـ يعمل مولد رسول الله ﷺ كل سنة يحضر عنده صاحب الموصل والأكابر، وكان نور الدين يحبه ويكاتبه) وذكر أن جميع الملوك والعلماء والأعيان يزورونه ويتبركون به، وقال فيه الإمام الحافظ المؤرخ ابن كثير في الجزء الثاني عشر (ص٢٦٣): (قد كانت له ـ أي للشيخ عمر الملا ـ زاوية يقصد فيها، وله في كل سنة دعوة في شهر المولد يحضر فيها عنده الملوك والأمراء والعلماء والوزراء، ويحتفل بذلك)، ثم قال في نفس الجزء (ص٢٨٣): (كان نور الدين يعتقده ـ أي الشيخ عمر الملا ـ ويعتقد أخاه أبا البيان وأتاه زائراً مرات ووقف عليه وقفاً) ا.هـ، فالمسألة إذاً صوفية بحتة[1]، وعلى فرض أن عمر الملا من الصالحين، كما ذكره من ذكره فالقول في عمله ما قاله الإمام ابن تيمية في [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] (ص٢٩١) بصدد كلامه على المواسم المبتدعة من موالد وغيرها، حيث قال: (إذا فعلها قوم ذوو فضل فقد تركها قوم في زمان هؤلاء معتقدين لكراهيتها، وأنكرها قوم لذلك، وهؤلاء التاركون والمنكرون إن لم يكونوا أفضل ممن فعلوها فليسوا دونهم في الفضل، ولو فرضوا دونهم في الفضل فتكون حينئذٍ قد تنازع فيها أولو الأمر فترد إذنْ إلى الله والرسول، وكتاب الله وسنة

---

(١) لا يستبعد أن يكون عمل المولد تسرب إلى الشيخ عمر الملا من بني عبيد القداح المتسمين بالفاطميين، فإنهم أخذوا الموصل سنة سبع وأربعين وثلاثمائة، كما في الجزء الحادي عشر من [البداية والنهاية] (ص٢٣٢).

رسوله مع من كرهها لا مع من رخص فيها. ثم عامة المتقدمين الذيـن هـم أفضـل من المتأخرين مع هؤلاء التاركين المنكرين.

الثاني: أن استحسان أبي شامة احتفال صاحب إربل بالمولد النبوي إنما بناه على اعتباره ذلك الاحتفال من قبيل ما يسميه بالبدعة الحسنة التي عرفها بقوله: (هي كل مبتدع موافق لقواعد الشريعة غير مخالف لشيء منها ولا يلزم من فعله محذور شرعي)، ومن الواضح أن هذا التعريف لا ينطبق على احتفال صاحب إربل؛ لكونه غير موافق للشريعة مادام بدعة، ولوقوع المحذور الشرعي فيه، كما بينه العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية سابقاً في كتابه [أحسن الكلام فيما يتعلق بالبدعة والسنة من الأحكام] (ص٥٢) ونصه: (وأنت إذا علمت ما كان يعمله الفاطميون ومظفر الدين في المولد النبوي جزمت بأنه لا يمكن أن يحكم عليه بالحل) ا.هـ.

وأما الثناء على أبي الخطاب بن دحية الذي صنف [التنوير في مولد السراج المنير] للملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل بأنه كان عالماً من الحفاظ، فيرد عليه قدح أهل العلم فيه.

فقد قال سبط ابن الجوزي في ترجمة أبي الخطاب بن دحية من كتاب [مرآة الزمان] (ج٨ ص٦٩٨) قال: (كان ـ أي ابن دحية ـ في المحدثين مثل ابن عنين في الشعراء يثلب علماء المسلمين ويقع في أئمة الدين ويتزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه وكذبوه، وكان الكامل مقبلاً عليه، فلما انكشف له حاله أعرض عنه وأخذ منه دار الحديث وأهانه، فتوفي في ربيع الأول بالقاهرة ـ أي في السنة الثالثة

والثلاثين وستمائة ـ ودفن بقرافة مصر وكان قدم دمشق وسأل الوزير بن شكر أن يجمع بينه وبين شيخنا تاج الدين فاجتمعا وتناظرا وجرى بينهما البحث في قول العرب: (لقيته من وراء وراء) فقال ابن دحية: لا يقال: (وراء) بالرفع، بل بالنصب[1]، فقال تاج الدين: أخطأت، بل الصحيح (وراء) بالرفع فسفه على شيخنا تاج الدين فقال له: يا مدعي، أنت تكتب (وكتب ابن دحية) ودحية بإجماع المحدثين ما أعقب، وقد كذبت في نسبك[2] ، قلت: ـ القائل سبط ابن الجوزي ـ والصحيح مع تاج الدين، وقد ذكرها الجوهري فقال: (وراء) بمعنى خلف، وقد يكون بمعنى قدام، وهو من الأضداد، وأنشد:

إذا أنا لم أومن عليك ولم يكن لقاؤك إلا من وراءُ وراءُ

انتهى كلام سبط ابن الجوزي في [مرآة الزمان] وما فيه من أن النقاش بين أبي الخطاب بن دحية وبين تاج الدين الكندي جرى في قول العرب: (لقيته من وراء وراء) مخالف لما في [ذيل الروضتين] من أن النقاش بينهما إنما وقع في قول إبراهيم الخليل عليه السلام الوارد في حديث الشفاعة: (إنما كنت خليلاً من وراء وراء) ونصه في (ص٦٥) (قال العز ابن تاج الأمناء: في عشية ثالث عشر رجب جرى بين التاج الكندي وبين ابن دحية كلام ومشاتمة عند الوزير، قلت: ـ القائل أبوشامة ـ حكى لي من حضر ذلك المجلس أن الشيخ الحافظ أبا الخطاب عمر بن دحية لما عاد من رحلته الخراسانية قصد مجلس

---

(١) مراده بالرفع :الضم، وبالنصب: الفتح.
(٢) كلام العلماء في عدم صحة انتسابه إلى دحية الصحابي كثير يطول الكلام بذكره.

الوزير صفي الدين عبد بن علي المعروف بابن شكر وزير العادل، وكان الشيخ العلامة تاج الدين الكندي جالساً إلى جنبه، فأجلس ابن دحية إلى الجانب الآخر فشرع ابن دحية يورد حديث الشفاعة، فلما وصل إلى قول إبراهيم الخليل صلوات الله عليه وقوله: (إنما كنت خليلاً من وراء وراء) لفظ باللفظتين بفتح الهمزة فيهما، فقال الكندي: (وراء وراء) بالضم فعز ذلك على ابن دحية ـ وكان جريئاً ذا أنفة ـ من الرد عليه، فقال للوزير: من ذا الشيخ؟ فقال له: هذا تاج الدين الكندي، فسمج ابن دحية في حقه بكلمات فلم يسمع من الكندي إلا قوله (هو من كلب) فنبح. فهذه تورية حسنة من لفظ حلو، وذلك أن ابن دحية كان ينسب إلى كلب من العرب، وهي قبيلة دحية الصحابي رضي الله عنه. وفي صحة الانتساب إليه كلام ونظر، فإن جماعة من المتقدمين قالوا: لم يعقب على ما ذكرناه في ترجمته في [تاريخ دمشق] ووقع الناس في أبي الخطاب بسبب ذلك، حتى قال بعضهم.

دحية لم يعقب فلا تنتسب إليه بالبهتان والإفك
ما صح عند الناس شيء سوى أنك من كلب بلا شك

فأخذ الشاعر المعنى الذي أشار إليه الكندي بذلك اللفظ الوجيز، أما اللفظتان المتنازع فيهما فرأيت في أمالي أحمد بن يحيى ثعلب جواز الأمرين فيهما والجر أيضاً، وقد نظمت ذلك في كتاب مفصل الزمخشري وغيره من المسائل النحوية، وبالله التوفيق) ا.هـ كلام أبي شامة ويوافقه ما في حوادث سنة خمس وستمائة من [البداية والنهاية] (ج١٣) لابن كثير (ص٥١)، ولفظه: (فيها ـ أي: في تلك

السنة ـ عاد أبوالخطاب بن دحية الكلبي من رحلته العراقية فاجتاز بالشام، فاجتمع في مجلس الوزير الصفي هو والشيخ تاج الدين أبواليمن الكندي شيخ اللغة والحديث، فأورد ابن دحية في كلامه حديث الشفاعة، حتى انتهى إلى قول إبراهيم عليه السلام: (إنما كنت خليلاً من وراء وراء) بفتح اللفظتين، فقال الكندي: (من وراء وراء) بضمهما، فقال ابن دحية للوزير بن شكر: من هذا؟ فقال: هذا أبواليمن الكندي، فنال منه ابن دحية وكان جريئاً، فقال الكندي: هو من كلب ينبح كما ينبح الكلب، قال أبوشامة: وكلتا اللفظتين محكية، وحكي فيهما الجر أيضاً) انتهى كلام الحافظ ابن كثير.

وقال الحافظ الضياء: (لقيته ـ أي ابن دحية ـ بأصبهان ولم أسمع منه شيئاً ولم يعجبني حاله، كان كثير الوقيعة في الأئمة، أخبرني إبراهيم السنهوري أنه دخل المغرب، وأن مشايخ أهل المغرب كتبوا له جرحه وتضعيفه، ثم قال الضياء: وقد رأيت منه غير شيء مما يدل على ذلك، نقل ذلك عن الضياء الحافظ الذهبي في [تذكرة الحفاظ] (ج٤ ص١٤٢١)، وكذلك ذكر في [ميزان الاعتدال في نقد الرجال]: أن الحافظ الضياء قال في أبي الخطاب بن دحية: لم يعجبني حاله، كان كثير الوقيعة في الأئمة، ثم قال: أخبرني إبراهيم السنهوري، فذكر ما تقدم نقله من [تذكرة الحفاظ].

وقال قاضي حماة ابن واصل: كان أبوالخطاب ـ أي ابن دحية ـ مع فرط معرفته وحفظه الكثير متهماً بالمجازفة في النقل، فبلغ ذلك الكامل فأمره أن يعلق شيئاً على [كتاب الشهاب]، فعلق كتاباً تكلم فيه

على أسانيده وأراه الكامل، فقال له الكامل بعد أيام: ضاع مني الكتاب فعلق لي مثله، ففعل فجاء متنافياً للأول، فعلم السلطان صحة ما قيل عنه، وعزله عن دار الحديث، فولى مكانه أخاه الإمام أبا عمرو اللغوي[١]، ذكر ذلك الحافظ الذهبي في [تذكرة الحفاظ] (ج٤ ص١٤٢١، ١٤٢٢)، وفي [ميزان الاعتدال] (ج٣ ص١٨٧)، وهذا اللفظ الذي ذكرناه لتذكرة الحفاظ.

وقال ابن نقطة في ابن دحية: (كان موصوفاً بالمعرفة والفضل إلا أنه كان يدعي أشياء لا حقيقة لها ـ وذكر لي ثقة وهو أبوالقاسم بن عبد السلام قال: أقام عندنا ابن دحية فكان يقول: أحفظ [صحيح مسلم] والترمذي، قال: فأخذت خمسة أحاديث من الترمذي وخمسة من [المسند] وخمسة من الموضوعات فجعلتها في جزء فعرضت حديثاً من الترمذي عليه، فقال: ليس بصحيح، وآخر فقال: لا أعرفه، ولم يعرف منها شيئاً، ذكر ذلك الحافظ الذهبي في [ميزان الاعتدال] (ج٣ ص١٨٨)، كما ذكر في الجزء الرابع من [تذكرة الحفاظ] (ص١٤٢٢)، أن ابن نقطة قال: كان أبوالخطاب ـ أي ابن دحية ـ موصوفاً بالمعرفة

---

(١) ذكر ابن خلكان في ترجمة أبي الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية عزله بأخيه أبي عمرو عثمان بن الحسن اللغوي هذا، قال (ج١ ص٣٨٢): (كان أخوه أبوعمرو عثمان بن الحسن أسن من أخيه أبي الخطاب، وكان حافظاً للغة العرب قيماً بها، وعزل الملك الكامل أبا الخطاب المذكور عن دار الحديث التي كان أنشأها بالقاهرة ورتب مكانه أخاه أبا عمرو المذكور، ولم يزل بها إلى أن توفي يوم الثلاثاء ثالث عشر جمادى الأولى سنة أربع وثلاثين وستمائة بالقاهرة، ودفن بسفح المقطم، وله رسائل استعمل فيها حوشي اللغة).

والفضل لم أره إلا أنه كان يدعي أشياء لا حقيقة لها، فذكر لي أبوالقاسم بن عبدالسلام ثقة قال: نزل عندي ابن دحية فجعل يقول: أحفظ [صحيح مسلم] و[جامع الترمذي]، فأخذت خمسة أحاديث من الترمذي وخمسة من المسند وخمسة من الموضوعات وجعلتها جزءاً وعرضتها عليه فلم يعرف منها شيئاً).

وقال ابن النجار: (رأيت الناس مجتمعين على كذبه وضعفه وادعائه سماع ما لم يسمعه، ولقاء من لم يلقه، وكانت أمارة ذلك عليه لائحة، وحدثني بعض المصريين قال: قال لي الحافظ أبوالحسن بن المفضل، وكان من أئمة الدين قال: كنا بحضرة السلطان في مجلس عام وهناك ابن دحية، فسألني السلطان عن حديث، فذكرته له، فقال لي: من رواه؟ فلم يحضرني إسناده في الحال فانفصلنا، فاجتمع بي ابن دحية في الطريق، فقال لي: ما ضرك لما سألك السلطان عن إسناد ذلك الحديث لِمَ لَمْ تذكر له أي إسناد شئت، فإنه ومن حضر مجلسه لا يعلمون هل هو صحيح أم لا؟ وقد كنت ربحت قولك: لا أعلم وتعظم في عينيه وعين الحاضرين، قال: فعلمت أنه متهاون جريء على الكذب. قال ابن النجار: وذكر أنه سمع [كتاب الصلة] لابن بشكوال من مصنفه، وكان القلب يأبى سماع كلامه، ويشهد ببطلان قوله، وكان الكامل يعظمه ويحترمه، ويعتقد فيه، ويتبرك به، حتى سمعت أنه كان يسوي له المداس إذا قام. قال: وكان صديقنا إبراهيم السنهوري دخل إلى الأندلس فذكر لمشايخها حال ابن دحية وما يدعيه فأنكروا ذلك وأبطلوا لقاءه لهم، وأنه إنما اشتغل بالطلب أخيراً، وأن نسبه ليس بصحيح وكتب السنهوري بذلك محضراً

وأخذ خطوطهم فيه، فعلم ابن دحية بذلك، فشكاه للسلطان فأمر بالقبض عليه فضرب وجرس على حمار وأخرج من القاهرة[(١)]، وأخذ ابن دحية المحضر فحرقه. قال: وحضرت معه مجلس السلطان مراراً، وكان يحضر في كل جمعة فيصلي عند السلطان ويقرأ عليه شيئاً من مجموعاته، وكان حافظاً ماهراً في علم الحديث، حسن الكلام فيه، فصيح العبارة، تام المعرفة بالنحو واللغة، وله كتب نفيسه، وكان ظاهري المذهب كثير الوقيعة في الأئمة وفي السلف من العلماء، خبيث اللسان، أحمق، شديد الكبر، قليل النظر في أمور الدين متهاوناً) نقل ذلك الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في [لسان الميزان] (ج٤ ص٢٩٥ ـ ٢٩٦) عن ابن النجار.

كما نقل الحافظ ابن حجر العسقلاني في نفس المصدر [لسان الميزان] (ج٤ ص٢٩٦) عن ابن النجار أيضاً أنه قال في ترجمة ابن دحية: (حدثني علي بن الحسن أبوالعلاء الأصبهاني، وناهيك به جلالة ونبلاً، قال: لما قدم ابن دحية علينا أصبهان، ونزل على أبي في الخانكاه فكان يكرمه ويبجله، فدخل على والدي يوماً ومعه سجادة فقبلها ووضعها بين يديه، وقال: صليت على هذه السجادة كذا وكذا

---

(١) اتهم أبوالحسن بن القطان إبراهيم السنهوري هذا بالمجازفة والكذب، فاغتر بذلك الحافظ الذهبي فوصفه في [الميزان] (ج١ ص٣٥) بأنه دجال، فتعقبه الحافظ ابن حجر في [لسان الميزان] (ج١ ص٥٥) بقول ابن عبدالملك في [ذيل التكملة]: قد نزهه الله عن كل ما رماه به، وعدله كل من أخذ عنه ووثقوه وصححوا نقله، وقوله فيه: (كان محدثاً حافظاً لمتون الأحاديث ضابطاً لما يرويه، ثقة في نقله، متين الدين جميل المروءة).

ألف ركعة، وختمت القرآن في جوف الكعبة مرات، قال: فأخذها والدي وقبلها ووضعها على رأسه وقبلها منه مبتهجاً بها، فلما كان آخر النهار حضر عندنا رجل من أهل أصبهان، فتحدث عندنا إلى أن اتفق أن قال: كان الفقيه المغربي الذي عندكم اليوم ـ يعني ابن دحية ـ في السوق اشترى سجادة حسنة بكذا وكذا، فأمر والدي بإحضار السجادة، فقال الرجل: إي والله هذه، فسكت والدي وسقط ابن دحية من عينه).

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة ابن دحية من [تذكرة الحفاظ] (ج٤ ص١٤٢١): (زعم ـ أي ابن دحية ـ ولم تدخل في الأذن دعواه أنه قرأ [صحيح مسلم] من حفظه على بعض شيوخه، وكان معروفاً على كثرة علمه وفضائله بالمجازفة والدعاوى العريضة)، ووصفه في (ص١٤٢٢) بأنه كان مدلساً يستعمل (حدثنا فيما هو إجازة)، وذكر في ترجمة ابن دحية من [ميزان الاعتدال] (ج٣ ص١٨٦، ١٨٧): أن ابن دحية ذكر أنه حدثه بـ [الموطأ] عالياً أبوالحسن بن حنين الكتاني وابن خليل، قالا: حدثنا محمد بن فرح الطلاع، ثم تعقب ذلك بقوله: (أقول: فأما ابن خليل فإنه سكن مراكش وفاس وكان ابن دحية بالأندلس فكيف لقيه أو سمع منه؟! وكذلك ابن حنين فإنه خرج عن الأندلس ولم يعد، بل سكن مدينة فاس ومات بها سنة تسع وستين وخمسمائة، فبالجهد أن يكون ابن دحية روى [الموطأ] عن هذين بالإجازة فالله أعلم، واستباح ذلك على رأي من يسوغ قول: (حدثني بكذا) ويكون إجازة، لكنه قد صرح بالسماع فيما أرى) ثم نقل الذهبي عن ابن مسدي أنه قال: (رأيت بخطه أنه سمع بين الستين إلى السبعين وخمسمائة من جماعة كأبي بكر بن خير واللواتي وأبي الحسين بن

حنين، وليس ينكر عليه، وتعقب الذهبي ذلك بقوله: (قلت: بل ينكر عليه كما قدمنا)، ونقل أيضاً عن ابن مسدي أنه قال: (وله ـ أي لابن دحية ـ تواليف تشهد باطلاعه، فتعقب ذلك بقوله: (قلت: وفي تواليفه أشياء تنقم عليه من تصحيح وتضعيف)، وقال الذهبي في الجزء الخامس من [العبر في خبر من غبر] (ص١٣٥): وليس ـ أي ابن دحية ـ بالقوي ضعفه جماعة، وله تصانيف ودعاوٍ مدحضة وعبارات مقعرة مبغضة، وقد نفق على الملك الكامل وجعله شيخ دار الحديث.

وقال الحافظ ابن كثير في الجزء الثالث عشر من [البداية والنهاية] (ج١٣ ص١٤٥) بعد إيراده ترجمة ابن دحية من تاريخ ابن خلكان قال: (قلت: تكلم الناس فيه ـ أي في ابن دحية ـ بأنواع من الكلام ونسبه بعضهم إلى وضع حديث في قصر صلاة المغرب وكنت أود أن أقف على إسناده لنعلم كيف رجاله، وقد أجمع العلماء كما ذكره ابن المنذر وغيره على أن المغرب لا يقصر[1]، والله سبحانه وتعالى يتجاوز عنا وعنه بمنه وكرمه)، ونقل ابن كثير قبل ذلك في (ص١٤٤) عن سبط ابن الجوزي أنه قال في ابن دحية: (قد كان كابن عنين في ثلب المسلمين والوقيعة فيهم ويتزيد في كلامه فترك الناس الرواية عنه ـ وكذبوه وقد كان الكامل مقبلاً عليه، فلما انكشف له حاله أخذ منه دار الحديث وأهانه) ا.هـ.

وابن عنين الذي شبه به سبط ابن الجوزي ابن دحية هو:

---

(١) نص كتاب [الإجماع] لابن المنذر (ص٤٢) طبعة (دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض): (أجمعوا على أن لا يقصر في المغرب ولا في صلاة الصبح).

محمد بن نصر الدين ابن نصر بن الحسين بن عنين الملقب ـ شرف الدين ـ الكوفي الأصل الدمشقي المولد الشاعر المشهور، وصفه ابن خلكان في الجزء الثاني من [وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان] (ص٢٥) (بأنه خاتمة الشعراء لم يأت بعده مثله ولا كان في أواخر عصره من يقاس به) ثم قال: (كان مولعاً بالهجاء وثلب أعراض الناس، وله قصيدة طويلة جمع فيها خلقاً كثيراً من رؤساء دمشق سماها مقراض الأعراض، وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله قد نفاه من دمشق بسبب وقوعه في الناس، فلما خرج منها قال:

فعلام أبعدتم أخا ثقةٍ لم يقترف ذنباً ولا سرقا
انفوا المؤذن من بلادكم إن كان ينفى كل من صدقا

قال ابن خلكان: (ولقد رأيته ـ أي ابن عنين ـ بمدينة إربل في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ولم آخذ عنه شيئاً).

وقال عبدالرحمن السيوطي في [طبقات الحفاظ] (ص٤٩٨) بعد أن أثنى على ابن دحية ما نصه: (وكان مع معرفته وحفظه مجازفاً في النقل مع الدعاوى العريضة، ويستعمل (حدثنا) في الإجازة) ا.هـ المراد من كلامه، ولم يتعرض في [حسن المقصد في عمل المولد] للطعن فيه رغم معرفته بحاله، بل اكتفى بقول ابن خلكان فيه: (كان من أعيان العلماء ومشاهير الفضلاء) وهذا من غرائب السيوطي.

بل الشيخ أحمد الشهير بابن خلكان الذي أثنى عليه اتهمه بسبب القصيدة التي وضعها في آخر كتابه [التنوير في مولد السراج المنير] على أساس أنها له يمدح بها مظفر الدين الذي ألف له ذلك الكتاب

يرى ابن خلكان أنها لأسعد بن مماتي، لا لابن دحية.

فقد قال ابن خلكان في ترجمة القاضي الأسعد أبي المكارم أسعد بن مماتي من [وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان] (ج١ ص٦٩): (كان الحافظ أبوالخطاب ابن دحية المعروف بذي النسبين رحمه الله تعالى عند وصوله إلى مدينة إربل ورأى اهتمام سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمه الله تعالى بعمل مولد النبي ﷺ حسبما هو مشروح في حرف الكاف من هذا الكتاب، عند ذكر اسمه صنف له كتاباً سماه: [التنوير في مولد السراج المنير]، وفي آخر الكتاب قصيدة طويلة مدح بها مظفر الدين أولها:

لولا الوشاة وهم   أعداؤنا ما وهموا

وقرأ الكتاب والقصيدة عليه، وسمعنا نحن الكتاب على مظفر الدين في شعبان سنة ست وعشرين وستمائة والقصيدة فيه، ثم بعد ذلك رأيت هذه القصيدة بعينها في مجموعة منسوبة إلى الأسعد بن مماتي المذكور، فقلت: لعل الناقل غلط ثم بعد ذلك رأيتها في ديوان الأسعد بكمالها مدح بها السلطان الملك الكامل رحمه الله تعالى فقوي الظن، ثم إني رأيت أبا البركات بن المستوفي قد ذكر هذه القصيدة في تاريخ إربل عند ذكر ابن دحية، وقال: سألته عن معنى قوله فيها:

نفديه من عطا جما   دى كفه المحرم

فما أحار جواباً، فقلت: لعله مثل قول بعضهم:

تسمى بأسماء الشهور فكفه   جمادى وما ضمت عليه المحرم

قال: فتبسم، وقال: هذا أردت، فلما وقفت على هذا ترجح عندي أن القصيدة للأسعد المذكور، فإنها لو كانت لأبي الخطاب ـ أي ابن دحية ـ لما توقف في الجواب. وأيضاً فإن إنشاد القصيدة لصاحب إربل كان في سنة ست وستمائة، والأسعد المذكور توفي في هذه السنة ـ كما سيأتي ـ وهو مقيم بحلب لا تعلق له بالدولة العادلية، وبالجملة فالله أعلم لمن هي منهما) ا.هـ كلام ابن خلكان، وإليه أشار في ترجمة ابن دحية بقوله: (كان الحافظ أبوالخطاب المذكور قد ختم هذا الكتاب بقصيدة طويلة أولها:

لـولا الـوشـاة وهـم أعـداؤنـا مـا وهمـوا

وقد ذكرت فيما تقدم في ترجمة الأسعد بن مماتي في حرف الهمزة حديث هذه القصيدة فليتأمل هناك) ا.هـ كلام ابن خلكان، وقد أقره الحافظ الذهبي على ذلك في ترجمة أبي الخطاب بن دحية من [تذكرة الحفاظ] (ج٤ ص١٤٢٣) قال: قال ابن خلكان: قدم إربل فصنف لملكها كتاب المولد، ومدحه بقصيدة مطلعها:

لـولا الـوشـاة وهـم أعـداؤنـا مـا وهمـوا

ثم ظهرت القصيدة أنها في ديوان الأسعد بن مماتي.

وإلى كلام أهل العلم المذكورين وغيرهم في ابن دحية أشار الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ في رسالته في [حكم الاحتفال بالمولد النبوي] بقوله: (وأما ابن دحية فلا يخفى كلام العلماء فيه، وقد اتهموه بوضع حديث في قصر صلاة المغرب كما في تاريخ ابن كثير).

* وأما العبارة التي نقلها محمد بن علوي المالكي عن شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في [اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم] تحت عنوان: (رأي الشيخ ابن تيمية يقول: قد يثاب بعض الناس على فعل المولد).

فالجواب عنها بأمور:

أحدها: أن شيخ الإسلام صرح في أول تلك العبارة: بأن الداعي للاحتفال بالمولد النبوي قد يكون مضاهاة للنصارى في مولد عيسى عليه السلام، أي فيكون غير مشروع لتلك المضاهاة. وقد يكون الداعي إليه محبة النبي ﷺ فيثاب المحتفل في هذه الحالة على محبته للنبي ﷺ التي دعته إلى ذلك الاحتفال، لا على بدعة الاحتفال.

الثاني: أنه فَرَّقَ في تلك العبارة بين من يعمل المولد ولا يتركه إلا إلى شر منه وبين المؤمن المسدد الذي ليس كذلك، فذكر أن الذي يعمل المولد ولا يتركه إلا إلى شر منه لا يدعى إلى تركه؛ لما يترتب على ذلك من ارتكاب ما هو شر منه، وأن المؤمن المسدد يستقبح منه الاحتفال بالمولد ويجب عليه الحرص على التمسك بالسنة ظاهراً وباطناً في خاصته وخاصة من يطيعه.

الثالث: أن إثابة الواقع في المواسم المبتدعة من موالد وغيرها أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية في [اقتضاء الصراط المستقيم] (ص٢٩٠) أنها لِمَا في تلك المواسم من المشروع، وأنها لا تمنع النهي عن تلك المواسم والاعتياض عنها بالمشروع، ولفظه: (لا ريب أن من فعلها - أي المواسم المبتدعة - متأولاً مجتهداً أو مقلداً كان له أجر

على حسن قصده وعلى عمله من حيث ما فيه من المشروع وكان ما فيه من المبتدع مغفوراً له إذا كان في اجتهاده أو تقليده من المعذورين، وكذلك ما ذكر فيها من الفوائد كلها ـ إنما حصلت لما اشتملت عليه من المشروع في جنسه؛ كالصوم والذكر والقراءة والركوع والسجود وحسن القصد في عبادة الله وطاعته ودعائه، وما اشتملت عليه من المكروه انتفى موجبه بعفو الله لاجتهاد صاحبه أو تقليده. وهذا المعنى ثابت في كل ما يذكر في بعض البدع المكروهة من الفائدة، لكن هذا القدر لا يمنع كراهتها والنهي عنها والاعتياض عنها بالمشروع الذي لا بدعة فيه، كما أن الذين زادوا الأذان في العيدين هم كذلك، بل اليهود والنصارى يجدون في عباداتهم أيضاً فوائد؛ وذلك لأنه لابد أن تشتمل عباداتهم على نوع ما مشروع في جنسه، كما أن أقوالهم لابد أن تشتمل على صدق مأثور عن الأنبياء، ثم مع ذلك لا يوجب أن تفعل عباداتهم أو تروى كلماتهم؛ لأن جميع المبتدعات لابد أن تشتمل على شر راجح على ما فيها من الخير، إذ لو كان خيرها راجحاً لما أهملتها الشريعة، فنحن نستدل بكونها بدعة على أن إثمها أكبر من نفعها، وذلك هو الموجب للنهي، ثم قال الإمام ابن تيمية: (وأقول: إن إثمها قد يزول عن بعض الأشخاص لمعارض الاجتهاد أو غيره، كما يزول إثم الربا والنبيذ المختلف فيهما عن المجتهدين من السلف، ثم مع ذلك يجب بيان حالها، وأن لا يقتدى بمن استحلها، وأن لا يقصر في طلب العلم المبين لحقيقتها. قال: وهذا الدليل كافٍ في بيان أن هذه البدع مشتملة على مفاسد اعتقادية أو حالية مناقضة لما جاء به الرسول ﷺ، وأن ما فيها من المنفعة

مرجوح لا يصلح للمعارضة. ولم يكتف الإمام ابن تيمية بهذا، بل أضاف إليه بيان ما في المواسم المبتدعة من مفاسد راجحة على ما فيها من المنفعة، فقال: (أما ما فيها ـ أي تلك المواسم المبتدعة ـ من مولد وغيره من المنفعة فيعارضه ما فيها من مفاسد البدعة الراجحة منها مع ما تقدم عن المفاسد الاعتقادية والحالية: أن القلوب تستعذبها وتستغني بها عن كثير من السنن، حتى تجد كثيراً من العامة يحافظ عليها ما لا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس. ومنها: أن الخاصة والعامة تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن وتفتر رغبتهم فيها فتجد الرجل يجتهد فيها ويخلص وينيب ويفعل فيها ما لا يفعله في الفرائض والسنن حتى كأنه يفعل هذه البدعة عبادة ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة، وهذا عكس الدين فيفوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة والرقة والطهارة والخشوع وإجابة الدعوة وحلاوة المناجاة.. إلى غير ذلك من الفوائد، وإن لم يفته هذا كله فلابد أن يفوته كماله. ومنها: ما في ذلك من مصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً وما يترتب على ذلك من جهالة أكثر الناس بدين المرسلين، وانتشار زرع الجاهلية. ومنها: اشتمالها على أنواع من المكروهات في الشريعة مثل: تأخير الفطور، وأداء العشاء الآخرة بلا قلوب حاضرة، والمبادرة إلى تعجيلها، والسجود بعد السلام لغير سهو، وأنواع من الأذكار ومقاديرها لا أصل لها.. إلى غير ذلك من المفاسد التي لا يدركها إلا من استنارت بصيرته وسلمت سريرته. ومنها: مسارقة الطبع إلى الانحلال من ربقة الاتباع، وفوات سلوك الصراط المستقيم، وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر فتحب أن تخرج من العبودية

والاتباع بحسب الإمكان، كما قال أبوعثمان النيسابوري رحمه الله: ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه ثم هذا مظنة لغيره فينسلخ القلب عن حقيقة الاتباع للرسول ﷺ ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه أو يكاد، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، ومنها: ما تقدم التنبيه عليه في أعياد أهل الكتاب من المفاسد التي توجد في كلا النوعين المحدثين: النوع الذي فيه مشابهة، والذي لا مشابهة فيه) ا. هـ.

الرابع: أن محمد بن علوي قد أسقط من كلام شيخ الإسلام في الاحتفال بالمولد النبوي محبة للنبي ﷺ ما بينه فيه من اختلاف الناس في اليوم الموافق ليوم المولد النبوي، وقوله في الاحتفال: (إن هذا ـ أي الاحتفال به ذلك اليوم ـ لم يفعله السلف مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا، وهم على الخير أحرص، وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته، وطاعته واتباع أمره، وإحياء سنته باطناً وظاهراً، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان، فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وأكثر هؤلاء الذين تجدونهم حرصاء على أمثال هذه البدع مع ما لهم فيها من حسن القصد والاجتهاد الذي يرجى لهم به المثوبة تجدونهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه، وإنما هم بمنزلة من يحلي المصحف ولا يقرأ فيه أو يقرأ فيه ولا يتبعه، وبمنزلة من يزخرف المسجد ولا يصلي فيه أو يصلي فيه قليلاً، وبمنزلة من

يتخذ المسابح والسجادات المزخرفة، وأمثال هذه الزخارف الظاهرة التي لم تشرع ويصحبها من الرياء والكبر والاشتغال عن المشروع ما يفسد حال صاحبها، كما جاء في الحديث: «**ما ساء عمل أمة قط إلا زخرفوا مساجدهم**» أسقط السيد محمد بن علوي هذا كله من كلام شيخ الإسلام، وكان الواجب عليه عدم إسقاطه لما ذكره من الأهمية.

الخامس: أن ما توهمه محمد بن علوي من عبارة ابن تيمية التي ذكر منها ما ذكر وهو أنه يرى الاحتفال بيوم المولد النبوي يرده قوله في [اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم] (ص٢٩١) بصدد كلامه على المواسم المبتدعة من موالد وغيرها ما نصه: (إذا فعلها قوم ذوو فضل فقد تركها قوم في زمان هؤلاء معتقدين لكراهتها، وأنكرها قوم كذلك، وهؤلاء التاركون والمنكرون إن لم يكونوا أفضل ممن فعلوها فليسوا دونهم في الفضل، ولو فرضوا دونهم في الفضل فتكون حينئذٍ قد تنازع فيها أولو الأمر فترد إذن إلى الله والرسول ﷺ، وكتاب الله وسنة رسوله مع من كرهها لا مع من رخص فيها ثم عامة المتقدمين الذين هم أفضل من المتأخرين مع هؤلاء التاركين المنكرين).

وأما رحلة ابن بطوطة فليست من الكتب المعتمدة، وليس مؤلفها ابن بطوطة من رجال هذا الميدان، يتبين ذلك مما يلي:

١ ـ ما أوضحه الشيخ حسن السائح في مقدمته لرحلة الشيخ خالد بن عيسى البلوي المسماة [تاج المفرق في تحلية علماء المشرق] وهو ـ أن ابن بطوطة يعنى بمعرفة أسماء العلماء ويزورهم أحياناً في

منازلهم زيارة تخلو من الحنين إلى الارتواء بعلمهم وتمكين السند، فقد لقي ابن بطوطة عدة علماء ذكر أسماءهم وألقابهم غير حافل باختصاصاتهم، وإنما يتبرك بهم وخصوصاً إذا كانوا من المتصوفة، وربما سمع باسم العالم فذكر اسمه في الرحلة، ولو أنه لم يتصل به اتصالاً شخصياً، كما فعل في تونس حين ذكر من أعلامها ابن الغماز الذي لا شك أنه لم يتصل به؛ لأنه توفي سنة (٦٩٣هـ)، وإنما اتصل بخلفه الربعي الذي ذكر له اسم شيخه فأثبته في الأعلام المعاصرين، كما ذكر أنه كان يلتقط المشاهد فيثبتها في رحلته، وأن اتصاله بالعلماء والمحدثين قليل؛ لأنه إنما يرغب في زيارة الصوفية لاستدرار بركتهم، كما ذكر أن إملاء ابن بطوطة رحلته من ذاكرته عرضه لكثير من الأخطاء حتى إنه ارتكب أغلاطاً جغرافية تدل على عدم اطلاعه على كتب فن الجغرافيا، وعلى أنه إنما يعتني في رحلته بذكر مشاهداته للأماكن التي زارها فحسب.

٢ ـ أن في رحلة ابن بطوطة أشياء لا تمت للحقيقة بصلة، منها: ما ذكره في (ص٥٧، ٥٨ ج١) وهو أنه حضر حين كان في رحلته بدمشق وعظ تقي الدين ابن تيمية يوم الجمعة على منبر الجامع بدمشق فكان من جملة كلام ابن تيمية أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا ونزل درجة من درج المنبر.. إلخ.

وقد أنكر الذين يعرفون شيخ الإسلام ابن تيمية حق المعرفة على ابن بطوطة حكايته لهذا وردوا عليه، ومن أحسنهم رداً عليه الشيخ محمد منير الدمشقي في شرحه للإتحافات السنية بالأحاديث

القدسية[١]، الذي سماه بـ [النفحات السلفية]، فقد قال فيه في كلامه على حديث النزول (ص٢٢٣) بعد أن ذكر أن هذا الحديث أفرده شيخ الإسلام ابن تيمية بالتأليف، وشرحه شرحاً لم يترك لغيره مجالاً ولا كلاماً، وأنه حقق ودقق فيه بما لا ترى العيون مثله من فوائد ومسائل تنشرح لها الصدور، وذكر أن شرح حديث النزول من أمهات الكتب التي يؤخذ منها مذهب الإمام الجليل ابن تيمية وعقيدته السلفية الموافقة للكتاب والسنة وجماهير العلماء والمحققين، فإنه تكلم على نزول الرب، وأتى بأقوال علماء السلف والخلف وحل إشكالات كثيرة، قال محمد منير بعد ذكر ذلك كله: (ومما يستغرب منه أن أبا عبدالله بن بطوطة قال في رحلته المسماة [تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار]: إنه رأى عالم الحنابلة تقي الدين ابن تيمية كبير الشام وهو يعظ الناس على منبر الجامع ويذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر، فعارضه فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء، وأنكر ما تكلم به، فقامت العامة إلى هذا الفقيه وضربوه بالأيدي والنعال ضرباً كثيراً حتى سقطت عمامته وظهر على رأسه شاشية حرير، فأنكروا عليه لباسها واحتملوه إلى دار عز الدين بن مسلم قاضي الحنابلة، فأمر بسجنه وعزره بعد ذلك.. إلخ.

فانظر أرشدك الله إلى قول الحق والحجة البينة، كيف يكون هذا

---

(١) وهو تأليف زين الدين عبدالرؤف بن علي بن زين العابدين الحدادي المناوي القاهري.

النقل في نظرك ورأيك؟ ألم يكن تخبطاً من صاحب الرحلة؟ فإنه سمع هذا القول بزعمه من شيخ الإسلام ابن تيمية ولم يرد عليه قوله، أو رفع أمره إلى حاكم تلك الجهة، أو شهره بين علماء الشام وغيرها من بلاد الإسلام التي تجول فيها المؤلف واجتمع بملوكها وأمرائها وعلمائها؛ ولا ريب أن من يصلي في مسجد عام كمثل هذا يجتمع فيه العالم والجاهل والعاقل والمتعصب والمنصف، فحكاية ابن بطوطة لهذا تحامل منه ظاهر، وبعيد كل البعد، فإن التلفظ بهذا يعد كفراً، فإن الله يقول في كتابه الحكيم: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]، والإمام ابن تيمية يقول على زعم صاحب الرحلة: إن الله له مثل، وهذا كفر بإجماع المسلمين فلو كان صحيحاً لقام عليه علماء عصره وقتئذٍ، وكفروه وشكوه إلى الحاكم، ولألف في ذلك رسائل رُد فيها على ابن تيمية وبيان كفره، كل ذلك لم يحصل، فدل على أنه خطأ في النقل، وفي كلام صاحب الرحلة سقط، وهو: لا، أي: لا كنزولي هذا. ويشهد لذلك تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، ولم نجد أنزه من ابن تيمية في عصره لله تعالى. وهذا السقط كثير في التآليف، وواجب على العلماء أن يحترموا أنفسهم، ويقدروا تفوق غيرهم، ويقروا لهم بالفضل والسبق. وشيخ الإسلام ابن تيمية يرفع الرأس به ويفتخر المسلمون بوجود مثله في عصره، فإنه كان هادماً للتقاليد الضارة، وداعيةً إلى الأخذ بكتاب الله وسنة رسوله. ومن طالع مؤلفاته وترك التعصب لمذهب أو رأي يرى ذلك ويتحقق) ا.هـ. نص

---

(١) سورة الشورى، الآية ١١.

[النفحات السلفية][١]، وممن أنكر على ابن بطوطة هذه الفرية السيد رشيد رضا في الجزء السادس من فتاويه، فقد قال في جوابه عن سؤال وجه إليه حول عزو ابن بطوطة في رحلته إلى شيخ الإسلام ابن تيمية أنه قال وهو يعظ على منبر الجامع ويذكر: (إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا، ونزل درجة من درج المنبر، فعارض فقيه مالكي يعرف بابن الزهراء... إلخ): (هل صح في تاريخ ابن تيمية أن يقول هذا؟ وهل هناك شك في أن قائل هذا ينسب لله الجسمية وأنه بذلك انسلخ من الإيمان والإسلام؟)، قال السيد رشيد رضا في الإجابة عن ذلك الاتهام لابن تيمية بتشبيه نزول الله بنزوله في المنبر: (هذه التهمة باطلة قطعاً، كما يعلم من كتب شيخ الإسلام وفتاويه الكثيرة في مسألة الصفات وحديث النزول، ولكن يظهر أن لها شبهة أثارتها فقد رأيت في بعض الكتب: كتاب [الرد الوافر] أو غيره أنه كان يتكلم في حديث النزول، ويخطب على المنبر، ويقرر مذهب السلف في إثبات كل ماوصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ بغير تعطيل ولا تمثيل ولا تأويل، فقال مامعناه: إنا نؤمن بنزوله بالمعنى الذي أراده اللائق به بلا تشبيه (لا كنزولي هذا) فزعم بعض الناس أنه قال: (كنزولي هذا)؛ لأنه لم يسمع كلمة (لا) وربما كان منهم ابن بطوطة، ثم أذاع هذا خصومه المخالفون للسلف، ولو صح زعمهم لقامت عليه قيامة أهل المسجد وأنزلوه عن المنبر مهاناً مذموماً بكل لسان إلا أن يقال: إنهم كانوا موافقين له على رأيه إلا واحداً منهم هو ابن الزهراء الذي ذكره

---

(١) طبعة دار المعرفة ببيروت.

ابن بطوطة، وكم في رحلة ابن بطوطة من الأكاذيب والخرافات.

قال: (ولابن تيمية كتاب مستقل في حديث النزول هو جواب سؤال رفع إليه، فأطال في الجواب عنه، ومر السيد رشيد رضا في ثنائه على شرح حديث النزول إلى أن قال: (جملة القول: أن شيخ الإسلام قد بسط في هذا الكتاب ـ أي شرح حديث النزول ـ وغيره من الدلائل على تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله ما لم يسبقه أحد إلى مثله[١]، مع إثبات ما أثبته لنفسه منها والمنع من تحكمنا بآرائنا فيها، فإنه مما حرمه الله تعالى علينا بقوله: ﴿ وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

الثالث: أن مما وصف به ابن بطوطة أهل مكة في زمانه ما لا يليق، مثل وصفه إياهم باعتقادهم في مجنون على أساس اعتباره ولياً من أولياء الله، ونصه (ج١ ص٩٨): (كان بمكة أيام مجاورتي بها حسن المغربي المجنون، وأمره غريب وشأنه عجيب، وكان قبل ذلك صحيح العقل خديماً لولي الله نجم الدين الأصبهاني أيام حياته «حكاية» كان حسن المجنون كثير الطواف بالليل، وكان يرى في طوافه بالليل فقيراً يكثر الطواف ولا يراه بالنهار، فلقيه ذلك الفقير ليلة وسأله عن حاله، وقال: يا حسن، إن أمك تبكي عليك وهي مشتاقة إلى رؤيتك ـ وكانت من إماء الله الصالحات ـ أفتحب أن تراها؟ قال: نعم، ولكني لا قدرة لي على ذلك، فقال له: نجتمع هاهنا في الليلة المقبلة

---

(١) من أهل عصره، وإلا فعقيدته في الصفات هي عقيدة السلف الصالح.
(٢) سورة البقرة، الآية ١٦٩.

إن شاء الله تعالى، فلما كانت الليلة المقبلة ـ وهي ليلة الجمعة ـ وجده حيث واعده فطافا بالبيت ما شاء الله، ثم خرج وهو في أثره إلى باب المصلى فأمره أن يسد عينيه ويمسك بثوبه ففعل ذلك، ثم قال بعد ساعة: أتعرف بلدك؟ قال: نعم، قال: ها هو ذا، ففتح عينيه فإذا به على دار أمه، فدخل عليها ولم يعلمها بشيء مما جرى، وأقام عندها نصف شهر، وأظن أن بلده مدينة أسفى، ثم خرج إلى الجبانة فوجد الفقير صاحبه، فقال له: كيف أنت؟ فقال: يا سيدي، إني اشتقت إلى رؤية الشيخ نجم الدين وكنت خرجت على عادتي وغبت عنه هذه الأيام وأحب أن تردني إليه، فقال له: نعم، وواعده الجبانة ليلاً، فلما وافاه بها أمره أن يفعل كفعله في مكة المشرفة من تغميض عينيه والإمساك بذيله، ففعل ذلك، فإذا به في مكة شرفها الله، وأوصاه أن لا يحدث نجم الدين بشيء مما جرى ولا يحدث به غيره، فلما دخل على نجم الدين قال له: أين كنت يا حسن في غيبتك؟ فأبى أن يخبره، فعزم عليه فأخبره بالحكاية، فقال: أرني الرجل، فأتى معه ليلاً وأتى الرجل على عادته، فلما مر بهما قال له: يا سيدي، هو هذا، فسمعه الرجل فضرب بيده على فمه وقال: اسكت أسكتك الله فخرس لسانه وذهب عقله، وبقي بالحرم مؤلها يطوف بالليل والنهار من غير وضوء ولا صلاة، والناس يتبركون به ويكسونه وإذا جاع خرج إلى السوق التي بين الصفا والمروة فيقصد حانوتاً من الحوانيت فيأكل منها ما أحب لا يصده أحد ولا يمنعه، بل يسر كل من أكل له شيئاً، وتظهر له البركة والنماء في بيعه وربحه، ومتى أتى السوق تطاول أهلها بأعناقهم إليه كل منهم يحرص على أن يأكل من عنده لما جربوه من بركته،

وكذلك فعله مع السقائين متى أحب أن يشرب، ولم يزل دأبه كذلك إلى سنة ثمان وعشرين، فحج فيها الأمير سيف الدين يلملك، فاستصحبه معه إلى ديار مصر فانقطع خبره نفع الله تعالى به) ا.هـ. كلامه.

والذي أراه أن أهل مكة في زماننا هذا لا يرضون لابن بطوطة أن ينسب هذه الخرافة وأمثالها إلى أهل مكة في زمان ابن بطوطة، هذا مما يشكك في كثير مما في رحلة ابن بطوطة. وأما ما عزاه إلى ذلك القاضي محمد بن محي الدين الطبري من الاحتفال بالمولد النبوي، فهو على فرض ثبوته ليس بمقبول؛ لأن الابتداع في الدين لا يقبل من أي أحد كان، كما تقدم في جواب سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى عن الاحتجاج بعمل أبي سعيد كوكبوري.

وأما قياس الاحتفال بالمولد النبوي على ما يقام للرؤساء من الاحتفالات إحياءً للذكرى.

فقد أجاب عنه سماحة مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله في رسالته في [حكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد على من دعا إليه] بقوله رحمه الله تعالى (ص٧٢، ٧٣): (النبي ﷺ قد قال الله في حقه: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝﴾[1]، فذكره مرفوع في الأذان والإقامة والخطب والصلوات،

---

(١) سورة الشرح، الآية ٤.

وفي التشهد والصلاة عليه، وفي قراءة الحديث واتباع ما جاء به فهو أجلّ من أن تكون ذكراه سنوية فقط)، قال: (ولكن الأمر كما قال السيد رشيد رضا في كتابه [ذكرى المولد النبوي] قال[١]: إن من طباع البشر أن يبالغوا في مظاهر تعظيم أئمة الدين أو الدنيا في طور ضعفهم في أمر الدين أو الدنيا؛ لأن هذا التعظيم لا مشقة فيه على النفس، فيجعلونه بدلاً مما يجب عليهم من الأعمال الشاقة التي يقوم بها أمر الدين أو الدنيا، وإنما التعظيم الحقيقي بطاعة المعظم والنصح له، والقيام بالأعمال التي يقوم بها أمره ويعتز دينه إن كان رسولاً، وملكه إن كان ملكاً.

وقد كان السلف الصالح أشد ممن بعدهم تعظيماً للنبي ﷺ، ثم للخلفاء، وناهيك ببذل أموالهم وأنفسهم في هذا السبيل، ولكنهم دون أهل هذه القرون التي ضاع فيها الدين في مظاهر التعظيم اللساني، ولا شك أن الرسول الأعظم ﷺ أحق الخلق بكل تعظيم. وليس من التعظيم الحق له أن نبتدع في دينه بزيادة أو نقص أو تبديل أو تغيير لأجل تعظيمه به. وحسن النية لا يبيح الابتداع في الدين، فقد كان جل ما أحدث أهل الملل قبلنا من التغيير في دينهم عن حسن نية، وما زالوا يبتدعون بقصد التعظيم وحسن النية حتى صارت أديانهم غير ما جاءت به رسلهم، ولو تساهل سلفنا الصالح كما تساهلوا، وكما تساهل الخلف الذين اتبعوا سننهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع لضاع أصل ديننا أيضاً، ولكن السلف الصالح حفظوا لنا الأصل، فالواجب علينا

---

(١) أي: السيد رشيد رضا.

أن نرجع إليه ونعض عليه بالنواجذ).

وأضاف سماحة المفتي ورئيس القضاة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله تعالى ـ أضاف إلى ذلك قوله: إن الاحتفال بالمولد النبوي إذا كان بطريق القياس على الاحتفالات بالرؤساء صار النبي ﷺ ملحقاً بغيره، وهذا ما لا يرضاه عاقل).

وأما تبرير الاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوي إذا لم يقتصر فيه على يوم معين فمخالف لما قاله الحافظ ابن حجر العسقلاني في الحديث الذي ادعى أنه ظهر له تخريج عمل المولد النبوي عليه، وهو ماثبت في الصحيحين: (أن النبي ﷺ قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء، فسألهم، فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى، فنحن نصومه شكراً لله عزوجل، فقال ﷺ: «**فأنا أحق بموسى عليه السلام منكم**» فصامه وأمر بصيامه. فقد قال في فتواه في عمل المولد بعد ذكره: أن هذا الحديث يستفاد منه فعل الشكر لله على ما مَنَّ به في يوم معين من إسداء نعمة أو دفع نقمة، قال: (وعلى هذا فينبغي أن يتحرى اليوم بعينه حتى يطابق قصة موسى في يوم عاشوراء، ومن لم يلاحظ ذلك لا يبالي بعمل المولد في أي يوم من الشهر، بل توسع قوم فنقلوه إلى يوم من السنة، وفيه ما فيه).

وأما ما ادعاه صاحب المقال المنشور في عدد مجلة (المجتمع) (٥٥٩) الصادر يوم الثلاثاء ثامن ربيع الثاني عام (١٤٠٢هـ) بصدد عده

للمؤلفين في إباحة الاحتفال بالمولد النبوي ومؤلفاتهم من أن صاحب [كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون] ذكر في (ص٣١٩): (أن الحافظ ابن كثير صنف في المولد الشريف أجزاءً عديدة منها: [جامع الآثار في مولد النبي المختار]، في ثلاث مجلدات، و[اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق] وهو مختصر، وما ادعاه من أن ابن فهد ذكر أن لابن كثير كتاباً سماه [مورد الصادي في مولد الهادي]، وقوله: بأن الحافظ السخاوي له كتاب في المولد يسمى: [التبر المسبوك في ذيل السلوك] فكله غلط فاحش لا أساس له من الصحة. أما [جامع الآثار في مولد النبي المختار] و[اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق] فقد تتبعنا [كشف الظنون] للتأكد من كلامه فيهما فوجدنا في حرف الجيم منه (ص٥٣٣) ما نصه: [جامع الآثار في مولد المختار] للحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة (٨٤٢) اثنتين وأربعين وثمانمائة وهو ثلاث مجلدات، أوله (الحمد لله الذي أبدى محمداً ﷺ أزكى العالمين إلخ)، ووجدنا في باب اللام منه (ص ١٥٥٩) ما نصه: [اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق] كراسة مختصرة للحافظ شمس الدين محمد بن ناصر الدين الدمشقي المتوفى سنة (٨٤٢) اثنتين وأربعين وثمانمائة، ووجدنا في باب الميم منه (ص١٩١٠) ما نصه: (قد ذكر الحافظ السخاوي في [الضوء اللامع] جماعة ممن ألف في مولد النبي عليه الصلاة والسلام منهم الحافظ.. ابن ناصر الدين الدمشقي له فيه [جامع الآثار في مولد النبي المختار] في ثلاث مجلدات، و[مورد الصادي في مولد الهادي] في كراسة، و[اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق] وهو أخصر من الذي قبله

ا.هـ ما قاله صاحب كشف الظنون في [جامع الآثار في مولد المختار] و[اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق]، وفي كلام ابن فهد والسخاوي والشوكاني ما يوافقه، وأما [مورد الصادي في مولد الهادي] فدعوى كاتب ذلك المقال أن ابن فهد عزاه إلى ابن كثير لا أساس لها من الصحة أيضاً، فإنه إنما قال في [لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ] (ص٣٢٠، ٣٢١) في ترجمة ابن ناصر الدين الدمشقي (صنف. . . ـ فمـــن ذلك المولد النبوي ـ هو [جامع الآثار في مولد المختار] ـ في ثلاثة أسفار، و[توضيح المشتبه]، و[افتتاح القاري لصحيح البخاري]، و[مورد الصادي في مولد الهادي] واستمر في سرد مصنفاته. . إلى أن قال: و[اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق]، وبذلك الذي ذكره ابن فهد في [مورد الصادي] جزم السخاوي والشوكاني، قال السخاوي في ترجمة ابن ناصر الدين من [الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع] (ج٨ ص١٠٤): (ومن تصانيفه ـ أي ابن ناصر الدين ـ طبقات شيوخه، وجعلهم ثمان طبقات، و[جامع الآثار في مولد المختار] ثلاثة أسفار، و[مورد الصادي في مولد الهادي] في كراسة، و[اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق]، أخصر من الذي قبله. ا.هـ، وقال الشوكاني في الجزء الثاني من [البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع] (ص١٩٨): (صنف ـ أي ابن ناصـــر الديـــن ـ التصانيف منها: طبقات شيوخه، فجعلهم ثمان طبقات، و[جامع الآثار في مولد المختار] في ثلاثة أسفار، و[مورد الصادي في مولد الهادي] في كراسة، و[اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق] في أقل من كراسة. ا.هـ.

فتبين بهذا كله أن قول صاحب ذلك المقال المنشور في (المجتمع) ذكر صاحب [كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون] أن الحافظ ابن كثير قد صنف في المولد الشريف أجزاء عديدة منها: [جامع الآثار في مولد النبي المختار] في ثلاث مجلدات، و[اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق] وهو مختصر، وقوله: إن ابن فهد ذكر أن لابن كثير كتاباً يسمى: [مورد الصادي في مولد الهادي] ليس لهما أي مستند. ثم إن ما كتبه الحافظ ابن كثير في المولد النبوي في قسم السيرة النبوية من [البداية والنهاية]، وفي سيرته المطولة، وفي [الفصول في اختصار سيرة الرسول]، وفي مصنفه المستقل في المولد النبوي بتحقيق صلاح الدين المنجد، وفي تهذيبه لما هذبه من مولد شيخه كمال الدين أبي المعالي محمد بن علي الأنصاري، وهو في قسم دلائل النبوة في الجزء السادس من [البداية والنهاية] لم يتعرض فيه للاحتفال بالمولد النبوي، ولا للمنكرات التي أحدثت في العصور المتأخرة بمناسبة المولد، فلا يسعنا مادام الأمر كذلك أن نسلم دعوى كاتب ذلك المقال على ابن كثير(١).

وأما قول صاحب المقال المنشور في (المجتمع): بأن للسخاوي كتاباً في المولد يسمى: [التبر المسبوك في ذيل السلوك] فغلط أيضاً، فإن السخاوي قد ذكر في ترجمة أحمد بن علي المقريزي من [التبر

---

(١) فما أوهمه محمد بن علوي المالكي في رسالته في الاحتفال بالمولد النبوي الشريف (ص٣٨) من أن مولد الحافظ ابن كثير من جنس الموالد التي تعرضت للاحتفال بالمولد النبوي غير صحيح.

المسبوك] (ص٢٣) [السلوك بمعرفة دول الملوك] من مؤلفات المقريزي، ووصفه بأنه يشتمل على الحوادث إلى وفاة المقريزي، ثم قال: (وكتابي هذا ـ أي التبر المسبوك ـ كما أشرت إليه ذيل عليه)، وقال السخاوي في ترجمته لنفسه من [الضوء اللامع لأعيان القرن التاسع] (ج٨ ص١٧) بصدد سرد مؤلفاته: و[التبر المسبوك في الذيل على تاريخ المقريزي السلوك] يشتمل على الحوادث والوفيات من سنة خمس وأربعين وإلى الآن في أربعة أسفار). فهذا ما أوضحه السخاوي نفسه وهو واضح الدلالة على أن موضوع كتاب [التبر المسبوك في ذيل السلوك] ليس هو في المولد، وإن كان قد أورد فيه أشياء لها صلة بالمولد.

ومما غلط فيه صاحب ذلك المقال قوله بصدد عده للمؤلفين في الاحتفال بالمولد النبوي: (السيوطي ألف كتاباً في المولد النبوي سماه [حسن المقصد في عمل المولد]، وكتابه [الحاوي للفتاوي] يبين في أحد فصول الكتاب حكم الاحتفال بالمولد النبوي، ويرد فيه على من قال: بأن المولد بدعة مذمومة) غلط في ذلك حيث فرق بين [حسن المقصد في عمل المولد] للسيوطي وبين ما في [الحاوي] للسيوطي عن المولد، فإن كلام السيوطي في [الحاوي] عن المولد هو ما تنطوي عليه رسالته [حسن المقصد في عمل المولد] لا شيء آخر يحتوي عليه [الحاوي].

وأما الاحتجاج للاحتفال بالمولد النبوي بأنه أمر استحسنه العلماء وجرى به العمل في كل صقع.

فالجـــواب عنه بما بينه الإمام ابن تيمية في [اقتضاء الصراط

المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم] (ص٢٩١) في كلامه على المواسم المبتدعة من موالد وغيرها حيث قال: (إذا فعلها قوم ذوو فضل فقد تركها قوم في زمان هؤلاء معتقدين لكراهتها، وأنكرها قوم كذلك، وهؤلاء التاركون والمنكرون إن لم يكونوا أفضل ممن فعلوها فليسوا دونهم في الفضل، ولو فرضوا دونهم في الفضل، فتكون حينئذٍ قد تنازع فيها أولو الأمر، فترد إذن إلى الله والرسول، وكتاب الله وسنة رسوله مع من كرهها لا مع من رخص فيها، ثم عامة المتقدمين الذين هم أفضل من المتأخرين مع هؤلاء التاركين المنكرين).

وهذا الجواب إنما هو عن الاحتفال بالمولد النبوي إذا سلم من المنكرات، وسلامته من المنكرات معدومة منذ أحدث إلى عصرنا هذا، كما بينه كثير من أهل العلم منهم في الزمن المتأخر: صاحب [الإبداع في مضار الابتداع]، وصاحب [حسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام] قال الأول (ص١٢٩، ١٣٠) في كلامه على الموالد التي تقام في زمانه ما نصه: (لا شبهة أنها لا تخلو من المحرمات والمكروهات، وقد أصبحت مراتع للفسوق والفجور وأسواقاً تباع فيها الأعراض وتنتهك محارم الله تعالى وتعطل فيها بيوت العبادة فلا ريب في حرمتها). وقال الثاني وهو مفتي الديار المصرية سابقاً الشيخ محمد بخيت المطيعي في كتابه [أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام] (ص٥٢) قال: (وأنت إذا علمت ما كان يعمله الفاطميون ومظفر الدين ـ أي صاحب إربل ـ في المولد النبوي جزمت بأنه لا يمكن أن يحكم عليه كله بالحل)، وقال أيضاً (ص٤٧): (قد استمر عمل الموالد إلى الآن، غير أن الناس تركوا بعض الموالد

الخمسة، وزادوا موالد أخرى حتى كادت الموالد الآن لا تحصى، وزادوا على ما كان يعمل فيها زمن الفاطميين أشياء، ونقصوا أشياء، وزادوا في أيامها) ا.هـ.

وأما الاحتجاج للاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوي بأن المولد ذكر وصدقة ومدح وتعظيم للجناب النبوي، وهذه أمور مطلوبة شرعاً وممدوحة، وجاءت الآثار الصحيحة بها وبالحث عليها.

فالجواب عنه بأمور:

أحدها: ما أوضحه السيد رشيد رضا في الجزء الخامس من [الفتاوى] وهو: أن الابتداع فيما جمع من الموالد بين تلك الأشياء وبين الخلو من المنكرات يرجع إلى ذلك الاجتماع المخصوص، بتلك الهيئة المخصوصة في الوقت المخصوص وإلى اعتبار ذلك العمل من شعائر الإسلام التي لا تثبت إلا بنص الشارع، بحيث يظن العوام والجاهلون بالسنن أن عمل المولد من أعمال القرب المطلوبة شرعاً. وعمل المولد بهذه القيود بدعة سيئة وجناية على دين الله تعالى وزيادة فيه تعد من شرع ما لم يأذن به الله، ومن الافتراء على الله والقول في دينه بغير علم، كما ذكر في الجزء الأول من تاريخ الأستاذ محمد عبده بصدد بحثه في التصوف (ص١٢٤): أن من الضلالات المتغلغلة في كتب الصوفية ما أحدثه بعض شيوخ الطريقة من الأوراد والشعائر المخالفة للسنة في ذاتها أو في كيفيتها، ثم قال: (ولا يخفى أنه ليس لأحد بعد زمن الوحي أن يجعل بعض العبادات التي لا أصل لها في

الدين شعائر تؤدى بطرق مخصوصة في أزمنة مخصوصة بكيفية مخصوصة إذا لم يرد هذا التخصيص في السنة المتبعة، مثال ذلك صلاة رجب (الرغائب) وشعبان اللتين نص الفقهاء على كونهما من البدع المذمومة، وقس عليهما ما هو دون الصلاة من شعائرهم؛ كالاجتماع لقراءة الأوراد والدلائل والأذكار بالكيفيات المخصوصة في الأيام المعلومة والمواسم المؤقتة كالموالد وغيرها وما فيها من البدع والمنكرات الكثيرة. ا.هـ.

قلت ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ: من الهيئات المبتدعة لذكر الله تعالى في الموالد بدعة (الصاري) وقد تناولها بالبحث السيد رشيد رضا والسيد حسنين مخلوف وعلي محفوظ: فقد قال السيد رشيد رضا في الجزء الثالث من فتاويه (ص١٠٢٣) في الجواب عن سؤال وجه إليه عمن ابتدع الصاري الذي يذكر الله حوله أهل الطرق. قال: (لا نعرف من ابتدع نصب هذا العمود أو السارية ليجتمع الناس عندها في احتفالات هذه الموالد، ولا أعرف مثل هذا إلا في هذه البلاد، ولا أدري أيوجد فيما لا أعرفه من بلاد المسلمين الأخرى أم لا؟).

وقال الشيخ حسنين مخلوف مفتي الديار المصرية السابق وعضو جماعة العلماء في كتابه [فتاوى شرعية وبحوث إسلامية] (ج١ ص١٣٥) في الجواب عن سؤال وجه إليه نصه: (يقوم رجال من المنتسبين للصوفية بمراسيم في الموالد الكبيرة حول (الصاري) وهي أن يقف أربعة منهم كل واحد قبل الآخر مشيراً بذراعيه قابضاً باسطاً محركاً جسمه يمنة ويسرة قائلاً: يا الله يا الله، بصوت مرتفع، ثم يدور

بعد ذلك طابوران يتقدمهم المنشد يصافح رجال كل طابور جميع من يقف في الحلقة، يحدث ذلك ثلاث مرات، فهل لذلك أصل في السنة أو في عمل السلف؟

قال في الجواب عنه ما نصه:

الجواب: نحمد الله ونستغفره، ونتوب إليه من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، وبعد:

فاعلم أنه لا أصل في الدين لذكر الله تعالى بهذه الهيئات المذكورة بالسؤال، ولم يعرف عن السلف الصالح، ولا دعا إليه العارفون من أئمة الصوفية، بل هو من البدع السيئة التي استحدثها بعض أهل الطرق جهلاً بهدي رسول الله ﷺ في ذكر ربه، وهو من المحرم شرعاً إذا أدى التزام هذه الهيئات في الذكر إلى اعتقاد مشروعيتها وطلبها ولو على سبيل الندب، وقد استقر الآن في عقائد العامة من المداومة عليها ودعوة المشايخ إليها ودفاعهم عنها واستمساكهم بها، أنها من الدين، بل مما لابد منه في الذكر ونيل الثواب والأجر، وهذا مما يوجب التحريم ويوقع في الإثم العظيم. والواجب على كل قادر من العلماء ومشايخ الطرق الصوفية أن ينهى عنها ويزجر من يأتي بها ويرشده إلى خطرها، وإلى أن اقتران المعصية بالطاعة مؤثم ومحبط للثواب.

أما الثواب الذي وعد الله به الذاكرين فإنما يكون لمن يذكره جل شأنه بخشوع القلب وخضوع الجوارح وحضور الفكر وشهود جلال ذي الجلال، لا بهذه الهيئات والحركات التي أنكرها الراسخون في العلم

من السادة الصوفية منذ ابتدعت هي وأمثالها، كما يعلم من الاطلاع على كثير من كتبهم، وإن مقام العبودية هو المقام الأسنى الذي وصف الله تعالى به عباده المصطفين الأخيار وخاطبهم به وشرفهم بنسبته في كثير من آي القرآن الكريم ووصف به عباده الطائعين وعباده المخبتين، ولا يمكن التحقق بهذا المقام إلا إذا وقف العبد بين يدي مولاه يذكره ويناجيه ويدعوه ويبتهل إليه بما شرعه سبحانه في عبادته وأرشد إليه على لسان رسله، وهو الذي درج عليه القدوة من سلف الأمة وصلحائها وخروج العبد عن هذا المنهج والابتداع فيه من وسوسة الشيطان التي يبغي له بها الخذلان ويرديه بها في حمأة العصيان، ومن العجب أن يسكت بعض المنتسبين للعلم عن إنكار هذه البدع وما إليها من الشعوذة والتدجيل الذي اعتاده بعضهم يشهدونها ويقرونهم عليها ويجارونهم في فعلها ويقاومون المنكرين لها الذائدين عن حمى الدين والداعين إلى سبيل رب العالمين وهدي إمام العابدين. نسأل الله أن يهديهم سواء السبيل. ا.هـ.

وقال الأستاذ الشيخ علي محفوظ في [الإبداع في مضار الابتداع] (ص ١٨٢ ـ ١٨٣) في الكلام على بدع أهل الطرق قال: (ومن بدعهم ما يصنعونه في الموالد المسمى عندهم بركبة الخليفة، وما يقع منهم حول (الصاري) من وقوفهم حلقة ويقولون كلاماً بأصوات مرتفعة لا يعرفه إلا من سألهم عنه؛ لعدم بيان حروفه ويسمونه سلفية أو بنبا أو غير ذلك، ثم يقف بعضهم في مقابلة بعض، ويقولون: يا الله يا الله، برفع أصواتهم مع صعود أيديهم وهبوطها، ثم يعودون للحالة الأولى، وهكذا إلى ثلاث مرات، ثم بعد ذلك يدور

بعضهم واضعين أيديهم على مناكب بعض ويذكرون بأذكارهم المعلومة دائرين في وسط الحلقة يصافحون أهلها وهكذا مرة بعد أخرى ويسمونه بالسلام، كما هو مشاهد منهم في نحو مولد سيدي أحمد البدوي، فكل هذا لا يخلو من محرم، كما هو مشاهد عند ركبة الخليفة، وعلى فرض خلوها من المحرم فهي أمور مبتدعة ما أنزل الله بها من سلطان، وقد أنكر النبي ﷺ على من يرفع صوته بالذكر، فقال: «**إربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصماً ولا غائباً، إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم**» رواه البخاري. إربعوا بكسر الهمزة وفتح الموحدة، أي: ارفقوا على أنفسكم وأمسكوا عن الجهر. وإذا كان هذا حال رفع الصوت بالذكر وحده فما بالك به مع العبث بالأيدي، وسنة المصافحة إنما تكون للمتلاقين لا للحاضرين، والواجب تسمية ما ذكر خلفية لا سلفية إذ السلف براء منها).

الثاني: ما قرره الشاطبي في فصل عقده في [الاعتصام] (ج١ ص١٩٩ ـ ٢٠٢) للتحذير من تحريف الأدلة عن مواضعها، وهو: أن الدليل الشرعي إذا اقتضى أمراً في الجملة مما يتعلق بالعبادات مثلاً فأتى به المكلف في الجملة أيضاً، كذكر الله، والدعاء، والنوافل المستحبات وما أشبهها مما يعلم من الشارع فيها التوسعة؛ كان الدليل عاضداً لعمله من جهتين: من جهة معناه، ومن جهة عمل السلف الصالح به، فإنْ أتى المكلف في ذلك الأمر بكيفية مخصوصة أو زمان مخصوص أو مكان مخصوص أو مقارناً لعبادةٍ مخصوصة والتزم ذلك بحيث صار متخيلاً أن الكيفية أو الزمان أو المكان مقصود شرعاً من غير أن يدل الدليل عليه كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل

عليه، فإذا ندب الشارع مثلاً إلى ذكر الله، فالتزم قومٌ الاجتماع عليه على لسان واحد وبصوت، أو في وقت معلوم مخصوص عن سائر الأوقات؛ لم يكن في ندب الشرع ما يدل على هذا التخصيص الملتزم، بل فيه ما يدل على خلافه؛ لأن التزام الأمور غير اللازمة شرعاً شأنها أن تُفْهِم التشريع، وخصوصاً مع من يقتدى به في المجامع، كالمساجد، فإنها إذا أظهرت هذا الإظهار ووضعت في المساجد، كسائر الشعائر التي وضعها رسول الله ﷺ في المساجد وما أشبهها ـ كالأذان وصلاة العيدين والاستسقاء والكسوف ـ فهم منها بلا شك أنها سنن إذا لم تفهم منها الفرضية فأحرى أن لا يتناولها الدليل المستدل به، فصارت من هذه الجهة بدعاً محدثةً بذلك، وعلى ذلك ترك التزام السلف الصالح لتلك الأشياء أو عدم العمل بها وهم كانوا أحق بها وأهلها لو كانت مشروعة على مقتضى القواعد؛ لأن الذكر قد ندب إليه الشرع ندباً في مواضع كثيرة، حتى إنه لم يطلب في تكثير عبادة من العبادات ماطلب من التكثير من الذكر، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ الآية[1]، وقوله: ﴿وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾[2]، بخلاف سائر العبادات.

ومثل هذا الدعاء؛ فإنه ذكر الله، ومع ذلك فلم يلتزموا فيه كيفيات، ولا قيدوه بأوقات مخصوصة ـ بحيث تشعر باختصاص التعبد بتلك الأوقات ـ إلا ما عينه الدليل، كالغداة والعشي، ولا أظهروا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٤١.
(٢) سورة الجمعة، الآية ١٠.

إلا ما نص الشارع على إظهاره، كالذكر في العيدين وشبهه. وما سوى ذلك فكانوا مثابرين على إخفائه وسره، ولذلك قال لهم النبي ﷺ حين رفعوا أصواتهم: «**أربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً**» وأشباهه ولم يظهروه في الجماعات، فكل من خالف هذا الأصل فقد خالف إطلاق الدليل؛ لأنه قيد فيه بالرأي، وخالف من كان أعرف منه بالشريعة ـ وهم السلف الصالح رضي الله عنهم ـ بل كان رسول الله ﷺ يترك العمل وهو يحب أن يعمل به خوفاً أن يعمل به الناس فيفرض عليهم.

وفي فصل من [الموافقات] جملة من هذا، وهو مزلة قدم، فقد يتوهم أن إطلاق اللفظ يشعر بجواز كل ما يمكن في مدلوله وقوعاً وليس خصوصاً في العبادات، فإنها محمولة على التعبد على حسب ما تلقي عن النبي ﷺ والسلف الصالح؛ كالصلوات حين وضعت بعيدة عن مدارك العقول في أركانها وترتيبها وأزمانها وكيفياتها ومقاديرها وسائر ما كان مثلها حسبما يذكر في باب المصالح المرسلة من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى فلا يدخل العبادات الرأي والاستحسان هكذا مطلقاً؛ لأنه كالمنافي لوضعها، ولأن العقول لا تدرك معانيها على التفصيل، وكذلك حافظ العلماء على ترك إجراء القياس فيها، كمالك بن أنس رضي الله عنه، فإنه حافظ على ترك الرأي جداً ولم يعمل فيها بنوع من أنواع القياس إلا قياس نفي الفارق حيث اضطر إليه، وكذلك غيره من العلماء وإن تفاوتوا، فهم محافظون جميعاً في العبادات على الاتباع لنصوصها ومنقولاتها بخلاف غيرها فبحسبها لا مطلقاً، فإن الإنسان قد أمر بذلك في الجملة مثلاً، فالمخصص كالمخالف لمفهوم التوسعة وإن لم يفهم من ذلك توسعة فلابد من الرجوع إلى أصل الوقف

مع المنقول؛ لأننا إن خرجنا عنه شككنا في كون العبادة على ذلك الوجه مشروعة على الطريقتين المنبه عليهما في كتاب [الموافقات] فيتعين الرجوع إلى المنقول وقوفاً معه من غير زيادة ولا نقصان، ثم إذا فهمنا التوسعة فلابد من اعتبار أمر آخر وهو أن يكون العمل بحيث لا يوهم التخصيص زماناً دون غيره أو مكاناً دون غيره أو كيفية دون غيرها، أو يوهم انتقال الحكم من الاستحباب مثلاً إلى السنة أو الفرض؛ لأنه قد يكون الدوام على كيفية ما في مجامع الناس أو مساجد الجماعات أو نحو ذلك موهماً لكونه سنة أو فرضاً، بل هو كذلك ا.هـ.

الثالث: أن نفس نية المولد في ذلك العمل بدعة، كما بينه ابن الحاج في الجزء الثاني من [المدخل] (ص١١، ١٢) وعلله بقوله: (إذ إن ذلك ـ أي نية المولد ـ زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أولى، بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه؛ لأنهم أشد الناس اتباعاً لرسول الله ﷺ وتعظيماً له ولسنته ﷺ، ولهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد وهم تبع فيسعنا ما وسعهم، وقد علم أن اتباعهم في المصادر والموارد، كما قال الشيخ الإمام أبوطالب المكي رحمه الله تعالى في كتابه، وقد جاء في الخبر: (لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً) وقد وقع ما قاله عليه الصلاة والسلام بسبب ما تقدم ذكره، وما سيأتي بعد؛ لأنهم يعتقدون أنهم في طاعة ومن لا يعمل عملهم يرون أنه مقصر بخيل، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال أيضاً: وقد قال بعض الأدباء كلاماً منظوماً في وصف

زماننا هذا كأنه شاهده.

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم	والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزكي بعضهم	بعضاً ليدفع معور عن معور
أبني إن من الرجال بهيمة	في صورة الرجل السميع المبصر
فطن بكل مصيبة في ماله	فإذا أصيب بدينه لم يشعر
فسل الفقيه تكن فقيهاً مثله	من يسع في علم بلب يظفر

وذكر ابن الحاج فيمن اقتصر في عمل المولد على إطعام الإخوان ليس إلا ونوى بذلك المولد أن نيته تلك بدعة، وقال فيمن يتورع عما يشتغل به قراء زمانه وفقراؤه من أعمال لا تليق في الذكر فيعمل المولد عوضاً عن ذلك بقراءة البخاري قال (ص٢٦): (هذا ـ أي قراءة البخاري عوضاً عن تلك الأعمال بنية المولد ـ وإن كانت قراءة الحديث في نفسها من أكبر القرب والعبادات وفيها البركة العظيمة والخير الكثير لكن إذا فعل ذلك بشرطه اللائق به على الوجه الشرعي كما ينبغي لابنية المولد، ألا ترى أن الصلاة من أعظم القرب إلى الله تعالى، ومع ذلك فلو فعلها إنسان في غير الوقت المشروع لها لكان مذموماً مخالفاً، فإذا كانت الصلاة بهذه المثابة فما بالك بغيرها) ا.هـ.

وأما الاعتماد على دعوى تلقي أوامر نبوية في المنام بالاحتفال بالمولد النبوي فلا يعتبر؛ لأن الرؤيا في المنام لا تثبت بها سنة لم تثبت، ولا تبطل بها سنة ثبتت، كما بينه أهل العلم.

فقد قال الإمام النووي في شرح قول مسلم في الكشف عن معايب رواة الحديث من صحيحه (ج١ ص١١٥): (حدثنا سويد بن

سعيد حدثنا علي بن مسهر قال: سمعت أنا وحمزة الزيات من أبان بن أبي عياش نحواً من ألف حديث، قال علي: فلقيت حمزة فأخبرني أنه رأى النبي ﷺ في المنام فعرض عليه ما سمع من أبان فما عرف منها إلا شيئاً يسيراً خمسة أو ستة)، قال النووي في شرحه لذلك ما نصه: (قال القاضي عياض رحمه الله: هذا ومثله استيناس واستظهار على ما تقرر من ضعف أبان لا أنه يقطع بأمر المنام ولا أنه تبطل بسببه سنة ثبتت ولا تثبت به سنة لم تثبت. وهذا بإجماع العلماء. هذا كلام القاضي، وكذا قاله غيره من أصحابنا وغيرهم فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع، قال: (وليس هذا الذي ذكرناه مخالفاً لقوله ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني**» فإن معنى الحديث: أن رؤيته صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي به؛ لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته أن يكون متيقظاً لا مغفلاً ولا سيء الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه. هذا كله في منام يتعلق بإثبات حكم على خلاف ما يحكم به الولاة. أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل ما هو مندوب إليه أو ينهاه عن منهي عنه أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه؛ لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام، بل بما تقرر من أصل ذلك الشيء. والله أعلم).

وقال في أوائل [تهذيب الأسماء واللغات] (ج١ ص٤٣) ط المطبعة المنيرية في كلامه على خصائص النبي ﷺ: (ومنه ـ أي مما

اختص به نبينا ﷺ ـ أن من رآه في المنام فقد رآه حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل بصورته، ولكن لا يعمل بما يسمعه الرائي منه في المنام فيما يتعلق بالأحكام إن خالف ما استقر في الشرع لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤيا؛ لأن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف والنائم بخلافه. انتهى كلام النووي في [تهذيب الأسماء واللغات].

وقال ابن الحاج في الجزء الرابع من [المدخل] (ص٣٠٢ ـ ٣٠٤): (ليحذر مما يقع لبعض الناس في هذا الزمان، وهو أن من يرى النبي ﷺ في منامه فيأمره بشيء أو ينهاه عن شيء ينتبه من نومه، فيقدم على فعله أو تركه بمجرد المنام دون أن يعرضه على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وعلى قواعد السلف رضي الله عنهم، قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾[1] ومعنى قوله: ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي إلى كتاب الله تعالى، ومعنى قوله: ﴿وَٱلرَّسُولِ﴾ أي إلى الرسول في حياته وإلى سنته بعد وفاته على ما قاله العلماء رحمة الله عليهم وإن كانت رؤيا النبي ﷺ حقاً لا شك فيها؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «**من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي**» على اختلاف الروايات لكن لم يكلف الله تعالى عباده بشيء مما يقع لهم في منامهم؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**رفع القلم عن ثلاثة**» وعد منهم «**النائم حتى يستيقظ**»؛ لأنه إذا كان نائماً فليس من أهل التكليف فلا يعمل بشيء يراه في نومه. هذا وجه، ووجه ثان: وهو أن العلم والرواية لا يؤخذان إلا من متيقظ حاضر العقل، والنائم

---

(١) سورة النساء، الآية ٥٩.

ليس كذلك. ووجه ثالث: وهو أن العمل بالمنام مخالف لقول صاحب الشريعة صلوات الله عليه وسلامه، حيث قال: «**تركت فيكم الثقلين لن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنتي**». فجعل عليه الصلاة والسلام النجاة من الضلالة في التمسك بهذين الثقلين فقط لا ثالث لهما. ومن اعتمد على ما يراه في نومه فقد زاد لهما ثالثاً؛ فعلى هذا من رأى النبي ﷺ في منامه وأمره بشيء أو نهاه عن شيء فيتعين عليه عرض ذلك على الكتاب والسنة إذ أنه عليه الصلاة والسلام إنما كلف أمته باتباعهما، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**ألا فليبلغ الشاهد الغائب**» الحديث، وروى أبوداود في سننه عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**تسمعون ويُسْمَع منكم ويُسْمَع ممن يسمع منكم**»، ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «**خذوا عني مناسككم**»... إلى غير ذلك، فإذا عرضها على شريعته عليه الصلاة والسلام فإن وافقتها علم أن الرؤيا حق، وأن الكلام حق، وتبقى الرؤيا تأنيساً له، وإن خالفتها علم أن الرؤيا حق، وأن الكلام الذي وقع له فيها ألقاه الشيطان له في ذهنه والنفس الأمارة؛ لأنهما يوسوسان له في حال يقظته فكيف في حال نومه؟! ولأجل هذا المعنى قال علماؤنا رحمة الله عليهم على ما سمعت سيدي أبا محمد رحمه الله يقول غير ما مرة نقلاً عن العلماء: إن النبي ﷺ إذا رؤي في المنام فأمر بشيء أو نهى عن شيء فالواجب فيه أن تعرض - أي الرؤيا - على كتاب الله تعالى وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام: فإن وافقت علم أن الرؤيا حق، وأن الكلام حق، وتكون الرؤيا تأنيساً للرائي وبشارة له. وإن خالفت علم أن الرؤيا حق، وأن الشيطان

أوصل إلى سمع الرائي غير ما تكلم به النبي ﷺ، فلو كان المنام مما يتعبد به لبينه النبي ﷺ أو نبه عليه أو أشار إليه ولو مرة واحدة، كما فعل في غيره. وقد نقل الشيخ أبوزكريا يحيى النووي رحمه الله في أوائل كتاب [تهذيب الأسماء واللغات] في أثناء الكلام على خصائصه عليه الصلاة والسلام، قال: (منه ـ أي: ما خص به ﷺ ـ أن من رآه في المنام فقد رآه حقاً، فإن الشيطان لا يتمثل في صورته. ولكن لايعمل بما يسمعه الرائي منه في المنام مما يتعلق بالأحكام خلاف ما استقر في الشرع؛ لعدم ضبط الرائي لا للشك في الرؤيا؛ لأن الخبر لا يقبل إلا من ضابط مكلف، والنائم بخلافه، وعلى هذا فمن رأى النبي ﷺ في منامه وخاطبه وكلمه ووصل إلى ذهن الرائي لفظ أو ألفاظ من العوائد التي هي واقعة في زمن الرائي أو قبله وتكون مخالفة لشريعته عليه الصلاة والسلام فلا يجوز له ولا لغيره التدين بها ولا أن يعتقد أن ما وصل إلى ذهنه في منامه مما خالف الشريعة المطهرة أنه صحيح؛ لأن تنزيه النبي ﷺ عن نسبة ذلك وما شاكله إليه واجب متعين، إذ أن العصمة في رؤيا صورته الكريمة عليه الصلاة والسلام ليس إلا دون ما يكون من الزيادة والنقصان، سيما وقد نقل القرافي في كتاب [الذخيرة] له قال: قال العلماء: لا تصح رؤيا النبي ﷺ قطعاً إلا لرجلين: صحابي رآه، أو حافظ لصفته حفظاً يحصل له من السماع ما يحصل للرائي له عليه الصلاة والسلام من الرؤيا حتى لا يلتبس عليه، مثاله من كونه أسود أو أبيض، أو شيخاً أو شاباً إلى غير ذلك من صفات الرائي التي تظهر فيه، كما تظهر في المرآة أحوال الرائين وتلك الأحوال صفة الرائين لا صفة المرآة، فإذا كانت رؤيا صورته الكريمة عليه الصلاة

والسلام التي ضمن فيها عدم تلبيس الشيطان على الرائي إذا رآها على غير ما هي عليه كان ذلك راجعاً إلى صفة الرائي وحاله، والجناب الكريم منزه عن ذلك وأشباهه فما بالك بسماع الكلام الذي لم تضمن العصمة فيه للرائي.

فإن قال قائل: إن رؤيا صورته الكريمة عليه الصلاة والسلام قد ضمنت العصمة فيها للرائي فيقاس عليها سماع الكلام.

فالجواب: ما قد علم من القواعد المقررة في الشرع الشريف: أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ويوسوس له في جميع أحواله في اليقظة والمنام، فجاء النص في عصمته إذا رأى الرائي صورته عليه الصلاة والسلام في منامه، وبقي ما عدا ذلك على الأصل لا يؤمن فيه تلبيس الشيطان على الرائي) ا.هـ كلام ابن الحاج في [المدخل].

وقال الإمام الشاطبي في الجزء الأول من [الاعتصام] (ص٢٠٩) في عمل بعض المتصوفة بما يدعي أن النبي ﷺ أمره به في المنام أوتركه لما يدعي أنه ﷺ أمره في المنام بتركه معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة قال: (هو ـ أي العمل بذلك أو الترك به فيما يخالف الشريعة ـ خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا.. واستمر إلى أن قال (ص٢١١، ٢١٢): (وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله

ﷺ الرائي بالحكم فلابد من النظر فيها أيضاً؛ لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته فالحكم بما استقر. وإن أخبر بمخالف فمحال؛ لأنه ﷺ لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته؛ لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية؛ لأن ذلك باطل بالإجماع فمن رأى شيئاً من ذلك فلا عمل عليه، وعند ذلك نقول: إن رؤياه غير صحيحة، إذ لو رآه حقاً لم يخبره بما يخالف الشرع، لكن يبقى النظر في معنى قوله ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني**» وفيه تأويلان:

أحدهما: ما ذكره ابن رشد إذ سئل عن حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في قضية فلما نام الحاكم ذكر أنه رأى النبي ﷺ، فقال له: لا تحكم بهذه الشهادة فإنها باطلة، فأجاب: بأنه لا يحل له أن يترك العمل بتلك الشهادة؛ لأن ذلك إبطال لأحكام الشريعة بالرؤيا، وذلك باطل لا يصح أن يعتقد، إذ لا يعلم الغيب من ناحيتها إلا الأنبياء الذين رؤياهم وحي، ومن سواهم إنما رؤياهم جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، ثم قال: وليس معنى قوله: «**من رآني فقد رآني حقاً**» أن كل من رأى في منامه أنه رآه فقد رآه حقيقة بدليل أن الرائي قد يراه مرات على صور مختلفة ويراه الرائي على صفة وغيره على صفة أخرى ولا يجوز أن تختلف صور النبي ﷺ ولا صفاته، وإنما معنى الحديث من رآني على صورتي التي خلقت عليها فقد رآني، إذ لا يتمثل الشيطان بي، إذ لم يقل من رأى أنه رآني فقد رآني، وإنما قال: «**من رآني فقد رآني**» وأنى لهذا الرائي الذي رأى أنه رآه على صورته أنه رآه عليها وإن ظن أنه رآه ما لم يعلم أن تلك الصورة

صورته بعينها، وهذا ما لا طريق لأحد إلى معرفته.

فهذا ما نقل عن ابن رشد، وحاصله: يرجع إلى أن المرئي قد يكون غير النبي ﷺ وإن اعتقد الرائي أنه هو.

والتأويل الثاني: يقوله علماء التعبير أن الشيطان قد يأتي النائم في صورة ما من معارف الرائي وغيرهم، فيشير له إلى رجل آخر: هذا فلان النبي وهذا الملك الفلاني أو من أشبه هؤلاء ممن لا يتمثل الشيطان به فيوقع اللبس على الرائي بذلك وله علامة عندهم. وإذا كان كذلك أمكن أن يكلمه المشار إليه بالأمر والنهي غير الموافقين للشرع فيظن الرائي أنه من قبل النبي ﷺ ولا يكون كذلك فلا يوثق بما يقول له أو يأمر أو ينهى، وما أحرى هذا الضرب أن يكون الأمر أو النهي فيه مخالفاً لكمال الأول حقيق بأن يكون فيه موافقاً، وعند ذلك لا يبقى في المسألة إشكال. نعم لا يحكم بمجرد الرؤيا حتى يعرضها على العلم لإمكان اختلاط أحد القسمين بالآخر.

وعلى الجملة، فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المُنَّة. نعم يأتي المرئي تأنيساً وبشارة ونذارة خاصة بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكماً ولا يبنون عليها أصلاً وهو الاعتدال في أخذها حسبما فهم من الشرع فيها والله أعلم)، وذكر أيضاً في الجزء الثاني من [الموافقات في أصول الشريعة] (ص٢٦٦) في كلامه على الرؤيا وما أشبهها من الخوارق: (أن الرؤيا والخوارق لا يصح أن تراعى وتعتبر إلا بشرط أن لا تخرم حكماً شرعياً ولا قاعدة دينية، قال: فإن ما يخرم قاعدة شرعية أو حكماً شرعياً ليس بحق في نفسه بل هو: إما خيال أو

وهم، وإما من إلقاء الشيطان، وقد يخالطه ما هو حق وقد لا يخالطه، وجميع ذلك لا يصح اعتباره من جهة معارضته لما هو ثابت مشروع، وذلك أن التشريع الذي أتى به رسول الله ﷺ عام لا خاص، وأصله لا ينخرم ولا ينعكس له إطراد ولا يحاشى من الدخول تحت حكمه مكلف، وإذا كان كذلك فكل ما جاء من هذا القبيل الذي نحن بصدده مضاداً لما تمهد في الشريعة فهو فاسد باطل. ومن أمثلة ذلك مسألة سئل عنها ابن رشد في حاكم شهد عنده عدلان مشهوران بالعدالة في أمر، فرأى الحاكم في منامه أن النبي ﷺ قال له: لا تحكم بهذه الشهادة فإنها باطلة، فمثل هذا من الرؤيا لا يعتبر به في أمر ولا نهي ولا بشارة ولا نذارة؛ لأنها تخرم قاعدة من قواعد الشريعة).

وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه [البداية والنهاية] (ج١ ص٩٤) تعليقاً على ما ذكره الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير أنه رأى النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وهابيل، واستحلف هابيل أن هذا ـ أي الدم الموجود بالمكان الذي يقال ـ بأنه هو الذي قتل فيه قابيل أخاه هابيل المسمى بمغارة الدم بدمشق ـ دمه ـ أي هابيل ـ فحلف له وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء فأجابه إلى ذلك وصدقه في ذلك رسول الله ﷺ، وقال: إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس)، قال ابن كثير تعليقاً على ذلك ما نصه: (هذا منام لو صح عن أحمد بن كثير هذا لم يترتب عليه حكم شرعي).

وقال شمس الدين أبوعبدالله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي

في [الآداب الشرعية والمنح المرعية] (ج٣ ص٤٥٤)[١]: (قد تكلم العلماء فيما إذا رأى النبي عليه الصلاة والسلام فأمره في منامه أو نهاه، وتلخيصه أنه لا يغير ما تقرر في اليقظة شرعاً إجماعاً نظراً إلى ترجيح الدليلين. وأما ما ليس فيه أمر ولا نهي عنه ﷺ في اليقظة فهل يلزم العمل به؟ قال القاضي عياض في أواخر مقدمة مسلم عن قول حمزة الزيات: إنه رأى النبي ﷺ في المنام، فعرض عليه ما سمعه من أبان ـ يعني: ابن عياش ـ فما عرف منه إلا شيئاً يسيراً، قال: وهذا ومثله استئناس واستظهار على ما تقرر من ضعف أبان لا أنه يقطع بأمر المنام ولا أنه تبطل بسببه سنة ثبتت ولا تثبت به سنة لم تثبت. وهذا بإجماع العلماء. انتهى كلامه. قال أبوزكريا النووي: وكذا قال غيره من أصحابنا فنقلوا الاتفاق على أنه لا يغير بسبب ما يراه النائم ما تقرر في الشرع، ولا يخالف هذا قوله ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني**»، فإن معنى الحديث أن رؤياه صحيحة وليست من أضغاث الأحلام وتلبيس الشيطان، ولكن لا يجوز إثبات حكم شرعي بها؛ لأن حالة النوم ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل شهادته وروايته أن يكون متيقظاً لا مغفلاً ولا سيء الحفظ ولا كثير الخطأ ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة فلم تقبل روايته لاختلال ضبطه، أما إذا رأى النبي ﷺ يأمره بفعل مندوب إليه أو ينهاه عن منهي عنه أو يرشده إلى فعل مصلحة فلا خلاف في استحباب العمل على وفقه؛ لأن ذلك ليس حكماً بمجرد المنام، بل

---

(١) طبعة مطبعة المنار بمصر.

بما تقرر من أصل ذلك الشيء. انتهى كلامه. وهذا كله معنى كلام الشيخ تقي الدين بن تيمية) ا.هـ كلام ابن مفلح.

وقال الحافظ العراقي في كتابه [الباعث على الخلاص من حوادث القصاص] في كلامه على دعاوى المتصوفة المنحرفة: (يدعي بعضهم أن النبي ﷺ أذن له أن يتكلم على الناس ويجزم بأنه حق، والنبي ﷺ لا يأمر بما نهى هو عنه، ويعلم بهذا أن هذه المرئيات ليست بحق والرائي ليس من أهل التكليف في حال نومه، ومثل هذا شبيه بما بلغنا عن القاضي الحسين من كبار الشافعية أنه أتاه سائل، فقال له: رأيت النبي ﷺ ليلة الثلاثين من شعبان، وقال: غداً من رمضان ولم يكن الهلال رئي، فقال له القاضي الحسين: إن النبي ﷺ قال في اليقظة: «**لا تصوموا حتى تروا الهلال**»، فلا نصوم حتى نراه. وكثير من الناس يغتر بالمنامات، وإنما قال النبي ﷺ: «**لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له**» رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة. فإذا كانت الرؤيا مخالفة لما أمر به أو نهى عنه أو لما كان معهوداً في زمانه استدللنا بذلك على أن الرؤيا فيها اختلال وأنها تخيل، قال الإمام أبوعبدالله المازري: إنه لو رآه يأمر بقتل من يحرم قتله، كان هذا من الصفات المتخيلة لا المرئية. انتهى، وأيضاً فلابد من اشتراط كون الرائي له من أهل الدين والعدالة ليميز بين الحق والباطل، فلو كان غير ثقة أو مجهول الحال لم نثق بقوله، فإنه لو روى حديثاً في اليقظة من غير نوم لا يقبل قوله في هذه الحالة فكيف يقبل مع عدم الثقة به؟! وانضم إلى ذلك أنه ليس من أهل التكليف في حالة نومه فلا يجب حينئذٍ عليه ما ادعى أنه أمره

به ولا يحرم عليه ما أحل له، لكن إذا وافق ذلك شريعته المقررة فيستحب حينئذٍ الإتيان بما أمره به والانتهاء عما نهاه عنه إن كان منهياً عنه في شريعته والاعتماد على كونه مشروعاً، ويتأكد ذلك بالرؤيا إذا كانت من أهل الصدق والأمانة والتقوى والخوف من الله تعالى وإلا فقد كذب جماعة من الضعفاء عليه في أحاديث موضوعة، واعترف بعضهم بوضعها وهو أشد من الكذب عليه في المنام؛ لأن الكذب عليه في اليقظة مختلف في الكفر به.

فذهب الشيخ أبومحمد الجويني ـ والد إمام الحرمين ـ إلى التكفير به؛ لقوله ﷺ: «**إن كذباً علي ليس ككذب على أحد، فمن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**» اتفق على إخراجه البخاري ومسلم. ولو قال قائل بعموم الحديث في الكذب عليه ولو في المنام لم يكن بعيداً وربما ظن الذي يزعم أنه رأى ذلك أن فيه تقوية لاعتقاد المريدين فيستحسنه فيكون مستحلاً له فيقع في الكفر، وقد تعرض لذلك الإمام العلامة أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي في تفسيره المسمى بـ [البحر المحيط] في سورة الأعراف، فقال: (وقد ظهر في هذا الزمان العجيب ناس يتسمون بالمشايخ، يلبسون ثياب شهرة يتظاهرون عند العامة بالصلاح، ويتركون الاكتساب، ويرتبون لهم أذكاراً لم ترد في الشريعة، يجهرون بها في المساجد، ويجمعون لهم خداماً يجلبون الناس إليهم لاستخدامهم ونتش أموالهم، ويذيعون عنهم كرامات، ويرون لهم منامات يدونونها في أسفار، ويحضون على ترك العلم والاشتغال بالسنة، ويرون أن الوصول إلى الله تعالى بأمور يقررونها من خلوات وأذكار، لم يأت بها كتاب منزل ولا نبي مرسل،

ويتعاظمون على الناس بالانفراد على سجادة ونصب أيديهم للتقبيل وقلة الكلام وإطراق الرأس وتعيين خادم يقول: الشيخ مشغول في الخلوة، رسم الشيخ، قال الشيخ، رأى الشيخ، الشيخ نظر إليك. الشيخ كان البارحة يذكرك، إلى نحو هذا اللفظ الذي يخشون به على العامة ويجلبون به عقول الجهلة. هذا إن سلم الشيخ وخدامه من الاعتقاد الذي غلب الآن على متصوفة هذا الزمان من القول بالحلول أو القول بالوحدة فإذ ذاك يكون منسلخاً عن شريعة الإسلام بالكلية، قال: والعجب لمثل هؤلاء كيف ترتب لهم الرواتب وتبنى لهم الربط وتوقف عليهم الأوقاف ويخدمهم الناس مع عروهم عن سائر الفضائل؟ ولكن الناس أقرب إلى أشباههم منهم إلى غير أشباههم، قال: وقد أطلنا في هذا رجاء أن يقف عليه مسلم فينتفع به.

وقال أيضاً في تفسيره في سورة (الأنعام): لقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادعاء علم المغيبات والاطلاع على علم عواقب أتباعهم وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم بذلك، يذكرون ذلك على المنابر ولا ينكره عليهم أحد. هذا مع خلوهم عن جميع العلوم يدعون علم الغيب، وقد كثرت بديار مصر هذه الخرافات وقام بها ناس صبيان العقول يسمون بالشيوخ، ثم أنشد خمسة أبيات من قصيدة له وهي:

عجزوا عن مدارك العقل والنقـ ـل وأعياهم طلاب العلوم
فارتموا يدعون أمراً عظيماً لم يكن للخليل لا والكليم
بينما المرء منهم في انسفال أبصر اللوح ما به من رقوم
فجنى العلم منه غضاً طرياً ودرى ما يكون قبل الهجوم
إن عقلي لفي عقال إذا ما أنا صدقت بافتراء عظيم

انتهى كلام الحافظ العراقي في [الباعث على الخلاص من حوادث القصاص].

وقال الحافظ أبوزرعة العراقي في [طرح التثريب في شرح التقريب] (ج٨ ص٢١٥) في شرح حديث: (رؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) ما نصه: (لو أخبر صادق عن النبي ﷺ في النوم بحكم شرعي مخالف لما تقرر في الشريعة لم نعتمده، وذكر بعضهم أن سبب ذلك نقص الرائي لعدم ضبطه، وقد حكي عن القاضي حسين أن شخصاً قال له ليلة شك: رأيت النبي ﷺ وقال لي: صم غداً أو نحو ذلك، فقال له القاضي: قد قال لنا في اليقظة لا تصوموا غداً فنحن نعتمد ذلك أو ما هذا معناه، وحكى القاضي عياض الإجماع على عدم اعتماد المنام في ذلك، وقال شيخنا الإمام جمال الدين عبدالرحيم الأسنوي: ورأيت في مجموع عتيق منسوب لابن الصلاح عن كتاب [آداب الجدل] للأستاذ أبي إسحاق الإسفراييني حكاية وجهين في وجوب امتثال الأوامر المحكية عنه - أي عن النبي ﷺ - في المنام قلت - القائل أبوزرعة العراقي -: ولا شك في أن محلهما ما لم يخالف شرعاً مقرراً) أي: إذا خالف شرعاً مقرراً يرفض بلا خلاف.

وقال السخاوي في [فتح المغيث شرح ألفية العراقي في مصطلح الحديث] (ج٣ ص٨٩) في تعريف الصحبة ما نصه: (لا يدخل - أي في الصحبة - من رآه في المنام - أي فلا يعتبر صحابياً -، كما جزم به

البلقيني، ثم شيخنا، وإن كان قد رآه حقاً فذلك فيما يرجع إلى الأمور المعنوية لا الأحكام الدنيوية، حتى لا يجب عليه أن يعمل بما أمره به في تلك الحالة).

وقال الشيخ ملا علي قاري في الجزء الخامس من [مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح] (ص١٨٤) ما نصه: (لا يخفى أن مبنى الاعتقاد لا يكون إلا على الأدلة اليقينية)، قال: (ولهذا لم يعتبر أحد من الفقهاء جواز العمل في الفروع الفقهية بما يظهر للصوفية من الأمور الكشفية أو من الحالات المنامية ولو كانت منسوبة إلى الحضرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأكمل التحية).

وأما الاستدلال للاحتفال بالمولد النبوي بأن السيوطي نقل عن الكمال الأدفوي أنه قال في [الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد]: (حكى لنا صاحبنا العدل ناصر الدين محمود بن العماد أن أبا الطيب محمد بن إبراهيم السبتي المالكي نزيل قوص كان يجوز بالمكتب في اليوم الذي ولد فيه النبي ﷺ فيقول: يا فقيه، هذا يوم سرور اصرف الصبيان فيصرفنا. ثم قال: أبوالطيب فقيه مالكي متورع أخذ عنه أبوحيان وغيره.

فالجواب عنه بأمور: يتعلق بعضها بذلك المرجع [الطالع السعيد] وبعضها بالاحتجاج بكون السبتي شيخ أبي حيان، وبعضها بكلام السبتي الذي استدل به السيوطي ومن حذا حذوه في الدعوة إلى الاحتفال بالمولد، وبعضها بإيراد السيوطي تلك القصة في [حسن المقصد في عمل المولد] هل يقتضي قبولها أم لا؟ وبعضها بتصرف

السيوطي في [الطالع السعيد].

فأقول وبالله التوفيق:

أما [الطالع السعيد] فقد انحرف فيه مؤلفه الأدفوي انحرافاً يوجب عدم الاعتماد عليه وذلك في أمور نذكر منها ما يلي:

١ ـ قال في ترجمة إبراهيم بن علي الأندلسي ثم القنائي بعد أن وصفه بأنه من المشهورين بالكرامات والمكاشفات، قال فيه وفي زوجته (ص٦٠): (يقال: إنه جرب من وقف بين قبريهما ودعا وسأل حاجة تقضى).

٢ ـ قال في ترجمة جبريل بن عبدالرحمن الأقصري بعد أن وصفه بأنه مشهور بالكرامات معروف بالمكاشفات، قال (ص١٧٧): حكى لي بعض العدول بالأُقصر أنه زار قبره فوجد عنده أوساخاً وقمامات، قال: فقلت: ما هذا يا سيدي؟ ما ينبغي أن يكون ذلك عند قبرك؟ ثم عدت إلى زيارته ثاني يوم فوجدت المكان مكنوساً مرشوشاً نظيفاً، وذكر لي جماعة أن الشيخ أبا الحجاج كان يكثر زيارة قبره ويدعو عنده، ثم قال الأدفوي: زرت قبره ووجدت عنده انشراحاً)!

٣ ـ قال في ترجمة عبدالرحيم بن أحمد بن حجون القنائي (ص٢٩٩، ٣٠٠): حكى لي الشيخ الصالح الفاضل الثقة العدل ضياء الدين منتصر بن الحسن خطيب أدفو عن الشيخ العالم العارف كمال الدين علي بن محمد بن عبد الظاهر نزيل أخميم، وحكى لي أيضاً ابنه الشيخ العارف أبوالعباس بن الشيخ كمال الدين المشار إليه أنهما سمعا الشيخ كمال الدين يقول: زرت جبانة قنا وجلست عند سيدي الشيخ

عبدالرحيم، وإذا يد خرجت لي من قبره وصافحتني، قال: وقال لي: يا بني، لا تعص الله طرفة عين فإني في أعلى عليين، وأنا أقول: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله. وأهل بلاده متفقون على تجربة الدعاء عند قبره يوم الأربعاء يمشي الإنسان حافياً مكشوف الرأس وقت الظهر ويدعو بالدعاء الذي سنذكره ويدَّعون أنه ما حصلت لإنسان ضائقة وفعل ذلك إلا وفرج الله عنه، وهم يروونه عن الشيخ أبي عبدالله القرشي، وقالوا: قال القرشي: من فعل ذلك ودعا ولم تقض حاجته فليسب القرشي، قال: يصلي ركعتين ويقرأ شيئاً من القرآن، ويقول: اللهم إني أتوسل إليك بجاه نبيك محمد ﷺ، وبأبينا آدم وأمنا حواء، وما بينهما من الأنبياء والمرسلين، وبعبدك عبد الرحيم اقض حاجتي، ويذكر حاجته[1]، حكى لي الشيخ محمد بن حسن القزويني المحتد قال: كان بقوص وال يقال له: الزرد كاش، فحمل على ابني فضربه فجئت إلى أمه بنت أخي الشيخ أبي عبدالله الأسواني، فأخبرتها، فتألمت كثيراً، فذكرت لها هذا الدعاء، فتوجهت إلى قنا وفعلت ذلك، فلم يقم الوالي إلا أياماً يسيرة وتوفي. وجماعة كثيرة يذكرون مثل ذلك حتى حكى لي بعض الفقهاء الحكام وكانت به حمى الربع وقلق منها أنه توجه إلى قنا وطلع إلى الجبانة، وفعل ما ذكره، وأن الحمى أقلعت

---

(١) تسليم الأدفوي أن قضاء حاجة الداعي بذلك الدعاء كان نتيجة توسله بعبدالرحيم دون غيره ممن جاء في ذلك الدعاء التوسل بهم من الأنبياء والمرسلين من آدم إلى خاتم الأنبياء يقتضي أن التوسل بعبدالرحيم بن أحمد بن حجون القنائي عنده أرفع من التوسل بجميع الأنبياء والمرسلين، وذلك غلو مضاف إلى جهله بأن الوضع الذي ورد به التوسل في ذلك الدعاء غير مشروع.

عنه، وله ولأمثاله من العارفين أحوال تتلقى بالقبول والتسليم وفوق كل ذي علم عليم)، قال الأدفوي: ومما نظمته وقد جرى بيني وبين شخص محاورة في ذلك فقلت:

ألا إن أرباب المعارف سادة ... سرائرهم لله في طيها نشر
هم القوم حازوا ما يَعِزُّ وجودُه ... وجازوا بحاراً دونها وقف الفكر
أطاعوا إله العرش سراً وجهرة ... فمكنهم حتى غدا لهم الأمر
فهم في الثرى غيث الورى معدن القرى ... وهم في سماء المجد أنجمها الزهر
فطف بحماهم واسع بين خيامهم ... ولا تستمع ما قال زيد ولا عمرو
إذا طفت بين الحي تحمى وتتقى ... بأسياف عزم دونها البيض والسمر
ومن يعترض يوماً عليهم فإنه ... يعود ومن نيل المنى كفه صفر

ثم قال الأدفوي: وإذا وقعت العناية وثبتت الولاية وصحت الرواية ونازع منازع بعد ذلك في أمر أجازه العقل ولم يمنعه الشرع كان النزاع غواية، فنسأل الله التوفيق والهداية)، واستمر الأدفوي إلى أن قال: (وكانت وفاته بقنا وقبره بجبانتها يزار، ولا يكاد يخلو من زائر قاصد أو عابر تقصده العباد من أقصى البلاد، وتأتي إليه الخلائق من كل فج وواد، وتزدحم الناس في الدفن عنده ليستمنحوا رفده، حتى أن القاضي الرضى بن أبي المنى أعطى جملة على ذلك قيل: ألف دينار، ولكل امريء ما نوى، زرته مرات كثيرة ولله الحمد والمنة، وعلى تلك الجبانة نور وبهجة يدركان بالبصر، وفيها روح يعرف بالفكر والنظر).

٤ ـ قال الأدفوي في ترجمة علي بن حميد بن الصباغ القوصي

(ص٣٨٦، ٣٨٧) دفن بقنا تحت رجلي شيخه سيدي عبدالرحيم القناوي، زرته مرات كثيرة، ودعوت عنده بدعوات وطلبت حاجات فقضيت، والحمد لله على نعمه.

٥ ـ قال في ترجمة أبي بكر محمد بن علي بن أحمد بن محمد الأدفوي (ص٥٥٤، ٥٥٥): كان أبوبكر من العلماء الصالحين ممن تعتقد بركته ويزار قبره، ويقال: إن الدعاء عنده مستجاب، رأيت شيخنا تقي الدين محمد بن أحمد المقريء ـ الشهير بالصائغ ـ مرة وعنده ألم وفكرة، ثم إنه ركب دابة وتوجه، ثم اجتمعت به بعد في بقية النهار فرأيته منشرحاً، وقال لي: ركبت الدابة وقصدت القرافة للزيارة والدعاء وتركت الدابة تمشي ولا أتعرض لها، فقلت: في أي موضع وقفت الدابة دعوت، فلم تزل ماشية إلى قبر أبي بكر الأدفوي فوقفت، فدعوت ورجعت، وحصل عندي سرور، ثم اجتمعت به بعد ذلك بيوم، وقال لي: قضيت الحاجة).

٦ ـ قال في ترجمة مفرج بن موفق الدماميني (ص٦٥٦): (قبره يزار، زرته مرات، ودعوت عنده ورجوت بركته).

٧ ـ قال في ترجمة يوسف بن عبدالرحيم الأقصري (ص٧٢٤): (له قبر مشهور بالأقصر يزار، وإن بعد على الزائر المزار، ويرجى أن تحط عنه الأوزار، زرته غير مرة، وعدت إليه كرة بعد كرة، نفع الله به).

فقد خالف ما ذكره الأدفوي في تراجم هؤلاء الأشخاص هدي النبي ﷺ في زيارة القبور، فإن هديه في زيارتها أن يقول الزائر ويفعل عند زيارتها ـ أي القبور ـ من جنس ما يقوله عند الصلاة على الميت

من الدعاء والترحم والاستغفار، كما بينه ابن القيم في [زاد المعاد في هدي خير العباد]، وأتبعه قوله: (وأبى المشركون إلا دعاء الميت والإشراك به والإقسام على الله به وسؤاله الحوائج والاستعانة به والتوجه بعكس هديه ﷺ، فإنه هدي توحيد وإحسان إلى الميت. وهدي هؤلاء شرك وإساءة إلى نفوسهم وإلى الميت، وهم ثلاثة أقسام: إما أن يدعو الميت، أو يدعو به، أو عنده، ويرون الدعاء عنده أوجب وأولى من الدعاء في المساجد. ومن تأمل هدي رسول الله ﷺ وأصحابه تبين له الفرق بين الأمرين، وبالله التوفيق).

ولم يقتصر صاحب [الطالع السعيد] على هذا النوع من الغلو المتمثل في التعلق بقبور أولياء كتابه، بل أضاف إليه دعوى أن بعضهم يتصرف في الكون، ودعوى أن بعضهم يعلم الغيب، ودعوى اجتماع بعضهم بالنبي ﷺ يقظة.

فقد قال في ترجمة علي بن حميد بن الصباغ القوصي (ص٣٨٤) ما نصه: (الاتفاق على أنه القطب الذي عليه المعارف في زمنه تدور، وأنه له تصرف وتمكن، وتضلع في المكارم وتيقن، والذي اختص في زمنه بهذه الطرائق، ودارت عليه الحقائق، وانتفع ببركته الخلائق)[1].

وقال في ترجمة كمال الدين علي بن محمد بن جعفر القوصي

---

(١) ومن غرائب صاحب [الطالع السعيد] روايته في ترجمة هذا الشيخ (ص٣٨٥) عن أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عبدالرحمن المراغي، عن الشيخ أبي الحسن بن الصباغ ـ أنه أعني علي بن حميد الصباغ ـ سئل عن التوحيد، فقال: (إثبات الذات بنفي الجهة! وإثبات الصفات بنفي التشبيه).

(ص٣٩٥): (حكى لي صاحبنا جمال الدين محمد بن علي بن معلى أحد الأكابر العدول بقوص قال: حضرنا في إخميم في شهر رمضان في العشر الأخير من الشهر ليلة عند الشيخ كمال الدين ونحن جمع كثير، وفينا شرف الدين بن والي الليل، فقرأ شخص بحضرة الشيخ كمال الدين ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾[1] فقال الشيخ: أنا قلت: إن الله قد غفر لكم أجمعين، قال جمال الدين: فقلت في نفسي: وشرف الدين بن والي الليل قد غفر له ـ فالتفت الشيخ إليَّ وقال: الرحمة إذا جاءت جاءت كالسيل لا تبقي حجراً ولا مدراً ولا قذراً).

وقال في ترجمة كمال الدين المذكور (ص٣٩٥، ٣٩٦): (حكى شيخنا الفقيه العالم تاج الدين محمد بن الشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي قال: كنت عند الشيخ بإخميم، وكنت يوماً في خلوة وعندي بعض ضعف أجده في نفسي والشيخ كمال الدين يتكلم في الميعاد، فقلت: إن كان هذا الشيخ رجلاً صالحاً يرسل إلي الساعة قطعة سكر ونارنجة من هذه الشجرة، وإذا بابنه الشيخ أبي العباس أحمد أحضر إلي زبدية وفيها سكر ومعها نارنجة، فسألته عن ذلك فقال: نحن في الميعاد والشيخ أسر إلي أن آخذ سكراً وآخذ من هذه الشجرة نارنجة وأحضر ذلك إليك. وحكى القاضي الفقيه العالم سراج الدين يونس بن عبدالمجيد الأرمنتي قاضي قوص، قال: لما وليت إخميم اجتمعت بالشيخ كمال الدين، فأعطاني تفاحة، فقلت: يا سيدي، كأني ما

---

(١) سورة الزمر، الآية ٥٣.

أعجبتك، فإن هذه إشارة إلى سنة، فتبسم وأعطاني أربع تفاحات، فأقمت بإخميم أربع سنين، قال: ولما كان في عيد الأضحى أثبت ناصر الدين القاسم رؤية هلال ذي الحجة، فقصدوا أن يعيدوا، فأرسل الوالي إلي، فقلت: نجتمع عند الشيخ، فاجتمعنا وتحدثنا في أن نعيد على حكم الثبوت، فتحدثنا مع الشيخ في ذلك، فسكت ساعة ثم قال: ما يعيد غداً أحد في بلد ولا قرية، ثم قال: وأكشف لكم عرفة، والله ما وقف أحد فبطل العيد، ثم بعد ذلك سئل من يرد من البلاد، فكان كما قال الشيخ، وجاء الحجاج ووافقوا على ما قال. وقال لي الشيخ أبوالعباس ابنه زيادة على ما حكاه الشيخ سراج الدين: سألت أبي: كيف قال ذلك؟ قال: يابني، الضرورات تبيح المحظورات، لا شك أن أهل المعاصي يتوقون عشر ذي الحجة، فإذا عيدوا أخذ بعضهم في المعاصي، وقد اتفق بإخميم أن شخصاً زنى بامرأة يوم عرفة فالتصقا وأخرجا ملتصقين وماتا وعمل بذلك محضر عند الحاكم، فبهذا السبب أظهرت هذا الحال.

وقال في ترجمة الشيخ علي بن وهب بن دقيق العيد القشيري (ص٤٣٥): (كان من الأولياء، حكى تلميذه البرهان المالكي أنه توجه في خدمته إلى الأقصر لزيارة الشيخ أبي الحجاج فقدموا وقت المساء فقال الشيخ: ما نقدم على الفقراء عشاء فنزلوا في مكان، فلما كان بعد ليل طرق الباب فخرجوا فوجدوه الشيخ أبا الحجاج، فقال: رأيت النبي ﷺ، فقال: الفقيه أبوالحسن قدم قم فسلم عليه، وقد حكاها الشيخ عبدالغفار في كتابه)، وقال في ترجمة محمد بن يحيى الصفي أبي عبدالله الأسواني (ص٦٤٠) ما نصه: (كان من أصحاب أبي

يحيى بن شافع، وكان يدعي أنه يرى النبي ﷺ ويجتمع به) ا.هـ.

هذه دعاوى أخر يدعيها أولياء كتاب الأدفوي أنفسهم، ويتقبلها منهم الأدفوي من دون عرضها على الكتاب والسنة، ولو اتبع الأدفوي ما في تفسير شيخه أبي حيان [البحر المحيط] من ردود على غلاة المتصوفة الذين يدعون تلك الدعاوى معتمداً في تلك الردود على كتاب الله تعالى لما نشر تلك الدعاوى ولا قبلها، ولكن التوفيق بيد الله عزوجل.

وأما كون أبي الطيب السبتي شيخ أبي حيان فلا يوجب اعتبار ما ليس بصواب من كلامه، بل لا يوجب اعتبار ذلك الشيخ نفسه إذ كم من شيخ لمن هو أعلم من أبي حيان وأجل منه غير معتبر، كما لا يخفى على من له أدنى صلة بكتب الجرح والتعديل، بل إن سبب خروج أبي حيان من الأندلس عدم رضاه عن علي بن الطباع أحد مشايخه ـ يقول المقري في ترجمته من [نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب] (ج٢ ص٥٨٣، ٥٨٤) في بيان ذلك ما نصه: (أفاد غير واحد أن سبب رحلة الشيخ أبي حيان من الأندلس أنه نشأ شر بينه وبين شيخه أحمد بن علي بن الطباع فألف أبوحيان كتاباً سماه: [الإلماع في إفساد إجازة ابن الطباع]، فرفع ابن الطباع أمره للأمير محمد بن نصر المدعو بالفقيه، وكان أبوحيان كثير الاعتراض عليه أيام قراءته عليه فنشأ شر عن ذلك) قال: (وخرج أبوحيان من الأندلس سنة تسع وسبعين وستمائة).

وأما قول أبي الطيب السبتي حينما يجوز بالمكتب في اليوم الذي

يقال بأنه يوافق يوم المولد النبوي: يا فقيه، هذا يوم سرور اصرف الصبيان فإنما بناه على اعتباره ذلك اليوم يوم عيد وهو اعتبار مصادم للأدلة، كما بينه الإمامان: ابن تيمية، والشاطبي، جزاهما الله عن سنة نبينا ﷺ خير الجزاء.

وأما إيراد السيوطي في [حسن المقصد في عمل المولد] قصة أبي الطيب السبتي فلا يوجب قبولها، فإنه يورد في مؤلفاته أموراً لا يسع طالب الحق سوى رفضها؛ لمخالفتها النصوص.

من ضمنها ما يلي:

١ ـ قوله في الجزء الثاني من [حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة] (ص١٤) بعد أن نقل عن ابن الجوزي: أن الحاكم العبيدي وصل به ظلمه إلى أن يدعي الربوبية فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون: يا واحد يا أحد يا محيي يا مميت، قال بعد أن ذكر ذلك ما نصه: (قلت: كان في عصرنا أمير يقال له: ازدمر الطويل، اعتقاده قريب من اعتقاد الحاكم هذا، وكان يروم أن يتولى المملكة، فلو قدر الله ذلك فعل نحو ما فعله الحاكم، وقد أطلعني على ما في ضميره وطلب مني أن أكون معه على هذا الاعتقاد في الباطن إلى أن يؤول إلى السلطنة، فيقوم في الخلق بالسيف حتى يوافقوه على اعتقاده، فضقت بذلك ذرعاً ومازلت أتضرع إلى الله تعالى في هلاكه، وأن لا يوليه على المسلمين، وأستغيث بالنبي ﷺ وأسأل فيه أرباب الأحوال حتى قتله الله، فلله الحمد على ذلك.

٢ ـ أنه ذكر في ذلك الجزء من [حسن المحاضرة في أخبار مصر

والقاهرة] (ص١٠١) ما جرى بين القاضي تقي الدين عبدالرحمن بن القاضي تاج الدين بن بنت الأعز وبين وزير الملك الأشرف ابن السلعوس حتى عزل عن القضاء وتولى القضاء بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة وذلك في رمضان سنة تسعين وستمائة ذكر السيوطي ذلك، ثم قال: (فتوجه القاضي تقي الدين إلى الحجاز، ومدح النبي ﷺ بقصيدة، وكشف رأسه، ووقف بين يدي الحجرة الشريفة، واستغاث بالنبي ﷺ، وأقسم عليه أن لا يصل إلى وطنه إلا وقد عاد إلى منصبه، فلم يصل إلى القاهرة إلا والسلطان الأشرف قد قتل، وكذلك وزيره، فأعيد إلى القضاء ووصل إليه الخبر بالعود قبل وصوله إلى القاهرة، وذلك في أول سنة ثلاث وتسعين، فأقام في القضاء إلى أن مات في جمادى الأولى سنة خمس وتسعين.

٣ ـ قوله في رسالته [تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك][1]، وهي من محتويات المجلد الثاني من [الحاوي للفتاوي] (ص٢٦١) ما نصه: (في كتاب [مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام] للإمام شمس الدين محمد بن موسى بن النعمان قال: سمعت

---

(١) سبب تأليف السيوطي لهذه الرسالة ما ذكره الشيخ نجم الدين الغزي في الجزء الأول من [الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة] (ص٢٢٨، ٢٢٩) طبعة دار الآفاق البيروتية حيث قال: (ذكر الشيخ عبد القادر الشاذلي في كتاب ترجمته ـ أي السيوطي ـ أنه ـ أي السيوطي ـ كان يقول: رأيت النبي ﷺ يقظة، فقال لي: يا شيخ الحديث، فقلت له: يا رسول الله، أمن أهل الجنة أنا؟ قال: نعم، فقلت: من غير عذاب يسبق، فقال ﷺ: لك ذلك، وألف في ذلك كتابه [تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك].

يوسف بن علي الزناني يحكي عن امرأة هاشمية كانت مجاورة بالمدينة وكان بعض الخدام يؤذيها، قالت: فاستغثت بالنبي ﷺ، فسمعت قائلاً من الروضة يقول: أمالك فيَّ أسوة فاصبري كما صبرت، أو نحو هذا، قالت: فزال عني ما كنت فيه، ومات الخدام الثلاثة الذين كانوا يؤذونني) ا.هـ، ومن الواضح كون هذه الحكايات التي يذكرها السيوطي في الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى مخالفة غاية المخالفة لنصوص كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ، وأكثر اعتماد المنحرفين في ذلك على محمد بن النعمان صاحب كتاب [المستغيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام] الذي جاء في كتاب [تلخيص كتاب الاستغاثة] المعروف بـ: [الرد على البكري] فيه وفي أمثاله (ج١ ص٢٥١) ما نصه: (ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بأقوالهم في شرائع الإسلام ومعرفة الحلال والحرام، وليس معهم دليل شرعي ولا نقل عن عالم مرضي، بل عادة جروا عليها)، وجاء فيه في (ص٢٩٥) من نفس الجزء بصدد كلامه على المنحرفين في شأن القبور ما نصه: (وطائفة صنفوا كتباً وسموها مناسك حج المشاهد، كما صنف أبوعبدالله محمد بن النعمان الملقب بالمفيد أحد شيوخ الإمامية كتاباً في ذلك وذكر فيه من الحكايات المكذوبة على أهل البيت ما لا يخفى كذبه على من له معرفة بالنقل، وآخرون يسافرون إلى قبور المشايخ وإن لم يسموا ذلك منسكاً وحجاً فالمعنى واحد، فمن هؤلاء من يقول: وحق النبي الذي تحج إليه المطايا فيجعل الحج إلى النبي لا إلى بيت الله عزوجل، وكثير من هؤلاء أعظم قصده من الحج قصد قبر النبي ﷺ لا حج البيت) ا.هـ.

ولسوء تصرف السيوطي في مؤلفاته أمثلة كثيرة غير تلك التي ذكرنا وقد حمله ظهور بعض ذلك له في بعض مؤلفاته على غسله والرجوع عنه، كما صرح به في [حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة] ونص عبارته التي تدل على ذلك: (بلغت مؤلفاتي إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه. هذا ما قاله، ويحتاج الكثير مما بقي إلى نفس ذلك العمل بما في ذلك تأليفه في المولد الذي سماه [حسن المقصد في عمل المولد] الذي أساء التصرف فيه في أمور كثيرة منها: أنه قال في كلامه على المولد (ص١٩٣): (قد تكلم الإمام أبوعبدالله بن الحاج في كتابه [المدخل] على عمل المولد فأتقن الكلام فيه جداً، وحاصله مدح ما كان فيه من إظهار شعار وشكر وذم ما احتوى عليه من محرمات ومنكرات)، وذكر قوله في [عمل المولد] إذا خلا من السماع وعمل طعاماً فقط ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره ـ أي من المحرمات والمنكرات ـ هو بدعة بنفس نيته فقط؛ لأن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أولى، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ونحن تبع فيسعنا ما وسعهم. ثم بعد ذلك كله أتى بما يدل على أنه لا يدري هل كلام ابن الحاج معه أو عليه؟ ونص ما أتى به: (وحاصل ما ذكره أنه لم يذم المولد، بل ذم ما يحتوي عليه من المحرمات والمنكرات. وأول كلامه صريح في أنه ينبغي أن يخص هذا الشهر بزيادة فعل البر وكثرة الخيرات والصدقات وغير ذلك من وجوه القربات، وهذا هو عمل المولد الذي استحسناه فإنه ليس فيه شيء سوى قراءة القرآن وإطعام الطعام، وذلك خير وبر وقربة. وأما

قوله آخراً: إنه بدعة، فإما أن يكون مناقضاً لما تقدم، أو يحمل على أنه بدعة حسنة، كما تقدم تقريره في صدر الكتاب أو يحمل على أن فعل ذلك خير والبدعة منه نية المولد، كما أشار إليه بقوله: (فهو بدعة بنفس نيته فقط)، وبقوله: (ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد) فظاهر هذا الكلام أنه كره أن ينوي به المولد فقط ولم يكره عمل الطعام ودعاء الإخوان إليه، وهذا إذا حقق النظر لا يجتمع مع أول كلامه؛ لأنه حث فيه على زيادة فعل البر وما ذكر معه على وجه الشكر لله تعالى إذ أوجد في هذا الشهر الشريف سيد المرسلين ﷺ، وهذا هو معنى نية المولد، فكيف يذم هذا القدر مع الحث عليه أولاً؟! وأما مجرد فعل البر وما ذكر معه من غير نية أصلاً فإنه لا يكاد يتصور، ولو تصور لم يكن عبادة، ولا ثواب فيه إذ لا عمل إلا بنية، ولا نية هنا إلا الشكر لله تعالى على ولادة هذا النبي الكريم في هذا الشهر الشريف، وهذا معنى نية المولد فهي نية مستحسنة بلا شك فتأمل) ا.هـ كلام السيوطي، ومنه يظهر أن لا وجه لاستدلاله لعمل المولد بكلام ابن الحاج مادام لا يعرف مراده به.

وأما صنيع السيوطي في كتاب [الطالع السعيد الجامع لأسماء نجباء الصعيد]، فهو أنه يقبل منه ما يوافق اتجاهه ويرفض ما لا يوافقه مهما بلغ من القوة، يتبين ذلك من صنيعه في [المنجلي في تطور الولي] حيث قال في تلك الرسالة وهي من محتويات الجزء الأول من [الحاوي للفتاوي] في (ص٢١٩): (قال الشيخ تاج الدين السبكي في [الطبقات الكبرى] في ترجمة أبي العباس الملثم: كان من أصحاب الكرامات والأحوال ومن أخص الناس بصحبته تلميذه الشيخ الصالح

عبدالغفار بن نوح صاحب كتاب [الوحيد في علم التوحيد]، وقد حكى في كتابه كثيراً من كراماته، من ذلك قال: كنا عنده يوم الجمعة فاشتغلنا بالحديث، وكان حديثه يلذ للمسامع، فبينما نحن في الحديث والغلام يتوضأ، فقال له الشيخ: إلى أين يا مبارك؟ فقال: إلى الجامع، فقال: وحياتي صليت، فخرج الغلام وجاء فوجد الناس قد خرجوا من الجامع، قال عبدالغفار: فخرجت فسألت الناس، فقالوا: كان الشيخ أبوالعباس في الجامع والناس تسلم عليه فرجعت إليه فسألته، فقال: أنا أعطيت التبدل) ساق السيوطي في تلك الرسالة هذه القصة مستدلاً بها على أن الشخص الواحد يكون في الزمان الواحد في مكانين رغم اطلاعه في [الطالع السعيد] (ص١٣٢ ـ ١٣٦) على قول مؤلفه الأدفوي في هذه الحكاية ما نصه: (ذكرتها لغرابتها وكيف يعقل أن الشخص الواحد يكون في الزمان الواحد في مكانين يتكلم في هذا ويصلي في ذلك؟ وهذا مفرع على أن النفس تدبر جسدين، ولقد أحسن شيخنا العلامة أثير الدين أبوحيان حين يقول في قصيدة له:

إن عقلي لفي عقال إذا ما … أنا صدقت بافتراء عظيم

وقولي أنا في مقامتي اللبانية من سياقة كلام ذكرته فيها منه قولي:

فقل لمن قد هام في حبه … وكاد من قول له يصرع

دع عنك قولاً قاله واتئد … فالتيس من صدق ما يسمع

وحكى لي الشيخ الثقة أثير الدين المذكور قال: كان الشيخ كريم الدين شيخ الخانقاه عند قاضي القضاة الشيخ تقي الدين ابن دقيق

العيد، وخرج من عنده وقال: هذا الكريم مجنون، كان الساعة يبحث، ويقرر أنه يكون الشخص في مكان وجسده في مكان آخر ذا مجنون، وفي الطائفة الصوفية جماعة تثبت ما تنكره بداهة العقول، وتوجد ما تنفيه العادات التي يقضي باعتبار حكمها في شرع الرسول، والإيمان بها عندي بدعة وضلالة أفضى إليها فرط الجهالة، نعم لا ارتياب في حصول الكرامات لمن خصه الله بعنايته، ووفقه لطاعته، لكن الكرامة جنس تحته أنواع:

منها: ما نثبته إذا ثبت لنا بمشاهدة أو نقل من يعتمد عليه كإجابة دعوة وظهور بركة ونحوها.

ومنها: ما ننفيه كرؤية الباريء في الدنيا، وإن ثبت ذلك للنبي ﷺ، وقد صرح بتعزير من يدعي ذلك الإمامان أبومحمد بن عبدالسلام وأبوعمرو بن الصلاح، وسبقهما الإمام أبوالحسن الواحدي إلى إنكار ذلك، وإن كان الأستاذ القشيري حكى عن إمكانه أن فيه خلافاً عن الأشعري.

ومنها: ما نتوقف في إثباته، وفيه خلاف بين الأئمة، كإحياء الموتى، كما وقع للسيد المسيح وما أشبه ذلك مما وقع معجزة لنبي، وممن منع من وقوع ذلك الأستاذ أبوإسحاق الإسفراييني والله أعلم).

كما يتبين رفض السيوطي ما لا يوافق هواه في [الطالع السعيد] من عدم اعتباره في [المنجلي في تطور الولي] ما علق به الأدفوي على ما رواه في ترجمة مفرج بن موفق الدماميني بسنده عن موسى بن إسماعيل بن هارون الحفاظي الدماميني أنه قال: حدثنا والدي، قال:

خبزت والدتي كعكاً بدمامين وكنا يوم عرفة، وكان والدي مقيماً بمكة فأحبت والدتي أن يأكل والدي منه، فقالت للشيخ مفرج: لو أكل زوجي منه، فقال: اكتبي كتاباً إليه وهاتي الكعك فهنا من يتوجه، فكتبت كتاباً وجعلت الكعك في منديل، وناولته له فأخذه، وكان والدي يطوف بين المغرب والعشاء فناوله المنديل والكتاب ورجع فصلى الصبح بدمامين مع الجماعة، فلما رجع والدي أحضر المنديل) فقد علق الأدفوي في (٦٥٠، ٦٥١) على هذه القصة بقوله: (قلت: ولا شك في وقوع مثل ذلك عقلاً، ولا ورد من الشرع ما يمنع الوقوع ولكن اطردت العادة المستمرة والقاعدة المستقرة بعدم وقوع ذلك. والعوائد يقضى بها في حكم الشرع باتفاق أئمة الاجتهاد، وبنوا عليها أحكاماً كثيرة، وجعلوها ضابطاً يرجع إليه وحاكماً يعول عليه، حتى قال بعض الفقهاء: إذا قال الرجل لزوجته إن طرت أو صعدت السماء فأنت طالق طَلُقت في الحال لاستحالته عادة، ولا يتوقف على وجود المشروط، بل يحكم بالوقوع في الحال. وكذا لو تزوج امرأة بالمغرب وهو بالمشرق وأتت بولد لا يلحق به عند جماهير العلماء والفقهاء وإن كان النسب يلحق بالإمكان، والشرع متشوف إلى الإلحاق، ولا فرق بين من هو من أهل الكرامات أو لا، وألحقوا النسب بالاحتمالات المرجوحة الضعيفة، وكذلك قال أرباب الأصول: إنه يقطع بكذب الخبر إذا أثبته واحد بعد أن دونت الكتب وفتش فيها فلم يوجد، ومع جواز ذلك كله شرعاً وعقلاً فقطعوا بالكذب مع الاحتمال العقلي وعدم المانع الشرعي، وقد قال الإمام ابن الخطيب في [المحصل]: إن من الجائز العقلي ما يقطع بعدم وقوعه، فإنا نجوز عقلاً أن الله يخلق جبلاً

وبحراً من زئبق ومع هذا فنقطع بعدم الوقوع، وقد حكى صاحب [المحيط] من الحنفية وكذا صاحب [الذخيرة] أنه لو قال رجل: إنه كان يوم التروية بالبصرة وإنه وجد ذلك اليوم بمكة إن هذا القائل يكفر عند محمد بن يوسف أبي حنيفة الأصغر، وقال شمس الأئمة: لا يكفر، بل يجهل، وقال أصحابنا: لو قال لعبده: إن لم أحج في هذا العام فأنت حر وتنازعا وأقام العبد بينته أنه كان يوم النحر بالبصرة مثلاً عتق العبد، وقال بعض أصحابنا: إنه لو علق الطلاق بإحياء الموتى وقع الطلاق في الحال وإن لم يوقعه في مسألة التعليق بالصعود، وكل ذلك أن الأمور البعيدة لها حكم المعلوم فكلما كان أبعد وقوعاً كان أبعد قبولاً. وأيضاً فإن الله تعالى قال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾(١)، وسبحان تقع عند أهل العربية للتعجب وصيغة التعجب الواردة في القرآن يقصد بها المخاطبون بمعنى أنه أمر يتعجب منه، فأمر يتعجب منه بالنسبة إلى الرسول الكريم صاحب الآيات الباهرة، والمعجزات الظاهرة ﷺ لا نثبته بخبر واحد تروج عليه القضايا، فذلك عندي من الرزايا لا سيما من امرأة لا يدرى أنسيت أم حفظت أم توهمت أو اختلقت. والأمور البعيدة في العادة يتعجب من وقوعها ويتوقف في قبولها إلا إذا علم صدق المخبر، كما في القصص المذكورة بعد، وفي قصة زكريا عليه السلام من سؤاله كيف يوجد له ذرية بعد كبره وكبر زوجته بعد دعائه بذلك وإخبار الملائكة له عن الله تعالى بذلك مايشهد بأن الأمور التي

---

(١) سورة الإسراء، الآية ١.

تجري على خلاف العادة لا تسلم بمجرد دعواها ولا بمجرد الإخبار، وكذلك في قصة مريم وفي قصة امرأة إبراهيم ﷺ وتصريحها بأن هذا الشيء عجيب، والسؤال والتعجب من الجميع إنما هو لبعده عادة، وإلا فالقدرة الإلهية صالحة ولا يتعجب مما يفعله.

وذكر الأدفوي أن ظهور الكرامة على أيدي الصحابة أدعى إلى إيمان الكافرين وأقرب إلى وفاق المنافقين، قال: ومع ذلك فقد قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا﴾[1] الآية، قال: فلم تطو لهم الأرض حتى ساروا، ولا خفت أجسامهم حتى طاروا، وقصدهم الجهاد، وردع أهل الفساد وهم رؤوس الأولياء وصفوة الأصفياء، ولو وقع ذلك لقص علينا أنهم لما حزنوا وبكوا ساروا أو طاروا، ولكان في ذلك مسرة للنفوس، وزينة للطروس، وداعية للإيمان، وردع لبعض أهل العصيان. والله تعالى أعلم، والخير كله في اتباع شريعة محمد ﷺ)، واستمر الأدفوي إلى أن قال: (لا نثبت الكرامة باشتهارها واستفاضتها عند الفقراء فإن الكذب فيها كثير، وكثير منهم جاهل بشروط صحة النقل وتحرير الأمر، وكثير منهم مغفل يروي ما يسمعه ويحسن الظن بناقله. وقال الإمام الحافظ يحيى بن سعيد القطان: إذا رأيت في السند رجلاً صالحاً فانفض يدك منه فإني لم أر أكذب من الصالحين في الحديث) ثم إن أكثرها مرسلة وبعضها يبنى على التوهم، فإذا سلمت من ذلك ورواها لنا عدل متيقظ ضابط يروي عن مشاهدة

(١) سورة التوبة، الآية ٩٢.

أو عن خبر من يقبل ممن وصفته ويسند ذلك إلى مشاهدة الناقل قبلنا ذلك، كما يقبل سائر الأخبار بالشرط المتقدم، وهو أن لا يكون بعيداً في العادة أو وقع هو أو مثله معجزة، كماقال الأستاذ ومن يقول بقوله، وقد قال إمام الحرمين في [الشامل]: إنه يمنع إثبات بعض ما يجوز عقلاً كرامة، ونقله عن القاضي وصححه. وقد ذكرت شيئاً من ذلك في كتاب [الإمتاع في أحكام السماع](١)، رفض السيوطي في رسالته [المنجلي في تطور الولي] مضمون تعليق الأدفوي في تلك القصة؛ لأنه جزم فيها بوقوع أمور يمنعها تعليق الأدفوي حتى صرح بأن الكعبة تطوف بالأولياء وهي في مكانها.

وأما الاستدلال لما اعتاده أهل مكة ليلة الثاني عشر من ربيع الأول كل عام من زيارة مولد النبي ﷺ المكاني(٢)، والاحتفال به بأن

---

(١) هو كتاب للأدفوي ذكر ابن حجر الهيتمي في [كف الرعاع عن محرمات السماع] (ص٤٧) بهامش [الزواجر عن اقتراف الكبائر] أنه تابع فيه ابن طاهر في جميع كذباته يعتمدها ويجعلها حجة له على ما يريد الانتصار به للصوفية المبرئين من ذلك السفساف، الأغنياء عن الانتصار لهم).

(٢) مولد النبي ﷺ المكاني بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في [الصارم المسلول على شاتم الرسول] (ص١٥٦، ١٥٧) ط مكتبة تاج بطنطا قال: (وقد ذكر أهل العلم بالسير منهم أبوالوليد الأزرقي أن رباع عبدالمطلب بمكة صارت لبني عبدالمطلب فمنها شعب ابن يوسف وبعض دار ابن يوسف لأبي طالب والجو الذي بينه وبين دار ابن يوسف دار المولد مولد النبي ﷺ وما حوله لأبي النبي ﷺ عبدالله بن عبدالمطلب، ولا ريب أن النبي ﷺ كانت له هذه الدار ورثها من أبيه، وبها ولد وكان له دار ورثها هو وولده من خديجة رضي الله تعالى عنها. قال الأزرقي: وسكت رسول الله ﷺ عن مسكنيه كليهما: مسكنه الذي ولد فيه، ومسكنه الذي =

جبريل أمر محمداً ﷺ بصلاة ركعتين ببيت لحم مولد عيسى عليه السلام.

فالجواب عنه: أن أمر جبريل محمداً ﷺ بذلك ورد من رواية شداد بن أوس وأنس بن مالك وأبي هريرة رضي الله عنهم لقصة ـ الإسراء لكنه مستنكر كما يتبين فيما يلي:

أما رواية شداد بن أوس رضي الله عنه، فقد قال الإمام أبوإسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن العلاء بن الضحاك الزبيدي، حدثنا عمرو بن الحارث عن عبدالله بن سالم الأشعري عن محمد بن الوليد بن عامر الزبيدي، حدثنا أبوالوليد بن عبدالرحمن عن جبير بن نفير، حدثنا شداد بن أوس قال: قلنا: يا رسول الله، كيف أسري بك؟ قال: صليت بأصحابي صلاة العتمة بمكة معتماً، فأتاني جبريل عليه السلام بدابة أبيض ـ أو قال: بيضاء ـ فوق الحمار ودون البغل فقال: اركب، فاستصعب علي فرازها بأذنها، ثم حملني عليها فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث انتهى طرفها، حتى بلغنا أرضاً ذات نخل فأنزلني، فقال: صلّ، فصليت ثم ركبت، فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم، قال: صليت بيثرب، صليت بطيبة، فانطلقت تهوي بنا يقع حافرها عند منتهى طرفها، ثم بلغنا أرضاً، قال: انزل، ثم قال: صلّ، فصليت، ثم

= ابتنى فيه بخديجة بنت خويلد وولد فيه ولده جميعاً. قال: وكان عقيل بن أبي طالب أخذ مسكنه الذي ولد فيه، وأما بيت خديجة فأخذه معتب بن أبي لهب وكان أقرب الناس إليه جواراً فباعه بعد من معاوية) ا.هـ.

ركبنا، فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم، قال: صليت بمدين عند شجـــرة موســـى، ثم انطلقت تهوي بنا يقع حافرها حيث أدرك طرفها، ثم بلغنا أرضاً بدت لنا قصور، فقال: انزل، فنزلت، فقال: صلّ، فصليت، ثم ركبنا، فقال: أتدري أين صليت؟ قلت: الله أعلم، قال: صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى ابن مريم، ثم انطلق بي حتى دخلنا المدينة من بابها اليماني، فأتـــى قبلـــة المسجد فربط فيه دابته، ودخلنا المسجد من باب تميل فيه الشمس والقمر، فصليت من المسجد حيث شاء الله، وأخذني من العطش أشد ما أخذني، فأتيت بإناءين في أحدهما لبن وفي الآخر عسل أرسل إلي بهما جميعاً، فعدلت بينهما، ثم هداني الله عزوجل فأخذت اللبن فشربت حتى عرقت به جبيني وبين يدي شيخ متكيء على مثواة له، فقال: أخذ صاحبك الفطرة إنه ليهدى، ثم انطلق بي حتى أتينا الوادي الذي فيه المدينة فإذا جهنم تنكشف عن مثل الروابي، قلت: يا رسول الله، كيف وجدتها؟ قال: وجدتها مثل الحمة السخنة، ثم انصرف بي فمررنا بعير لقريش بمكان كذاوكذا قد أضلوا بعيراً لهم قد جمعه فلان، فسلمت عليهم، فقال بعضهم: هذا صوت محمد، ثم أتيت أصحابي قبل الصبح بمكة، فأتاني أبوبكر رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، أين كنت الليلة فقد التمستك في مكانك؟ فقال: علمتَ أني أتيت بيت المقدس الليلة، فقال: يا رسول الله، إنه مسيرة شهر، فصفه لي، قال: ففتح لي صراط كأني أنظر إليه لا يسألني عن شيء إلا أنبأته به، فقال أبوبكر: أشهد إنك لرسول الله، وقال المشركون: انظروا إلى ابن أبي كبشة يزعم أنه أتى بيت المقدس الليلة، قال: فقال: إن من آية ما أقول لكم أني

مررت بعير لكم في مكان كذا وكذا وقد أضلوا بعيراً لهم فجمعه لهم فلان، وإن مسيرهم ينزلون بكذا ثم بكذا ويأتونكم يوم كذا وكذا يقدمهم جمل آدم عليه مسح أسود وغرارتان سوداوان، فلما كان ذلك اليوم أشرف الناس ينظرون حين كان قريباً من نصف النهار حتى أقبلت العير يقدمهم ذلك الجمل الذي وصفه رسول الله ﷺ.

ومن طريق أبي إسماعيل هذا بسنده ومتنه روى البيهقي هذه الرواية، كما بينه ابن كثير في تفسيره، وهذه الرواية تكلم فيها الحافظان: الذهبي، وابن كثير متعقبين بكلامهما قول البيهقي في إسنادها: (هذا إسناد صحيح):

فقد قال الحافظ الذهبي في الجزء الأول من [تاريخ الإسلام ومشاهير طبقات الأعلام] بعد إيراد كلام البيهقي هذا في إسنادها (ص١٤٢): (قلت: ابن زبريق - أي راوي تلك الرواية - تكلم فيه النسائي) ا.هـ كلامه.

وذكر في ترجمة ابن زبريق من [ميزان الاعتدال] (ج١ ص١٨١) أن النسائي قال: ليس بثقة، ثم قال: قال أبوداود: ليس بشيء، وكذبه محدث حمص محمد بن عوف الطائي)[1] تعقب الذهبي بهذا قول أبي حاتم في ابن زبريق: (لا بأس به، سمعت ابن معين يثني عليه).

وقال الحافظ ابن كثير في تفسيره لسورة الإسراء تحت عنوان

---

(١) روى الآجري عن أبي داود، أن محمد بن عوف قال: ما أشك أن إسحاق بن زبريق يكذب) أفاد ذلك الحافظ ابن حجر في [تهذيب التهذيب] (ج١ ص٢١٦).

(ذكر الأحاديث الواردة في الإسراء) بعد إيراده حديث شداد بن أوس هذا من طريق أبي إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي): رواه البيهقي من طريقين عن أبي إسماعيل الترمذي به، ثم قال بعد تمامه: (هذا إسناد صحيح، قال: وقد روى هذا الحديث عن شداد بن أوس بطوله الإمام أبومحمد عبدالرحمن بن أبي حاتم في تفسيره، عن أبيه، عن إسحاق بن إبراهيم بن العلاء الزبيدي به) ذكر ابن كثير هذا كله، ثم قال: (ولا شك أن هذا الحديث ـ أعني: الحديث المروي عن شداد بن أوس ـ مشتمل على أشياء، منها ماهو صحيح، كما ذكره البيهقي. ومنها ما هو منكر كالصلاة في بيت لحم وسؤال الصديق عن نعت بيت المقدس وغير ذلك، والله أعلم).

وأما رواية أنس رضي الله عنه لصلاة النبي ﷺ ليلة الإسراء ببيت لحم بأمر جبريل عليه السلام فعند النسائي في كتاب الصلاة تحت عنوان فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين في إسناد حديث أنس بن مالك واختلاف ألفاظهم فيه) من [المجتبى] (ج١ ص٢٢١) طبعة المطبعة المصرية بالأزهر، قال: أخبرنا عمرو بن هشام، قال: حدثنا مخلد هو ابن الحسين، عن سعيد بن عبدالعزيز قال: حدثنا يزيد بن أبي مالك، قال: حدثنا أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «**أتيت بدابة فوق الحمار ودون البغل خطوها عند منتهى طرفها فركبت ومعي جبريل عليه السلام فسرت، فقال: انزل فصل ففعلت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجر، ثم قال: انزل فصل فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله عزوجل موسى عليه السلام، ثم قال: انزل فصل فنزلت فصليت،**

فقال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام، ثم دخلت بيت المقدس فجمع لي الأنبياء عليهم السلام فقدمني جبريل حتى أممتهم ثم صعد بي إلى السماء الدنيا فإذا فيها آدم عليه السلام، ثم صعد بي إلى السماء الثانية فإذا فيها ابنا الخالة عيسى ويحيى عليهما السلام، ثم صعد بي إلى السماء الثالثة فإذا فيها يوسف عليه السلام، ثم صعد بي إلى السماء الرابعة فإذا فيها هارون عليه السلام، ثم صعد بي إلى السماء الخامسة فإذا فيها إدريس عليه السلام، ثم صعد بي إلى السماء السادسة فإذا فيها موسى عليه السلام، ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا فيها إبراهيم عليه السلام، ثم صعد بي فوق سبع سموات فأتينا سدرة المنتهى فغشيتني ضبابة فخررت ساجداً، فقيل لي: إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فقم بها أنت وأمتك فرجعت إلى إبراهيم فلم يسألني عن شيء، ثم أتيت على موسى، فقال: كم فرض الله عليك وعلى أمتك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: فإنك لا تستطيع أن تقوم بها أنت ولا أمتك فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فرجعت إلى ربي فخفف عني عشراً، ثم أتيت موسى فأمرني بالرجوع فرجعت فخفف عني عشراً، ثم ردت إلى خمس صلوات، قال: فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإنه فرض على بني إسرائيل صلاتين فما قاموا بهما فرجعت إلى ربي عز وجل فسألته التخفيف، فقال: إني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك خمسين صلاة فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمتك فعرفت أنها من الله تبارك وتعالى صِرّى فرجعت إلى موسى عليه السلام فقال: ارجع فعرفت أنها من الله صِرى، ـ أي حتم ـ فلم أرجع». ومن

طريق [المجتبى] للنسائي هذا أورد ابن كثير هذه الرواية في تفسيره[١] (ج٣ ص٦) ضمن أحاديث الإسراء، وقال في (ص٥): (فيها غرابة ونكارة جداً)، وقال في [الفصول في اختصار سيرة الرسول] في حديث أنس هذا الذي رواه النسائي في [المجتبى]: غريب منكر جداً وإسناده مقارب وفي الأحاديث الصحيحة ما يدل على نكارته، والله أعلم).

وأما رواية أبي هريرة رضي الله عنه لصلاة النبي ﷺ ليلة الإسراء ببيت لحم بأمر جبريل فعند ابن حبان في الجزء الأول من [كتاب المجروحين] (ص١٨٧، ١٨٨) في ترجمة بكر بن زياد الباهلي، قال أبوحاتم بن حبان بعد أن ذكر أنه شيخ دجال يضع الحديث على الثقات لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه: قال: روى عن بكر بن زياد عن عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أسري بي إلى بيت المقدس مر بي جبريل بقبر أبي إبراهيم عليه السلام فقال: يا محمد، انزل فصل هنا ركعتين، هذا قبر أبيك إبراهيم، ثم مر بي ببيت لحم فقال: انزل فصل هاهنا ركعتين فإن هاهنا ولد أخوك عيسى عليه السلام ثم أتى بي إلى الصخرة فقال: يا محمد، من هاهنا عرج ربك إلى السماء وذكر كلاماً طويلاً أكره ذكره**»، ثناه محمد بن أحمد بن إبراهيم بالرملة، ثنا عبدالله بن سليمان بن عميرة البلوي المقدسي، ثنا بكر بن زياد الباهلي، وهذا شيء لا يشك عوام

(١) وقال: (هي في سنن النسائي [المجتبى]، ولم أرها في [الكبير]).

أصحاب الحديث أنه موضوع فكيف البُزَّل في هذا الشأن) ا.هـ كلام ابن حبان.

وقد تلقاه ابن الجوزي في [الموضوعات] والسبكي في [شفاء السقام في زيارة خير الأنام]، والذهبي في ترجمة بكر بن زياد من [ميزان الاعتدال] وابن كثير في [الفصول في اختصار سيرة الرسول] والشوكاني في [الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة] بالقبول:

فقد قال ابن الجوزي (ج١ ص١١٣، ١١٤) في باب ما روى أن الله تعالى عرج إلى السماء ما نصه: (أنبأنا أبومنصور بن خيرون قال: أنبأنا أبومحمد الحسين بن علي بن الجوهري عن أبي الحسن علي بن عمر الدارقطني عن أبي حاتم بن حبان الحافظ قال: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم قال: حدثنا عبدالله بن سليمان بن عميرة قال: حدثنا بكر بن زياد الباهلي قال: حدثنا ابن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوفى، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي إلى بيت المقدس مر بي جبريل بقبر أبي إبراهيم، فقال: يا محمد، انزل فصل هنا ركعتين، ثم مر بي ببيت لحم: فقال: انزل فصل هنا ركعتين، فإن هاهنا ولد أخوك عيسى، ثم أتي بي إلى الصخرة، فقال: يا محمد، من هنا عرج ربك إلى السماء، وذكر كلاماً طويلاً أكره ذكره»، قال أبوحاتم: (هذا حديث لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع فكيف بالبزل في هذا الشأن؟! وكان بكر بن زياد دجالاً يضع الحديث على الثقات).

وقال السبكي في [شفاء السقام] (ص١٣٣) تعليقاً على قول شيخ

الإسلام ابن تيمية: (في الحديث الذي فيه هذا قبر أبيك إبراهيم انزل فصَلِّ فيه، وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه: (كذب لا حقيقة له[(١)]). قال السبكي تعليقاً على ذلك ما نصه: (أما قوله ـ أي شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية ـ إن الحديث الذي فيه هذا قبر أبيك إبراهيم فانزل فصل فيه، وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصَلِّ فيه: (كذب لا حقيقة له)، فصدق فيما قال، وهذا الحديث يرويه بكر بن زياد الباهلي، قال ابن حبان: شيخ دجال يضع الحديث على الثقات لا يحل ذكره في الكتب إلا على سبيل القدح فيه، وذكر ابن حبان من طريقه الحديث المذكور، وفيه (ثم أتى بي إلى الصخرة فقال: يا محمد، من ها هنا عرج ربك إلى السماء) وذكر كلاماً طويلاً كره ابن حبان ذكره، قال ابن حبان: وهذا شيء لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع فكيف البزل في هذا الشأن؟ هذا كلام ابن حبان،

---

(١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك قوله في: [اقتضاء الصراط المستقيم] (ص٤٣٨، ٤٣٩): (وقد ثبت في الصحيح، أن النبي ﷺ لما أتى بيت المقدس ليلة الإسراء صلى فيه ركعتين ولم يصلِّ بمكان غيره ولا زاره، وحديث المعراج فيه ما هو في الصحيح، وفيه ما هو في السنن أو في المسانيد، وفيه ما هو ضعيف، وفيه ما هو من الموضوعات المختلقات، مثل ما يرويه بعضهم فيه أن النبي ﷺ قال له جبريل: هذا قبر أبيك إبراهيم انزل فصلِّ فيه، وهذا بيت لحم مولد أخيك عيسى انزل فصل فيه، وأعجب من ذلك أنه قد روى فيه أنه قيل له في المدينة: انزل فصل هاهنا، قبل أن يبنى مسجده، وإنما كان المكان مقبرة المشركين، والنبي ﷺ بعد الهجرة إنما نزل هناك لما بركت ناقته هناك. فهذا ونحوه من الكذب المختلق باتفاق أهل المعرفة. وبيت لحم كنيسة من كنائس النصارى ليس في إتيانها فضيلة عند المسلمين سواء كان مولد عيسى أو لم يكن.

ثم قال السبكي: (وقد ذكر هذا الحديث أبوالقاسم المكي بن عبدالسلام بن الحسين بن القاسم المقدسي الرميلي في كتاب صنفه في فضائل زيارة قبر إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام، قال: نا الشيخ الصالح الثقة أبومحمد عبدالعزيز بن أحمد بن عمر بن إبراهيم المقدسي قراءة عليه رحمه الله، أنا محمد بن أحمد أبوبكر بن محمد الواسطي الخطيب قراءة عليه، ثنا أبوالقاسم عيسى بن عبيدالله بن عبدالعزيز الموصلي المعروف بالمصاحفي، ثنا أبو الحسن علي بن جعفر بن محمد الرازي وكيل المسجد الأقصى، ثنا العباس بن أحمد بن عبدالله وأنا سألته، ثنا عبدالله بن أبي عميرة المقدسي، ثنا بكر بن زياد الباهلي، عن عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أسري بي إلى بيت المقدس مر بي جبريل إلى قبر إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فقال: انزل صلِّ هاهنا ركعتين، فإن هاهنا قبر أبيك إبراهيم عليه السلام، ثم مر بي إلى بيت لحم، فقال: انزل صلِّ هاهنا ركعتين، فإن هاهنا ولد أخوك عيسى عليه السلام، ثم أتى بي إلى الصخرة»، قال: وذكر الحديث. ورواه ابن حبان عن محمد بن أحمد ابن إبراهيم، ثنا عبدالله بن سليمان بن أبي عميرة، ثنا بكر بن زياد) انتهى المراد من كلام السبكي على هذه الرواية.

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة بكر بن زياد الباهلي من [ميزان الاعتدال] (ج١ ص٣٤٥): قال ابن حبان ـ أي في بكر بن زياد الباهلي ـ: دجال يضع الحديث. ثم ساق عنه، عن ابن المبارك، عن سعيد، عن قتادة، عن زرارة عن أبي هريرة مرفوعاً (مر بي جبريل

ببيت لحم فقال: انزل فصلِّ هاهنا ركعتين فإن هنا ولد أخوك عيسى، ثم أتى بي قبر إبراهيم فقال: صل هنا ثم أتى بي الصخرة فقال: من هنا عرج ربك إلى السماء.. الحديث، وهذا شيء لا يشك عوام أصحاب الحديث أنه موضوع فكيف البزل في هذا الشأن؟ قلت - القائل الذهبي -: صدق ابن حبان) انتهى كلام الحافظ الذهبي.

وقال ابن كثير في [الفصول في اختصار سيرة الرسول] (ص١٢٢) بعد أن ذكر حديث أنس المتقدم وذكر أنه غريب منكر جداً قال: (وكذلك الحديث الذي تفرد به بكر بن زياد الباهلي المتروك عن عبدالله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (ليلة أسري بي قال لي جبريل: هذا قبر أبيك إبراهيم انزل فصل فيه) لا يثبت أيضاً؛ لحال بكر بن زياد المذكور.

وقال الشوكاني في [الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة] (ص٤٤١): (حديث لما أسري بي إلى بيت المقدس مر بي جبريل بقبر أبي إبراهيم فقال: انزل يا محمد، فصلِّ هنا ركعتين، ثم مر بي ببيت لحم فقال: انزل فصل هاهنا، وذكر حديثاً طويلاً. رواه ابن حبان عن أبي هريرة مرفوعاً، وفي إسناده بكر بن زياد، قال ابن حبان: دجال يضع الحديث. قال الذهبي: صدق ابن حبان) ا.هـ.

هذا كلام أولئك العلماء في روايات أمر جبريل النبي ﷺ ليلة الإسراء بأن يصلي ركعتين ببيت لحم، وبه يتضح قول شيخ الإسلام ابن تيمية في تفسير سورة الإخلاص (ص١٦٩) ما نصه: (الذي يرويه

بعضهم في حديث الإسراء أنه قيل للنبي ﷺ: هذه طيبة انزل فصل فنزل فصلى، هذا مكان أبيك انزل فصل ـ كذب موضوع لم يصل النبي ﷺ تلك الليلة إلا في المسجد الأقصى خاصة، كما ثبت ذلك في الصحيح ولا نزل إلا فيه)، وقول ابن القيم في الفصل الذي عقده للإسراء من [زاد المعاد في هدي خير العباد]: قد قيل: إنه ـ أي النبي ﷺ ـ نزل ببيت لحم وصلى فيه ولم يصح ذلك عنه البتة)، كما يتضح بما نقلناه عن أهل العلم في رواية بكر بن زياد الباهلي بطلان دعوى الحافظ ابن حجر في [لسان الميزان] (ج٢ ص٥٠، ٥١) أن الموضوع من حديث بكر بن زياد هو من قوله: (ثم أتى بي الصخرة)، وأما باقيه فقد جاء في طريق أخرى فيها الصلاة ببيت لحم وردت من حديث شداد بن أوس، فدعوى أن ما روي في أن جبريل أمر النبي ﷺ ليلة الإسراء أن يصلي ركعتين ببيت لحم أصل لما يصنعه أهل مكة كل عام في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول ـ دعوى باطلة مادام الأمر كما بينا.

وقد أجاد ابن ظهيرة حيث بين في كتابه [الجامع اللطيف في فضل مكة وأهلها وبناء البيت الشريف] أن ما يصنعه أهل مكة ليلة الثاني عشر من ربيع الأول كل عام لم يقف له على أصل، ونص كلامه في ذلك بصدد الكلام على مكان مولد النبي ﷺ بمكة: (جرت العادة بمكة في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول في كل عام أن قاضي مكة الشافعي يتهيأ لزيارة هذا المحل الشريف بعد صلاة المغرب في جمع عظيم منهم الثلاثة القضاة وأكثر الأعيان من الفقهاء والفضلاء وذوي البيوت بفوانيس كثيرة وشموع عظيمة وزحام عظيم، ويدعى فيه للسلطان ولأمير مكة وللقاضي الشافعي بعد تقدم خطبة مناسبة للمقام، ثم يعود

منه إلى المسجد الحرام قبيل العشاء ويجلس خلف مقام الخليل عليه السلام بإزاء قبة الفراشين، ويدعو الداعي لمن ذكر آنفاً بحضور القضاة وأكثر الفقهاء ثم يصلون العشاء وينصرفون، ولم أقف على أول من سن ذلك، وسألت مؤرخي العصر فلم أجد عندهم علماً بذلك ا.هـ.

وأما حديث «**من سن سنة حسنة كان له أجرها**» الحديث.

فقد أجاب الإمام الشاطبي في (ج١) من [الاعتصام] (ص١٤٢ ـ ١٤٥) عن قول من قال بأن معنى: «**من سن سنة حسنة**»: من اخترع السنة من عند نفسه بشرط أن تكون حسنة، وزعم أن معناه ليس من عمل بسنة ثابتة ـ أجاب عن ذلك بوجهين:

أحدهما: أن قوله ﷺ: «**من سن سنة حسنة**»: الحديث، ليس المراد به الاختراع البتة، وإلاَّ لزم من ذلك التعارض بين الأدلة القطعية، إن زعم مدعي ذلك أن ما ذكره من الدليل مقطوع به، فإن زعم أنه مظنون فما تقدم من الدليل على ذم البدع مقطوع به، فيلزم التعارض بين القطعي والظني والاتفاق من المحققين على تقديم القطعي على الظني، قال: ولكنَّ فيه بحثاً من وجهين[1]:

أحدهما: أن يقال: إنه من قبيل المتعارضين، إذ تقدم أولاً أن أدلة الذم تكرر عمومها في أحاديث كثيرة من غير تخصيص، وإذا تعارضت أدلة العموم والتخصيص لم يقبل بعد ذلك التخصيص.

---

(١) عبارة الأصل (والاتفاق من المحققين ولكن فيه من وجهين) وهي ناقصة غير مستقيمة.

والثاني: على التنزل لفقد التعارض، فليس المراد بالحديث الاستنان بمعنى الاختراع، وإنما المراد به العمل بما ثبت من السنة النبوية، وذلك لوجهين:

أحدهما: أن السبب الذي جاء لأجله الحديث هو الصدقة المشروعة، بدليل ما في الصحيح من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنهما قال: كنا عند رسول الله ﷺ في صدر النهار، فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار ـ أو العباء ـ متقلدي السيوف عامتهم من مضر ـ بل كلهم من مضر، فتمعر وجه رسول الله ﷺ؛ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالاً فأذن وأقام فصلى، ثم خطب، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلى آخر الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1]، والآية التي في الحشر: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[2]، «**وبعد: تصدق رجل من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره**» حتى قال: «**ولو بشق تمرة**» قال: (فجاءه رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها، بل قد عجزت. قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء**».

---

(١) سورة النساء، الآية ١.

(٢) سورة الحشر، الآية ١٨.

فتأملوا قول رسول الله ﷺ: «**من سن سنة حسنة**» تجدوا ذلك فيمن عمل بمقتضى المذكور على أبلغ ما يقدر عليه، حتى بتلك الصرة، فانفتح بسببه باب الصدقة على الوجه الأبلغ، فسر بذلك رسول الله ﷺ حتى قال: «**من سن في الإسلام سنة حسنة**» الحديث، فدل على أن السنة ها هنا مثل ما فعل ذلك الصحابي، وهو: العمل بما ثبت كونه سنة، وأن الحديث مطابق لقوله في الحديث الآخر: «**من أحيا سنة من سنتي قد أميتت بعدي**» الحديث.. إلى قوله: «**ومن ابتدع بدعة ضلالة**»، وكذلك قوله ﷺ: «**ومن أحيا سنتي فقد أحبَّني**». ووجه ذلك في الحديث الأول ظاهر؛ لأنه ﷺ لما حض على الصدقة أولاً، ثم جاء بعد ذلك الأنصاري بما جاء به فانثال بعده العطاء إلى الكفاية، فكأنها كانت سنة أيقظها رضي الله عنه بفعله، فليس معناه: من اخترع سنة وابتدعها ولم تكن ثابتة. ونحو هذا الحديث في رقائق ابن المبارك[١] ما يوضح معناه عن حذيفة رضي الله عنه قال: قام سائل على عهد رسول الله ﷺ فسأل، فسكت القوم، ثم إن رجلاً أعطاه، فأعطاه القوم، فقال رسول الله ﷺ: «**من استن خيراً فاستن به فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منتقص من أجورهم شيء، ومن استن شراً فاستن به فعليه وزره ووزر من اتبعه غير منتقص من أوزارهم شيء**»، فإذاً قوله: «**من سن سنة حسنة**» معناه: من عمل بسنة، لا من اخترع سنة.

الوجه الثاني: من وجهي الجواب، عن قوله ﷺ: «من سن سنة

---

(١) ص ٥١٣، ٥١٤.

حسنة» إلخ ـ أن قوله: «**من سن سنة حسنة**» و «**من سن سنة سيئة**» لا يمكن حمله على الاختراع من غير أصل؛ لأن كونها حسنة أو سيئة لا يعرف إلا من جهة الشرع، فلزم أن تكون السنة في الحديث إما حسنة في الشرع، وإما قبيحة بالشرع، فلا يصدق إلا على مثل الصدقة المذكورة، وما أشبهها من السنن المشروعة، وتبقى السنة السيئة منزلة على المعاصي التي ثبت بالشرع كونها معاصي، كالقتل المنبه عليه في حديث ابن آدم حيث قال عليه السلام: «**لأنه أول من سن القتـــــل**»، وعلى البدع؛ لأنه قد ثبت ذمها والنهي عنها بالشرع.

وأضاف الشاطبي إلى جوابه هذا عن قوله: «**من سن سنة حسنة**» أضاف إليه الجواب عن قوله في حديث بلال بن الحارث عند الترمذي الذي ورد في الاعتراض: «**ومن ابتدع بدعة ضلالة**» بما نصه: (أما قوله: «**من ابتدع بدعة ضلالة**» فهو على ظاهره؛ لأن سبب الحديث لم يقيده بشيء فلابد من حمله على ظاهر اللفظ، كالعمومات المبتدأة التي لم تثبت لها أسباب. ويصح أن يحمل على نحو ذلك قوله: «**ومن سن سنة سيئة**» أي: من اخترعها، وشمل ما كان منها مخترعاً ابتداء من المعاصي، كالقتل من أحد ابني آدم، وما كان مخترعاً بحكم الحال إذ كانت قبل مهملة متناساة، فأثارها عمل هذا العامل. فقد عاد الحديث والحمد لله حجة على أهل البدع من جهة لفظه، وشرح الأحاديث الأخر له. وإنما يبقى النظر في قوله: «**ومن ابتدع بدعة ضلالة**» وأن تقييـــد البدعة بالضلالة يفيد مفهوماً، والأمر فيه قريب؛ لأن الإضافة فيه لم تفد مفهوماً. وإن قلنا بالمفهـــوم، على رأي طائفة من أهل الأصول، فإن الدليل دل على تعطيله في هذا الموضع، كما دل دليل تحريم الربا

قليله وكثيره علي تعطيل المفهوم في قول الله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰٓا أَضْعَافًا مُّضَٰعَفَةً﴾[(١)]، ولأن الضلالة لازمة للبدعة بإطلاق، بالأدلة المتقدمة، فلا مفهوم أيضاً).

وأما حديث: «**ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن**» الحديث، فالجواب عن الاستدلال به بأمور:

أولها: أن المراد بالمسلمين فيه أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم يدل على ذلك ما رواه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة من [المستدرك] (ج٣ ص٧٨) قال: (أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، ثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، ثنا أبي وأحمد بن منيع قالا: ثنا أبوبكر بن عياش، ثنا عاصم، عن زر، عن عبدالله ـ أي ابن مسعود ـ قال: ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء، وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه) هكذا رواه الحاكم في المستدرك ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد أصح منه إلا أن فيه إرسالاً. أخبرناه أبوالعباس المحبوبي، ثنا سعيد بن مسعود، ثنا يزيد بن هارون، أنبأ داود بن أبي هند عن الشعبي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لما قبض النبي ﷺ اجتمع المهاجرون والأنصار إلى سقيفة بني ساعدة في بيعة أبي بكر فأتيت أم سلمة فقلت لها: بايع الناس أبا بكر)، وقد وافق الحافظ الذهبي في [تلخيص المستدرك] الحاكم على تصحيح أثر ابن

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٣٠.

مسعود: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن..) إلخ، وجاء في ترجمة أحمد بن حنبل ـ من [البداية والنهاية] لابن كثير (ج١٠ ص٣٢٧، ٣٢٨) ما نصه: (قال الإمام أحمد: حدثنا أبوبكر بن عياش، ثنا عاصم، عن زر، عن عبدالله ـ هو ابن مسعود ـ قال: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء، وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه) ثم قال ابن كثير: (قلت: وهذا الأثر فيه حكاية إجماع عن الصحابة في تقديم الصديق والأمر كما قاله ابن مسعود) قلت ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ: لذلك ترى الإمام ابن تيمية يحتج بأثر ابن مسعود هذا على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك في [منهاج السنة] (ج١ ص١٦٦، ١٦٧) قال في دفاعه عن مبايعة الصحابة رضوان الله عليهم لأبي بكر الصديق رضي الله عنه: (روى ابن بطة وغيره بالأسانيد المعروفة إلى زر بن حبيش قال: قال عبدالله بن مسعود: (إن الله تبارك وتعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء)، وفي رواية: قال أبوبكر بن عياش الراوي لهذا الأثر: عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (وقد رأى أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر) ا.هـ، نص منهاج السنة، كما استدل به الإمام ابن القيم في الجزء الرابع من [إعلام الموقعين]،

على أن الأخذ بفتاوى الصحابة رضي الله عنهم أولى من الأخذ بفتاوى غيرهم، ونصه (ص١٣٨): (روى أبوداود الطيالسي، ثنا المسعودي، عن عاصم، عن أبي وائل، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم لصحبة نبيه ونصرة دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح)، ومن المحال أن يخطيء الحق في حكم الله خير قلوب العباد بعد رسول الله ﷺ ويظفر به من بعدهم).

الثاني من الأجوبة عن قول ابن مسعود في أثره هذا: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن)، أن المراد به ما أجمع عليه المسلمون ورأوه حسناً لا ما رآه بعضهم واستحسنه. ذكر هذا الجواب ابن حزم وابن قدامة وابن القيم والشاطبي، وفيما يلي نصوصهم:

قال ابن حزم في [الإحكام في أصول الأحكام] (ج٦ ص١٨، ١٩): (حدثنا المهلب التميمي، عن محمد بن عيسى بن مناس، عن محمد بن مسرور، عن يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وهب، أخبرني عبدالله بن يزيد، عن عبدالرحمن بن عبد الله بن عتبة، عن عاصم بن بهدلة، عن شقيق، عن عبدالله فذكر كلاماً فيه: (فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) ثم قال ابن حزم: (فهذا هو الإجماع الذي لا يجوز خلافه لو تيقن، وليس ما رآه بعض المسلمين أولى بالاتباع مما رآه غيرهم من المسلمين، ولو كان ذلك لكنا مأمورين بالشيء وضده

وبفعل شيء وتركه معاً، وهذا محال لا سبيل إليه) ا.هـ كلام ابن حزم.

وقال ابن قدامة في [روضة الناظر] (ص٨٦) في الجواب عن خبر (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) ما نصه: (الخبر دليل على أن الإجماع حجة ولا خلف فيه).

وقال ابن القيم في كتابه [الفروسية] (ص٦٠) طبعة مطبعة الأنوار في أثر ابن مسعود هذا: (إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد، فاختاره لرسالته، ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فاختارهم لصحبته، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن).

قال: (هو ـ أي (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) في هذا الأثر ـ دليل على أن ما أجمع عليه المسلمون ورأوه حسناً فهو عند الله حسن، لا ما رآه بعضهم فهو حجة عليكم).

وقال الشاطبي في كلامه على الاستحسان في [الاعتصام] (ج٢ ص١٣٠) قال في الجواب عن حديث (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن][(١)]: (إن ظاهره يدل على أن ما رآه المسلمون حسناً فهو حسن، والأمة لا تجتمع على باطل، فاجتماعهم على حسن شيء يدل على حسنه شرعاً؛ لأن الإجماع يتضمن دليلاً شرعياً، فالحديث دليل

(١) مورد هذا الأثر الذي أجابه الشاطبي عزاه إلى النبي ﷺ وهو غلط؛ لأنه من قول ابن مسعود لا من قوله ﷺ.

عليكم لا لكم)، ولم يقتصر الشاطبي على هذا، بل أضاف إليه قوله (ص١٣١): (إنه إذا لم يرد به أهل الإجماع وأريد بعضهم يلزم عليه قبول استحسان العوام، وهو باطل بإجماع)، ثم قال: (لا يقال: إن المراد استحسان أهل الاجتهاد؛ لأنا نقول: هذا ترك للظاهر فيبطل الاستدلال، ثم إنه لا فائدة في اشتراط الاجتهاد؛ لأن المستحسن بالفرض لا ينحصر في الأدلة، فأي حاجة إلى اشتراط الاجتهاد)، قال: (فإن قيل: إنما يشترط حذراً من مخالفة الأدلة، فإن العامي لا يعرفها. قيل: بل المراد استحسان ينشأ عن الأدلة، بدليل أن الصحابة رضي الله عنهم قصروا أحكامهم على اتباع الأدلة وفهم مقاصد الشرع) وجزم الشاطبي بأن تعلق المبتدعة بهذا الخبر تعلق بما لا يغني ولا ينفع البتة). ويقرب من كلام الشاطبي هنا قوله (ج٢) من [الاعتصام] (ص٣٠٧، ٣٠٨) في معنى (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) إنما معناه عند العلماء: أن علماء الإسلام إذا نظروا في مسألة مجتهد فيها، فما رأوه فيها حسناً فهو عند الله حسن؛ لأنه جارٍ على أصول الشريعة قال: (والدليل على ذلك الاتفاق على أن العوام لو نظروا فأداهم اجتهادهم إلى استحسان حكم شرعي لم يكن عند الله حسناً حتى يوافق الشريعة)، قال: (والذين نتكلم معهم في المسألة ليسوا من المجتهدين باتفاق منا ومنهم، فلا اعتبار بالاحتجاج بالحديث على استحسان شيء واستقباحه بغير دليل شرعي)، ومنهم من ترقى في الدعوى حتى يدعي فيها الإجماع من أهل الأقطار وهو لم يبرح من قطره ولا بحث عن علماء أهل الأقطار ولا عن تبيانهم فيما عليه الجمهور، ولا عرف من أخبار الأقطار خبراً فهو ممن يسأل عن ذلك

يوم القيامة. وهذا الاضطراب كله منشأه تحسين الظن بأعمال المتأخرين، وإن جاءت الشريعة بخلاف ذلك والوقوف مع الرجال دون التحري للحق).

هذا ومما يتعلق بالبحث في (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) أمران هامان:

أحدهما: قول العجلوني في [كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس] (ج٢ ص١٨٨) ما نصه: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) رواه أحمد في [كتاب السنة] وليس في مسنده، كما وهم عن ابن مسعود بلفظ: إن الله نظر في قلوب العباد، فاختار محمداً ﷺ، فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد فاختار له أصحاباً فجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون قبيحاً فهو عند الله قبيح).

الثاني: جزم بعض أهل العلم برفع الأثر الذي ورد فيه (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) جزم بذلك ابن قدامة في [روضة الناظر]، والشاطبي في [الاعتصام]، حيث عبر كل واحد منهما بأنه قول رسول الله ﷺ، وقال الملا علي قاري في [الموضوعات الكبرى] (ص١٠٦) طبعة بيروت ما نصه: (قد صح عن ابن مسعود مرفوعاً وموقوفاً (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن)، ونقل الشيخ محمد أحمد العدوي الشافعي أحد علماء الأزهر في كتابه [طريق الوصول إلى إبطال البدع بعلم الأصول] (ص٢٥، ٢٦) عن الشيخ محمد عبدالحي اللكنوي أنه قال في [تحفة الأخيار]: قال سعيد

الرومي في المجلس الثامن عشر من كتاب [مجالس الأبرار] ما نصه: (قد نسب جماعة هذا الحديث منهم الرازي في [التفسير الكبير] والعيني في [شرح الهداية] وغيره من شراحها إلى النبي ﷺ، وقالوا: قال رسول الله ﷺ: «**ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن**».

وفي الإجابة عن هذين الأمرين الهامين نقول: أما دعوى العجلوني أن أثر ابن مسعود الذي ورد فيه (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) ليس في [مسند الإمام أحمد بن حنبل] فغير صحيحة، فقد جاء في الجزء الخامس من [مسند الإمام أحمد] تحقيق الشيخ أحمد شاكر (ص٣٦٥١) ما نصه: (حدثنا أبوبكر، حدثنا عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود قال: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئاً فهو عند الله سيء). ومن طريق الإمام أحمد بن حنبل أورده ابن كثير في تفسيره، وفي تاريخه، قال في تفسيره (ج٢ ص١٧٣) في تفسير الآية الكريمة ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾: (قال الإمام أحمد: حدثنا أبوبكر، حدثنا عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود قال: (إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما

رأوه سيئاً فهو عند الله سيء).

وقال في الجزء العاشر من [البداية والنهاية] (ص٣٢٧، ٣٢٨) في ترجمة الإمام أحمد قال الإمام أحمد: حدثنا أبوبكر بن عياش، ثنا عاصم، عن زر، عن عبدالله هو ابن مسعود قال: ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلفوا أبا بكر رضي الله عنه، إسناد صحيح، قلت ـ القائل ابن كثير ـ: وهذا الأثر فيه حكاية إجماع عن الصحابة في تقديم الصديق، والأمر كما قاله ابن مسعود ا.هـ.

وأما رفع الأثر الذي ورد فيه (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) إلى النبي ﷺ فقد جزم ابن الجوزي وابن القيم وابن عبدالهادي ببطلانه واستغربه الزيلعي: قال ابن الجوزي في [العلل المتناهية في الأحاديث الواهية] (ج١ ص٢٨٠): (أنا القزاز، قال: أخبرنا أبوبكر بن ثابت، قال: أخبرنا محمد بن إسماعيل بن عمر البجلي، أخبرنا يوسف بن عمر البجلي، قال: قرىء على أحمد بن أبي زهير البخاري وأنا أسمع، قيل له: حدثكم علي بن إسماعيل، قال: نا أبومعاذ رجاء بن سعيد، قال: نا سليمان بن عمرو النخعي وأنا أسمع، قال: حدثنا أبان بن أبي عياش، وحميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله نظر في قلوب العباد، فلم يجد قلباً أتقى من أصحابي؛ ولذلك اختارهم فجعلهم أصحاباً، فما استحسنوا فهو عند الله حسن، وما استقبحوا فهو عند الله قبيح**»، قال ابن الجوزي: (تفرد به النخعي). قال أحمد بن حنبل: كان يضع الحديث، وقال

أيضاً: (هذا الحديث إنما يعرف من كلام ابن مسعود)[١] ا.هـ كلام ابن الجوزي. وأبوبكر بن ثابت الذي ورد في سنده هو الخطيب البغدادي، وقد روى هذا الحديث في الجزء الرابع من [تاريخ بغداد] (ص١٦٥) قال: (أخبرنا محمد بن إسماعيل بن عمر البجلي، أخبرنا يوسف بن عمر القواس قال: قرئ على أحمد بن أبي زهير البخاري وأنا أسمع وأصله في كتابي، قيل له: حدثكم علي بن إسماعيل، حدثنا أبومعاذ، رجاء بن معبد، حدثنا سليمان بن عمرو النخعي، حدثنا أبان بن أبي عياش وحميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله نظر في قلوب العباد فلم يجد قلباً أتقى من أصحابي ولذلك اختارهم فجعلهم أصحاباً فما استحسنوا فهو عند الله حسن وما استقبحوا فهو عند الله قبيح**» تفرد به أبوداود النخعي، ورد هذا في ترجمة أحمد بن أبي زهير البخاري من تاريخ بغداد.

وقال ابن القيم في [الفروسية] في الكلام على أثر ابن مسعود (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) ما نصه: (ليس من كلام رسول الله ﷺ وإنما يضيفه إلى كلامه من لا علم له بالحديث، وإنما هو ثابت عن ابن مسعود قوله، ذكره الإمام أحمد وغيره موقوفاً عليه.

وقال الحافظ ابن عبدالهادي: (روي - أي أثر ابن مسعود - مرفوعاً عن أنس بإسناد ساقط، والأصح وقفه على ابن مسعود)، نقل ذلك عن ابن عبدالهادي صاحب [كشف الخفا ومزيل الإلباس عما

---

(١) فما جاء في رفعه إذاً مع ضعفه ليس من رواية ابن مسعود وإنما هو من رواية أنس.

اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس] الشيخ إسماعيل العجلوني.

وقال العلامة الحافظ الزيلعي في (باب الإجارة الفاسدة) من [نصب الراية] تعليقاً على قول صاحب الهداية: (قال عليه السلام: (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) قال: (ج٤ ص١٣٣، ١٣٤) قلت: غريب مرفوعاً، ولم أجده إلا موقوفاً على ابن مسعود، وله طرق أحدها: رواه أحمد في مسنده، حدثنا أبوبكر بن عياش، ثنا عاصم، عن زر بن حبيش، عن عبدالله بن مسعود قال: (إن الله نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه يقاتلون على دينه، فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وما رأوه سيئاً فهو عند الله سيء)، انتهى. ومن طريق أحمد رواه الحاكم في [المستدرك] في فضائل الصحابة، وزاد فيه: (وقد رأى الصحابة جميعاً أن يستخلف أبوبكر) انتهى. وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، انتهى. وكذلك رواه البزار في مسنده والبيهقي في كتاب [المدخل] وقالا: لا نعلم رواه من حديث زر عن عبدالله غير أبي بكر بن عياش، وغير أبي بكر يرويه عن عاصم عن أبي وائل عن عبدالله، زاد البيهقي: ورواية ابن عياش أشبه. انتهى.

طريق آخر رواه أبوداود الطيالسي في مسنده، حدثنا المسعودي عن عاصم عن أبي وائل، عن عبدالله بن مسعود فذكره إلا أنه قال: عوض سيء، قبيح. ومن طريق أبي داود رواه أبونعيم في [الحلية] في ترجمة ابن مسعود، والبيهقي في كتاب [الاعتقاد]، وكذلك رواه الطبراني في معجمه، والمسعودي ضعيف، طريق آخر: رواه البيهقي أيضاً في [المدخل]، أخبرنا أبوعبدالله الحافظ، ثنا أبوالعباس الأصم،

ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا أبوالجواب، ثنا عمار بن زريق، عن الأعمش عن مالك بن الحارث، عن عبدالرحمن بن يزيد قال: قال عبدالله، فذكره.

وقد جمع العلائي في كلامه على أثر ابن مسعود هذا (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) بين ذكر عدم رفعه، وبين عزوه إلى [مسند أحمد]، ولفظه حسبما في [الأشباه والنظائر] للسيوطي (ص٨٩) لم أجده مرفوعاً في شيء من كتب الحديث أصلاً، ولا بسند ضعيف بعد طول البحث وكثرة الكشف والسؤال، وإنما هو من قول عبدالله بن مسعود موقوفاً عليه أخرجه أحمد في مسنده.

وأما جمع الصحابة المصحف وقصرهم الناس عليه فقد أجاب الشاطبي في [الاعتصام] (ج١ ص١٤٥ ـ ١٤٧) عن إيراده في البدع المستحدثة بأنه ليس من قبيلها، وإنما هو من المصالح المرسلة، والمصالح المرسلة عمل بمقتضاها السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم يقول في ذلك: (أما جمع المصحف وقصر الناس عليه فهو على الحقيقة من هذا الباب ـ أي باب المصالح المرسلة ـ إذ أنزل القرآن على سبعة أحرف كلها شافٍ كافٍ تسهيلاً على العرب المختلفات اللغات فكانت المصلحة في ذلك ظاهرة إلا أنه عرض في إباحة ذلك بعد زمان رسول الله ﷺ فتح لباب الاختلاف في القرآن حيث اختلفوا في القراءة فخاف الصحابة ـ رضوان الله تعالى عليهم ـ اختلاف الأمة في ينبوع الملة، فقصروا الناس على ما ثبت منها في مصاحف عثمان رضي الله عنه، واطرحوا ما سوى ذلك، علماً بأن ما اطرحوه مضمن فيما أثبتوه؛ لأنه من قبيل القراءات التي يؤدى بها

القرآن، ثم ضبطوا ذلك بالرواية حين فسدت الألسنة ودخل في الإسلام أهل العجمة؛ خوفاً من فتح باب آخر من الفساد، وهو أن يدخل أهل الإلحاد في القرآن أو في القراءات ما ليس منها فيستعينوا بذلك في بث إلحادهم، ألا ترى أنه لما لم يمكنهم الدخول من هذا الباب دخلوا من جهة التأويل والدعوى في معاني القرآن، فحق ما فعل أصحاب رسول الله ﷺ؛ لأن له أصلاً يشهد له في الجملة وهو الأمر بتبليغ الشريعة، وذلك لا خلاف فيه؛ لقوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾[1] وأمته مثله. وفي الحديث «**ليبلغ الشاهد منكم الغائب**» وأشباهه، والتبليغ كما لا يتقيد بكيفية معلومة؛ لأنه من قبيل المعقول المعنى فيصح بأي شيء أمكن من الحفظ والتلقين والكتابة وغيرها، كذلك لا يتقيد حفظه عن التحريف والزيغ بكيفية دون أخرى إذا لم يعد على الأصل بالإبطال، كمسألة المصحف؛ ولذلك أجمع عليه السلف الصالح)، وبعد أن أجاب الشاطبي بهذا قال: (وإن تعلق - أي المعارض - بما ورد من الخلاف في المصالح المرسلة وأن البناء عليها غير صحيح عند جماعة من الأصوليين فالحجة عليهم إجماع الصحابة على المصحف والرجوع إليه، وإذا ثبت اعتبارها في صورة ثبت اعتبارها مطلقاً ولا يبقى بين المختلفين نزاع إلا في الفروع.

وفي الصحيح قوله ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**»، فأعطى الحديث - كما ترى - أن ما سنه الخلفاء الراشدون

---

(١) سورة المائدة، الآية ٦٧.

لاَحِق بسنة رسول الله ﷺ؛ لأن ما سنوه لا يعدو أحد أمرين:

إما أن يكون مقصوداً بدليل شرعي فذلك سنة لا بدعة.

وإما بغير دليل ومعاذ الله من ذلك، ولكن هذا الحديث دليل على إثباته سنة، إذ قد أثبته كذلك صاحب الشريعة ﷺ، فدليله من الشرع ثابت فليس ببدعة، ولذلك أردف اتباعهم بالنهي عن البدع بإطلاق، ولو كان عملهم ذلك بدعة لوقع في الحديث التدافع).

وقال في الجزء الثاني من [الموافقات] (ص٣٤١، ٣٤٢) في جمع المصحف: (إن جمع المصحف لم يكن في زمان رسول الله ﷺ للاستغناء عنه بالحفظ في الصدور، ولأنه لم يقع في القرآن اختلاف يخاف بسببه الاختلاف في الدين، وإنما وقعت فيه نازلتان أو ثلاثة، كحديث عمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم رضي الله عنهما، وقصة أبي بن كعب مع عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، وفيه قال عليه الصلاة والسلام: «**لا تماروا في القرآن فإن المراء فيه كفر**».

فحاصل الأمر: أن جمع المصحف كان مسكوتاً عنه في زمانه ﷺ ثم لما وقع الاختلاف في القرآن وكثر حتى صار أحدهم يقول لصاحبه: أنا كافر بما تقرأ به ـ صار جمع المصحف واجباً ورأياً رشيداً في واقعة لم يتقدم بها عهد فلم يكن فيها مخالفة، والإلزام أن يكون النظر في كل واقعة لم تحدث في الزمان المتقدم بدعة وهو باطل باتفاق، لكن مثل هذا النظر من باب الاجتهاد الملائم لقواعد الشريعة وإن لم يشهد له أصل معين، وهو الذي يسمى: المصالح المرسلة. وكل ما أحدثه السلف الصالح من هذا القبيل لا يتخلف عنه بوجه

وليس من المخالف لمقصد الشارع أصلاً كيف وهو يقول[١]: «**ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن**» و«**لا تجتمع أمتي على ضلالة**»، فثبت أن هذا المجمع عليه موافق لقصد الشارع، فقد خرج هذا الضرب عن أن يكون فيه الفعل أو الترك مخالفاً للشارع، وأما البدعة المذمومة: فهي التي خالفت ما وضع الشارع من الأفعال والتروك ا.هـ.

وأما كتابة العلم فقد أجاب الإمام الشاطبي في [الاعتصام] (ج١ ص١٤٦) عن دعوى كونها من البدع المحدثة بما نصه:

(قد ثبت في السنة كتابة العلم ففي الصحيح قوله ﷺ: «**اكتبوا لأبي شاه**»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: (ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً مني عن رسول الله ﷺ إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتبُ وكنت لا أكتب). وذكر أهل السير أنه كان لرسول الله ﷺ كُتَّاب يكتبون له الوحي وغيره، منهم: عثمان، وعلي، ومعاوية، والمغيرة بن شعبة، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت وغيرهم. وأيضاً فإن الكتابة من قبيل ما لا يتم الواجب إلا به إذا تعين لضعف الحفظ وخوف اندراس العلم، كما خيف دروسه حينئذٍ، وهو الذي نبه عليه اللخمي، قال الشاطبي: وإنما كره المتقدمون كتب العلم؛ لأمر آخر لا لكونه بدعة، فكل من سمى كَتْبَ العلم بدعة: فإما متجوز، وإما غير عارف بوضع لفظ البدعة، فلا يصح الاستدلال بهذه

(١) لم يثبت ذلك من قول النبي ﷺ، وإنما ثبت من قول ابن مسعود رضي الله عنه.

الأشياء على صحة العمل بالبدع).

وأما تقسيم القرافي في كلامه البدعة إلى أقسام أحكام الشرع الخمسة فقد تعقبه في الجزء الأول من [الاعتصام] (١٥٠ ـ ١٥٥) بقوله: (إن هذا التقسيم أمر مخترع لا يدل عليه دليل شرعي، بل هو في نفسه متدافع؛ لأن من حقيقة البدعة أن لا يدل عليها دليل شرعي لا من نصوص الشرع ولا من قواعده، إذ لو كان هنالك ما يدل من الشرع على وجوب أو ندب أو إباحة لما كان ثم بدعة ولكان العمل داخلاً في عموم الأعمال المأمور بها أو المخير فيها، فالجمع بين عد تلك الأشياء بدعاً وبين كون الأدلة تدل على وجوبها أو ندبها أو إباحتها جمع بين متنافيين. أما المكروه منها والمحرم فمسلم من جهة كونها بدعاً لا من جهة أخرى، إذ لو دل دليل على منع أمر أو كراهته لم يثبت ذلك كونه بدعة لإمكان أن يكون معصية؛ كالقتل، والسرقة، وشرب الخمر ونحوها، فلا بدعة يتصور فيها ذلك التقسيم البتة إلا الكراهية والتحريم حسبما يذكر في بابه. فما ذكره القرافي عن الأصحاب من الاتفاق على إنكار البدع صحيح، وما قسمه فيها غير صحيح، ومن العجب حكاية الاتفاق مع المصادمة بالخلاف ومع معرفته بما يلزمه في خرق الإجماع، وكأنه إنما اتبع في هذا التقسيم شيخه ـ أي العز ـ من غير تأمل، فإن ابن عبدالسلام ظاهر منه أنه سمى المصالح المرسلة بدعاً بناء ـ والله أعلم ـ على أنها لم تدخل أعيانها تحت النصوص المعينة وإن كانت تلائم قواعد الشرع. فمن هنالك جعل القواعد هي الدالة على استحسانها بتسميته لها بلفظ البدع، وهو من حيث فقدان الدليل المعين على المسألة، واستحسانها من حيث

دخولها تحت القواعد. ولما بنى على اعتماد تلك القواعد استوت عنده مع الأعمال الداخلة تحت النصوص المعينة وصار من القائلين بالمصالح المرسلة، وسماها بدعاً في اللفظ، كما سمى عمر رضي الله عنه الجمع في قيام رمضان في المسجد بدعة) وجزم الشاطبي بأن القرافي لا عذر له في نقل تلك الأقسام على غير مراد شيخه، وعلى غير مراد الناس؛ لأنه خالف الكل في ذلك التقسيم فصار مخالفاً للإجماع. هذا ما أجاب به الشاطبي على سبيل الإجماع، وأجاب على سبيل التفصيل بقوله: (أما قسم الواجب فقد تقدم ما فيه آنفاً[1] فلا نعيده، وأما قسم التحريم فليس فيه ما هو بدعة هكذا بإطلاق، بل ذلك كله مخالفة للأمر المشروع فلا يزيد على تحريم أكل المال بالباطل إلا من جهة كونه موضوعاً على وزان الأحكام الشرعية اللازمة، كالزكوات المفروضة والنفقات المقدرة) قال: (فإذاً لا يصح أن يطلق القول في هذا القسم بأنه بدعة دون أن يقسم الأمر في ذلك، وأما قسم المندوب فليس من البدع بحال، وتبيين ذلك بالنظر في الأمثلة التي مثل لها، بصلاة التراويح في رمضان جماعة في المسجد، فقد قام بها رسول الله ﷺ في المسجد واجتمع الناس خلفه، فخرَّج أبوداود عن أبي ذر قال: صمنا مع رسول الله ﷺ رمضان فلم يقم بنا شيئاً من الشهر حتى بقي سبع، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل، فلما كانت السادسة لم يقم بنا، فلما كانت الخامسة قام بنا حتى ذهب شطر

---

(١) وهو أن الجمع بين كون الشيء بدعة وبين كون الدليل يدل على وجوبه جمع بين متنافيين.

الليل، فقلنا: يا رسول الله، لو نفلتنا قيام هذه الليلة، قال: فقال: «**إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حسب له قيام ليلة**»، قال: فلما كانت الرابعة لم يقم، فلما كانت الثالثة جمع أهله ونساءه والناس فقام بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قال: قلت: وما الفلاح؟ قال: السحور، ثم لم يقم بنا بقية الشهر)، ونحوه في الترمذي وقال فيه: (حسن صحيح). لكنه ﷺ لما خاف افتراضه على الأمة أمسك عن ذلك، ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ صلى في المسجد ذات ليلة فصلى بصلاته ناس، ثم صلى القابلة فكثر الناس، ثم اجتمعوا الليلة الثالثة أو الرابعة فلم يخرج إليهم رسول الله ﷺ، فلما أصبح قال: «**قد رأيت الذي صنعتم فلم يمنعني من الخروج إلا أني خشيت أن يفرض عليكم**» وذلك في رمضان، وخرجه مالك في [الموطأ]. فتأملوا ففي هذا الحديث ما يدل على كونها سنة، فإن قيامه أولاً بهم دليل على صحة القيام في المسجد جماعة في رمضان وامتناعه بعد ذلك من الخروج خشية من الافتراض لا يدل على امتناعه مطلقاً؛ لأن زمانه كان زمان وحي وتشريع فيمكن أن يوحى إليه إذا عمل به الناس بالإلزام، فلما زالت علة التشريع بموت رسول الله ﷺ رجع الأمر إلى أصله، وقد ثبت الجواز فلا ناسخ له، وإنما لم يُقِمْ ذلك أبوبكر رضي الله عنه لأحد أمرين:

إما لأنه رأى أن قيام الناس آخر الليل وما هم به عليه كان أفضل عنده من جمعهم على إمام أول الليل ذكره الطرطوشي[1].

---

(١) في كتابه [الحوادث والبدع] (ص٥٢) طبعة دار الأصفهاني وشركائه بجدة، =

وإما لضيق زمانه رضي الله عنه عن النظر في هذه الفروع مع شغله بأهل الردة وغير ذلك مما هو أوكد من صلاة التراويح، فلما تمهد الإسلام في زمن عمر رضي الله عنه ورأى الناس في المسجد أوزاعاً، كما جاء في الخبر قال: لو جمعت الناس على قارىء واحد لكان أمثل، فلما تم له ذلك نبه على أن قيامهم آخر الليل أفضل، ثم اتفق السلف على صحة ذلك وإقراره، والأمة لا تجتمع على ضلالة، وقد نص الأصوليون على أن الإجماع لا يكون إلا عن دليل شرعي) ثم قال الشاطبي: (فإن قيل: فقد سماها ـ أي صلاة التراويح ـ عمر رضي الله عنه بدعة، وحسنها بقوله: (نعمت البدعة هذه)، وإذا ثبتت بدعة مستحسنة في الشرع ثبت مطلق الاستحسان في البدع.

فالجواب: إنما سماها بدعة باعتبار ظاهر الحال من حيث تركها رسول الله ﷺ واتفق أن لم تقع في زمان أبي بكر رضي الله عنه لا أنها بدعة في المعنى، فمن سماها بدعة بهذا الاعتبار فلا مشاحة في الأسامي، وعند ذلك فلا يجوز أن يستدل بها على جواز الابتداع بالمعنى المتكلم فيه؛ لأنه نوع من تحريف الكلم عن مواضعه، فقد قالت عائشة رضي الله عنها: (إن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم)، وقد نهى النبي ﷺ عن الوصال رحمة بالأمة، وقال: «**إني لست كهيئتكم، إني**

= ولفظه: (يحتمل ـ أي عدم صلاة أبي بكر رضي الله عنه التراويح مع الناس ـ أن يكون رأى من قيام الناس في آخر الليل وقوتهم عليه ما كان أفضل عنده من جمعهم على إمام في أول الليل).

أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني»، وواصل الناس بعده لعلمهم بوجه علة النهي.

وأجاب الشاطبي عن تمثيل القرافي للمندوب من البدع حسب تقسيمه بإقامة صور الأئمة والقضاة وولاة الأمور بقوله: (ليس ذلك من قبيل البدع بسبيل.

أما أولاً: فإن التجمل بالنسبة إلى ذوي الهيئات والمناصب الرفيعة مطلوب وقد كان للنبي ﷺ حلة يتجمل بها للوفود، ومن العلة في ذلك ما قاله القرافي من أن ذلك أهيب وأوقع في النفوس من تعظيم العظماء ومثله التجمل للقاء العظماء، كما جاء في حديث أشج عبدالقيس.

وأما ثانياً: فإن سلمنا أن لا دليل عليه بخصوصه فهو من قبيل المصالح المرسلة، وما قاله من أن عمر كان يأكل خبز الشعير ويفرض لعامله نصف شاة فليس فيه تفخيم صورة الإمام ولا عدمه، بل فرض له ما يحتاج إليه خاصة وإلا فنصف شاة لبعض العمال قد لا يكفيه لكثرة عيال وطروق ضيف، وسائر ما يحتاج إليه من لباس وركوب وغيرهما فذلك قريب من أكل الشعير في المعنى، وأيضاً فإن ما يرجع إلى المأكول والمشروب لا تجمل فيه بالنسبة إلى الظهور للناس)، وعلق الشاطبي على قول القرافي: (فكذلك يحتاجون إلى تجديد زخارف وسياسات لم تكن قديمة، وربما وجبت في بعض الأحوال)، علق عليه بأنه مفتقر إلى التأمل ففيه على الجملة أنه مناقض لقوله في آخر الفصل: (الخير كله في الاتباع والشر كله في الابتداع) مع ما ذكر

قبله فهذا كلام يقتضي أن الابتداع شر كله فلا يمكن أن يجتمع مع فرض الوجوب، وهو قد ذكر أن البدع قد تجب، وإذا وجبت لزم العمل بها، وهي لما كانت ضمن الشر كله فقد اجتمع فيها الأمر بها والأمر بتركها ولا يمكن فيهما الانفكاك وإن كانا من جهتين؛ لأن الوقوع يستلزم الاجتماع وليسا كالصلاة في الدار المغصوبة؛ لأن الانفكاك عن الوقوع ممكن، وهاهنا إذا وجبت فإنما تجب على الخصوص، وقد فرض أن الشر فيها على الخصوص فلزم التناقض، وأما على التفصيل: فإن تجديد الزخارف فيه من الخطأ ما لا يخفى، وأما السياسات فإن كانت جارية على مقتضى الدليل الشرعي فليست ببدع وإن خرجت عن ذلك فكيف يندب إليها وهي مسألة النزاع).

وأجاب عن الأشياء التي أوردها القرافي في قسم المكروه: بأنها هي من قبيل البدع في الجملة ولا كلام فيها، أو من قبيل الاحتياط على العبادات المحضة أن لا يزاد فيها ولا ينقص منها، وذلك صحيح؛ لأن الزيادة فيها والنقصان منها بدع منكرة فحالاتها وذرائعها يحتاط بها في جانب النهي.

وأجاب عن إيراد القرافي في قسم المباح مسألة المناخل: بأنها ليست في الحقيقة من البدع، بل هي من باب التنعم، ولا يقال فيمن تنعم بمباح إنه قد ابتدع، وإنما يرجع ذلك إذا اعتبر إلى جهة الإسراف في المأكولات؛ لأن الإسراف كما يكون في جهة الكمية يكون في جهة الكيفية، فالمناخل لا تعدو القسمين: فإن كان الإسراف من ماله فإن كره وإلا اغتفر مع أن الأصل الجواز.

ومما يحكيه أهل التذكير من الآثار أن أول ما أحدث الناس أربعة أشياء: المناخل، والشبع، وغسل اليدين بالأشنان بعد الطعام، والأكل على الموائد.

وهذا كله إن ثبت نقلاً ليس ببدعة وإنما يرجع إلى أمر آخر، وإن سلم أنه بدعة فلا نسلم أنها مباحة، بل هي ضلالة ومنهي عنها ولكنا لا نقول بذلك، هذا ما أجاب به الشاطبي عن كلام القرافي إجمالاً وتفصيلاً، وقد أجاد فيه.

وأما تقسيم العز بن عبدالسلام ـ شيخ القرافي ـ البدعة إلى الأقسام الخمسة، فقد أجاب عنه العلامة إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي في الجزء الأول من [الاعتصام] (ص١٥٥ ـ ١٦٧) قال في الجواب عن أمثلة الواجب ما نصه: (فأمثلة الواجب منها من قبيل ما لا يتم الواجب إلا به، كما قال: فلا يشترط أن يكون معمولاً به في السلف ولا أن يكون له أصل في الشريعة على الخصوص؛ لأنه من باب المصالح المرسلة لا البدع، أما هذا الثاني فقد تقدم، وأما الأول فلأنه لو كان ثم من يسير إلى فريضة الحج طيراناً في الهواء أو مشياً على الماء لم يعد مبتدعاً بمشيه كذلك؛ لأن المقصود إنما هو التوصل إلى مكة لأداء الفرض وقد حصل على الكمال فكذلك هذا، على أن هذه أشياء قد ذمها بعض من تقدم من المصنفين في طريقة التصوف وعدها من جملة ما ابتدع الناس، وذلك غير صحيح، ويكفي في رده إجماع الناس قبله على خلاف ما قال، على أنه نقل عن القاسم بن مخيمرة أنه ذكرت عنده العربية فقال: أولها كبر وآخرها بغي، وحكى أن بعض السلف قال: النحو يذهب الخشوع من القلب،

ومن أراد أن يزدري الناس كلهم فلينظر في النحو، ونقل نحو من هذه، وهذه كلها لا دليل فيها على الذم؛ لأنه لم يذم النحو من حيث هو بدعة، بل من حيث يكتسب به أمر زائد، كما يذم سائر علماء السوء لا لأجل علومهم، بل لأجل ما يحدث لهم بالعرض من الكبر به والعجب وغيرهما، ولا يلزم من ذلك كون العلم بدعة، فتسمية العلوم التي يكتسب بها أمر مذموم بدعاً: إما على المجاز المحض من حيث لم يحتج إليها أولاً ثم احتيج بعد، أو من عدم المعرفة بموضوع البدعة؛ إذ من العلوم الشرعية ما يداخل صاحبها الكبر والزهو وغيرهما ولا يعود ذلك عليها بذم، ومما حكى بعض هذه المتصوفة عن بعض علماء الخلف أنه قال: العلوم تسعة: أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين، وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف:

فأما الأربعة المعروفة: فعلم الإيمان، وعلم القرآن، وعلم الآثار، والفتاوى.

وأما الخمسة المحدثة: فالنحو، والعروض، وعلم المقاييس، والجدل في الفقه، وعلم المعقول بالنظر. وهذا إن صح نقله فليس أولاً كما قال؛ فإن أهل العربية يحكون عن أبي الأسود الدؤلي أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو الذي أشار عليه بوضع شيء في النحو حين سمع أعرابياً قارئاً ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ﴾ بالجر. وقد روي عن ابن أبي مليكة أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أمر أن لا يُقرىء القرآن إلا عالم باللغة وأمر أبا الأسود فوضع النحو، والعروض من جنس النحو. وإذا كانت الإشارة من واحد من الخلفاء الراشدين صار النحو والنظر في الكلام العربي من سنة الخلفاء الراشدين، وإن سُلِّم

أنه ليس كذلك فقاعدة المصالح تعم علوم العربية أي: تكون من قبيل المشروع فهي من جنس كتب المصحف وتدوين الشرائع. وما ذكر عن القاسم بن مخيمرة قد رجع عنه، قال أحمد بن يحيى ثعلب: كان أحد الأئمة في الدين يعيب النحو، ويقول: أول تعلمه شغل وآخره يزدري العالم به الناس، فقرأ يوماً: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ برفع ﴿ٱللَّهَ﴾ ونصب ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فقيل له: كفرت من حيث لا تعلم تجعل الله يخشى العلماء، فقال: لا طعنت في علم يدل إلى معرفة هذا أبداً، قال عثمان بن سعيد الداني: الإمام الذي ذكره أحمد بن يحيى هو القاسم بن مخيمرة قال: وقد جرى لعبدالله بن أبي إسحاق مع محمد ابن سيرين كلام، وكان ابن سيرين يتنقص النحويين فاجتمعا في جنازة، فقرأ ابن سيرين ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ برفع اسم الله فقال له ابن أبي إسحاق: كفرت يا أبا بكر تعيب على هؤلاء الذين يقيمون كتاب الله، فقال ابن سيرين: إن كنت أخطأت فأستغفر الله.

وأجاب الشاطبي عما ذكره العز بن عبدالسلام في شأن إحداث المدارس بقوله: (أما المدارس فلم يتعلق بها أمر تعبدي يقال في مثله بدعة، إلا على فرض أن يكون من السنة أن لا يقرأ العلم إلا في المساجد، وهذا لا يوجد، بل العلم كان في الزمان الأول يبث بكل مكان من مسجد أو منزل أو سفر أو حضر أو غير ذلك حتى في الأسواق، فإذا أعد أحد من الناس مدرسة يعني بإعدادها الطلبة، فلا يزيد ذلك على إعداده له منزلاً من منازله أو حائطاً من حوائطه أو غير ذلك) قال: (وإن قيل: إن البدعة في تخصيص ذلك الموضع دون غيره، فالتخصيص هاهنا ليس بتخصيص تعبدي، وإنما هو تعيين

بالحبس، كما تتعين سائر الأمور المحبسة، وتخصيصها ليس ببدعة فكذلك ما نحن فيه، بخلاف الربط فإنها خصت تشبيهاً بالصفة بها للتعبد فصارت تعبدية بالقصد والعرف، حتى إن ساكنيها مباينون لغيرهم في النحلة والمذهب والزي والاعتقاد).

وأجاب عما ذكره العز بن عبدالسلام في بناء القناطر بأنه راجع إلى إصلاح الطرق وإزالة المشقة عن سالكيها قال: (وله أصل في شعب الإيمان، وهو إماطة الأذى عن الطريق، فلا يصح أن يعد في البدع بحال). وعلق على تمثيل العز للبدعة المندوبة بكل إحسان لم يعهد في العصر الأول علق عليه بقوله ما نصه: (قوله: ـ أي العز ـ وكل إحسان لم يعهد في العصر الأول فيه تفصيل: فلا يخلو الإحسان المفروض أن يفهم من الشريعة أنه مقيد بقيد تعبدي أو لا، فإن كان مقيداً بالتعبد الذي لا يعقل معناه فلا يصح أن يعمل به إلا على ذلك الوجه، وإن كان غير مقيد في أصل التشريع بأمر تعبدي فلا يقال: إنه غير بدعة على أي وجه وقع إلا على أحد ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يخرج أصلاً شرعياً، مثل الإحسان المُتْبِع بالمن والأذى والصدقة من المديان المضروب على يده وما أشبه ذلك، ويكون إذ ذاك معصية.

والثاني: أن يلتزم على وجه لا يتعدى، بحيث يفهم منه الجاهل أنه لا يجوز إلا على ذلك الوجه، فحينئذٍ يكون الالتزام المشار إليه بدعة مذمومة وضلالة فلا تكون إذاً مستحبة.

والثالث: أن يجري على رأي من يرى المعقول المعنى وغيره بدعة مذمومة،كمن كره تنخيل الدقيق في الصيغة فلا تكون عنده البدعة

مباحة ولا مستحبة).

وأجاب عما ذكره العز في صلاة التراويح: بأنه قد تقدم الكلام عليها - أي في رده على القرافي فلا حاجة إلى إعادته. وأجاب الشاطبي عما ذكره العز في علم المقاييس وعلم المعقول بقوله: (أما علم المقاييس فأصله في السنة، ثم في علم السلف بالقياس، ثم قد جاء في ذم القياس أشياء حملوها على القياس الفاسد فذلك من قبيل النظر في الأدلة، وقد كان السلف الصالح يجتمعون للنظر في المسائل الاجتهادية التي لا نص فيها؛ للتعاون على استخراج الحق، فهو من قبيل التعاون على البر والتقوى، ومن قبيل المشاورة المأمور بها فكلاهما مأمور به. وأما علم المعقول بالنظر فأصل ذلك في الكتاب والسنة؛ لأن الله تعالى احتج في القرآن على المخالفين لدينه بالأدلة العقلية، كقوله: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[1]، وقوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾[2]، وقوله: ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾[3]، وحكى عن إبراهيم عليه السلام محاجته للكفار بقوله: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى﴾[4] إلخ، وفي الحديث حين ذكرت العدوى «فمن أعدى الأول» إلى غير ذلك من الأدلة، فكيف يقال: إنه من البدع؟!).

---

(١) سورة الأنبياء، الآية ٢٢.
(٢) سورة الروم، الآية ٤٠.
(٣) سورة الأحقاف، الآية ٤.
(٤) سورة الأنعام، الآية ٧٦.

وأجاب عن قول عز الدين: إن الرد على القدرية وكذا غيرهم من أهل البدع من البدع الواجبة: بأنه غير جار على الطريق الواضح، ولو سلم فهو من المصالح المرسلة، قال: وأما أمثلة البدع المحرمة فظاهرة.

وأجاب عن تمثيل العز بن عبدالسلام للبدعة المندوبة حسب تقسيمه بإحداث الربط، أجاب عنه بقوله: (إن عنى بالربط ما بني من الحصون والقصور قصداً للرباط فيها، فلا شك أن ذلك مشروع بشرعية الرباط ولا بدعة فيه، وإن عنى بالربط ما بني لالتزام سكناها قصد الانقطاع إلى العبادة؛ لأن إحداث الربط التي شأنها أن تبنى تديناً للمنقطعين للعبادة في زعم المحدثين، ويوقف عليها أوقاف يجري منها على الملازمين لها ما يقوم بهم في معاشهم من طعام ولباس وغيرهما لا يخلو أن يكون لها أصل في الشريعة أم لا. فإن لم يكن لها أصل دخلت في الحكم تحت قاعدة البدع التي هي ضلالات فضلاً عن أن تكون مباحة، فضلاً عن أن تكون مندوباً إليها.

وإن كان لها أصل فليست ببدعة فإدخالها تحت جنس البدع غير صحيح.

ولم يكتف الشاطبي بهذا، بل أضاف إليه تفنيد القول بأن حال أهل تلك الربط يشبه حال أهل الصفة وأجاد الكلام في ذلك غاية الإجادة ونص كلامه: (إن كثيراً ممن تكلم على هذه المسألة من المصنفين في التصوف تعلقوا بالصُّفَّة التي كانت في مسجد رسول الله ﷺ يجتمع فيها فقراء المهاجرين، وهم الذين نزل فيهم ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ

﴿يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾ الآية[١]، وقوله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ الآية[٢]، فوصفهم الله بالتعبد والانقطاع إلى الله بدعائه قصداً لله خالصاً، فدل على أنهم انقطعوا لعبادة الله بدعائه قصداً لله لا يشغلهم عن ذلك شاغل، فنحن إنما صنعنا صفة مثلها أو تقاربها، يجتمع فيها من أراد الانقطاع إلى الله ويلتزم العبادة ويتجرد عن الدنيا والشغل بها، وذلك كان شأن الأولياء ينقطعون عن الناس ويشتغلون بإصلاح بواطنهم ويولون وجوههم شطر الحق فهم على سيرة من تقدم، وإنما يسمى ذلك بدعة باعتبار ما، بل هي سنة وأهلها متبعون للسنة فهي طريقة خاصة لأناس، ولذلك لما قيل لبعضهم: في كم تجب الزكاة؟ قال: على مذهبنا أم على مذهبكم؟ ثم قال: أما على مذهبنا فالكل لله، وأما على مذهبكم فكذا وكذا، أو كما قال. وهذا كله من الأمور التي جرت عند كثير من الناس هكذا غير محققة ولا منزَّلة على الدليل الشرعي ولا على أحوال الصحابة والتابعين، ولابد من بسط طرف من الكلام في هذه المسألة بحول الله حتى يتبين الحق فيها لمن أنصف ولم يغالط نفسه وبالله التوفيق:

وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة كانت الهجرة واجبة على كل مؤمن بالله ممن كان بمكة أو غيرها: فكان منهم من احتال على نفسه فهاجر بماله أو شيء منه فاستعان به لما قدم المدينة في حرفته التي كان يحترف من تجارة أو غيرها كأبي بكر الصديق

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٢.

(٢) سورة الكهف، الآية ٢٨.

رضي الله عنه فإنه هاجر بجميع ماله وكان خمسة آلاف. ومنهم من فر بنفسه ولم يقدر على استخلاص شيء من ماله فقدم المدينة صفر اليدين، وكان الغالب على أهل المدينة العمل في حوائطهم وأموالهم بأنفسهم، فلم يكن لغيرهم معهم كبير فضل في العمل.

وكان من المهاجرين من أشركهم الأنصار في أموالهم، وهم الأكثرون، بدليل قصة بني النضير فإن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما افتتح رسول الله ﷺ بني النضير قال للأنصار: «**إن شئتم قسمتها بين المهاجرين وتركتم نصيبكم فيها وخلاً المهاجرون بينكم وبين دوركم وأموالكم فإنهم عيال عليكم**» فقالوا: نعم، ففعل ذلك نبي الله ﷺ غير أنه أعطى أبا دُجانة وسهل بن حنيف، وذكر أنهم فقراء، وقد قال المهاجرون أيضاً لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، ما رأينا قوماً أبذل لكثير ولا أحسن مواساة بقليل من قوم نزلنا بين أظهرهم ـ يعنون الأنصار ـ لقد كفونا المؤنة وشاركونا في المهنأ حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله، فقال النبي ﷺ: «**لا، مادعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم**».

ومنهم: من كان يلتقط نوى التمر فيرضها ويبيعها علفاً للإبل ويتقوت من ذلك الوجه.

ومنهم: من لم يجد وجهاً يكتسب به لقوت ولا لسكنى، فجمعهم النبي ﷺ في صفة كانت في مسجده وهي سقيفة كانت من جملته، إليها يأوون وفيها يقعدون إذ لم يجدوا مالاً ولا أهلاً، وكان النبي ﷺ يحض الناس على إعانتهم والإحسان إليهم، وقد وصفهم أبوهريرة رضي الله تعالى عنه ـ إذ كان من جملتهم وهو أعرف الناس بهم ـ قال في الصحيح: وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون على أهل ولا مال

ولا على أحد، إذا أتته - يعني النبي ﷺ - صدقة بعث بها إليهم ولا يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها. فوصفهم بأنهم أضياف الإسلام وحكم لهم - كما ترى - بحكم الأضياف، وإنما وجبت الضيافة في الجملة؛ لأن من نزل بالبادية لا يجد منزلاً ولا طعاماً لشراء، إذ لم يكن لأهل الوبر أسواق ينال منها ما يحتاج إليه من طعام يشترى ولا خانات يؤوى إليها فصار الضيف مضطراً. وإن كان ذا مال، فوجب على أهل الموضع ضيافته وإيــواؤه حتى يرتحل، فإن كان لا مال له فذلك أحرى، فكذلك أهل الصفة لما لم يجدوا منزلاً آواهم النبي ﷺ إلى المسجد حتى يجدوا، كما أنهم حين لم يجدوا ما يقوتهم ندب النبي ﷺ إلى إعانتهم، وفيهم نزل قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ﴾ .. إلى قوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الآية[1].

فوصفهم الله تعالى بأوصاف منها أنهم أحصروا في سبيل الله، أي: منعوا وحبسوا حين قصدوا الجهاد مع نبيه ﷺ كأن العدو أحصرهم فلا يستطيعون ضرباً في الأرض لاتخاذ المسكن ولاللمعاش؛ لأن العدو قد كان أحاط بالمدينة، فلا هــم يقــدرون علــى الجهاد حتى يكسبوا من غنائمه، ولا هم يتفرغون للتجارة أو غيرها؛ لخوفهم من الكفار، ولضعفهم في أول الأمر فلم يجدوا سبيلاً للكسب أصلاً، وقد قيل: إن قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ أنهم قوم أصابتهم جراحات مع رسول الله ﷺ فصاروا زمنى، وفيهم أيضاً نزل

---

(١) سورة البقرة، الآيات ٢٦٧ ـ ٢٧٣.

قوله تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾[1]، ألا ترى كيف قال: ﴿أُخْرِجُوا۟﴾ ولم يقل: خرجوا من ديارهم وأموالهم؟ فإنه قد كان يحتمل أن يخرجوا اختياراً، فبان أنهم إنما خـــرجوا منها اضطراراً، ولو وجدوا سبيلاً أن لا يخرجوا لفعلوا، ففيه مايدل على أن الخروج من المال اختياراً ليس بمقصود للشارع وهو الذي تدل عليه أدلة الشريعة، فلأجل ذلك بوأهم رسول الله ﷺ الصفة، فكانوا في أثناء ذلك ما بين طالب للقرآن والسنة، كأبي هريرة فإنه قصر نفسه على ذلك ألا ترى إلى قوله في الحديث: (وكنت ألزم رسول الله ﷺ على ملء بطني، فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا)، وكان منهم من يتفرغ إلى ذكر الله وعبادته وقراءة القرآن، فإذا غزا رسول الله ﷺ غزا معه، وإذا أقام أقام معه حتى فتح الله على رسوله وعلى المؤمنين فصاروا إلى ما صار الناس إليه غيرهم ممن كان له أهل ومال من طلب المعاش واتخاذ المسكن؛ لأن العذر الذي حبسهم في الصفة قد زال فرجعوا إلى الأصل لما زال العارض. فالذي تحصل أن القعود في الصفة لم يكن مقصوداً لنفسه ولا بناء الصفة للفقراء مقصوداً بحيث يقال: إن ذلك مندوب إليه لمن قدر عليه ولا هي رتبة شرعية تطلب بحيث يقال: إن ترك الاكتساب والخروج عن المال، والانقطاع إلى الزوايا يشبه حالة أهل الصفة، وهي الرتبة العليا؛ لأنها تشبهٌ بأهل صفة رسول الله ﷺ الذين وصفهم الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾

---

(١) سورة الحشر، الآية ٨.

الآية[١]، وقوله: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ الآية[٢]، فإن ذلك لم يكن على ما زعم هؤلاء، بل كان على ما تقدم.

والدليل من العمل: أن المقصود بالصفة لم يدم ولم يثابر أهلها ولا غيرهم على البقاء فيها ولا عمرت بعد النبي ﷺ، ولو كان من قصد الشارع ثبوت تلك الحالة لكانوا هم أحق بفهمها أولاً، ثم بإقامتها والمكث فيها عن كل شغل، وأولى بتجديد معاهدها، لكنهم لم يفعلوا ذلك البتة، فالتشبه بأهل الصفة إذاً في إقامة ذلك المعنى واتخاذ الزوايا والربط لا يصح، فليفهم الموفق هذا الموضع فإنه مزلة قدم لمن لم يأخذ دينه عن السلف الأقدمين والعلماء الراسخين. ولا يظن العاقل أن القعود عن الكسب ولزوم الربط مباح أو مندوب إليه أفضل من غيره إذ ليس ذلك بصحيح، ولن يأتي آخر هذه الأمة بأهدى مما كان عليه أولها، ويكفي المسكين المغتر بعمل الشيوخ المتأخرين: أن صدور هذه الطائفة المتسمين بالصوفية لم يتخذوا رباطاً ولا زاوية ولا بنوا بناء يضاهون به الصفة للاجتماع على التعبد والانقطاع عن أسباب الدنيا؛ كالفضيل بن عياض، وإبراهيم بن أدهم، والجنيد، وإبراهيم الخواص، والحارث المحاسبي، والشبلي... وغيرهم ممن سابق في هذا الميدان، وإنما محصول هؤلاء أنهم خالفوا رسول الله ﷺ وخالفوا السلف الصالح وخالفوا شيوخ الطريقة التي انتسبوا إليها، ولا توفيق إلا بالله).

وأجاب الشاطبي عن تمثيل العز بن عبدالسلام للبدعة المندوبة حسب تقسيمه بالكلام في دقائق التصوف.

---

(١) سورة الأنعام، الآية ٥٢.
(٢) سورة الكهف، الآية ٢٨.

أجاب عنه: بأن الكلام في دقائق التصوف ليس ببدعة بإطلاق ولا هو مما صح بالدليل بإطلاق، بل الأمر ينقسم؛ ثم قال[١]: (لفظ التصوف لابد من شرحه أولاً، حتى يقع الحكم على أمر مفهوم؛ لأنه أمر مجمل عند هؤلاء المتأخرين، فلنرجع إلى ما قال فيه المتقدمون.

وحاصل ما يرجع إليه لفظ التصوف عندهم معنيان:

أحدهما: التخلق بكل خلق سني، والتجرد عن كل خلق دنيء.

والآخر: أنه الفناء عن نفسه والبقاء لربه.

وهما في التحقيق إلى معنى واحد، إلا أن أحدهما يصلح التعبير به عن البداية، والآخر يصلح التعبير به عن النهاية، وكلاهما اتصاف إلا أن الأول لا يلزمه الحال، والثاني يلزمه الحال، وقد يعبر فيهما بلفظ آخر فيكون الأول عملاً تكليفياً، والثاني نتيجته، ويكون الأول اتصاف الظاهر، والثاني اتصاف الباطن، ومجموعهما هو التصوف.

وإذا ثبت هذا فالتصوف بالمعنى الأول لا بدعة في الكلام فيه؛ لأنه إنما يرجع إلى تفقه ينبني عليه العمل وتفصيل آفاته وعوارضه وأوجه تلافي الفساد الواقع فيه بالإصلاح، وهو فقه صحيح وأصوله في الكتاب والسنة ظاهرة، فلا يقال في مثله بدعة إلا إذا أطلق على فروع الفقه التي لم يُلْف مثلها في السلف الصالح أنها بدعة كفروع أبواب السلم، والإجارات، والجراح، ومسائل السهو والرجوع عن الشهادات وبيوع الآجال، وما أشبه ذلك. وليس من شأن العلماء إطلاق لفظ

---

(١) الاعتصام (ج١ ص١٦٣ ـ ١٦٦).

البدعة على الفروع المستنبطة التي لم تكن فيما سلف وإن دقت مسائلها، فكذلك لا يطلق على دقائق فروع الأخلاق الظاهرة والباطنة أنها بدعة؛ لأن الجميع يرجع إلى أصول شرعية.

وأما بالمعنى الثاني فهو على أضرب:

أحدها: يرجع إلى العوارض الطارئة على السالكين إذا دخل عليهم نور التوحيد الوجداني، فيتكلم فيها بحسب الوقت والحال، وما يحتاج إليه في النازلة الخاصة رجوعاً إلى الشيخ المربي وما بين له في تحقيق مناطها بفراسته الصادقة في السالك بحسبه وبحسب العارض، فيداويه بما يليق به من الوظائف الشرعية والأذكار الشرعية أو بإصلاح مقصده إن عرض فيه العارض فقلما يطرأ العامل، بل العارض إلا عند الإخلال ببعض الأصول الشرعية التي بنى عليها في بدايته فقد قالوا: إنما حرموا الوصول بتضييعهم الأصول فمثل هذا لا بدعة فيه لرجوعه إلى أصل شرعي، ففي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ جاءه ناس من أصحابه رضي الله عنهم فقالوا: يا رسول الله، إنا نجد في أنفسنا الشيء يعظم أن نتكلم به،أو الكلام به ما نحب أن لنا وأنا تكلمنا به قال: «**أو قد وجدتموه؟**» قالوا: نعم، قال: «**ذاك صريح الإيمان**»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن أحدنا يجد في نفسه يعرض بالشيء، لأن يكون حممه أحب إليه من أن يتكلم به، قال: «**الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة**»، وفي حديث آخر: «**من وجد من ذلك شيئاً فليقل: آمنت بالله**»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما في مثله: «**إذا وجدت شيئاً من ذلك فقل:**

هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ إلى أشباه ذلك، وهو صحيح مليح.

والثاني: يرجع إلى النظر في الكرامات وخوارق العادات وما يتعلق بها مما هو خارق في الحقيقة أو غير خارق، وما هو منها يرجع إلى أمر نفسي أو شيطاني، أو ما أشبه ذلك من أحكامها.

فهذا النظر ليس ببدعة، كما أنه ليس ببدعة النظر في المعجزات وشروطها والفرق بين النبي والمتنبي، وهو من علم الأصول فحكمه حكمه.

والضرب الثالث: ما يرجع إلى النظر في مدركات النفوس من العالم الغائب، وأحكام التجريد النفسي، والعلوم المتعلقة بعالم الأرواح وذوات الملائكة والشياطين والنفوس الإنسانية والحيوانية وما أشبه ذلك هو بلا شك بدعة مذمومة إن وقع النظر فيه، والكلام عليه بقصد جعله علماً ينظر فيه، وفناً يشتغل بتحصيله بتعلم أو رياضة فإنه لم يعهد مثله في السلف الصالح وهو في الحقيقة نظر فلسفي إنما يشتغل باستجلابه والرياضة لاستفادته أهل الفلسفة الخارجون عن السنة المعدودون في الفرق الضالة، فلا يكون الكلام فيه مباحاً، فضلاً عن أن يكون مندوباً إليه. نعم، قد يعرض للسالك فيتكلم فيه مع المربي حتى يخرجه عن طريق ويبعد بينه وبين فريقه؛ لما فيه من إمالة مقصد السالك إلى أن يعبد الله على حرف زيادة إلى الخروج عن الطريق المستقيم بتتبعه والالتفات إليه، إذ الطريق مبني على الإخلاص التام بالتوجه الصادق، وتجريد التوحيد عن الالتفات إلى الأغيار، وفتح باب الكلام في هذا الضرب مضاد لذلك كله.

والضرب الرابع: يرجع إلى النظر في حقيقة الفناء من حيث الدخول فيه، والاتصاف بأوصافه وقطع أطماع النفس عن كل جهة توصل إلى غير المطلوب وإن دقت فإن أهواء النفوس تدق وتسري مع السالك في المقامات فلا يقطعها إلا من حسم مادتها وبت طلاقها وهو باب الفناء المذكور وهذا نوع من أنواع الفقه المتعلق بأهواء النفوس ولا يعد من البدع لدخوله تحت جنس الفقه؛ لأنه ـ وإن دق ـ راجع إلى ما جل من الفقه ودقته وجلته إضافيان والحقيقة واحدة، ثم أقسام أخر جميعها إما يرجع إلى فقه شرعي حسن في الشرع وإما إلى ابتداع ليس بشرعي وهو قبيح في الشرع.

وقال الشاطبي في الرد على كلام العز بن عبدالسلام في الجدل وجمع المحافل للاستدلال قال: (أما الجدل وجمع المحافل للاستدلال على المسائل فقد مر الكلام فيه) أي: في الرد على القرافي، وقال في الرد على عد العز بن عبدالسلام زخرفة المساجد وتزويق المصاحف وتلحين القرآن من البدع المكروهة قال: (إن أراد مجرد الفعل من غير اقتران أمر آخر فغير مسلم وإن أراد مع اقتران أصل التشريع فصحيح ما قال، إن البدعة لا تكون بدعة إلا مع اقتران هذا القصد فإن لم يقترن فهو منهي عنها غير بدعة.

وقال في الرد على عد المصافحة عقب صلاة الصبح والعصر من أمثلة البدع المباحة قال: (أما إنها بدعة فمسلم، وأما أنها مباحة فممنوع، إذ لا دليل في الشرع يدل على تخصيص تلك الأوقات بها، بل هي مكروهة إذ يخاف بدوامها إلحاقها بالصلوات المذكورة).

وقال في الرد على عد التوسع في الملذات من البدع المباحة: (قد تقدم ما فيه) يشير بذلك إلى قوله (ص١٥٥) في الرد على عد القرافي المناخل في قسم المباح ما نصه: (ليست ـ أي المناخل ـ في الحقيقة من البدع، بل هي من باب التنعم، ولا يقال فيمن تنعم بمباح إنه قد ابتدع وإنما يرجع ذلك ـ إذا اعتبر ـ إلى جهة الإسراف في المأكول؛ لأن الإسراف كما يكون في جهة الكمية يكون في جهة الكيفية).

هذا آخر جواب الشاطبي عن كلام العز بن عبدالسلام، وقد وضح منه، كما ذكره الشاطبي (ص١٦٧ ج١): أن البدع لا تنقسم إلى ذلك الانقسام، بل هي من قبيل المنهي عنه: إما كراهة وإما تحريماً.

وأما دعوى الشيخ محمـــد بن علـوي: (أنه لو كانت كل بدعة محرمة لوجب علينا حرب الكفار بالسهام والأقواس مع حربهم لنا بالرصاص والمدافع والدبابات والطيارات والأساطيل).

فالجواب عليها: بما بينه الإمام ابن القيم في كتابه [الفروسية] (ص١٠١) حيث قال في القسي الفارسية: (الصواب المقطوع به أنه لا يكره الرمي بها، ولا النضال عليها، وقد انعقد إجماع الأمة على إباحة الرمي بها وحملها وهي التي يقع بها الجهاد في هذه الأعصار، وبها يكسر العدو، وبها يعز الإسلام ويرعب المشركون. والمقصود: نصرة الدين وكسر أعدائه لا عين القوس وجنسها، وقد قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[١]، والرمي بهذه القسي من القوة المعدة،

(١) سورة الأنفال، الآية ٦٠.

وقد قال النبي ﷺ: «**ارموا واركبوا، وأن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا**»، ولم يخص نوعاً من نوع، وليس هذا الخطاب مختصاً بالصحابة، بل هو لهم وللأمة إلى يوم القيامة، فهو أمر لكل طائفة بما اعتادوه من الرمي والقسي، والأحاديث التي تقدمت في فضل الرمي وتبليغ العدو السهام عامة في كل نوع فلا يدعى فيها التخصيص بغير موجب. وأما النهي عنها ـ أي القسي الفارسية ـ[1] إن صح فذاك في وقت مخصوص ـ وهو حين كانت العرب هم عسكر الإسلام، وقسيهم العربية ـ فكلامهم بالعربية وأدواتهم عربية وفروسيتهم عربية، وكان الرمي بغير قسيهم والكلام بغير لسانهم حينئذٍ تشبهاً بالكفار من العجم وغيرهم، أما في هذه الأزمان فقسي عسكر الإسلام الفارسية أو التركية، وكلامهم وأدواتهم وفروسيتهم العربية، فلو كره لهم ذلك ومنعوا منه فسدت الدنيا والدين، وتعطل سوق الجهاد واستولى الكفار على المسلمين، وهذا من أبطل الباطل، فإن صح الخبر فالنبي ﷺ لعنها وأمر بإلقائها حين لم يكن العجم والترك قد أسلموا، فهي كانت شعاراً للكفار والمشركين، أو منع الرجل من حملها لعدم أهل الإسلام حينئذٍ، ولهذا قال: «**عليكم برماح القنا**»، فلم تستعمل الرماح حينئذٍ واستعمل معهم ما يخافون شوكته من السلاح، ومن هذا لو حاصرنا

---

(١) وكان ابن القيم قد قال قبل ذلك بعد أن ذكر أن الإمام أحمد نص على جواز المسابقة بالقسي الفارسية، وأباح الرمي بها، قال ما نصه: (قال أبوبكر من أصحابنا: يكره، واحتج بأن النبي ﷺ رأى مع رجل قوساً فارسية، فقال: «**ألقها فإنها ملعونة**».

حصناً وقوس الجرخ فيه أنفع من قوس اليد لكان الرمي بقوس الجرخ فيه أولى من الرمي بقوس اليد، بل كان يتعين. فإن كان الرمي بالمنجنيق أدعى إلى فتحه كان أولى من النشاب وحده، والكافر عدو والمقصود قتله كيفما أمكن كقتل الحية والكلب العقور، فكل طائفة من المسلمين الأفضل في حقها أن تقاتل بما اعتادته من القسي والآلات وأنواع الحرب والقتال، ولو كانت عساكر الإسلام اليوم تقاتل بين يدي رسول الله ﷺ بهذه القسي الفارسية وينصر الله ورسوله بها لمدحها وأثنى عليها، ولم ينههم عنها، وبالله التوفيق).

ومن أحسن ما جاء في الرد على تقسيم البدعة إلى الأحكام الخمسة قول الإمام تقي الدين ابن تيمية في [اقتضاء الصراط المستقيم] (ص٢٧٤، ٢٧٥) :(لا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله ﷺ الكلية، وهي قوله: «**كل بدعة ضلالة**» بسلب عمومها، وهو أن يقال: ليست كل بدعة ضلالة، فإن هذا إلى مشاقة الرسول أقرب منه إلى التأويل، بل الذي يقال فيما ثبت أنه حسن من الأعمال التي قد يقال، هي بدعة: إن هذا العمل المعين مثلاً ليس ببدعة، فلا يندرج في الحديث، أو إن اندرج لكنه مستثنى من هذا العموم؛ لدليل كذا وكذا الذي هو أقوى من العموم، مع أن الجواب الأول أجود، وهذا الجواب فيه نظر، فإن قصد التعميم المحيط ظاهر من نص رسول الله ﷺ بهذه الكلمة الجامعة، فلا يعدل عن مقصوده بأبي هو وأمي .

وكذلك قول السيد رشيد رضا في الجزء الرابع من فتاويه (ص١٣٧٨، ١٣٧٩) في البدع ما نصه: (منها: ما يكون كفراً أو وسيلة

إلى الكفر، ومنها: ما هو حرام، وما هو مكروه. وليس في البدع الشرعية شيء جائز كأن يكون مباحاً؛ لأنها لا تكون إلا ضلالة، كما ورد في الحديث.

وقد صرح بهذا الفقيه ابن حجر المكي في [الفتاوى الحديثية] (ص٢٠٦).

وأما البدعة غير الشرعية فهي التي قالوا: إنها تنقسم إلى الأحكام الخمسة، كما بينه ابن حجر في (ص١١٢) من [الفتاوى الحديثية] أيضاً، ولكنه أخطأ في بعض الأمثلة وعبر عن هذه البدعة بالبدعة اللغوية.

وقد فصل العلامة الشاطبي هذا البحث تفصيلاً تاماً في كتابه [الاعتصام]، وسبق لنا نقل كثير من فصوله ولم يبلغنا قبل اليوم أن الجهل بلغ من أحد ينسب إلى الإسلام مبلغاً حمله على القول بأن العمل بالبدعة الشرعية جائز وأنه خير من تركها، وبعد أن أثنى الشيخ رشيد رضا على فتوى للشيخ سليم البشري جيدة في التحذير من العمل بالبدع الشرعية قال: (لكن لدى الشيخ وسائل أخرى كل منها يؤثر ما لا تؤثر الفتاوى الفردية، يسهل على الشيخ ـ وهو رئيس العلماء ـ أن يؤلف لجنة من كبار علماء المذاهب الأربعة في الأزهر ويأمرها بإحصاء البدع الفاشية في المساجد والأضرحة والموالد وغيرها وتأليف رسائل في التنفير منها تطبع ويذكر فيها أسماء عشرات من العلماء الذين ألفوها وأقروها، وأن يعهد إلى علماء جميع المعاهد الدينية وطلابها بنشرها وقراءتها على الناس في المساجد بنظام متبع، وكذا في غير المساجد بشرط أن يكونوا أول العاملين بها والمنكرين على كل من

يخالفها ويمكن طبع الألوف من هذه الرسائل على نفقة الأوقاف الخيرية المطلقة وتوزيعها بغير ثمن، وأن يعهد إلى بعض المنشئين المجيدين بإنشاء خطب في ذلك توزعها وزارة الأوقاف على خطباء جميع المساجد؛ ليخطبوا بها، وأن يقترح على الشعراء المجيدين أن ينظموا ذلك في قصائد وموشحات تزجر الناس عن تلك البدع ويسهل عليه أيضاً أن يتوسل بالحكومة إلى إبطال كثير من تلك البدع، ولاسيما بدع المواسم والاحتفالات التي للحكومة يد فيها، فعسى الله أن يوفق الشيخ إلى هذا العمل الذي لا يقدر عليه غيره فيكون ذخراً له عند الله تعالى وموجباً لثناء الناس كلهم بحق).

* * * *

فصـــل
فيما ترتب على الاحتفال بذلك اليوم من أمور خطيرة ومفاسد كثيرة

ترتب على الاحتفال باليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي أمور خطيرة ومفاسد كثيرة.

فمن الأمور الخطيرة التي ترتبت عليه: صـــدور أوامر من بعض الولاة في العصور المتأخرة بتصيير ذلك اليوم عيداً، وورود تصريحات من بعض أهل العلم المشجعين على الاحتفال بذلك اليوم باعتباره عيداً، وعلى سبيل التمثيل لذلك ـ لا الحصر ـ أورد ما يلي:

١ ـ ما ورد في الجزء الثاني من [الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى] للشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي (ج٢ ص٤٣) ونصه: (وفي سنة إحدى وسبعين وستمائة أمر السلطان يوسف بن يعقوب بن عبدالحق بعمل المولد النبوي وتعظيمه والاحتفال به وصيره عيداً من الأعياد في جميع بلاده، وذلك في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة، وكان الأمر به قد صدر عنه وهو بصبرة من بلاد الريف في آخر صفر من السنة فوصل برسم إقامته بحضرة فاس الفقيه أبويحيى بن أبي الصبر)، هكذا ورد في [الاستقصاء]، وذكر السلاوي بعد ذلك أن بني العزفي أصحاب سبتة سبقوا السلطان يوسف إلى عمل المولد، ثم قال: (فهم أول من أحدث عمل المولد الكريم بالمغرب، والله أعلم).

٢ ـ ما جاء في [المدخل] لابن الحاج (ج٢ ص٤٦) ونصه: (لقد أحسن الشيخ الإمام أبويعقوب يوسف ابن الشيخ أبي الحسن علي ابن الشيخ أبي مروان عبدالملك البكري عرف بابن السماط... حيث قال:

أعلمت أنك يا ربيع الأول ... تاج على هام الزمان مكلل
مستعذب الإلمام مرتقب اللقا ... كل الفضائل حين تقبل تقبل
ما عدت إلا كنت عيداً ثالثاً ... بل أنت أحلى في العيون وأجمل
شرفاً بمولد مصطفى لما بدا ... أخفى الأهلة وجهه المتهلل

... إلخ.

نقل عنه هذه الأبيات ابن الحاج في الجزء الثاني من [المدخل] (ص٤٦) رغم أن ابن الحاج نفسه قد جزم بأن المواسم التي لم تثبت شرعاً هي: بين مواسم تنسب إلى الشرع وليست منه وبين مواسم تشبه أصحابها فيها بالنصارى[1]، وقد أطال في تفصيل ذلك.

٣ ـ ما جاء في [الإعلام بأعلام بيت الله الحرام] للشيخ قطب الدين الحنفي (ص١٩٦) في كلامه على الاحتفال بالمولد النبوي، ونصه: (كيف لا يفرح المؤمنون بليلة ظهر فيها أشرف الأنبياء والمرسلين ﷺ، وكيف لا يجعلونه عيداً من أكبر أعيادهم؟).

٤ ـ ما ورد في كتاب [التبر المسبوك في ذيل السلوك] للسخاوي (ص١٤) بصدد كلامه على الاحتفال باليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم

---

(١) راجع [المدخل] (ج٢ ص٢٧٦ ـ ٣٠٥).

المولد النبوي، ونصه: (وإذا كان أهل الصليب اتخذوا ليلة مولد نبيهم عيداً أكبر، فأهل الإسلام أولى بالتكريم وأجدر)، وقد تعقبه الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٢٩، ٣٠) بقوله: (قلت: مما يرد عليه أنا مأمورون بمخالفة أهل الكتاب) ا.هـ كلام علي القاري جزاه الله عنه خير الجزاء.

وعلى أساس اعتبار ذلك اليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي عيداً أفتى ابن عباد وابن عاشر بمنع صومه، كما بينه الشيخ أبوعبدالله محمد بن محمد بن عبدالرحمن الطرابلسي المعروف بالحطاب في [مواهب الجليل شرح مختصر خليل] حيث قال: قال الشيخ زروق في [شرح القرطبية]: صيام يوم المولد كرهه بعض من قرب عصره ممن صح علمه وورعه، قال: إنه من أعياد المسلمين فينبغي أن لا يصام فيه، وكان شيخنا أبوعبدالله القوري يذكر ذلك كثيراً ويستحسنه انتهى. قلت: ـ القائل الحطاب ـ: لعله ـ أي زروق ـ يعني: ابن عباد، فقد قال في رسائله الكبرى ما نصه: (وأما المولد فالذي يظهر لي أنه عيد من أعياد المسلمين وموسم من مواسمهم، وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسرور بذلك المولد المبارك: من إيقاد الشمع، وإمتاع البصر والسمع، والتزين بلبس فاخر الثياب وركوب فاره الدواب، أمر مباح لا ينكر على أحد، قياساً على غيره من أوقات الفرح. والحكم بكون هذه الأشياء بدعة في هذا الوقت الذي ظهر فيه سر الوجود وارتفع فيه علم الشهود وانقشع فيه ظلام الكفر والجحود، وادعاء أن هذا الزمان ليس من المواسم الشرعية لأهل الإيمان، ومقارنة ذلك بالنيروز والمهرجان، أمر مستثقل تشمئز منه

القلوب السليمة، وتدفعه الآراء المستقيمة[١]. ولقد كنت فيما خلا من الزمان خرجت في يوم مولد إلى ساحل البحر فاتفق أن وجدت هناك سيدي الحاج ابن عاشر رحمه الله وجماعة من أصحابه، وقد أخرج بعضهم طعاماً مختلفاً ليأكلوه هناك فلما قدموه لذلك أرادوا مني مشاركتهم في الأكل وكنت إذ ذاك صائماً، فقلت لهم: إنني صائم، فنظر إلي سيدي الحاج نظرة منكرة، وقال لي ما معناه: إن هذا اليوم يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصيام بمنزلة العيد، فتأملت كلامه فوجدته حقاً، وكأنني كنت نائماً فأيقظني. انتهى ما في [مواهب الجليل شرح مختصر خليل] (ج٢ ص٤٠٦، ٤٠٧). وما ظنه من أن ابن عباد هو الذي جرت تلك القضية بينه وبين ابن عاشر جزم به الشيخ أحمد بابا التنبكتي في [الديباج المذهب في أعيان علماء المذهب] (ص٧١)، والشيخ أحمد بن خالد الناصري السلاوي في الجزء الثاني من [الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى] (ص١٤٤). قال الشيخ

---

(١) ورد في تعليق بعض الفضلاء على كلام ابن عباد هذا ما نصه: (يحرم استعمال آلة اللهو عند الاجتماع في هذه الليلة، ولا يجوز تعظيم نبي الله تعالى إلا بما يرضيه ويرضي الله تعالى، بل تنبغي الصدقة في السر بما يعمل في تلك الأيام من الأطعمة فإن ذلك أسلم من فساد النيات، ومن حضور الجماعات) ذكر ذلك صاحب [المعيار] (ج١١ ص٢٧٦)، كما ذكر في الجزء الثاني من [المعيار] (ص٤٧١، ٤٧٢) أن إيقاد الشمع ليلة مولد النبي ﷺ وليلة سابعه بدعة، وأن فيه مفاسد، ثم قال: (ولقد تصدى لتغيير ذلك وشدة النكير فيه شيخ شيوخنا الشيخ المحصل العالم أبوعبدالله سيدي محمد بن مرزوق برد الله ضجعته، وأسكنه جنته فانقطعت تلك المفاسد من تلمسان طول حياته رحمه الله، ثم عادت بموته رحمه الله، بل زادت).

أحمد بابا: (قال ابن عباد في رسائله: كنت قدماً خرجت يوم مولده ﷺ إلى ساحل البحر فوجدت هناك السيد الحاج ابن عاشر رحمه الله وجماعة من أصحابه معهم طعام يأكلونه فأرادوا مني الأكل، فقلت: إني صائم، فنظر إلي السيد الحاج نظرة منكرة، وقال: هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم، كالعيد، فتأملت مقاله فوجدته حقاً وكأنه أيقظني من النوم).

وقال السلاوي في ترجمة ابن عباد[1] ما نصه: (من فوائده التي نقلها عن شيخه ابن عاشر ما ذكره في رسائله قال: كنت قدماً خرجت في يوم مولد النبي ﷺ صائماً إلى ساحل البحر فوجدت هنالك سيدي الحاج أحمد بن عاشر رحمه الله ورضي عنه وجماعة من أصحابه ومعهم طعام يأكلونه فأرادوا مني الأكل فقلت: إني صائم فنظر إلي سيدي الحاج نظرة منكرة، وقال لي: هذا يوم فرح وسرور يستقبح في مثله الصوم، كالعيد، فتأملت قوله فوجدته حقاً، وكأنه أيقظني من النوم) ا.هـ وقد اغتر بهذه الفتوى الخاطئة الشيخ محمد بن عرفة

---

(١) للشيخ ابن عباد خطب مدونة بالمغرب مشهورة بأيدي الناس يقرؤون منها ما يتعلق بالمولد النبوي الشريف بين يدي السلطان؛ تبركاً بها، ويقرؤونها في المجتمعات في المواسم، كأول رجب وشعبان ونصفهما والسابع والعشرين منهما، كرمضان، ذكر ذلك المقري في ترجمة ابن عباد من [نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب] (ج٥ ص٣٤٩، ٣٥٠) قال: (وقد حضرت بمراكش المحروسة سنة عشر وألف قراءة كراسة الشيخ - أي ابن عباد - في المولد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام، بين يدي مولانا السلطان أحمد المنصور بالله الشريف الحسني رحمه الله تعالى، وقد احتفل لذلك المولد بأمور يستغرب وقوعها).

الدسوقي حيث قال في حاشيته على [شرح الدردير لمختصر خليل] (ج١ ص٤٧٤) في باب الصيام: (تنبيه: من جملة الصيام المكروه - كما قاله بعضهم - صوم يوم المولد المحمدي إلحاقاً له بالأعياد) ولا شك في أن اعتبار ذلك اليوم عيداً بدعة، كما أوضحه الإمام الشاطبي في [الاعتصام] (ج١ ص٢٠).

فقد قال في تعريف البدعة على رأي من لا يدخل العادات في معنى البدعة، وإنما يخصها بالعبادات ما نصه: (فالبدعة إذن: عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه. وقال في تعريفها على رأي من أدخل الأعمال العادية في معنى البدعة: (البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها مايقصد بالطريقة الشرعية)، ثم قال بعد إيراد هذين التعريفين ما نصه: (قوله في الحد: (تضاهي الشرعية)، يعني: أنها تشابه الطريقة الشرعية من غير أن تكون في الحقيقة كذلك، بل هي مضادة لها من أوجه متعددة، وذكر من أمثلة ذلك اتخاذ يوم ولادة النبي ﷺ عيداً) ا.هـ.

كما لا شك في أن منع صوم اليوم الموافق ليوم المولد النبوي - لو كان معلوماً - مخالف لما خرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، أن النبي ﷺ سئل عن صيام يوم الإثنين فقال: «ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت علي فيه النبوة» فإن في إجابة النبي ﷺ في هذا الحديث عن صيام يوم الإثنين بهذا الجواب، كما في [لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف] لابن رجب (ص٩٨) إشارة إلى استحباب صيام الأيام التي تتجدد فيها نعم الله على

عباده[١]، فإن أعظم نعم الله على هذه الأمة إظهار محمد ﷺ لهم وبعثته وإرساله إليهم) واستمر إلى أن قال: (فأما النعمة بإرسال محمد ﷺ فإن بها تمت مصالح الدنيا والآخرة، وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده، وكان قبوله سبب سعادتهم في دنياهم وآخرتهم، فصيام يوم تجددت فيه هذه النعم من الله على عباده المؤمنين حسن جميل، وهو من باب مقابلة النعم في أوقات تجددها بالشكر)، ثم قال: (ونظير هذا صيام يوم عاشوراء حيث أنجى الله فيه نوحاً من الغرق، ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده وأغرقهم في اليم، فصامه نوح وموسى شكراً لله فصامه رسول الله ﷺ متابعة لأنبياء الله، وقال لليهود: «**نحن أحق بموسى منكم**»، وصامه وأمر بصيامه). وهذه الرواية التي أشار إليها ابن رجب هنا عزاها إلى [مسند أحمد]قبل ذلك في المجلس الثاني في يوم عاشوراء (ص٤٦) من [لطائف المعارف] ولفظه: (وفي [مسند الإمام أحمد]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (مر النبي ﷺ بأناس من اليهود قد صاموا عاشوراء فقال: «**ما هذا الصوم؟**» قالوا:

---

(١) هذا هو الصواب لا قول الشيخ محمد بن علوي المالكي في (ص٧) من رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف]، وفي (ص١٠) من مقدمته لـ [المورد الروي في المولد النبوي]، وفي (ص٦) من مقدمته لطبعة [مولد ابن الديبع] تحت عنوان [مختصر في السيرة النبوية] في كلامه على حديث أبي قتادة الأنصاري أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم يوم الإثنين، فقال: «**فيه ولدت وفيه أنزل علي**» قال في كلامه عليه: (هذا في معنى الاحتفال به إلا أن الصورة مختلفة، ولكن المعنى موجود، سواء كان ذلك بصيام أوإطعام طعام أو اجتماع على ذكر أو صلاة على النبي ﷺ أو سماع شمائله الشريفة).

هذا اليوم الذي نجى الله عز وجل موسى عليه السلام وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي، فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل، فقال النبي ﷺ: «**أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم**» فأمر أصحابه بالصوم)، ولو استغنى ابن رجب عن هذه الرواية بحديث ابن عباس في الصحيحين قال: (قدم رسول الله ﷺ المدينة فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ما هذا اليوم الذي تصومونه؟**» قالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: «**فنحن أحق وأولى بموسى منكم**» فصامه رسول الله ﷺ وأمر بصيامه) أقول: لو استغنى ابن رجب بهذه الرواية عن تلك الرواية التي ورد فيها ذكر نوح لأجاد، فإن ذكر نوح فيها غريب، كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ قال (ج٢ ص٤٤٧): (قال الإمام أحمد: حدثنا أبوجعفر، حدثنا عبدالصمد بن حبيب الأزدي[١]، عن أبيه حبيب بن عبدالله، عن شبل، عن أبي هريرة قال: (مر النبي ﷺ بأناس من اليهود وقد صاموا يوم عاشوراء، فقال: «**ما هذا الصوم؟**» قالوا:

---

(١) عبدالصمد بن حبيب الأزدي الذي جاء ذكر نوح في حديث صوم يوم عاشوراء من روايته هو وإن قال فيه يحيى بن معين: لا بأس به،فقد قال أحمد والبخاري فيه: لين الحديث، وقال البخاري: هو عبدالصمد بن أبي الحنتر الراسبي، وذكره أحمد فوضع من أمره، ووالده حبيب بن عبدالله مجهول، في زمن التابعين، روى عنه ابنه عبدالصمد وحده، ذكر ذلك كله الحافظ الذهبي في [ميزان الاعتدال في نقد الرجال].

هذا اليوم الذي نجى الله فيه موسى وبني إسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون، وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودي فصام نوح وموسى عليهما السلام شكراً لله عز وجل، فقال النبي ﷺ: «**أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم**» فصام، وقال لأصحابه: «**من كان أصبح منكم صائماً فليتم صومه، ومن كان أصاب من غذاء أهله فليتم بقية يومه**» ثم قال ابن كثير: (هذا حديث غريب من هذا الوجه، ولبعضه شاهد في الصحيح) وذكر في [البداية والنهاية] (ج١ ص١١٧): أن ذكر نوح في هذا الحديث من المستغرب فيه، والله أعلم.

والمقصود: أن استحباب صوم اليوم الذي يوافق يوم المولد النبوي لو كان معيناً هو الذي يقتضيه حديث أبي قتادة عند مسلم في صحيحه: أن النبي ﷺ سئل عن صوم يوم الإثنين، فقال: «**ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت عليّ فيه النبوة**». ومنها: دعوى أن ليلة المولد النبوي أفضل من ليلة القدر، وهي دعوى ذكرها القسطلاني[1] في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص١٣٥، ١٣٦) ولفظه (فإن قلت: إذا قلنا: بأنه عليه السلام ولد ليلاً فأيما أفضل ليلة القدر أو ليلة مولده عليه السلام؟

أجيب: بأن ليلة مولده عليه السلام أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة:

---

(١) وقد حاد في ذلك عن الصواب، كما حاد عنه فيه قبله الشيخ الخطيب أبوعبدالله محمد بن أحمد بن مرزوق الذي صنف فيه مصنفاً سماه [جنى الجنتين في فضل الليلتين].

أحدها: أن ليلة المولد ليلة ظهوره ﷺ وليلة القدر معطاة له. وما شرف بظهور ذات المشرف من أجله أشرف مما شرف بسبب ما أعطيه، ولا نزاع في ذلك، فكانت ليلة المولد أفضل من ليلة القدر.

الثاني: أن ليلة القدر شرفت بنزول الملائكة فيها، وليلة المولد شرفت بظهوره ﷺ، ومن شرفت به ليلة المولد أفضل ممن شرفت بهم ليلة القدر على الأصح المرتضى، فتكون ليلة المولد أفضل.

الثالث: أن ليلة القدر وقع فيها التفضل على أمة محمد ﷺ وليلة المولد الشريف وقع التفضل فيها على سائر الموجودات، فهو الذي بعثه الله عزوجل رحمة للعالمين، فعمت به النعمة على جميع الخلائق، فكانت ليلة المولد أعم نفعاً فكانت أفضل).

وقد تعقب هذه الدعوى الشيخ محمد بن عبدالباقي الزرقاني في شرحه على [المواهب اللدنية] (ج١ ص١٣٦) بقوله: (وهذا الذي ساقه المصنف ـ يعني القسطلاني ـ وأقره متعقب، قال الشهاب الهيتمي: فيه إجمال واستدلال بما لا ينتج المدعى؛ لأنه إن أريد أن تلك الليلة ومثلها من كل سنة إلى يوم القيامة أفضل من ليلة القدر فهذه الأدلة لا تنتج ذلك، كما هو جلي، وإن أريد عين تلك الليلة، فليلة القدر لم تكن موجودة إذ ذاك، وإنما أتى فضلها في الأحاديث الصحيحة على سائر ليالي السنة بعد الولادة بمدة، فلم يمكن اجتماعهما حتى يتأتى بينهما تفضيل، وتلك انقضت وهذه باقية إلى اليوم، وقد نص الشارع على أفضليتها ولم يتعرض لليلة مولده ولا لأمثالها بالتفضيل أصلاً فوجب علينا أن نقتصر على ما جاء عنه، ولا نبتدع شيئاً من عند نفوسنا

القاصرة عن إدراكه إلا بتوقيف منه ﷺ على أنا وإن سلمنا أفضلية ليلة مولده لم يكن له فائدة إذ لا فائدة في تفضيل الأزمنة إلا بفضل العمل فيها. وأما تفضيل ذات الزمن لا يكون بكون العمل فيه فليس له كبير فائدة، قال الزرقاني بعد إيراد كلام الهيتمي هذا: (هو وجيه).

وتعقب أيضاً الملا علي القاري دعوى القسطلاني بأن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر بقوله (ص٩٧) من [المورد الروي في المولد النبوي]: (أغرب القسطلاني وقال: ليلة مولده ﷺ أفضل من ليلة القدر من وجوه ثلاثة ذكرها حيث لا يفيد الإطلاق مع أن الأفضلية ليست إلا لكون العبادة فيها أفضل بشهادة النص القرآني: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾[1]، ولا تعرف هذه الأفضلية لليلة مولده ﷺ لا من الكتاب ولا من السنة ولا عن أحد من علماء هذه الأمة).

يؤيد ذلك التعقب الصادر من الزرقاني، ومن علي القاري ما جاء عن قتادة في تفسير قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾[2] فقد جاء عن قتادة في تفسير قول الله تعالى في هذه الآية ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ ما نصه: (إن الظلم في الأشهر الحرم أعظم خطيئة ووزراً من الظلم فيما سواها، وإن كان الظلم على كل حال عظيماً، ولكن الله يعظم من أمره ما يشاء، وقال: إن الله اصطفى صفايا من خلقه، اصطفى من الملائكة

---

(١) سورة القدر، الآية ٣.
(٢) سورة التوبة، الآية ٣٦.

رسلاً ومن الناس رسلاً، واصطفى من الكلام ذكره، واصطفى من الأرض المساجد، واصطفى من الشهور رمضان والأشهر الحرم، واصطفى من الأيام يوم الجمعة، واصطفى من الليالي ليلة القدر فعظموا ما عظم الله، فإنما تعظيم الأمور بما عظمها الله به عند أهل الفهم وأهل العقل)، هكذا أورده الحافظ ابن كثير في تفسير الآية المذكورة، وعزاه السيوطي في [الدر المنثور في التفسير بالمأثور] إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ[١].

فقبول القسطلاني قول من قال بفضل ليلة المولد على ليلة القدر مادام الأمر كذلك ليس إلا من قبيل الغلو الذي وصفه به والد الشيخ نجم الدين الغزي، ونقله عنه ولده النجم في الجزء الثاني من [الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة] (ص١٢٧) ونصه: (وكان له ـ أي القسطلاني صاحب كتاب [المواهب اللدنية] ـ اعتقاد تام في الصوفية، وأكثر في [المواهب] من الاستشهاد بكلام سيد وفا وكان يميل إلى الغلو في رفعة قدر النبي ﷺ، ا.هـ المراد من كلام الغزي.

ومما يدل على ما وصف به والد النجم الغزي القسطلاني ما ورد في الفصل الذي عقده القسطلاني في آخر كتابه [المواهب اللدنية] لزيارة القبر النبوي والمسجد النبوي من الاستغاثة بالنبي ﷺ عند القحط وعدم الأمطار وعند الجوع، واعترافه بوقوع الاستغاثة منه بالنبي ﷺ فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، حيث قال (ج٨ ص٣١٨) ما

---

(١) إلا أنه قد سقط من [الدر المنثور] لفظ: (والأشهر الحرم) بعد قوله: (رمضان) ولفظ: (أهل) قبل لفظ: (العقل).

نصه: (ولقد كان حصل لي داء أعيى دواؤه الأطباء، وأقمت به سنين فاستغثت به ﷺ ليلة الثامن والعشرين من جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة بمكة ـ زادها الله شرفاً ـ ومنَّ عليَّ بالعود إليها في عافية بلا محنة، فبينا أنا نائم ثم إذا رجل معه قرطاس كتب فيه: هذا دواء لداء أحمد القسطلاني من الحضرة الشريفة بعد الإذن الشريف النبوي، ثم استيقظت فلم أجد والله شيئاً مما كنت أجده، وحصل لي الشفاء ببركة النبي ﷺ)، قال: (ووقع لي أيضاً في سنة خمس وثمانين وثمانمائة بطريق مكة بعد رجوعي من الزيارة الشريفة لقصد مصر أن صرعت خادمتنا غزال الحبشية، واستمر بها أياماً، فاستغثت به ﷺ في ذلك، فأتاني آتٍ في منامي ومعه الجني الصارع لها، فقال: لقد أرسله لك النبي ﷺ، فعاتبته وحلفته أن لا يعود لها، ثم استيقظت وليس بها قلبة كأنما نشطت من عقال، ولازالت في عافية من ذلك حتى فارقتها بمكة في سنة أربع وتسعين وثمانمائة، فالحمد لله رب العالمين) ا.هـ كلام القسطلاني.

ثم أن ما أسس عليه القول بتفضيل ليلة المولد النبوي على ليلة القدر، وهو تقدير كون ولادة النبي ﷺ ليلاً غير موافق لما روى مسلم في صحيحه من طريق شعبة، عن غيلان، عن عبدالله بن معبد، عن أبي قتادة الأنصاري في حديث طويل، ولفظه: وسئل عن صوم يوم الإثنين، قال: «**ذلك يوم ولدت فيه ويوم بعثت فيه، أو أنزل علي فيه**»، فإن هذا الحديث يدل أوضح دلالة على أن النبي ﷺ ولد نهاراً؛ لقوله: «**ذاك يوم ولدت فيه**»، وليس للقول بأن النبي ﷺ ولد ليلاً مستند ثابت. ومن عدم تأمل الشيخ محمد بن علوي المالكي ذلك كله

استساغ التعليق على كلام الملا علي في [المورد الروي] الآنف الذكر بقوله: (أما نفس ليلة مولده التي مضت وانقضت فهي أفضل من ألف ليلة من ليالي القدر؛ لأن ليلة القدر من بركاتها، وأما ليلة المولد من كل عام الموافق لليلة المولد التي مضت، فصحيح أنها لا تعرف لها هذه الفضيلة) فإن تفضيله ليلة المولد التي مضت على ألف ليلة من ليالي القدر يحتاج إلى الدليل، كما يحتاج إليه تفضيل الليلة الموافقة لتلك الليلة التي وافق على أنها لا تعرف لها الفضيلة التي ثبتت لليلة القدر، ولو تمسك في كل واحدة من الليلتين بقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾[1] لم يتورط فيما تورط فيه[2].

ومنها: التوسع في الموالد إضافة إلى ذلك المولد جرياً على طريقة بني عبيد القداح المتسمين بالفاطميين[3] الذين توسعوا في

---

(١) سورة القدر، الآية ٣.

(٢) وقد كتب النووي طرة على كتابه [رياض الصالحين] جاء فيها ما نصه: (ليلة القدر أفضل ليالي السنة، خص الله بها هذه الأمة، وهي باقية إلى يوم القيامة، ذكر ذلك الشيخ ابن مرزوق في [جنى الجنتين في شرف الليلتين] وقال: نقلته إلى أصلي من هذا الكتاب - أي رياض الصالحين - من خطه، ثم قال ابن مرزوق: هذا نص أو قريب منه يدل على أفضلية ليلة القدر على ليلة المولد؛ لكونه قال فيها: (أفضل ليالي السنة، وليلة المولد منها)، وليت ابن مرزوق تلقى هذا بالقبول ولم يحد عنه إلى القول بفضل ليلة المولد على ليلة القدر الذي لم يذكر له رغم إطالته فيه ما يصلح الاعتماد عليه.

(٣) هم ملاحدة في الباطن، أخذوا من مذاهب الفلاسفة والمجوس ما خلطوا به أقوال الرافضة، فصار خيار ما يظهرونه من الإسلام دين الرافضة، وأما في الباطن فملاحدة شر من اليهود والنصارى، وإلا من لم يصل إلى منتهى دعوتهم فإنه يبقى =

الموالد بعد ابتداعهم الاحتفال باليوم الذي يقال بأنه يوم المولد النبوي.

فقد قال المقريزي في الجزء الثامن من [الخطط] (ص٣٨٤) تحت عنوان (ذكر الأيام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعياداً ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم) قال: (كان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم، وهي: موسم رأس السنة، وموسم أول العام، ويوم عاشوراء، ومولد النبي ﷺ، ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ومولد الحسن، ومولد الحسين عليهما السلام، ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وموسم ليلة رمضان، وغرة رمضان، وسماط رمضان، وليلة الختم، وموسم عيد الفطر، وموسم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النوروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وخميس العدس، وأيام الركوبات).

رافضياً داخلاً الإسلام؛ ولذا قال فيهم العلماء: ظاهر مذهبهم الرفض، وباطنه الكفر المحض، وهم من أشد الناس تعظيماً للمشاهد ودعوة الكواكب ونحو ذلك من دين المشركين، وأبعد الناس عن تعظيم المساجد التي أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه. وآثارهم في القاهرة تدل على ذلك، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في [الرد على البكري] وقال: (لقد كنت لما رأيت آثارهم أبين للناس أصل ذلك وحقيقة دينهم، وأنهم من أبرأ الناس من رسول الله ﷺ ديناً ونسباً، وقد صنف العلماء فيهم وفي أصولهم كتباً نظرية وخبرية) ورد هذا كله في تلخيص كتاب [الاستغاثة] المعروف بـ [الرد على البكري] (ص٣٠٧).

وقال العلامة الشيخ محمد بخيت المطيعي الحنفي مفتي الديار المصرية في كتابه [أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام] (ص٤٧) بعد ذكره موالد بني عبيد القداح: (قد استمر عمل الموالد إلى الآن غير أن الناس تركوا بعض الموالد الخمسة وزادوا موالد أخرى، حتى كادت الموالد الآن لا تحصى، وزادوا على ما كان يعمل فيها زمن الفاطميين أشياء ونقصوا أشياء وزادوا في أيامها) ثم جزم بأن الموالد ما كانت تعرف في دولة الإسلام إلا من قبل الفاطميين، وقال في (ص٥٢): (وأنت إذا علمت ما كان يعمله الفاطميون ومظفر الدين في المولد النبوي جزمت بأنه لا يمكن أن يحكم عليه كله بالحل).

ومنها: دعوى أن من صادف في ذلك اليوم الساعة التي ظهر فيها نبينا محمد ﷺ يسأل الله فيها شيئاً أعطاه إياه قياساً على ساعة يوم الجمعة التي صح فيها عن النبي ﷺ أنه لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا أعطاه إياه.

قال ابن الحاج في [المدخل] (ج٢ ص٣١): (إذا كانت تلك الساعة التي وجد فيها آدم عليه الصلاة والسلام لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها شيئاً إلا أعطاه إياه، فلا شك أن من صادف الساعة التي ظهر فيها - أي نبينا محمد - ﷺ إلى الوجود وهو يسأل الله تعالى شيئاً أنه قد نجح سعيه، وظفر بمراده إذ أن المعنى الذي فضل الله تعالى به تلك الساعة في يوم الجمعة هو خلق آدم عليه الصلاة والسلام، فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد الأولين والآخرين ﷺ).

وقال القسطلاني في [المواهب اللدنية] (ج١ ص١٣٢): (إذا كان يوم الجمعة الذي خلق فيه آدم عليه السلام خص بساعة لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه، فما بالك بالساعة التي ولد فيها سيد المرسلين ﷺ). وعبر عن ذلك المعنى الشيخ محمد بن علوي بن عباس المالكي في رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص١٢، ١٣) وفي مقدمته لطبعة [مولد الديبع] التي اخترع فيها تسمية ذلك المولد بـ [مختصر في السيرة النبوية] (ص٩، ١٠) وفي مقدمته لـ [المورد الروي في المولد النبوي] (ص١٢) بقوله: (يؤخذ من قوله ﷺ في فضل يوم الجمعة وعد مزاياه: «**وفيه ولد آدم**» تشريف للزمان الذي ثبت أنه ميلاد لأي نبي كان من الأنبياء عليهم السلام، فكيف باليوم الذي ولد فيه أفضل النبيين وأشرف المرسلين؟! ولا يختص هذا التعظيم بذلك اليوم بعينه، بل يكون له خصوصاً، ولنوعه عموماً مهما تكرر، كما هو الحال في يوم الجمعة؛ شكراً للنعمة وإظهاراً لمزية النبوة، وإحياءً للحوادث التاريخية الخطيرة ذات الإصلاح المهم في تاريخ الإنسانية وجبهة الدهر وصحيفة الخلود).

وحذا حذو السيد محمد بن علوي في ذلك الأساتذة يوسف السيد هاشم الرفاعي في مقاله المنشور في عدد جريدة (السياسة) الكويتية (٤٨٧٠) الصادر يوم الإثنين الثالث والعشرين من ربيع الأول في عام (١٤٠٢هـ) تحت عنوان (حول موضوع شرعية الاحتفال بالمولد النبوي) حلقة (٢)، وأنور أسعد أبوالجدائل في تعقيبه على رد فضيلة الشيخ صالح بن فوزان عليه المنشور في عدد جريدة (المدينة) (٥٤٢٧) الصادر يوم الثلاثاء (١/ ٤/ ١٤٠٢هـ)، وصاحب المقال المنشور في

عدد (المجتمع) (٥٥٩) الصادر يوم الثلاثاء ثامن ربيع الثاني (١٤٠٢هـ) بتوقيع (أخوكم في الله من السعودية ـ الرياض). وقد تعقب الزرقاني في شرحه لـ [المواهب اللدنية] (ج١ ص١٣٢، ١٣٣) القسطلاني في إيراده لذلك بقوله: (المصنف ـ أي: القسطلاني ـ في عهدة أن فيه ساعة كساعة يوم الجمعة؛ لأنه إن أراد في ذلك اليوم ومثله إلى يوم القيامة ساعة كساعة الجمعة أو أفضل فدليله هذا لا ينتج ذلك، وإن أراد عين تلك الساعة فساعة الجمعة لم تكن موجودة حينئذٍ، وإنما جاء تفضيلها في الأحاديث الصحيحة بعد ذلك بمدة، فلم يمكن اجتماعهما حتى يفاضل بينهما، وتلك انقضت وهذه باقية إلى اليوم، وقد نص الشارع عليها ولم يتعرض لساعة مولده ولا لأمثالها، فوجب علينا الاقتصار على ما جاءنا عنه ولا نبتدع شيئاً من عند نفوسنا القاصرة عن إدراكه إلا بتوقيف) ا. هـ كلام الزرقاني. وقد أجاد فيه.

هذا وقد وقع غلط من الشيخ محمد بن علوي والأساتذة الثلاثة في جزمهم بأن النبي ﷺ قال في حديث فضل الجمعة وعد مزاياه: «**وفيه ولد آدم**» فإنه لم يقل فيه (ولد) وإنما جاء عنه في رواية «**خلق آدم**» ببناء لفظ «**خلق**» للمفعول، فقد روى مالك في [الموطأ] عن أبي هريرة مرفوعاً «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أهبط من الجنة وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس، شفقاً من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه**» الحديث، وروى الحاكم في [المستدرك] عن أبي هريرة مرفوعاً «**سيد الأيام يوم**

الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة»، وجاء في رواية أخرى «**خلق الله آدم**» ففي [المسند] والسنن من حديث أوس بن أوس، عن النبي ﷺ: «**من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق الله آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي**» قالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرِمْتَ؟ ـ يعني: قد بليت ـ قال: «**إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»، ورواه الحاكم في [المستدرك] وابن حبان في صحيحه، وروى الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق الله آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة**»، قال الترمذي: حديث حسن صحيح، وصححه الحاكم. أفاد جميع ما يتصل بهاتين الروايتين الإمام ابن القيم في الفصل الذي عقده للجمعة وخصائص يومها من [زاد المعاد] (ج١ ص٣٦٥، ٣٦٦) طبعة مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية.

فصـــــل

علماء العصور المتأخرة يذكرون المفاسد الموجودة في أزمنتهم في الموالد ويستنكرونها

وأما ما ترتب على الاحتفال بالمولد من المفاسد فقد أوضح منه أهل العلم ـ من لا يرى منهم الاحتفال ومن يراه ـ أموراً نسردها مع تحذيراتهم منها فيما يلي:

قال الونشريسي في [المعيار] (ج٨ ص٢٥٥) في كلامه على المولد: (وقعت فيه قضايا أخرجته إلى ارتكاب بعض البدع من كثرة الاجتماع فيه ـ أي: اجتماع آلات اللهو ـ إلى غير ذلك من البدع غير المشروعة. والتعظيم له ﷺ هو باتباع السنن والاقتداء بالآثار، لا بإحداث بدع لم تكن في السلف الصالح، حدث الشبلي أبومحمد رحمه الله عن شيخه أبي الحسن الغزاني أنه أراد أن يكتب التصلية والحديث وغير ذلك في إجازته بالذهب، فاستشار سيدي أبا علي بن قداح، فقال له: لِمَ تفعل ذلك؟ قال: للتعظيم، فقال: تعظيم النبي ﷺ إنما هو باتباع سنته، والاقتداء بهديه وهدي أصحابه، ولم يكن هذا في الزمن الأول)، وذكر في الجزء التاسع من [المعيار] (ص٢٥٢) أن أبا إسحاق الشاطبي سئل عمن عهد بثلثه ليوقف على إقامة مولده ﷺ فأجاب بقوله: أما الوصية بالثلث ليوقف على إقامة ليلة مولد النبي ﷺ فمعلوم أن إقامة المولد على الوصف المعهود بين الناس بدعة محدثة، وكل بدعة ضلالة، والإنفاق على إقامة البدعة لا يجوز، والوصية غير نافذة، بل يجب على القاضي فسخه، ورد الثلث إلى الورثة يقتسمونه فيما بينهم، وأبعد الله الفقراء الذين يطلبون إنفاذ مثل هذه الوصية، وما

ذكرتم[١] من وجهي المنع من الإنفاذ صحيح يقتضي عدم التوقف في إبطال الوصية، ولا يكفي في ذلك منكم السكوت؛ لأنه كالحكم بالإنفاذ عند جماعة من العلماء، فاحذروا أن يكون مثل هذا في صحيفتكم، والله يقينا وإياكم الشر بفضله.

كما ذكر الونشريسي في الجزء السابع من [المعيار] (ص١٠٠، ١٠١) في كتاب الحبس من [المعيار]: أن الأستاذ أبا عبدالله الحفار سئل عن التحبيس على إقامة المولد، فأجاب بقوله: (إن تلك الليلة ـ أي التي يقال: بأنها توافق ليلة المولد النبوي ـ تقام على طريقة الفقراء ـ أي المتصوفة ـ وطريقة الفقراء في هذه الأوقات شنعة من شنع الدين؛ لأن عهدهم في الاجتماع إنما هو الغناء والشطح، ويقررون لعوام المسلمين أن ذلك من أعظم القربات في هذه الأوقات وأنها طريقة أولياء الله، وهم قوم جهلة لا يحسن أحدهم أحكام ما يجب عليه في يومه وليلته، بل هو ممن استخلفه الشيطان على إضلال عوام المسلمين ويزينون لهم الباطل ويضيفون إلى دين الله ما ليس منه؛ لأن الغناء والشطح من باب اللهو واللعب، وهم يضيفونه إلى أولياء الله، وهم يكذبون في ذلك عليهم ليتوصلوا إلى أكل أموال الناس بالباطل، فصار التحبيس عليهم ليقيموا بذلك طريقتهم تحبيساً على ما لا يجوز تعاطيه، فيبطل ما حبس في هذا الباب على غير طريقته). وذكر في ذلك الجزء السابع من [المعيار] (ص١١٤): أن الأستاذ أبا عبدالله الحفار سئل عن امرأة تصدقت بموضع على ليلة المولد يزرع ذلك

---

(١) يخاطب أبوإسحاق الشاطبي بذلك السائلين عن كلام للحفار في الموضوع، ذكره صاحب [المعيار] (ج٧ ص٢٠٢، ٢٠٣) ومراده بالوجهين المانعين من إنفاذ الوصية: كون الاحتفال بالمولد النبوي بدعة، وابتداع المتصوفة فيه ما ابتدعوه من البدع.

الموضع ويؤخذ قمحه ويعمل به تلك الليلة المذكورة فيجتمع فقراء هذا الزمان ويذكرون الله عز وجل فيأخذون في الغناء والرقص ثم يأكلونه بعد ذلك، كما في علمكم فهل تبقى الوصية على حالها أو تقلب إلى الصدقة في تلك الليلة على المساكين أو ترجع لورثة المتصدقة؟ فأجاب بقوله: ما أوصت به المرأة المذكورة يصرف فائد الموضع المذكور في الوجه الذي قصدت لكن على الوجه الذي يستحب وينعقد قربة، وذلك أن يصرف ذلك للضعفاء والمساكين على جهة الشكر لله عز وجل الذي أنعم به على عباده من ولادة النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم الذي كان سبباً في إنقاذهم من النار فهو محل الشكر وذلك لا يكون إلا على الوجه المشروع).

ومما أفاده صاحب [المعيار] (ج١ ص١٦٠، ١٦١) أن القاضي أبا عمرو بن منظور سئل عن إمام قرية يؤم الناس وهو يحب طريقة الفقراء، وفي القرية زاوية يجتمع فيها بعض من أصحاب القرية ليلة الجمعة وليلة الإثنين والإمام المذكور معهم يستفتحون بعشر من القرآن ويبدؤون بالذكر الموصوف لهم فإذا فرغوا منه يستفتح المداح وأصحابه دائرون عليه يضربون الكف ويقولون معه والإمام المذكور يمدح مع المداحين ويضرب الكف معهم ويرقص مع الذي رقص منهم فإذا كان ليلة مولد النبي ﷺ يمشي الإمام معهم إلى قرية أخرى بنحو عشرين ميلاً من قريتهم ويبقى المسجد بلا خطبة ولا إمام ولا أذان حتى يرجعوا، وتكون غيبتهم أربعة أيام أو ثلاثة أيام، فقيل: إن الإمام الذي يعمل هذا لا تجوز إمامته والذي يسمع العريف خير من الفقراء. والإمام المذكور يعلم أن طريقة الفقراء بدعة لم تكن في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد التابعين بعده، ويعلم أن أفضل الذكر ماخفي، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، لكن حمله على هذا محبته في

الذكر، وفي مدح رسول الله ﷺ ومحبته في مجامعة الإخوان، هل يلزم من اغتاب هذه الطريقة شيء أم لا؟

فأجاب: تأملت السؤال بمحوله، وقد سئل عن مثله العلماء الفقهاء الذين يقتدى بهم ويعمل على قولهم، والكل منعوا تلك الطريقة، وقالوا بتبديع مرتكبها، والسنة بخلاف ذلك، والرقص لا يجوز وهو تلاعب بالدين وليس من أفعال عباد الله المهتدين، وإمامة من يرى هذا المذهب ويسلك طريقهم لا تجوز، لاسيما وقد انضاف إليه مع عمله هذا تعطيل المسجد وتركه دون مؤذن ولا إمام ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ﴾[1]، وهذا يدخل تحت الوعيد، وقول من قال: إن من يسمع العريف خير من الفقراء فهذا يظهر أنه صحيح ووجهه أن الذي يسمع العريف عاص ويعلم أنه على غير شيء، وهذا الذي يشطح ويرقص يعتقد أنه على شيء وهو على غير شيء أو متلاعب وما خلقنا للعب، وهو بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ويكون للإمام حظه من هذه الطريقة وحضوره كاف في منع إمامته؛ لأنه مكثر سوادهم، ومن كثر سواد نوع عد منهم. وأما محبة الرسول والصحابة فيتوصل إليها بغير هذا، وهي ساكنة في القلب، والإكثار من الصلاة والسلام عليه، والرضا عن أصحابه في نفسه وفي بيته هو وجه العبادة. والطاعن في هذا الإمام وإن كان من قرية أخرى قام على وجه الحسبة وتغيير المنكر فلا عتاب عليه إن شاء الله تعالى، فهذا وجه الجواب عن السؤال بمحوله.

كما ذكر صاحب [المعيار] (ج١٢ ص٤٨، ٤٩): أن أحمد القباب

---

(١) سورة البقرة، الآية ١١٤.

سئل عما يفعله المعلمون من وقد الشمع في مولد النبي ﷺ واجتماع الأولاد للصلاة على النبي ﷺ ويقرأ بعض الأولاد ممن هو حسن الصوت عشراً من القرآن وينشد قصيدة في مدح النبي ﷺ، ويجتمع الرجال والنساء بهذا السبب فهل ما يأخذه المعلم من الشمع جائز أم لا؟ لأن بعض الطلبة قال: إنه أجازه، ولا فرق بينه وبين حق الشهور والحذاق، ولاسيما من عرف منه أنه لا يزين المسجد ولا يقرأ أحد عنده عشراً، ولا ينشد مديحاً ولا غيره، ولا يسوق له إلا من يقرأ عنده؟ فقال له السائل: إن الأولاد يكلفون آباءهم بشراء الشمع ويشترونه كرهاً؟ فقال له: يلزمك هذا في حق الشهر والحذاق، والأولاد يطلبون من آبائهم فيعطونه كرهاً وهذا غير معتبر؛ لأن الآباء قد دخلوا عليه فيلزمهم؛ لأنه إذا رد ولده التزم أنه يعطي حق الشهر والحذاق والشمع في المولد ولو كانت ثم عادة أخرى لالتزمها، فهل ما قاله هذا الطالب صحيح أم لا؟ فإن كان صحيحاً فهل يؤثر اجتماع الرجال والنساء إن اجتمعوا أم لا يلزم هذا إلا الحاكم؟ لأن هذا أمر لا يقدر على تغييره إلا من له الأمر؟

فأجاب: بأن قال: جميع ما وصفت من محدثات البدع التي يجب قطعها، ومن قام بها أو أعان عليها أو سعى في دوامها فهو ساع في بدعة وضلالة، ويظن بجهله أنه بذلك معظم لرسول الله ﷺ قائم بمولده، وهو مخالف سنته مرتكب لمنهيات نهى عنها ﷺ، متظاهر بذلك، محدث في الدين ما ليس منه، ولو كان معظماً له حق التعظيم لأطاع أوامره فلم يحدث في دينه ما ليس منه، ولم يتعرض لما حذر الله تعالى منه حيث قال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ

أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ [(١)]، وأما ما يأخذه المعلم من ذلك فإن كان إنما يعطاه على القيام بهذه البدع والقيام بتلك الأمور فلا خفاء بقبح المأخوذ على هذا الوجه، وإن كانوا يعطونه ذلك في هذا الوقت وإن لم يفعل شيئاً من هذه البدع، فقد قال ابن حبيب: إنه لا يقضى للمعلم بشيء في أعياد المسلمين وإن كان ذلك ممايستحب فعله، وقال: إن الإعطاء في أعياد النصارى مثل النيروز والمهرجان مكروه لا يجوز لمن فعله ولا يحل لمن قبله؛ لأنه من تعظيم الشرك. قال ابن رشد: كان القياس أن لا فرق بين الحذاق وما يعطى في الأعياد إذ جرت بها العادة، وأنه يقضى بالجميع، وإنما فرق ابن حبيب بين ذلك؛ لأن الحذاق بلغها الصبي بتعليم المعلم والأعياد لا فعل فيها. وإذا كان ابن حبيب يقول: لا يقضى له بالأعياد والمواسم الشرعية فكيف بما ليس بشرعي؟

وعلى الجملة لا شك أن الأمر أخف إذا كان لا يقوم ببدعة في ذلك الوقت. وأما ما ذكرتم عن القائل: إن الصبي يطلب ذلك من أبيه حتى يعطيه كرهاً فكلام لا يساوي سماعه. ومن استقرأ العادة علم أن المعطي لشيء من ذلك إنما يقصد به إقامة تلك البدع وكون المعطى شمعاً يعين هذا المقصد، وإذا كان كذلك كان المأخوذ إنما هو على بدعة.

وقال ابن الحاج في الجزء الثاني من [المدخل]: (من جملة ما أحدثوه من البدع ـ مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات وإظهار الشعائر ـ ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد، وقد احتوى على

---

(١) سورة النور، الآية ٦٣.

بدع ومحرمات فأطنب في ذلك) كما ذكره القسطلاني في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص١٤٠) حيث قال: (لقد أطنب ابن الحاج في [المدخل] في الإنكار على ما أحدثه الناس من البدع والأهواء والغناء بالآلات المحرمة عند عمل المولد الشريف، فالله يثيبه على قصده الجميل ويسلك بنا سبيل السنة، فإنه حسبنا ونعم الوكيل). وقد لخص الإمام محمد بن إبراهيم آل الشيخ كلامه في رسالة له في المولد النبوي تلخيصاً أحسن من أصله؛ فلذلك أستغني به عنه.

فأقول: قال مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ: (قد ذكر ابن الحاج في [المدخل] مما احتوى عليه الاحتفال بالمولد النبوي في زمانه ـ فكيف بزماننا هذا ـ ما يلي:

١ ـ استعمال الأغاني وآلات الطرب من الطار المصرصر والشبابة وغير ذلك، قال ابن الحاج: (مضوا في ذلك على العوائد الذميمة في كونهم يشتغلون في أكثر الأزمنة التي فضلها الله وعظمها ببدع ومحرمات)، وذكر ابن الحاج قول القائل:

يا عصبة ما ضر أمة أحمد وسعى على إفسادها إلا هي
طار ومزمار ونغمة شادنٍ أرأيت قط عبادة بملاهي

٢ ـ قلة احترام كتاب الله عز وجل، فإنهم يجمعون في هذه الاحتفالات بينه وبين الأغاني، ويبتدؤون به وقصدهم الأغاني، قال ابن الحاج: ولذلك نرى بعض السامعين إذا طول القارىء القراءة يتقلقلون منه؛ لكونه طول عليهم ولم يسكت حتى يشتغلوا بما يحبونه

من اللهو، قال: وهذا غير مقتضى ما وصف الله به أهل الخشية من أهل الإيمان وهو أنهم يحبون سماع كلام مولاهم؛ لقوله تعالى في مدحهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1]، فوصف الله تعالى من سمع كلامه بما ذكر، وبعض هؤلاء يستعملون الضد من ذلك، فإذا سمعوا كلام ربهم عز وجل قاموا بعده إلى الرقص والفرح والسرور والطرب بما لا ينبغي، فإنا لله وإنا إليه راجعون على عدم الاستحياء من عمل الذنوب، يعملون أعمال الشيطان ويطلبون الأجر من رب العالمين، ويزعمون أنهم في تعبد وخير. وقال: ويا ليت ذلك لو كان يفعله سفلة الناس، ولكن قد عمت البلوى فتجد بعض من ينسب إلى شيء من العلم أو العمل يفعله، وكذلك بعض من ينسب إلى المشيخة ـ أعني: في تربية المريدين ـ كل هؤلاء داخلون فيما ذكر، ثم العجب كيف خفيت عليهم هذه المكيدة الشيطانية والدسيسة من اللعين؟!

٣ ـ الافتتان بالمردان، فإن الذي يغني في الاحتفالات ربما يكون شاباً نظيف الصورة حسن الكسوة والهيئة، أو أحداً من الجماعة الذين يتصنعون في رقصهم، بل يخطبونهم للحضور فمن لم يحضر منهم ربما عادوه ووجدوا في أنفسهم عليه، وحضوره فتنة، سيما وهم يأتون إلى ذلك شبه العروس، لكن العروس أقل فتنة؛ لأنها ساكنة حيية، وهؤلاء عليهم العنبر والطيب، يتخذون ذلك بين أثوابهم ويتكسرون مع ذلك في مشيهم إذ ذاك وكلامهم ورقصهم ويتعانقون،

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨٣.

فتأخذهم إذ ذاك أحوال النفوس الرديئة من العشق والاشتياق إلى التمتع بما يرونه من الشبان، ويتمكن منهم الشيطان، وتقوى عليهم النفس الأمارة بالسوء، وينسد عليهم باب الخير سداً. قال ابن الحاج: (وقد قال بعض السلف: لأن أؤتمن على سبعين عذراء أحب إليَّ من أن أؤتمن على شاب. وقوله هذا ظاهر بين؛ لأن العذراء تمتنع النفوس الزكية ابتداءً من النظر إليها بخلاف الشاب؛ لما ورد أن النظرة الأولى سهم، والشاب لا ينتقب ولا يختفي بخلاف العذراء، والشيطان من دأبه أنه إذا كانت المعصية كبرى أجلب عليها بخيله ورجله، ويعمل الحيل الكثيرة)، قال ابن الحاج: (وبعض النسوة يعاين ذلك على ما قد علم من نظرهن من السطوح والطاقات وغير ذلك، فيرينه ويسمعنه وهن أرق قلوباً وأقل عقولاً فتقع الفتنة في الفريقين).

هذا بعض ما ذكره ابن الحاج من المحرمات التي تحصل في احتفال الرجال بالمولد، ثم ذكر من المفاسد المتعلقة بالنساء مايلي:

١ ـ افتتان الرجال بالنساء؛ لأن بعض الرجال يتطلع عليهن من بعض الطاقات والسطوح، وتزداد الفتنة برفع أصواتهن وتصفيقهن بالأكف وغير ذلك، مما يكون سبباً إلى وقوع المفسدة العظمى.

٢ ـ افتتانهن في الاعتقاد؛ وذلك لأنهن لا يحضرن للمولد إلا ومعهن شيخة تتكلم في كتاب الله وفي قصص الأنبياء بما لا يليق، فربما تقع في الكفر الصريح وهي لا تشعر؛ لأنها لا تعرف الصحيح من السقيم، والحق من الكذب، فتدخل النسوة في الغالب وهن مؤمنات، ويخرجن وهن مفتتنات في الاعتقاد أو فروع الدين.

٣ ـ خروج النساء إلى المقابر وارتكاب أنواع المحرمات من الاختلاط وغيره، ويذكر ابن الحاج: أن هذه المفسدة من آثار بناء البيوت على المقابر قال: (فلو امتثلنا أمر الشرع في هدمها لانسدت هذه المثالم كلها وكفي الناس أمرها). قال: (فبسبب ما هناك من البنيان والمساكن وجد من لا خير فيه السبيل إلى حصول أغراضه الخسيسة ومخالفة الشرع، قال: ألا ترى إلى ما قد قيل: (من العصمة أن لا تجد) فإذا هم الإنسان بالمعصية وأرادها وعمل عليها ولم يجد من يفعلها أو وجده ولكن لا يجد مكاناً للاجتماع فيه فهو نوع من العصمة، فكان البنيان في القبور فيه مفاسد.

منها: هتك الحريم بخروجهن إلى تلك المواضع فيجدن أين يقمن أغراضهن، هذا وجه.

الثاني: تيسير الأماكن للاجتماع للأغراض الخسيسة فتيسير الأماكن هناك سبب وتسهيل لوقوع المعاصي هناك).

٤ ـ فتح باب الخروج لهن لغير ضرورة شرعية فإنهم ـ أي أهل زمانه[١] ـ ضموا لأيام المولد النبوي الثلاثة يوم الإثنين لزيارة الحسين، وجعلوا يوم الأربعاء لزيارة نفيسة، فالتزمن الزيارة في تلك الأيام لما يقصد من أغراض الله أعلم بها. قال ابن الحاج: (ولو حكي هذا عن الرجال لكان فيه شناعة وقبح فكيف به في النساء؟! فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) أي أهل زمان ابن الحاج.

هذا ما ذكره ابن الحاج في [المدخل] من مفاسد الاحتفالات بالمولد في زمانه بالنسبة لمن يقصدون المولد، ثم قسم الذين ـ يعملون المولد في ذلك الزمن ـ لا لقصد المولد ـ إلى خمسة أقسام:

أحدها: من له فضة عند الناس متفرقة قد أعطاها لهم في بعض الأفراح والمواسم فيعمل المولد ليستردها، قال ابن الحاج: (فهذا قد اتصف بصفة النفاق، وهو أنه يظهر خلاف ما يبطن، إذ ظاهر حاله أنه عمل المولد يبتغي به الدار الآخرة وباطنه أنه يجمع به فضته).

الثاني: من يتظاهر من ذوي الأموال بأنه من الفقراء المساكين فيعمل المولد لتزيد دنياه بمساعدة الناس له، فيزداد هذا فساداً على المفاسد المتقدم ذكرها، ويطلب مع ذلك ثناء الناس عليه بما ليس فيه.

الثالث: من يخاف الناس من لسانه وشره وهو من ذوي الأموال فيعمل المولد؛ ليأخذ من الناس الذين يعطونه تقية على أنفسهم وأعراضهم. قال ابن الحاج: (فيزداد من الحطام بسبب ما فيه من الخصال المذمومة شرعاً وهذا أمر خطير؛ لأنه زاد على الأول أنه ممن يخاف من شره وهو معدود بفعله من الظلمة).

الرابع: من يعمل المولد وهو ضعيف الحال ليتسع حاله.

الخامس: من له من الفقراء لسان يخاف منه ويتقى لأجله، فيعمل المولد حتى يحصل له من الدنيا ممن يخشاه ويتقيه، حتى أنه لو تعذر عن حضور المولد الذي يفعله أحد من معارفه لحل به من

الضرر ما يتشوش به، وقد يؤول ذلك إلى العداوة أو الوقوع في حقه في محافل بعض ولاة الأمور قاصداً بذلك حط رتبته بالوقيعة فيه أو نقص ماله. إلى غير ذلك مما يقصده من لا يتوقف على مراعاة الشرع الشريف.

قال ابن الحاج بعد بسط الكلام على هذه المفاسد: هذا الذي ذكر بعض المفاسد المشهورة المعروفة، وما في ذلك من الدسائس ودخول وساوس النفوس وشياطين الإنس والجن مما يتعذر حصره، فالسعيد السعيد من أعطى قياده للاتباع وترك الابتداع وفقنا الله تعالى لذلك بمنه) ا.هـ، اختصار سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى لكلام ابن الحاج في [المدخل] في بيان ما أحدث عند عمل المولد من المضار، ولا شك عندي في أن من قارن بينه وبين كلام ابن الحاج نفسه في [المدخل] تبين له أنه من المختصرات التي تفوق أصولها، جزاه الله خير الجزاء.

وقال الشيخ أبوالحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي في تاريخ قضاة الأندلس الذي سماه كتاب [المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا] قال في ترجمة القاضي أبي عبدالله محمد بن عبدالسلام المنستيري[1] (ص١٦٢، ١٦٣) ط دار الكتاب المصري بالقاهرة: أخبرني ـ أي: أبو زيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ـ عن هذا القاضي رحمه الله بما حاصله: أن الأمير

---

(١) توفي هذا القاضي في أوائل الطاعون النازل ببلده قبل عام (٧٥٠).

أبا يحيى استحضره مع الجملة من صدور الفقهاء للمبيت بدار الخلافة والمثول بين يديه ليلة المولد النبوي الشريف؛ إذ كان قد أراد إقامة رسمه على العادة المغربية من الاحتفال في الأطعمة وتزيين المحل بحضور الأشراف، وتخير القوالين للأشعار المقرونة بالأصوات المطربة فحين كمل المقصود من المطلوب وقعد السلطان على أريكة ملكه ينظر في ترتيبه والناس على منازلهم بين قاعد وقائم، هز المسمع طره، وأخذ يهنؤهم بألحانه، وتبعه صاحب يراعه بعادته من مساعدته فتزحزح القاضي أبو عبدالله عن مكانه وأشار بالسلام على الأمير وخرج من المجلس، فتبعه الفقهاء بجملتهم إلى مسجد القصر، فناموا به، فظن السلطان أنهم خرجوا لقضاء حاجاتهم، فأمر أحد وزرائه بتفقدهم والقيام بخدمتهم إلى عودتهم، وأعلم الوزير الموجه لما ذكر القاضي بالغرض المأمور به، فقال له: أصلحك الله هذه الليلة المباركة التي وجب شكر الله عليها وجمعنا السلطان أبقاه الله من أجلها لو شهدها نبينا المولود فيها صلوات الله وسلامه عليه لم يأذن لنا في الاجتماع على ما نحن فيه: من مسامحة بعضنا لبعض في اللهو، ورفع قناع الحياء بمحضر القاضي والفقهاء، وقد وقع الاتفاق من العلماء على أن المجاهرة بالذنب محظورة إلا أن تمس إليها حاجة؛ كالإقرار بما يوجب الحد أو الكفارة فليسلم لنا الأمير أصلحه الله في القعود بمسجده هذا إلى الصباح، وإن كنا في مطالبة أخرى من تبعات رياء ودسائس أنفس وضروب غرور لكنا كما شاء الله في مقام الاقتداء، لطف الله بنا أجمعين بفضله، فعاد عند ذلك الوزير المرسل للخدمة الموصوفة إلى الأمير أبي يحيى وأعلمه بالقصة فأقام يسيراً، وقام من

مجلسه وأرسل إلى القاضي من ناب عنه في شكره وشكر أصحابه، ولم يعد إلى مثل ذلك العمل بعد، وصار في كل ليلة يأمر في صبيحة الليلة المباركة بتفريق طعام على الضعفاء وإرفاق الفقراء شكراً لله. ا.هـ.

وقال العلامة أبوالعباس سيدي أحمد بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المعروف بابا التنبكتي في ترجمة أبي موسى عيسى بن محمد بن عبدالله ابن الإمام من كتابه [نيل الابتهاج بتطريز الديباج] (ص١٩٣) بهامش الديباج قال: (فائدة: قال الخطيب ابن مرزوق: سمعت شيخنا الإمام أبا موسى بن الإمام وغيره من شيوخ المغرب يستحسنون ما أحدثه العزفي وولده أبوالقاسم بالمغرب في ليالي المولد، وهما من الأئمة ويستصوبون قصدهما فيه والقيام به(١)، ونقل عن بعض علماء المغرب إنكاره، والأظهر عندي ما قاله بعض المغاربة استعمال الصلاة عليه ﷺ في هذه الليلة وإحياء سنته ومعونة آله وتعظيم حرمهم وفعل أنواع البر أفضل مما سواها مما أحدث، إذ لا يخلو من مزاحم في النية أو مفسد للعمل أو دخول شهوة. وطريق الحق والسلامة معروف فالأفضل تكثير الصلاة عليه ﷺ وأعمال البر). ا.هـ ملخصاً.

وقال المقري في [أزهار الرياض في أخبار عياض] (ج١ ص٢٤٣) بصدد كلامه على احتفال السلطان أبي حمو موسى بن يوسف

---

(١) ذكر ابن مرزوق ذلك في كتابه [جنى الجنتين في شرف الليلتين].

بعد أن ذكر أن العزفي صاحب سبتة[1] هو الذي سن ذلك في بلاد المغرب، قال: (على أن بعضهم قد خرج في ذلك إلى حد الإسراف والغلو، وكل يعمل على شاكلته.

وذكر البناني المالكي من أمثلة الإيصاء بالمعصية الذي صرح الشيخ خليل المالكي في مختصره ببطلانه أن يوصي المرء بإقامة مولد على الوجه الذي يقع في زمانه من اختلاط النساء بالرجال والنظر المحرَّم ونحو ذلك من المنكر، ونقله عنه الشيخ محمد عرفة الدسوقي في حاشيته على [شرح الدردير لمختصر خليل] في باب الوصايا.

وقال ابن حجر الهيتمي في كتابه الذي سماه [الفتاوى الحديثية] (ص١٠٩) الطبعة الأولى المصرية، في الموالد والأذكار التي تفعل عندهم في زمانه، قال: (أكثرها مشتمل على خير؛ كصدقة، وذكر، وصلاة وسلام على رسول الله ﷺ ومدحه، وعلى شر، بل شرور لو لم يكن منها إلا رؤية النساء للرجال الأجانب، وبعضها ليس فيها شر لكنه قليل نادر)، وذكر أن ما كان مشتملاً منها على شر ممنوع للقاعدة المشهورة المقررة: أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، قال: (فمن علم وقوع شيء من الشر فيما يفعله من ذلك فهو عاص آثم، وبفرض أنه عمل في ذلك خيراً فربما خيره لا يساوي شره، ألا ترى أن الشارع ﷺ اكتفى من الخير بما تيسر، وفطم عن جميع أنواع الشر،

---

(١) ذكر الحافظ الذهبي في الجزء الرابع من [تذكرة الحفاظ] (ص١٤٢٢) أن أبا العباس بن الخطيب محمد بن أحمد اللخمي العزفي صاحب سبتة، توفي سنة ثلاث وثلاثين وستمائة)، أي التي توفي فيها ابن دحية.

حيث قال: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**»، فتأمله تعلم ما قررته من أن الشر وإن قل لا يرخص في شيء منه، والخير يكتفى منه بما تيسر).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في [اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم] (ص٢٩١) في بيان مفاسد المواسم المبتدعة من موالد وغيرها: (منها: مع ما تقدم من المفسدة الاعتقادية والحالية أن القلوب تستعذبها وتستغني بها عن كثير من السنن، حتى تجد كثيراً من العامة يحافظ عليها ما لا يحافظ على التراويح والصلوات الخمس. ومنها: أن الخاصة والعامة تنقص بسببها عنايتهم بالفرائض والسنن وتفتر رغبتهم فيها، فتجد الرجل يجتهد فيها ويخلص وينيب ويفعل فيها ما لا يفعل في الفرائض والسنن، حتى كأنه يفعل هذه البدعة عبادة، ويفعل الفرائض والسنن عادة ووظيفة، وهذا عكس الدين، فيفوته بذلك ما في الفرائض والسنن من المغفرة والرحمة، والرقة والطهارة والخشوع، وإجابة الدعوة، وحلاوة المناجاة.. إلى غير ذلك من الفوائد، وإن لم يفته هذا كله فلابد أن يفوته كماله.

ومنها: ما في ذلك من مصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً، وما يترتب على ذلك من جهالة أكثر الناس بدين المرسلين، وانتشار زرع الجاهلية.

ومنها: اشتمالها على أنواع من المكروهات في الشريعة؛ مثل تأخير الفطور، وأداء العشاء الآخرة بلا قلوب حاضرة، والمبادرة إلى تعجيلها، والسجود بعد السلام لغير سهو، وأنواع من الأذكار

ومقاديرها لا أصل لها.. إلى غير ذلك من المفاسد التي لا يدركها إلا من استنارت بصيرته وسلمت سريرته.

ومنها: مسارقة الطبع إلى الانحلال من ربقة الاتباع وفوات سلوك الصراط المستقيم، وذلك أن النفس فيها نوع من الكبر فتحب أن تخرج من العبودية والاتباع بحسب الإمكان، كما قال أبوعثمان النيسابوري رحمه الله: (ما ترك أحد شيئاً من السنة إلا لكبر في نفسه)، ثم هذا مظنة لغيره فينسلخ القلب عن حقيقة الاتباع للرسول ويصير فيه من الكبر وضعف الإيمان ما يفسد عليه دينه أو يكاد، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

ومنها: ما تقدم التنبيه عليه في أعياد أهل الكتاب من المفاسد التي توجد في كلا النوعين المحدثين: النوع الذي فيه مشابهة، والنوع الذي لا مشابهة فيه) ا.هـ.

وقال الشيخ محمد بخيت المطيعي في كتابه [أحسن الكلام فيما يتعلق بالسنة والبدعة من الأحكام] (ص٥٤) ما نصه: (والمحرمات ـ أي في عمل المولد ـ والمكروهات ما عدا ذلك ـ أي المباح ـ كشد الرحال إلى تلك البقاع، والسفر إليها، وإيقاد الشموع ونحوها مما يدخل تحت الإسراف والتبذير، وإحراق الصواريخ والشنكات ونحو ذلك مما هو إضاعة للمال في الباطل خصوصاً إن كان مايصرف على ذلك من أموال بيت المال أو من أموال الأوقاف، فإن الأوقاف إذا علمت شروط واقفيها وجب شرعاً العمل بها، وإن لم تعلم صرف ريعها للفقراء لا في مثل هذه الألاعيب. ومن المحرم أيضاً: كل ما

كان من أنواع الملاهي والمغاني المفسدة للأخلاق وما أشبه ذلك، فإن كل هذا محرم بلا شبهة وبدعة مذمومة، وفي الحديث الصحيح: «**إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

وقال السيد محمد رشيد رضا في الجزء التاسع من [المنار] (ص٩٦) في كلامه على الآية الكريمة: ﴿فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾[1] قال في الموالد ونحوها من الاحتفالات الموسمية المبتدعة: (هي مشتملة على كثير من المعاصي المجمع عليها، المعلومة من الدين بالضرورة، التي يعد مستحلها مرتداً عن الإسلام باتفاق المذاهب، والجمهور غافلون عن ضرر هذه البدع التي جعلت من قبيل شعائر الإسلام بالاحتفال بها، وشد الرحال إليها، وإنفاق الأموال العظيمة في سبيلها، وتعطيل كبرى شعائر الإسلام وهي الصلاة، وإبطال دروس العلوم الدينية من المساجد التي تقام فيها لأجلها؛ كالمسجد الأحمدي في طنطا، والمسجد الإبراهيمي في دسوق) ا.هـ المراد منه.

وقال السيد علي فكري في المحاضرة العاشرة من محاضراته (ص٨٤) تحت عنوان (البدع في الموالد) في بيان ما اشتملت عليه الموالد زمن تأليفه لتلك المحاضرات من المفاسد قال: (منها: إضاعة الأموال في الزينات بكثرة الوقود في المساجد والطرقات، وإيقاد الشموع في الأضرحة، وكل ما يرجع إلى الإسراف والتبذير، وفي

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٣٦.

الحديث الشريف: «**إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**» على أنه لو صرفت هذه الأموال في مشروع خيري؛ كبناء مسجد، أو مستشفى، أو ملجأ لكان خيراً وأبقى لهم وللأمة الإسلامية.

ومنها: انتهاك حرمة المساجد بتقذيرها بالأكل والشرب والمبيت فيها، وكثرة اللغط، ودخول الأطفال والرجال والبنات والنساء حفاة أو بالنعال، فلا يكاد يتيسر لأحد إقامة الشعائر الدينية في مسجد يعمل فيه مولد.

ومنها: خروج النساء متبرجات سافرات واختلاطهن بالرجال إلى حد لا يؤمن معه الفتنة وعدم العفة والصيانة.

ومنها: استعمال الأغاني وآلات الطرب في إقامة الأذكار على الوجه المحرم شرعاً بالإجماع.

ومنها: قراءة القرآن على غير الوجه المشروع الدال على عدم الاحترام لكتاب الله تعالى، بل إهانته والاستخفاف به.

ومنها: شرب الدخان في مجالس القرآن والتشويش على القارىء والإعراض عن استماعه بالمحادثة والمطالعة.

ومنها: ما ينفقه بعض الأغنياء في سبيل المولد بإحياء بعض الليالي بأسمائهم؛ حباً في الظهور وطلباً للشهرة والسمعة.. وغير ذلك مما يفسد أخلاق أبناء الأمة ويبعث في نفوسهم الميل إلى الشهوات وانتهاك الحرمات).

سرد هذه المفاسد، ثم قال: (فالواجب شرعاً على المسلمين عامة وأولياء الأمور خاصة أن يمنعوا الناس عن تلك المفاسد والمخازي، وأن يعملوا على إبطال تلك العادات في الموالد).

وقال في المحاضرة السادسة عشرة (ص١٢٩): (أما العادة المتبعة في الاحتفال بمولد النبي الشريف من إقامة الزينات والسرادقات، وتسيير المواكب، ودق الطبول والمزمار والإشارات، وسماع الأغاني والأناشيد، والرقص في حلقات الذكر، وإطلاق الصواريخ والألعاب النارية في الهواء وخروج النساء المتبرجات لرؤية الاحتفال والموكب، واختلاط الرجال والشبان بالنساء والفتيات، فكل ذلك مخالف لآداب الشريعة السمحة ومما يغضب رسول الله) ا. هـ.

وقال الأستاذ الشيخ علي محفوظ في [الإبداع في مضار الابتداع] (ص١٢٦ ـ ١٢٨) في بيان ما تحتوي عليه الاحتفالات بالمولد من المحرمات والمكروهات ما نصه: (فمن المحرمات: إضاعة الأموال بكثرة الوقود في المساجد والطرق، وإيقاد الشموع والسرج في الأضرحة، وكل ما يرجع إلى الإسراف والتبذير، وفي الحديث: «**إن الله كره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**».

ومنها: انتهاك حرمة المساجد بتقذيرها وكثرة اللغط فيها ودخول الأطفال حفاة أو بالنعال، فلا يكاد يتيسر لأحد إقامة الشعائر في مسجد يعمل فيه مولد.

ومنها: خروج النساء متبرجات مع اختلاطهن بالرجال إلى حد لا يؤمن معه من وقوع الفاحشة، وناهيك ما يكون من البغايا وتطلبهن الفاحشة جهاراً.

ومنها: استعمال الأغاني وآلات الطرب على الوجه المحرم بالإجماع، وغير ذلك مما يفسد أخلاق الأمة ويبعث في نفوس الشبان روح العشق والميل إلى الفجور.

ومنها: قراءة القرآن على غير الوجه المشروع، فيرجعون فيه كترجيع الغناء غير مراعين فيه ما يجب له من الآداب، وبعضهم يفتتح اللهو والغناء بقراءة شيء من القرآن، وكل ذلك ـ مع ما فيه من تعريضه للإهانة وعدم الاحترام لكتاب الله تعالى ـ ضد ماوصف الله به المؤمنين عند سماع كلامه، حيث قال: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1] ومما يشعر بالاستهانة والاستخفاف بكتاب الله تعالى ـ وإن لم يقصد الفاعل ذلك ـ شرب الدخان في مجلس القرآن الكريم، خصوصاً إذا كان ممن يقرب منه حال القراءة والتشويش عليه والإعراض عنه؛ لظاهر قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[2]، والاستماع: الإصغاء. والإنصات: السكوت.

قال العلامة الشبراوي في [شرح الورد] نقلاً عن شيخه السباعي: (الذي ندين الله به حرمة شرب الدخان في مجلس القرآن، ولا وجه للقول بالكراهة، وإذا كان الحديث الدنيوي في مجلس القرآن منهياً عنه فشرب الدخان في مجلسه أولى بالنهي؛ لما فيه من الرائحة الكريهة، وإن كان شاربوه لا يدركون ذلك للإلف والعادة، كالذين تعودوا

(١) سورة المائدة، الآية ٨٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية ٢٠٤.

معالجة المواد البرازية لا يتألمون من رائحتها، وإذا كان العقلاء يرون من الآداب أن لا يشرب الدخان بحضرة ملوك الدنيا وأمرائها أفلا يرون ذلك مخلاً بالآداب في وقت مناجاة ملك الملوك بقراءة القرآن؟! وكم من شيء لا يمنع بغير حضرة الملوك ولكن يمنع بحضرتهم، فعلى فرض أن شرب الدخان مكروه في غير مجلس القرآن فهو في مجلس القرآن ـ لإخلاله بالأدب في حضرة كلام ذي العظمة والجبروت ـ محرم، ألا ترى أن كثيراً من الأشياء مباح خارج الصلاة لكنه يحرم في أثنائها وإن لم يبطلها؛ وما ذاك إلا لإخلاله بآداب الوقوف بين يدي الله تعالى، ولنضرب لذلك مثلاً يوضحه لك ويزيدك إيماناً به: لو أن ملكاً أصدر قانوناً يتضمن شيئاً من مصالح الرعية؛ كنظام الضرائب، ومناوبات الري، وحفر الأنهار، وأمر عماله في الأقاليم أن يجمعوا العمد والمشايخ وأرباب المصالح في البلاد ويقرأوا عليهم هذا القانون ويشددوا عليهم في تنفيذه واحترامه فاجتمعوا وقام فيهم عمال الملك يتلون عليهم هذا القانون كما أمروا، ففي أثناء تلاوته رأى أحد العمال رجلين يتكلمان أو أحداً يشرب الدخان في مجلس الاجتماع ماذا يكون الحال؟ أليس يغضب التالي للقانون من ذلك، إن لم يعاقب بالطرد؛ لما في ذلك من انتهاك حرمة القانون وتاليه، فإذا كان هذا في قانون الملك المخلوق فما بالك بقانون ملك الملوك الخالق القادر رب الأرباب ومالك العباد. وفيه من ضروب المصالح والفوائد ما يضمن لمن اهتدى بهديه سعادة الدنيا والآخرة.

ومنها: تطلب الرياء والسمعة بما ينفق في سبيل المولد، فترى الأغنياء يتنافسون في الليالي التي يحيونها بأسمائهم، وكل يجد في أن

تكون ليلته أحسن الليالي؛ ليقال.

ومن المكروهات: قراءة القرآن على قارعة الطريق وفي الحوانيت، كما سبق لك.

ومنها: التكلف الذي يقع منهم في الوفاء بشهواتهم.

ومنها: الإفراط في السهر الذي يترتب عليه تضييع الصلوات وضرر الأبدان.

ومنها: شد الرحال إلى البقاع النائية وإهمال المزارع والصنائع والبيوت حتى تصير عرضة للتلف وسطو اللصوص.. إلى غير ذلك مما لا يخفى على بصير تركناه خوف الإطالة).

ثم ذكر الشيخ علي محفوظ أن الموالد التي تقام في زمانه لا شك أنها لا تخلو عن المحرمات والمكروهات قال: (وقد أصبحت ـ أي الموالد ـ مراتع الفسوق والفجور، وأسواقاً تباع فيها الأعراض، وتنتهك محارم الله تعالى، وتعطل فيها بيوت العبادة، فلا ريبة في حرمتها، والمصلحة المقصودة منها لا تبيح هذه المحظورات التي فيها ويمكن تأديتها من غير هذا الوجه.

والقاعدة (أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح)، وأن النبي ﷺ اكتفى من الخير بما تيسر وفطم عن جميع أنواع الشر حيث قال: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه**» متفق عليه، فهو صريح في أن الشر وإن قلَّ لا يرخص في شيء منه).

وقال تحت عنوان (المواسم التي نسبوها إلى الشرع وليست منه) (ص١٤١):

(ومنها: ـ أي تلك المواسم التي نسبوها إلى الشرع وليست منه ليلة الثاني عشر من ربيع الأول: يجتمع لها الناس في المساجد وغيرها فيهتكون حرمة بيوت الله تعالى ويسرفون في الوقود فيها، ويرفع القراء أصواتهم بقصائد الغناء التي تثير شهوة الشبان إلى الفسق والفجور، فتراهم عند ذلك يصيحون بأصوات منكرة ويحدثون في المساجد ضجة فظيعة، وقد لا يتعرضون في قصائدهم لشيء من خصائص رسول الله ﷺ وأخلاقه الكريمة وأعماله النافعة الجليلة، وفيهم من يشتغل بالذكر المحرف.

وكل ذلك لم يأذن به الله ورسوله، ولم يعهد عن السلف الصالح فهو بدعة وضلالة، كما سبق في بدع المولد) ا.هـ.

وقال السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من [المنار] (ص٧٤ ـ ٧٦) في كلامه على الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[1]، قال: (ولقد تشوهت سيرة مدعي التصوف في هذا الزمان، وصارت رسومهم أشبه بالمعاصي والأهواء من رسوم الدين، أفسدوا التصوف من قبلهم، وأظهرها في هذه البلاد الاحتفالات التي يسمونها الموالد، ومن العجيب أن تبع الفقهاء في استحسانها الأغنياء فصاروا يبذلون فيها الأموال العظيمة؛ زاعمين أنهم

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٦٥.

يتقربون بها إلى الله تعالى، ولو طلب منهم بعض هذا المال لنشر علم أو إزالة منكر أو إعانة منكوب، لضنوا به وبخلوا، ولا يرون ما يكون فيها من المنكرات منافياً للتقرب إلى الله تعالى، كأن كرامة الشيخ الذي يحتفلون بمولده تبيح المحظورات وتحل للناس التعاون على المنكرات!! فالموالد أسواق الفسوق: فيها خيام للعواهر، وخانات للخمور، ومراقص يجتمع فيها الرجال لمشاهدة الراقصات المتهتكات الكاسيات العاريات، ومواضع أخرى لضروب من الفحش في القول والفعل يقصد بها إضحاك الناس، وبعض هذه الموالد يكون في المقابر، ويرى كبار مشايخ الأزهر يتخطون هذا كله لحضور موائد الأغنياء في السرادقات والقباب العظيمة التي يضربونها وينصبون فيها الموائد المرفوعة، ويوقدون الشموع الكثيرة احتفالاً باسم صاحب المولد، ويهنىء بعضهم بعضاً بهذا العمل الشريف في عرفهم.

وذكر الأستاذ الإمام عند شرح مفاسد الموالد هنا أن بعض كبار الشيوخ في الأزهر دعوه مرة للعشاء عند أحد المحتفلين فأبى، فقيل له في ذلك، فقال: إنني لا أحب أن أكثر سواد الفاسقين، فإن هذه الموالد كلها منكرات. ووصف ما يمر به المدعو قبل أن يصل إلى موضع الطعام، ثم قال لشيخ صديق لصاحب الدعوة: كم ينفق صاحبك في احتفاله بالمولد؟ فقال: أربعمائة جنيه، قال الأستاذ: لا شك أن هذا في سبيل الشيطان، فلو كلمت صاحبك في أن يجعل ذلك لجماعة من المجاورين في الأزهر يستعينون به على طلب العلم فيكون بذله شرعياً وهؤلاء المجاورون يذكرونه بخير ويدعون له، فأجاب ذلك الشيخ قائلاً: إن الكون يلزم أن يكون فيه من هذا وهذا، فقال الأستاذ: هذا

الذي أريد، فإن كوننا ليس فيه إلا هذه النفقات في الطرق المذمومة، فأحب أن ينفق صاحبك على نشر علم الدين؛ ليكون بعض الإنفاق عندنا في الخير ويبقى للموالد أغنياء كثيرون، فقال الشيخ حينئذٍ: أما قرأت حكاية الشعراني مع الزمار إذ رأى شيخاً كبيراً ينفخ في مزمار والناس يتفرجون عليه، فاعترض عليه في سره، فما كان من الشيخ إلا أن قال: يا عبدالوهاب، أتريد أن ينقص ملك ربك مزماراً؟ فعلم الشعراني أنه من أولياء الله تعالى. قال الأستاذ: ثم تركني المشايخ بعد سرد الحكاية وذهبوا إلى المولد. فلينظر الناظرون إلى أين وصل المسلمون ببركة التصوف واعتقاد أهله بغير فهم ولا مراعاة شرع، اتخذوا الشيوخ أنداداً، وصار يقصد بزيارة القبور والأضرحة قضاء الحوائج وشفاء المرضى وسعة الرزق، بعد أن كانت للعبرة وتذكر القدوة وصارت الحكايات الملفقة ناسخة[1] فعلاً لما ورد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على الخير، ونتيجة ذلك كله أن المسلمين رغبوا عما شرع الله إلى ما توهموا أنه يرضي غيره ممن اتخذوهم أنداداً له، وصاروا كالإباحيين في الغالب، فلا عجب إذا عم فيهم الجهل، واستحوذ عليهم الضعف، وحرموا ما وعد الله المؤمنين من النصر؛ لأنهم انسلخوا من مجموع ما وصف الله به المؤمنين، ولم يكن في القرن الأول شيء من هذه التقاليد والأعمال التي نحن عليها، بل ولا في الثاني، ولا يشهد لهذه البدع كتاب ولا سنة، وإنما سرت إلينا بالتقليد أو العدوى من الأمم الأخرى، إذ رأى

---

(١) عندهم.

قومنا عندهم أمثال هذه الاحتفالات فظنوا أنهم إذا عملوا مثلها يكون لدينهم عظمة وشأن في نفوس تلك الأمم، فهذا النوع من اتخاذ الأنداد كان من أهم أسباب تأخر المسلمين وسقوطهم فيما سقطوا فيه.

قلت: ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ من نظر فيما تقدم في وصف احتفال بني عبيد القداح بالموالد تبين له من إضاعة الأموال فيها ما لا ينبغي، وكذلك ما في [تاريخ ابن خلكان] و[مرآة الزمان] لسبط ابن الجوزي من ذكر الأموال الكثيرة التي تصرف في احتفال أبي سعيد كوكبوري بن أبي الحسن علي بن بكتكين بن محمد ـ الملقب بالملك المعظم مظفر الدين صاحب إربل ـ بالمولد النبوي، فقد قال ابن خلكان (ج١ ص٤٣٦، ٤٣٧) في وصف احتفاله بذلك اليوم الذي يقال بأنه يوافق يوم المولد: كان في كل سنة يصل إليه من البلاد القريبة من إربل ـ مثل بغداد والموصل والجزيرة وسنجار ونصيبين وبلاد العجم وتلك النواحي ـ خلق كثير من الفقهاء والصوفية والوعاظ والقراء والشعراء، ولا يزالون يتواصلون من المحرم إلى أوائل شهر ربيع الأول، ويتقدم مظفر الدين بنصب قباب من الخشب كل قبة أربع أو خمس طبقات، ويعمل مقدار عشرين قبة وأكثر، منها قبة له والباقي للأمراء وأعيان دولته لكل واحد قبة، فإذا كان أول صفر زينوا تلك القباب بأنواع الزينة الفاخرة المستجملة، وقعد في كل قبة جوق من الأغاني، وجوق من أرباب الخيال ومن أصحاب الملاهي، ولم يتركوا طبقة من تلك الطباق حتى رتبوا فيها جوقاً، وتبطل معايش الناس في تلك المدة، وما يبقى لهم شغل إلا التفرج والدوران عليهم، وكانت القباب منصوبة من باب القلعة إلى باب الخانقاه المجاورة للميدان،

فكان مظفر الدين ينزل كل يوم بعد صلاة العصر ويقف على قبة قبة إلى آخرها، ويسمع غناءهم ويتفرج على خيالاتهم وما يفعلونه في القباب، ويبيت في الخانقاه ويعمل السماع، ويركب عقيب صلاة الصبح يتصيد ثم يرجع إلى القلعة قبل الظهر، هكذا يعمل كل يوم إلى ليلة المولد، وكان يعمله سنة في ثامن الشهر وسنة في الثاني عشر؛ لأجل الاختلاف الذي فيه، فإذا كان قبل المولد بيومين أخرج من الإبل والبقر والغنم شيئاً كثيراً زائداً عن الوصف، وزفها بجميع ما عنده من الطبول والأغاني والملاهي حتى يأتي بها إلى الميدان ثم يشرعون في نحرها وينصبون القدور ويطبخون الألوان المختلفة، فإذا كانت ليلة المولد عمل السماعات بعد أن يصلي المغرب في القلعة، ثم ينزل وبين يديه من الشموع المشتعلة شيء كثير، وفي جملتها شمعتان أو أربع ـ أشك في ذلك ـ من الشموع الموكبية التي تحمل كل واحدة منها على بغل، ومن ورائها رجل يسندها وهي مربوطة على ظهر البغل حتى ينتهي إلى الخانقاه، فإذا كان صبيحة يوم المولد أنزل الخلع من القلعة إلى الخانقاه على أيدي الصوفية على يد كل شخص منهم بقجة وهم متتابعون، كل واحد وراء الآخر فينزل من ذلك شيء كثير لا أتحقق عدده ثم ينزل إلى الخانقاه، وتجتمع الأعيان والرؤساء وطائفة كبيرة من بياض الناس وينصب كرسي للوعاظ، وقد نصب لمظفر الدين برج خشب له شبابيك إلى الموضع الذي فيه الناس والكرسي، وشبابيك أخر للبرج أيضاً إلى الميدان،وهو ميدان كبير في غاية الاتساع ويجتمع فيه الجند ويعرضهم ذلك النهار، وهو تارة ينظر إلى عرض الجند وتارة إلى الناس والوعاظ، ولايزال كذلك حتى يفرغ الجند من عرضهم،

فعند ذلك يقدم السماط في الميدان للصعاليك، ويكون سماطاً عاماً فيه من الطعام والخبز شيء كثير لا يحد ولا يوصف، ويمد سماطاً ثانياً في الخانقاه للناس المجتمعين عند الكرسي، وفي مدة العرض ووعظ الوعاظ يطلب واحداً واحداً من الأعيان والرؤساء والوافدين؛ لأجل هذا الموسم ممن قدمنا ذكره من الفقهاء والوعاظ والقراء والشعراء، ويخلع على كل واحد منهم، ثم يعود إلى مكانه، فإذا تكامل ذلك كله حضروا السماط وحملوا منه لمن يقع التعيين على الحمل إلى داره، ولا يزالون على ذلك إلى العصر أو بعدها، ثم يبيت تلك الليلة هناك ويعمل السماعات إلى بكرة، هكذا دأبه في كل سنة.

هذا ما ذكره ابن خلكان من وصف احتفال الملك المظفر بالمولد النبوي ثم قال: (وقد لخصت صورة الحال فإن الاستقصاء يطول، فإذا فرغوا من هذا الموسم تجهز كل إنسان إلى العود إلى بلده فيدفع لكل شخص شيئاً من النفقة[(١)]، وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب ابن دحية في حرف العين وصوله إلى إربل وعمله لكتاب [التنوير في مولد السراج المنير]؛ لما رأى من اهتمام مظفر الدين به وأنه أعطاه ألف دينار غير ما غرم عليه مدة إقامته من الإقامات الوافرة) يشير ابن خلكان بقوله: (وقد ذكرت في ترجمة الحافظ أبي الخطاب

---

(١) لخص المؤرخ الفقيه الأديب أبوالفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي في [شذرات الذهب في أخبار من ذهب] (ج٥ ص١٤٠) ما أورده ابن خلكان في ذلك ونقل عن ابن شهبة أنه قال في [تاريخ الإسلام]: (قال جماعة من أهل إربل: كانت نفقته على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار).

ابن دحية في حرف العين...) إلخ إلى قوله في ترجمة أبي الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دحية (ج١ص٣٨١) ما نصه: (قدم مدينة إربل في سنة أربع وستمائة وهو متوجه إلى خراسان فرأى صاحبها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمه الله تعالى مولعاً بعمل مولد النبي ﷺعظيم الاحتفال به، كما هو مذكور في ترجمته في حرف الكاف من هذا الكتاب ـ أي في ترجمة كوكبوري أبي سعيد الملك المعظم صاحب إربل ـ فعمل له كتاباً سماه كتاب [التنوير في مولد السراج المنير] وقرأه عليه بنفسه وسمعناه على الملك المعظم في ستة مجالس في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وستمائة) ا.هـ.

وقال أبوالمظفر يوسف بن قزاوغلي الشهير بسبط ابن الجوزي في القسم الأول من الجزء الثامن من [مرآة الزمان في تاريخ الأعيان] (ص٦٨١، ٦٨٢) قال في ترجمة مظفر الدين كوكبوري: (كان يعمل في كل سنة مولد النبي ﷺ في ربيع الأول يجتمع فيه الدنيا من العلماء والفقهاء والوعاظ والقراء والصوفية والفقراء من كل صنف ويضرب الخيام في الميدان، وينزل من القلعة بنفسه فيقرأ القراء ويعظ الوعاظ ويمد سماطاً أولها عنده وآخره في القلعة ويحضره الخلائق فلا يبقى إلا من يأكل ويحمل، وحكى لي من حضر بعض السنين فقال: عددت على السماط مائة قرش قشلميش وخمسة آلاف رأس شوي وعشرة آلاف دجاجة ومائة ألف زبدية وثلاثين ألف صحن حلوى ثم يخلع فيه على الأعيان ويفرق فيه الأموال على أقدارهم، ولا يحضر هذا السماط أحد من عسكره ثم يقوم في الميدان فيدخل الخانكاه وقد اجتمع فيه من الصوفية ما بين ثمانمائة إلى الألف فيأخذون في السماع من بعد

الظهر إلى الفجر وهو يرقص بينهم، فإذا كان من الغد بعث إليهم من يكتب أسماءهم وكل شيخ ومعه جماعة فيعطى المشايخ على قدر طبقاتهم من المائة دينار إلى الخمسين والثلاثين ولأتباعهم على حدة ومن شاء أن يسافر ومن شاء أن يقيم أياماً)، وقال (ص٦٨٣): (حكى لي بإربل أنه كان ينفق على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار) ا.هـ.

وكذلك الاحتفالات بالمولد التي وقعت بعد تلك الاحتفالات جرت على المبالغة والإسراف في صرف الأموال:

فقد قال شمس الدين السخاوي في كلامه على الاحتفال بالمولد النبوي: (وأكثرهم ـ أي أهل الأقطار ـ بذلك ـ أي بعمل المولد ـ عناية أهل مصر والشام ولسلطان مصر في تلك الليلة من العام الأعظم مقام. قال: ولقد حضرت في سنة خمس وثمانين وسبعمائة ليلة المولد عند الملك الظاهر برقوق رحمه الله بقلعة الجبل العلية فرأيت ما هالني وسرني وما ساءني، وحررت ما أنفق في تلك الليلة على القراء والحاضرين من الوعاظ والمنشدين وغيرهم من الأتباع والغلمان والخدام المترددين بنحو عشرة آلاف مثقال من الذهب العين بالحدس المصيب لا المين ما بين خلع ومطعوم، ومشروب ومشموم، ومشموع، وغيرها مما يستقيم به الضلوع، وعددت في ذلك خمساً وعشرين جوقة من القراء الصنتيتين المرجو كونهم مثبتين، ولم ينزل واحد منهم إلا بنحو عشرين خلعة من السلطان ومن الأمراء الأعيان، قال السخاوي: قلت: ولم يزل ملوك مصر خدام الحرمين الشريفين

ممن وفقهم الله لهدم كثير من المناكير والشين ونظروا في الرعية كالوالد لولده وشهروا أنفسهم بالعدل فأسعفهم الله بجنده ومدده، كالملك الشهيد الظاهر المصدق أبي سعيد جمقمق يعتنون به ويتوجهون لطريق سببه بحيث ارتفعت جوق القراء في أيامه بيقين للزيادة على الثلثين فذكروا بكل جميل وكفوا من المهمات كل عريض وطويل) نقل هذا كله الملا علي قاري صاحب [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٢٥، ٢٦) عن السخاوي.

وورد في الجزء الأول من [أزهار الرياض في أخبار عياض] تأليف شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (ص٢٤٣) ط لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

أن السلطان أبا حمو موسى بن يوسف يحتفل بليلة مولد رسول الله ﷺ غاية الاحتفال، كما كان ملوك المغرب والأندلس في ذلك العصر وما قبله يعتنون بذلك ولا يقع منهم فيه إغفال، قال: (وقد تقدم أن العزفي صاحب سبتة هو الذي سن ذلك في بلاد المغرب) قال: (ومن جملة احتفال السلطان أبي حمو المذكور ما قاله صاحب [راح الأرواح][1]: (إنه كان يقيم ليلة الميلاد النبوي على صاحبه الصلاة والسلام بمشورة من تلمسان المحروسة مدعاة حفيلة يحشر الناس فيها خاصة وعامة، فما شئت من نمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة وبسط موشاة ووسائد بالذهب مغشاة، وشمع كالأسطوانات، وموائد

(١) صاحب [راح الأرواح] هو أبوعبدالله التنسي ثم التلمساني، كما بينه المقري في الجزء الرابع من [نفخ الطيب] (ص٦٠٤).

كالهـــــالات، ومباخر صفر منصوبة، كالقباب يخالها المبصر من تبر مـــــذاب، ويفـــاض على الجميع أنواع الأطعمة كأنها أزهار الربيع المنمنمة، تشتهيها الأنفس، وتستلذها النواظر، ويخالط حسن رياها الأرواح ويخامر، رتب الناس فيها على مراتبهم ترتيب احتفال، وقد علت الجميع أبهة الوقار والإجلال، وبعقب ذلك يحتفل المسمعون بأمداح المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام، يخرجون فيها من فن إلى فن، ومن أسلوب إلى أسلوب، ويأتون من ذلك بما تطرب له النفوس وترتاح إلى سماعه القلوب، وبالقرب من السلطان رضوان الله عليه خزانة المنجانة، قد زخرفت كأنها حلة يمانية، لها أبواب مرتجة على عدد ساعات الليل الزمانية، فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها، وفتح عند ذلك باب من أبوابها، وبرزت منه جارية صورت في أحسن صورة، في يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيه تلك الساعة باسمها مسطورة، فتضعها بين يدي السلطان بلطافـــة، ويســـراها علـــى فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة، هكذا حالهم إلى انبلاج عمود الصباح، ونداء المنادي: حـي على الفلاح) انتهى كلام صاحب [راح الأرواح]. وقال[1] في نظم الدرر والعقيان في هذا المعنى ما نصه: (وكان ـ يعني: السلطان أبا حمو ـ يقوم بحق ليلة مولد المصطفى ﷺ ويحتفل لها بما هو فوق سائر المواسم، يقيم مدعاة، يحشر لها الأشراف والسوقة، فما شئت

(١) أي: صاحب [راح الأرواح]، بيـــن ذلك المقري في (ج٤) من [نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب] (ص٦٠٥) الطبعة البولاقية.

من نمارق مصفوفة، وزرابي مبثوثة، وشمع كالأسطوانات، وأعيان الحضرة على مراتبهم، تطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات، ينال كل منها بحظه، وخزانة المنجانة ذات تماثيل لجين محكمة الصنعة، بأعلاها أيكة تحمل طائراً، فرخاه تحت جناحيه، ويختله فيهما أرقم، خارج من كوة بجذر الأيكة صعداً، وبصدرها أبواب مرتجة بعدد ساعات الليل الزمانية، يصاقب طرفيها بابان كبيران، وفوق جميعها دوين رأس الخزانـة قمر أكمل، يسير على خط الاستواء سير نظيره من الفلك، ويسامت أول كل ساعة بابها المرتج، فينقض من البابين الكبيرين عقابان، بفي كل واحد منهما صنجة صفر، يلقيها إلى طست من الصفر مجوف، بوسطه ثقب يفضي بها إلى داخل الخزانة فيرن، وينهش الأرقم أحد الفرخين فيصفر له أبواه، فهنا يفتح باب الساعة الذاهبة، وتبرز منه جارية محتزمة، كأظرف ما أنت راء، بيمناها إضبارة فيها اسم ساعتها منظوماً، ويسراها موضوعة على فيها، كالمبايعة بالخلافة، والمسمع قائم ينشد أمداح سيد المرسلين، وخاتم النبيين، سيدنا ومولانا محمد ﷺ. ثم يؤتى آخر الليل بموائد كالهالات دوراً، والرياض نوراً، قد اشتملت من أنواع محاسن الطعام على ألوان تشتهيها الأنفس، وتستحسنها الأعين، وتلذ بسماعها الأذن، ويشره مبصرها للقرب منها والتناول وإن كان ليس بغرثان، والسلطان لم يفارق مجلسه الذي ابتدأ جلوسه فيه، وكل ذلك بمرأى منه ومسمع، حتى يصلي هناك صلاة الصبح. على هذا الأسلوب تمضي ليلة مولد المصطفى ﷺ في جميع أيام دولته، أعلى الله مقامه في عليين وشكر له في ذلك صنعه الجميل

آمين. وما من ليلة مولد مرت في أيامه إلا ونظم فيها قصيداً في مدح المصطفى ﷺ أول ما يبتديء المسمع في ذلك المحفل العظيم بإنشاده ثم يتلوه إنشاد من رفع إلى مقامه العلي في تلك الليلة نظماً، انتهى كلام صاحب [نظم الدرر والعقيان]، وهو أتم مساقاً من كلامه في [راح الأرواح].

هذه تصريحات أهل العلم من لا يرى منهم الاحتفال بالمولد النبوي ومن يراه، بما تحتوي عليه تلك الاحتفالات باليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي في أزمنتهم من بدع ومعاصٍ تتنافى مع دعوى المحتفلين تعظيم النبي ﷺ، وقد تقدم ما قاله الشيخ أبوالحسن بن عبدالله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي في ترجمة القاضي أبي عبدالله محمد بن عبدالسلام المنستيري[1] من كتاب [المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا] (ص١٦٢، ١٦٣) طبعة دار الكتاب المصري بالقاهرة ما نصه: (أخبرني ـ أي أبوزيد عبدالرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي ـ عن هذا القاضي رحمه الله بما حاصله أن الأمير أبا يحيى استحضره مع الجملة من صدور الفقهاء للمبيت بدار الخلافة وللمثول بين يديه ليلة الميلاد النبوي الشريف إذ كان قد أراد إقامة رسمه على العادة المغربية: من الاحتفال في الأطعمة، وتزيين المحل بحضور الأشراف، وتخير القوالين للأشعار المقرونة بالأصوات المطربة، فحين كمل المقصود من المطلوب وقعد السلطان على أريكة ملكه ينظر في ترتيبه، والناس على منازلهم بين قاعد وقائم، هز المسمع

---

(١) توفي هذا القاضي في أوائل الطاعون النازل ببلده عام (٧٥٠).

طره وأخذ يهنئهم بألحانه وتبعه صاحب يراعه بعادته من مساعدته، تزحزح القاضي أبوعبدالله عن مكانه وأشار بالسلام على الأمير، وخرج من المجلس فتبعه الفقهاء بجملتهم إلى مسجد القصر فناموا به، فظن السلطان أنهم خرجوا لقضاء حاجاتهم، فأمر أحد وزرائه بتفقدهم والقيام بخدمتهم إلى عودتهم، وأعلم الوزير الموجه لما ذكر القاضي بالغرض المأمور به، فقال له: أصلحك الله، هذه الليلة المباركة التي وجب شكر الله عليها وجمعنا السلطان أبقاه الله من أجلها، لو شهدها نبينا المولود فيها صلوات الله وسلامه عليه، لم يأذن لنا في الاجتماع على ما نحن فيه من مسامحة بعضنا لبعض في اللهو ورفع قناع الحياء بمحضر القاضي والفقهاء، وقد وقع الاتفاق من العلماء على أن المجاهرة بالذنب محظورة إلا أن تمس إليها حاجة كالإقرار بموجب الحد أو الكفارة، فليسلم لنا الأمير أصلحه الله في القعود بمسجده هذا إلى الصباح وإن كنا في مطالبات أخر من تبعات رياء ودسائس أنفس وضروب غرور، لكنا كما شاء الله في مقام الاقتداء لطف الله بنا أجمعين بفضله، فعاد عند ذلك الوزير المرسل للخدمة الموصوفة إلى الأمير أبي يحيى وأعلمه بالقصة فأقام يسيراً وقام من مجلسه وأرسل إلى القاضي من ناب عنه في شكره وشكر أصحابه، ولم يعد إلى مثل ذلك العمل بعد، وصار في كل ليلة يأمر في صبيحة الليلة المباركة بتفريق طعام على الضعفاء وإرفاق الفقراء شكراً لله) ا.هـ كلامه، وإذا كان هذا موقف ذلك القاضي من اللهو واللعب في عمل المولد فما بالك بما انضم إليهما بعد ذلك من المناكر، نسأل الله السلامة آمين.

فصـــل
في الكلام على قصص المولد
وعلى ما تحتوي عليه من أضرار

جرت عادة المحتفلين باليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي بالاجتماع على قصص تسمى بالموالد، وهي قصص ألفت لقراءتها في تلك المناسبة على هيئة يعتقد قراؤها أنها من القرب ويتوهم العوام أنها من السنن المأثورة، ولكون الكلام على تلك العادة يتطلب أمرين:

أحدهما: بيان حكم الاجتماع على قراءة تلك القصص.

والثاني: ذكر ما تحتوي عليه تلك القصص من أضرار نوضح ذلك فنقول: أما حكم الاجتماع على قراءة تلك القصص فهو أنه بدعة لا ريب في ذلك، كما بينه العلماء، ومن كلامهم في ذلك ما يلي:

١ ـ قال العلامة الإمام الشيخ عبدالله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في مناظرته لعلماء مكة التي وقعت بينه وبينهم عام (١٢١٨هـ) بصدد بيانه للبدع المذمومة ما نصه: (ومنها: ـ أي من البدع المذمومة ـ الاجتماع في وقت مخصوص على من يقرأ سيرة المولد الشريف اعتقاداً أنه قربة مخصوصة مطلوبة دون علم السير فإن ذلك لم يرد)، وذكر في التفرقة بين الوارد من الأذكار وغيرها ما نصه:

(ومنها: أي البدع المذمومة ـ ما اعتيد في بعض البلاد من قراءة مولد النبي ﷺ بقصائد بألحان وتخلط بالصلاة عليه وبالأذكار والقراءة ويكون بعد صلاة التراويح ويعتقدونه على هذه الهيئة من القرب، بل تتوهم العامة أن ذلك من السنن المأثورة فينهى عن ذلك) ورد ذلك كله في الجزء الأول من [الدرر السنية] (ص١٣٢، ١٣٣).

٢ ـ قال السيد رشيد رضا في الجزء الرابع من [الفتاوى] (ص١٢٤٣) ما نصه: (هذه الموالد ـ أي القصص المسماة بالموالد ـ بدعة بلا نزاع، وأول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد النبوي أحد ملوك الشراكسة بمصر).

وأما الأضرار المحتوية عليها تلك القصص المعروفة باسم الموالد فكثيرة.

الأول من الأضرار التي تقع في قصص المولد: إيراد أحاديث غير ثابتة فيها

نبه على وجود الأحاديث غير الثابتة في تلك القصص السخاوي والسيد رشيد رضا وعلي فكري، قال السخاوي: (أكثر ما بأيدي الوعاظ منه ـ أي مما يقرأ في المولد ـ كذب واختلاق، بل لم يزالوا يولدون ما هو أقبح وأسمج مما لا تحل روايته ولا سماعه، بل يجب على من علم بطلانه إنكاره والأمر بترك قراءته) نقل ذلك الملا علي قاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٣٢) عن السخاوي. وقال السيد رشيد رضا في الجزء الرابع من فتاويه (ص١٢٤٣): (لم نطلع على قصة من قصص المولد النبوي الشريف إلا ورأينا فيها كثيراً

من الأخبار الموضوعة)، وذكر أن تلك القصص التي يؤثرها الجهال زعماً منهم أنها أكثر تعظيماً للنبي ﷺ مشحونة بالموضوعات والأكاذيب، ثم قال: (وقد أغناه الله تعالى بفضله العظيم عليه عن تعظيم غيره بالكذب في سيرته) وذكر في الجزء السادس من [الفتاوى] (ص٢٤٢٨) تحت عنوان معجزات المولد النبوي (أن في تلك القصص الضعيف والموضوع، وأن أكثرها مراسيل وإسرائيليات منكرة)، وقال السيد علي فكري في المحاضرة السادسة عشرة من [المحاضرات الفكرية] (ص١٢٩): (يجب أن تكون القصة التي تتلى في المولد النبوي الشريف مأخوذة من الأحاديث الشريفة المقبولة، أما ما اعتاد الناس سماعه من أهل التلحين والترنيم من الأقوال الخرافية والأوصاف التي لا تقرها الشريعة الإسلامية في الذات المحمدية، فمنكر يجب الإقلاع عنه).

وعلى سبيل التمثيل لما في تلك القصص وبعض الكتب المصنفة في الدفاع عن المولد من أحاديث غير صحيحة أورد ما يلي:

١ ـ ما جاء عن جابر بن عبدالله الأنصاري أنه قال: (قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء، قال: «يا جابر، إن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدور بالقدرة حيث شاء الله تعالى ولم يكن في ذلك الوقت لوح ولا قلم، ولا جنة ولا نـــار، ولا ملك ولا سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر، ولا جني ولا إنسي، فلما أراد الله أن يخلق الخلق قسم ذلك النور أربعة أجزاء: فخلق من الأول القلم،

ومن الثاني اللوح، ومن الثالث العرش، ثم قسم الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول حملة العرش، ومن الثاني الكرسي، ومن الثالث باقي الملائكة، ثم قسم الجزء الرابع أربعة أجزاء فخلق من الأول السموات، ومن الثاني الأرضين، ومن الثالث الجنة والنار. ثم قسم الرابع أربعة أجزاء: فخلق من الأول نور أبصار المؤمنين، ومن الثاني نور قلوبهم وهي المعرفة بالله، ومن الثالث نور أنسهم وهو: التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله»، أورد هذا منه القسطلاني في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص٤٧) وزعم أن عبدالرزاق رواه كذلك بسنده عن جابر، وأشار إلى أن له بقية بقوله بعد إيراد ما أورده منه: (الحديث).

وأورده حسين بن محمد الديار بكري في الجزء الأول من [تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس] (ص١٩، ٢٠) عن جابر بن عبدالله الأنصاري بلفظ (سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله، قال: «هو نور نبيك يا جابر، خلقه ثم خلق منه كل خير، وخلق بعده كل شيء، وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام: خلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الحب اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام فخلق الخلق من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق الملائكة من جزء وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء فخلق العقل من جزء

والحلم والعلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة ثم نظر الله سبحانه إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبي أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة. فالعرش والكرسي من نوري والكروبيون من نوري والروحانيون من الملائكة من نوري وملائكة السموات السبع من نوري والجنة وما فيها من النعيم من نوري والشمس والقمر والكواكب من نوري والعقل والعلم والتوفيق من نوري وأرواح الأنبياء والرسل من نوري والشهداء والصالحون من نتائج نوري ثم خلق سبحانه اثني عشر حجاباً فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين فعبدالله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض وكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب كالسراج في الليل المظلم ثم خلق الله آدم في الأرض وركب فيه النور في جبينه ثم انتقل منه إلى شيث ومنه إلى يانش وهكذا كان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن أوصله الله تعالى إلى صلب عبدالله بن عبدالمطلب ومنه إلى رحم آمنة ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين وقائد الغر المحجلين هكذا بدء خلق نبيك يا جابر».

بهذا اللفظ أورده الديار بكري وقال: (ذكره البيهقي، وذكره ابن

الحاج في [المدخل][١] (ج٢ ص٣٤) أن الخطيب أبا الربيع روى في [شفاء الصدور] له أن أول ما خلق الله نور محمد ﷺ فأقبل ذلك النور يتردد ويسجد بين يدي الله عز وجل فقسمه الله تعالى إلى أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول العرش، ومن الثاني القلم، ومن الثالث، اللوح، ثم قال للقلم: إجر واكتب، فقال: يا رب، ما أكتب؟ قال: ما أنا خالقه إلى يوم القيامة فجرى القلم على اللوح وكتب حتى أتى على آخر ما أمره الله سبحانه وتعالى به، وأقبل الجزء الرابع يتردد بين يدي الله تعالى ويسجد لله عز وجل فقسمه الله أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول العقل، ومن الثاني المعرفة وأسكنها في قلوب العباد، ومن الجزء الثالث نور الشمس والقمر ونور الأبصار، والجزء الرابع جعله الله حول العرش حتى خلق آدم عليه الصلاة والسلام فأسكن ذلك النور فيه فنور العرش من نور محمد ﷺ ونور القلم من نور محمد ﷺ ونور اللوح من نوره ﷺ ونور النهار من نوره ﷺ ونور العقل من نوره ﷺ

---

(١) كتاب [المدخل] رغم ما فيه من تنبيهات على كثير من البدع، فيه كثير من الأحاديث الموضوعات. ذكر ذلك صاحب كتاب [السنن والمبتدعات] (ص٢٩١) وقد أجاد في تصريحه بذلك، وقال الشهاب الخفاجي في الجزء الأول من [نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض] (ص ٢٦٢) ط دار الكتاب العربي في كلامه على البدع: (قد استوفى أقسامها ابن الحاج في [المدخل] وهو كتاب لم يصنف في بابه مثله، وإن كان فيه أمور غير مسلمة). قلت: ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ: من الأمور التي لا تسلم في المدخل؛ لمخالفتها النصوص الشرعية: دعوته في الفصل الذي عقده لزيارة القبور، وفي الفصل الذي عقده لزيارة النبي ﷺ إلى الاستغاثة بأصحاب القبور وإلى التردد على قبورهم لقضاء الحاجات، وقد شان ابن الحاج كتابه بذلك وبعدم التحري فيما يذكره فيه من الأحاديث.

ونور المعرفة ونور الشمس ونور القمر ونور الأبصار من نوره ﷺ، وأورد معه ابن الحاج في الباب ما أورد ثم قال: (وقد ورد في هذا المعنى كثير فمن أراده فليقف عليه في كتاب [الشفاء] لأبي الربيع ولأجل هذا المعنى قال آدم عليه الصلاة والسلام للنبي ﷺ فيما نقل: يا أبا معناي ويا ابن صورتي) ا.هـ. وإلى هذا الحديث أشار الشيخ إبراهيم الرياحي التونسي في أول مولده بقوله (ص٤): (إن أول ما خلق الله نور هذا النبي الأواه)، والبرزنجي في مولده (ص٤٢)ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي بقوله في النبي ﷺ: (هو آخر الأنبياء بصورته وأولهم بمعناه)، والميرغني بقوله في مولده (ص٩): (قال ـ أي النبي ﷺ: «أول ما خلق الله نور نبيه يا جابر» جواباً للمسألة المحكية.

٢ ـ حديث «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» إليه أشار الميرغني في (ص٩) بقوله: (وقال ـ أي النبي ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[1]، ونقل الشيخ محمد بن علوي في تعليقه على الطبعة الأولى لـ [مولد الديبع] (ص٢٠) عن العلقمي أنه صححه في [شرح الجامع الصغير] ونصه: (الشيخ العلقمي في [شرح الجامع الصغير] قال عن هذا الحديث «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»: إنه حديث صحيح،

---

(١) ذكر ذلك في مولده وهو مولد يحتوي من الإطراء على أشياء كثيرة منها: هذا، ومنها قوله في (ص٤): (من ميم اسمه ـ أي محمد ﷺ ـ امتدت سائر العوالم الخلقية، وحاء رحمته التي رحم بها الملوان، ومـــن ميمه الأخرى تعينت مياه العوالم الحسية والمعنوية وامتلاؤها من أنوار وأسرار وإذعان، ومن دال ذلك الاسم دامت نظامات الممالك الملكية.

كذا في [شرح الجامع]، وقال الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٣٣): (هو ـ أي خبر «**كنت نبياً وآدم بين الماء والطين**» وإن قال بعض الحفاظ: لم نقف عليه بهذا اللفظ، لكن جاء معناه من طرق صحيحة، منها ما رواه أحمد والبيهقي والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إني مكتوب عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته**»، أي: لطريح ملقى على الأرض قبل نفخ الروح فيه.

ومنها: ما رواه أحمد والبخاري في تاريخه وأبونعيم في [الحلية] وصححه الحاكم عن ميسرة الضبي رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»، ويروى (كتبت) من الكتابة.

ومنها: خبر الترمذي وحسنه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنهم قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**».

٣ ـ ما جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ الآية[١]، قال النبي ﷺ: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**»، أورده الشيخ محمد بن علوي المالكي في تعليقه على طبعة[مولد ابن الديبع] الأولى طبعة مطابع سحر بجدة (ص٢٠) وفي تعليقه على طبعة [مولد ابن الديبع] الأخرى ط مطبعة السعادة (ص١٤) وفي تعليقه على [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٤٢) قال في الجميع: (قال السخاوي: ورواه أبونعيم في [الدلائل] وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال ومن

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧.

طريقه عن أبي هريرة مرفوعاً، وله شاهد صححه الحاكم وآخر في صحيحي ابن حبان والحاكم، وثالث عند الترمذي وقال: حسن صحيح.

٤ ـ خبر (لما أراد الله أن يخلق محمداً ﷺ أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الأعلى، فقبض قبضة رسول الله ﷺ من موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم في معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء، لهـــا شعاع عظيم ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والأرض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلق سيدنا محمداً ﷺ وفضله قبل أن تعرف آدم)، ذكره القسطلاني في المولد من [المواهب اللدنية] (ج١ص٤٢)، وذكر هو والزرقاني ـ شارح [المواهب اللدنية] ـ أنه أورده عبدالله بن أبي جمرة في [بهجة النفوس]، وأبوالربيع بن سبع في [شفاء الصدور] وأبوسعد في [شرف المصطفى] وابن الجوزي في [الوفاء].

٥ ـ ما جاء عن زين العابدين علي بن الحسين عن جده علي بن أبي طالب رضي الله عنهم رفعه: (كنت نوراً بين يدي الله عزوجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق آدم جعل ذلك النور في صلبه فلم يزل ينقله من صلب إلى صلب حتى استقر في صلب عبدالمطلب)، هكذا أورده الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٥٧، ٥٨). وأورد منه أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني في [المواهب اللدنية] (ج١ ص٤٩) أورد منه: (كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام) مقتصراً عليه، وذكر

أنه في أحكام ابن القطان فيما ذكره ابن مرزوق عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ. وجاء في طبعتي [مولد الديبع] اللتين أشرف عليهما الشيخ محمد بن علوي المالكي[١] ما نصه: (عن بحر العلم الدافق، ولسان القرآن الناطق، أوحد علماء الناس، سيدنا عبدالله ابن سيدنا العباس رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كنت نوراً بين يدي الله عزوجل قبل أن يخلق آدم بألفي عام، يسبح الله ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله آدم أودع ذلك النور في طينته»، قال ﷺ: «فأهبطني الله عزوجل إلى الأرض في ظهر آدم وجعلني في السفينة في صلب نوح، وجعلني في صلب الخليل إبراهيم حين قذف به في النار، ولم يزل الله عز وجل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكية الفاخرة حتى أخرجني الله من بين أبوي وهما لم يلتقيا على سفاح قط»، وعلى لفظ [مولد ابن الديبع] علق الشيخ السيد محمد بن علوي المالكي (ص٢٩)ـ بما نصه: قوله: «كنت نوراً» رواه محمد بن عمر[٢] العدني شيخ مسلم في مسنده وابن الجوزي في [الوفاء] (١/ ٣٥)، وفي [الموضوعات] له، والسيوطي في [اللآليء المصنوعة] (١/ ٢٦٥) والقاضي عياض في [الشفاء]، وقال يشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدحه ﷺ

---

(١) طبعة مطبعة السعادة (ص٢٣ ـ ٢٥)، وطبعة مطابع سحر بجدة (ص٢٩ ـ ٣١)، وأما طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر المؤرخة بعام (١٣٤٢هـ) فلفظها: (قريشاً) وهو اللفظ الوارد من رواية ابن عباس رضي الله عنهما، وأما رواية: (كنت نوراً) فإنما وردت من رواية علي وسلمان رضي الله عنهما.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: (أبي عمر).

(١/ ٨٣) وهو قوله رضي الله عنه:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألـ جم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صلب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق
وردت نار الخليل مستتراً في صلبه أنت كيف يحترق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق

الخصائص (١/ ٩٧)

وقد ذكر الحافظ ابن عبدالبر هذه الأبيات في ترجمة خريم بن أوس قال: قال: هاجرت إلى رسول الله ﷺ فقدمت عليه منصرفه من تبوك فسمعت العباس عمه يقول: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك، فقال النبي ﷺ: «**قل، لا يفضض الله فاك**» فأنشأ يقول. . . وساق الأبيات، ثم قال: وقد روى هذه الأبيات جرير بن أوس أخو خريم بن أوس، كما رواه خريم كذا في [الاستيعاب] (٢/ ٤٤٧) قال مقيده: وجرير هذا قدم مع أخيه خريم على النبي ﷺ. قال ابن عبدالبر: جرير بن أوس الطائي هاجر إلى رسول الله ﷺ فورد عليه منصرفه من تبوك فأسلم وروى شعر العباس بن عبدالمطلب الذي مدح به النبي ﷺ، ثم قال: خريم وجرير قدما معاً على النبي ﷺ ورويا شعر العباس، [الاستيعاب] (٢/ ٢٤٠). قال مقيده عفا الله عنه: وذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن حجر في [الإصابة] في ترجمة خريم، وقال: رواها ابن أبي خيثمة والبزار وابن شاهين (١/ ٤٢٣) قال مقيده:

ثم ظفرت بفائدة نفيسة، وهي أن الحاكم روى أيضاً في كتابه [المستدرك] هذه الأبيات عن خريم وأقره الذهبي، وهو معروف بتشدده وتعنته، فقال: رواية الأعراب عن آبائهم ومثلهم لا يضعون، كذا في [المستدرك وتلخيصه] (٣/ ٣٢٧).

وقد ذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن كثير في [السيرة] (١/ ١٩٥) عن أبي السكين زكريا الطائي عن زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب قال: قال جدي خريم بن أوس: هاجرت إلى رسول الله ﷺ فسمعت العباس عمه يقول: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك، فقال له النبي ﷺ: «**قل: لا يفضض الله فاك**» فأنشأ يقول... وقال: قد روي هذا الشعر لحسان بن ثابت، والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس. ا.هـ تعليق محمد بن علوي.

٦ ـ ما ذكره ابن الجوزي في [سلوة الأحزان] وهو أن آدم عليه السلام لما رام القرب من حواء طلبت المهر منه ـ فقال: يا رب، وماذا أعطيها؟ قال: يا آدم، صل على حبيبي محمد عشرين مرة ففعل، أورده الملا علي القاري في [المورد الروي] (ص٤٥)، وقال قبل ذلك: عن ابن عباس رضي الله عنهما كان ـ أي زمن السجود لآدم[1] ـ يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر ثم خلق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم، وسميت حواء؛ لأنها خلقت من حي، فلما استيقظ ورآها سكن إليها ومد يده لها، فقالت الملائكة:

---

(١) لفظ (أي: زمن السجود لآدم) من [شرح المواهب اللدنية] للزرقاني، وقد أدى عدم ذكره في متن ذلك الخبر وعدم التنبيه عليه في بعض المراجع إلى الخلل.

مه يا آدم! قال: ولم وقد خلقها لي؟! فقال: حتى تؤدي مهرها قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد ثلاث مرات) وجمع الملا علي القاري بين الروايتين بقوله: قلت: ولعل الثلاث كان مهراً معجلاً والعشرين صداقاً مؤجلاً.

وأورده المناوي في مولده (ص١٩، ٢٠) بلفظ (خلق الله حواء من ضلع من أضلاع آدم الشمالية ـ أي خلقها الله تعالى منه ـ وهو في سِنَةِ المنام، فلما استيقظ منه ورآها جالسة على كرسي من المعادن الذهبية رام القرب منها، فقالت الملائكة له: مه يا آدم! قال: كيف وقد خلقها الله تعالى لي؟! وذلك من الله بإلهام فلما انقضت من آدم مقالته اللفظية قالت له الملائكة: حتى تؤدي صداقها بالكمال والتمام، فقال: وما هو؟ قالوا: أن تصلي على محمد بن عبدالله ثلاث مرات، وفي رواية عشرين عددية ففعل، فجرى وجوب الصداق في ذريته على ممر الدهور والأعوام، ثم جمع الله رؤساء الملائكة وقال: أشهدكم يا ملائكتي أني زوجت عبدي آدم من أمتي حواء).

٧ ـ حديث «إن الأرواح خلقت قبل الأجساد» أورده الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٣٥) بصدد الكلام على حديث «**كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد**»، وذكر كلام السبكي في تفسيره به ونصه: (جاء أن الأرواح خلقت قبل الأجساد)، فالإشارة بـ «**كنت نبياً**» إلى روحه الشريفة أو حقيقة من حقائقه لا يعلمها إلا الله ومن حباه بالاطلاع عليها، ثم إنه تعالى يؤتى لكل حقيقة منها ما شاء في أي وقت شاء، فحقيقته ﷺ قد تكون من حين خلق آدم عليه السلام

آتاها الله تعالى ذلك الوصف، بأن خلقها متهيئة له وأفاض عليها من ذلك الوقت فصار نبياً وكتب اسمه الشريف على العرش؛ ليعلم ملائكته وغيرهم كرامته الزائدة عنده. فحقيقته موجودة من ذلك الوقت وإن تأخر جسده الشريف المتصف بها فحينئذٍ تنجز إيتاؤه النبوة والحكمة وسائر أوصاف حقيقته وكمالاته معجل لا تأخر فيه، وإنما المتأخر تكونه وتنقله في الأصلاب والأرحام الطاهرة إلى أن ظهر على الوجه الأتم ﷺ قال: (ومن فسر ذلك بعلم الله تعالى بأنه سيصير نبياً لم يصل لهذا المعنى؛ لأن علمه تعالى محيط بجميع الأشياء فالوصف بالنبوة في ذلك الوقت ينبغي أن يفهم منه أنه أمر ثابت له فيه، وإلا لم يختص بأنه نبي، إذ الأنبياء كلهم كذلك بالنسبة لعلمه سبحانه) ا.هـ ما نقله الملا علي قاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٣٥ ـ ٣٦) عن السبكي في تفسير حديث «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» بخبر «إن الأرواح خلقت قبل الأجساد» واعتبره أحسن ما قيل في تفسيره، وهذا الذي نقله الملا علي قاري عن السبكي مأخوذ من رسالة السبكي [التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه] وهي من محتويات الجزء الأول من [فتاوى السبكي].

٨ ـ ما ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد إلا غفرت لي، فقال الله تعالى: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب؛ لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله

تعالى: صدقت يا آدم؛ لأنه لأحب الخلق إلي، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»، أورده الملا علي قاري في [المورد الروي في المولد النبوي]، وقال (ص٤٥، ٤٦): (رواه البيهقي في دلائله من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وقال: تفرد به عبدالرحمن ورواه الحاكم وصححه، وذكره الطبراني وزاد فيه: (وهو آخر الأنبياء من ذريتك)، ويظهر من صنيع الملا علي قاري في [المورد الروي] اعتماده على تصحيح الحاكم إياه وقد علق الشيخ محمد بن علوي على عبارة: (ورواه الحاكم وصححه) بقوله: (لا عبرة بقدح الذهبي فإنه مسرف في الحكم على الأحاديث بالنكارة والوضع دون مراعاة للطرق والشواهد).

٩ ـ ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى، آمن بمحمد وامر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم ولولا محمد ما خلقت الجنة والنار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن)، أورده ابن ناصر الدين في [مورد الصادي إلى مولد الهادي] وعزاه إلى [طبقات الأصبهانيين] لأبي الشيخ، وقال: (صحح الحاكم إسناده)، وأورده الزرقاني في الجزء الأول من [شرح المواهب اللدنية] (ص٤٤).

١٠ ـ ما ورد في حديث أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال في خطبة له تتعلق بشرف نسبه: «أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ابن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن

غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مُدْرِكة بن إلياس بن مضر بن نزار» أشار إليه البرزنجي في مولده (ص٧٧) بقوله بعد سرد النسب النبوي إلى عدنان: (هذا سلك نظمت فرائده بنان السنة السنية)، وأورد ذلك الحديث الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٥٦) الطبعة الأولى وأشار إليه الشيخ محمد بن محمد بن محمد العزب في مولده بقوله (ص٦٣) بعد سرده نسب النبي ﷺ إلى عدنان:

. . . . (وإليه قد كان المشفع ينتهي).

١١ ـ حديث أن النبي ﷺ قال: «**أنا ابن الذبيحين**» يعني بهما: جده إسماعيل عليه السلام وأباه عبدالله، أورده الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٦٩).

١٢ ـ حديث وضع الحوامل الذكور في السنة التي ولد فيها النبي ﷺ كرامة له، إلى هذا الحديث أشار المناوي في مولده (ص٤٣) بقوله: (ووضعت الحوامل الذكور تعظيماً لقدوم ذاته المحمدية، وأشار إليه العزب في مولده بقوله (ص٦٦):

في عامه كل النساء كرامة للمصطفى حملت ذكوراً رشداً

١٣ ـ حديث: (أن كل دابة لقريش نطقت ليلة الحمل بمحمد ﷺ وقالت: حمل برسول الله ﷺ وفي بعض ألفاظه ما ينص على أن آسية ومريم ونساء من الحور العين حضرن ولادة النبي ﷺ) أشار البرزنجي إلى ما فيه من نطق الدواب بذلك ـ أشار إليه بقوله في مولده (ص٧٩): (ونطقت بحمله كل دابة لقريش بفصاح الألسن العربية)

قال: (وتباشرت وحوش المشارق والمغارب ودوابها البحرية وأشار إلى ما ورد في حضور آسية ومريم ونساء من الحور العين ولادته بقوله (ص١٢) ط مطبعة مصطفىٰ الحلبي: (حضر أمَّه ليلة مولده الشريف آسية، ومريم في نسوة من الحظيرة القدسية). وذكر السيد رشيد رضا أنه ورد أيضاً في قصة مولد الرياحي التونسي ذكر ذلك في (ج١ من [الفتاوى] ص٣٣٩).

١٤ ـ حديث أن النبي ﷺ قال: «**من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً**» أشار إليه البرزنجي في مولده بقوله: (ولد ـ أي: النبي ﷺ ـ نظيفاً مختوناً مقطوع السرة بيد القدرة الإلهية)، وقال الملا علي القاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٨٧): روى الطبراني وأبونعيم وغيرهما من طريق الحسن عن أنس رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**من كرامتي على الله أني ولدت مختوناً، ولم ير أحد سوأتي**»، وعند ابن سعد من حديث عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه رضي الله عنهما: (أن رسول الله ﷺ ولد مختوناً مسروراً) أي: مقطوع السرة، ففرح به جده، وقال: ليكونن لابني هذا شأن، وقال الحكيم أبوعبدالله الترمذي: إنه ولد مختوناً، ورغم ذكر الملا علي قاري (ص٨٨) أن الحافظ العراقي قال: لا يثبت في هذا كله ـ أي: في أنه ولد مختوناً أو في أن جده عبد المطلب ختنه ـ شيء، وأن الإمام أحمد توقف في كونه ولد مختوناً، وفي كون جده ختنه، قال المروذي[1]: سئل ـ أي الإمام أحمد ـ هل ولد النبي ﷺ مختوناً؟

(١) لفظ (المروذي) هو الصواب لا لفظ (المزي) الذي ورد في طبعة [المورد الروي].

فقال: الله أعلم، ثم قال: لا أدري، وقال أبوبكر بن عبدالعزيز بن جعفر من أئمة الحنابلة: قد روي أنه ﷺ ولد مختوناً مسروراً، ولم يجتريء أبوعبدالله ـ يعني الإمام أحمد بن حنبل ـ على تصحيح هذا الحديث، وقال بعض الأئمة: إن ختان جده له على ما في المروي به أشبه)، رغم ذكر علي القاري هذا كله لم يرتضه، بل تعقبه بقوله: (لكن قال الحاكم: إن الأول ـ يعني أنه ولد مختوناً ـ قد تواترت به الرواية، قال السخاوي: وهو الذي أميل إليه سيما مع قول أمه: ولدته نظيفاً).

١٥ ـ حديث مناغاة النبي ﷺ القمر في المهد، ذكره ابن طغر بك السياف في [النطق المفهوم] عن العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسول الله، دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتك، رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك، فحيث أشرت إليه مال، قال: «**إني كنت أحدثه ويحدثني، ويلهيني عن البكاء، وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش**»، وأورده الملا علي قاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص١٠١) وذكر أنه أخرجه البيهقي والخطيب وابن عساكر في تاريخيهما. وإليه أشار المناوي في مولده (ص٤٣) بقوله: (وكان ﷺ وهو في المهد يناغي القمر ويتحرك مهده بتحريك الملائكة الروحانية وحديثه مع القمر؛ لأجل تسليته عن البكاء ونزول دموعه السجام).

١٦ ـ ما جاء عن بريدة رضي الله عنه قال: (رأت آمنة وهي حامل برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك حبلى بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدتيه فسميه أحمد أو محمداً، وعلقي عليه هذه، فانتبهت وعند

رأسها صحيفة من ذهب مكتوب عليها:

أعيذه بالواحد ... من شر كل حاسدِ
وكل خَلْق رائد ... من قائم وقاعد
عن السبيل حائد ... على الفساد جاهد
من نافث أو عاقد ... وكل خلق مارد
يأخذ بالمراصد ... في طرق الموارد

أنهاهم عنه بالله الأعلى، وأحوطه منهم باليد العليا، والكنف الذي لا يرى، يد الله فوق أيديهم، وحجاب الله دون عاديهم، لا يطردونه ولا يضرونه في مقعد ولا منام، ولا سير ولا مقام، أول الليل وآخر الأيام) أورده الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي في [سبل الهدى والرشاد] (ج١ ص٣٩٤، ٣٩٥)، وذكر أنه مشهور في كتب الموالد، وأن بعض أهل السير جعل تلك الأبيات من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

١٧ ـ ما عند ابن عساكر عن سلمان رضي الله عنه قال: هبط جبريل على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول: «إن كنتُ اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً، وما خلقت خلقاً أكرم علي منك، ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي، ولولاك ما خلقت الدنيا» أورده الملا علي قاري في [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٤٦).

١٨ ـ ما ورد في خبر وفاة النبي ﷺ أن جبريل عليه السلام قال

لرســـول الله ﷺ: (يــا رسول الله، هذا آخر موطئي من الأرض كنتَ حاجتي من الدنيا) ورد هذا في [مولد المناوي] (ص٨٢)[١] .

هذه نبذة مما ورد في قصص المولد، وفي بعض الكتب التي بحثت في المولد من أحاديث غير صحيحة، بعد إيرادها نبين عدم صحتها، فنقول وبالله التوفيق:

أما حديث جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه أنه قال: (قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء، قال: «يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره» الحديث، فيؤخذ الجواب عن روايته التي أوردها القسطلاني وعزاها إلى عبدالرزاق وعن غيرها من رواياته التي أمضيناها، يؤخذ الجواب عن جميع ذلك مما يلي:

١ ـ ما في مصنفات شيخ الإسلام ابن تيمية، حول ما جاء في أن النبي ﷺ لم يخلق مما خلق منه البشر، وإنما خلق من نور قبل المخلوقات ومنه خلقت الأشياء:

فقد قال في رسالة له في لباس الفتوة عند المتصوفة[٢]، ومسائل أخرى فشت فيهم جواباً لسؤال وجه إليه: هل خلق النبي ﷺ من النور، أم خلق من الأربع عناصر، أم من غير ذلك؟ وهــل الحديث الذي يذكره

(١) طبعة شركة الشمرلي بالإسكندرية.

(٢) هي في الجزء الأول من [مجموعة الرسائل والمسائل] ط مطبعة المنار بمصر سنة (١٣٤٠ هـ).

بعض الناس: لولاك ما خلق الله عرشاً ولا كرسياً، ولاأرضاً ولاسماءً، ولا شمساً، ولا قمراً، ولا غير ذلك صحيح أم لا؟ قال في الجواب عن ذلك السؤال ما نصه: (النبي ﷺ خلق مما خلق منه البشر، ولم يخلق أحد من البشر من نور، بل قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله خلق الملائكة من نور، وخلق إبليس من مارج من نار، وخلق آدم مما وُصِف لكم**»، وليس تفضيل بعض المخلوقات على بعض باعتبار ما خلقت منه فقط، بل قد يخلق المؤمن من كافر، والكافر من مؤمن كابن نوح منه وكإبراهيم من آزر. وآدم خلقه الله من طين، فلما سواه ونفخ فيه من روحه: أسجد له الملائكة وفضله عليهم، بتعليمه أسماء كل شيء، وبأنْ خلقه بيديه وبغير ذلك؛ فهو وصالحو ذريته أفضل من الملائكة وإن كان هؤلاء مخلوقين من طين وهؤلاء من نور. وهذه مسألة كبيرة مبسوطة في غير هذا الموضع، فإن فضل بني آدم هو بأسباب يطول شرحها هنا ، وإنما يظهر فضلهم إذا دخلوا دار القرار ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[1]، والآدمي خلق من نطفة ثم من مضغة ثم من علقة، ثم انتقل من صغر إلى كبر، ثم من دار إلى دار، فلا يظهر فضله وهو في ابتداء أحواله، وإنما يظهر فضله عند كمال أحواله، بخلاف المَلَك الذي تشابه أول أمره وآخره، ومن هنا غلط من فضل الملائكة على الأنبياء حيث نظر إلى أحوال الأنبياء وهم في أثناء الأحوال قبل أن يصلوا إلى ما وعدوا به في الدار الآخرة من نهايات الكمال، وقد ظهر فضل نبينا

---

(١) سورة الرعد، الآيتان ٢٣، ٢٤.

على الملائكة ليلة المعراج لما صار بمستوى يسمع فيه صريف الأقلام وعلا على مقامات الملائكة. والله تعالى أظهر من عظيم قدرته وعجيب حكمته من صالحي الآدميين من الأنبياء والأولياء ما لم يظهر مثله من الملائكة حيث جمع فيهم ما تفرق في المخلوقات: فخلق بدنه من الأرض وروحه من الملأ الأعلى، ولهذا يقال: هو العالَم الصغير وهو نسخة العالَم الكبير، ومحمد سيد ولد آدم وأفضل الخلق وأكرمهم عليه، ومن هنا قال من قال: إن الله خلق من أجله العالم أو أنه لولا هو لما خلق عرشاً ولا كرسياً، ولا سماءً ولا أرضاً، ولا شمساً ولا قمراً، ولكن ليس هذا حديثاً عن النبي ﷺ لا صحيحاً ولا ضعيفاً، ولم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث عن النبي ﷺ، بل ولا يعرف عن الصحابة، بل هو كلام لا يدرى قائله) ا. هـ المراد من الرسالة المذكورة.

وقال في الجزء الثاني من [الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح] (ص٢٠٦) في كلامه على عبارة في الإنجيل، ظن بعض النصارى أن المراد بها وجود ذات المسيح قبل خلق الدنيا قال في ذلك الظن الخاطىء: (يضاهي ظن طائفة من غلاة المنتسبين إلى الإسلام وغيرهم الذين يقولون: إن ذات النبي ﷺ كانت موجودة قبل خلق آدم ويقولون: إنه خلق من نور رب العالمين، ووجد قبل خلق آدم، وأن الأشياء خلقت منه. حتى قد يقولون في محمد ﷺ من جنس قول النصارى في المسيح حتى قد يجعلون مدد العالم منه ويروون في ذلك أحاديث، وكلها كذب).

وجاء في تلخيص كتاب [الاستغاثة] المعروف بـ [الرد على

البكري] بصدد الرد على الاتحادية وغيرهم من الجهال (ص٩، ١٠) ما نصه: (هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذٍ ـ أي: قبل خلق آدم عليه السلام ـ موجوداً، وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة، مثل حديث فيه: أنه كان نوراً حول العرش فقال: يا جبريل، أنا كنت ذلك النور، ويدعي أحدهم أن النبي ﷺ كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل).

وقال في [الفتاوى] (ج١٨ ص٣٦٦، ٣٦٧)[1] فيما ذكره القُصَّاص: من أن الله قبض من نور وجهه قبضة، ونظر إليها فعرقت وزلقت؛ فخلق من كل قطرة نبياً، وأن القبضة كانت هي النبي ﷺ، وأنه بقي كوكباً درياً) قال فيه: (هذا كذب ـ أي على النبي ﷺ ـ باتفاق أهل المعرفة بحديثه، وكذلك ما يشبه هذا مثل أحاديث يذكرها شيرويه الديلمي في كتابه [الفردوس] ويذكرها ابن حمويه في حقائقه مثل كتاب [المحبوب] ونحو ذلك مثل ما يذكرون أن النبي ﷺ كان كوكباً وأن العالم خلق منه وأنه كان موجوداً قبل أن يخلق أبواه وأنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل وأمثال هذه الأمور فكل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بسيرته. والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي ﷺ، بل خلق كل واحد من أبويه!).

وقد نقل الزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص٢٨) هذا بإيجاز عن الإمام ابن تيمية، وذكر أن ابن كثير نقله عنه وأقره، ولفظ

---

(١) جمع الشيخ عبدالرحمن بن قاسم رحمه الله تعالى.

الزرقاني: (وأما ما ذكر: أن الله قبض من نور وجهه قبضة، ونظر إليها فعرقت وزلقت فخلق الله من كل نقطة نبياً، وأن القبضة كانت هي النبي ﷺ، وأنه كان كوكباً درياً، وأن العالم كله خلق منه، وأنه كان موجوداً قبل أن يخلق أبواه، وأنه كان يحفظ القرآنَ قبل أن يأتيه جبريل وأمثال هذه الأمور، فقال أبوالعباس أحمد بن تيمية في فتاويه ونقله الحافظ ابن كثير في تاريخه وأقره: كل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بحديثه، والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي ﷺ، بل خلق كل واحد من أبويه).

٢ ـ ما في [الحاوي للفتاوي] (ج١ ص٣٢٣) أن السيوطي سئل هل الوارد في الحديث: أن الله خلق نور محمد ﷺ فجزأه أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول العرش وخلق من الجزء الثاني القلم، وخلق من الثالث اللوح ثم قسم الجزء الرابع وجزأه أربعة أجزاء: فخلق من الجزء الأول العقل وخلق من الجزء الثاني المعرفة وخلق من الجزء الثالث نور الشمس والقمر ونور الأبصار ونور النهار وجعل الجزء الرابع تحت ساق العرش مذخوراً؟ فأجاب السيوطي عن ذلك السؤال بقوله (ص٣٢٥): (الحديث المذكور في السؤال ليس له إسناد يعتمد عليه).

٣ ـ ما في [الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية] للشيخ سليمان بن سحمان (ص١٥) حول قول صاحب تلك الشبه الداحضة: روى عبدالرزاق بسنده عن جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنهما قال: قلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء؟ قال: «يا جابر إن الله تعالى خلق قبل

الأشياء نور نبيك من نوره»، فساق صاحب تلك الشبه من ذلك الخبر ما أورده القسطلاني في المواهب منه، مدعياً أن عبدالرزاق رواه بسنده عن جابر، فقد أجاب الشيخ سليمان عنه: بأنه حديث مكذوب موضوع على رسول الله ﷺ مخالف لصريح الكتاب والسنة لا حاجة بأهل الإسلام فيما يتعلق بخصائص النبي ﷺ وشمائله وفضائله إليه، ولا إلى غيره من الموضوعات، بل فيما ذكره أهل العلم بالله من حملة القرآن والسنة وأهل الحفظ والإتقان من خصائص النبي ﷺ وفضائله ومعجزاته وشمائله مما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ مقنع عما يذكر الوضاعون من الأكاذيب الموضوعة والأحاديث المصنوعة، ثم قال: (ومن المعلوم بالضرورة من دين الإسلام أن هذا ـ أي: ذلك الحديث الذي يقال: بأن عبدالرزاق رواه عن جابر الأنصاري ـ من الكذب الذي لا يمتري فيه ـ أي: في كونه كذباً على رسول الله ﷺ ـ عاقل فضلاً عن العلماء الذين هم أعلم الخلق بالله وبكتابه وبرسوله وسنة نبيه.

واستدل العلامة سليمان بن سحمان في [الصواعق المرسلة الشهابية على الشبه الداحضة الشامية] على بطلان ذلك الحديث بأمور:

أحدها: ماثبت عن رسول الله ﷺ في بيان أول ما خلق الله من الأشياء، فقد جاء في بعض النصوص أنه القلم: روى أبوداود في سننه عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال لابنه: يابني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب. فقال: يارب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير**

كل شيء حتى تقوم الساعة» يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**».

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في الرد على الجهمية: (حدثنا محمد بن كثير العبدي، أنبأنا سفيان الثوري، حدثنا أبوهاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال: (إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فكان أول ماخلق الله القلم فأمره أن يكتب ما هو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه). وجاء في بعض النصوص أن أول ما خلق الله العرش، فقد قال الإمام عثمان الدارمي في الرد على الجهمية: حدثنا محمد بن كثير العبدي، أنبأنا سفيان الثوري، حدثنا أبوهاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال: (إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فكان أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب ماهو كائن وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه). ورواه أيضاً أبوالقاسم اللالكائي في كتابه في [شرح أصول السنة] من حديث يعلى عن سفيان عن أبي هاشم عن مجاهد قال: قيل لابن عباس: إن ناساً يقولون في القدر، قال: يكذبون بالكتاب لئن أخذت بشعر أحدهم لأنصونه ـ أي لآخذن بناصيته ـ إن الله كان على عرشه قبل أن يخلق شيئاً فخلق القلم فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه)، وبعد إيراد الشيخ سليمان جملة من النصوص الواردة في الباب وتصحيحه أن العرش قبل القلم جزم بأن ذلك الحديث الذي جاء فيه أن الله تعالى خلق قبل الأشياء نور نبيه مناقض للأحاديث الواردة في أولية العرش والأحاديث الواردة في أولية القلم.

الثاني: ما في [صحيح البخاري] عن عمران بن حصين قال: إني

عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال: «**اقبلوا البشرى يا بني تميم**» قالوا: بشرتنا فأعطنا، فدخل ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم**» قالوا: قبلنا، جئناك لنتفقه في الدين، ولنسألك عن هذا الأمر ما كان، قال: «**كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء**»، ثم أتاني رجل فقال: يا عمران، أدرك ناقتك فقد ذهبت، فانطلقت أطلبها، فإذا السراب ينقطع دونها، وأيم الله لوددت أنها قد ذهبت ولم أقم. قال الشيخ سليمان بن سحمان: قد سألوا النبي ﷺ عن أول هذا الأمر فأخبرهم أن الله كان ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء، ولو كان الله خلق نور محمد قبل الأشياء لذكره.

الثالث: ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «**خلقت الملائكة من نور وخلق إبليس من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم**» فإنه يدل على أن آدم لم يخلق من نور محمد ﷺ وإنما خلق مما بينه الله في كتابه ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤﴾[1]، وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝٢٦﴾[2]، كما يدل هذا الحديث على أن الملائكة لم يخلقوا من نور محمد ﷺ.

الرابع: أن نور الله الذي ورد في ذلك الخبر الذي يقال: بأن عبدالرزاق رواه عن جابر قد يتوهم متوهم أنه نور الله الذي هو صفته وذلك محال؛ لأن صفة الله لا يتكون منها شيء مخلوق، وإنما تتكون

---

(١) سورة الرحمن، الآية ١٤.

(٢) سورة الحجر، الآية ٢٦.

الأشياء وتخلق بأمره تعالى وتكوينه ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[١].

الخامس: أن قول الله تعالى: ﴿۞ قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾[٢] يدل على أن خلق الأرض متقدم على خلق السماء، وذلك الخبر الذي يقال: بأن عبدالرزاق رواه عن جابر صريح في أن السموات خلقت قبل الأرض.

السادس: أن ما تضمنه ذلك الخبر من أن النار مخلوقة من نور محمد ﷺ يتنافى غاية التنافي مع كون النار محل غضب الله وسخطه إذ لا يمكن مادام الأمر كذلك أن تكون النار مخلوقة من نور محمد ﷺ الذي هو أفضل خلق الله عز وجل.

هذا ما لخصناه من كلام الشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله تعالى وجزاه خير الجزاء.

٤ ـ ما في [السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات] للشيخ محمد عبدالسلام الشقيري تعليقاً على قطعة من خطبة الشيخ عبدالرحيم بن محمد بن إسماعيل الشهير بابن نباتة الأولى لربيع الأول في المولد نصها (وقبض ـ أي: الله عزوجل ـ قبضة من نوره وقال: كوني محمداً سيد البشر[٣]، وقسم نوره أربعة أقسام: كما قد جاء في

---

(١) سورة يس، الآية ٨٢.

(٢) سورة فصلت، الآيات ٩ ـ ١٢.

(٣) في [ديوان خطب ابن نباتة] (ص٢٤، ٢٥) ط المطبعة اليوسفية بمصر بين (كوني محمداً سيد البشر) وبين (وقسم نوره) مانصه: (فكانت بين يديه كالمصباح الأنور الأزهر فشعشع ونور) وقد سقط في طبعة دار الكتب العلمية لكتاب [السنن والمبتدعات].

الخبر ـ فخلق من الجزء الأول اللوح والقلم، فكتب القلم ما به الله قد أمر، وخلق من الثاني العرش والكرسي وكان اسم الرسول على العرش مسطر، مكتوب عليه لا إله إلا الله لا أغفر لقائلها حتى معها يا محمد تذكر، وخلق من الثالث الشمس والقمر، ونور الفجر إذا ظهر، وخلق من الرابع الجنة والنار وما فيها من حور وقصور وثمر، فلما أراد الله أن يخلق آدم أبا البشر أفرغ على طينته من نور النبي المفتخر. وقال لها كوني آدم فكانت) فقد جاء في تعليق الشقيري على هذه القطعة (ص٩٣) من [السنن والمبتدعات] ما نصه: (مسألة خلق كل شيء من نور النبي ﷺ التي جعلها ـ أي ابن نباتة ـ موضوع خطبته قد أوضحها وبين بطلان حديثها صاحب [المنار] بالمجلد الثامن (ص٨٦٥)[1] فقد أفاض هنالك وأفاد وأجاد فجزاه الله عن تحقيق الحق خير الجزاء، وحديث: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» أخرجه عبدالرزاق ولا أصل له وليس فيه تعظيم للنبي ﷺ، بل هو مثار شبهات وشكوك في الدين قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾[3]. وقد أصاب صاحب [السنن والمبتدعات] في إيضاحه أن الخبر الذي أشار إليه ابن نباته والذي يقال: بأن عبدالرزاق أخرجه لا أصل له أصاب في ذلك وأجاد، وليته اقتصر على ذلك ولم يضف إليه قوله بعد

---

(١) كذا في [السنن والمبتدعات].

(٢) سورة آل عمران الآية ١٤٤.

(٣) سورة الكهف، الآية ١١٠.

ذلك ما نصه: (وقد قال محمد بن عثمان الثقفي البصري: والله الذي لا إله إلا هو إن عبدالرزاق كذاب) فإن هذا القول في عبدالرزاق ليس لمحمد بن عثمان المذكور، وإنما هو للعباس بن عبدالعظيم العنبري ولم يوافقه عليه أحد، كما بينه الإمام الحافظ الذهبي في [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] (ج٢ ص٦١٠، ٦١١) وفي [سير أعلام النبلاء] (ج٩ ص٥٧١، ٥٧٢): قال في [ميزان الاعتدال]: محمد بن عثمان الثقفي البصري قال: لما قدم العباس بن عبدالعظيم من صنعاء من عند عبدالرزاق أتيناه فقال لنا ونحن جماعة: ألستُ قد تجشمتُ الخروجَ إلى عبدالرزاق ووصلت إليه وأقمت عنده؟ فوالله الذي لا إله إلا هو إن عبدالرزاق كذاب والواقدي أصدق منه. قلت ـ القائل الحافظ الذهبي ـ: هذا ما وافق العباسَ عليه مُسْلِم، بل سائر الحافظ وأئمة العلم يحتجون به إلا في تلك المناكير المعدودة في سعة ما روى)، وقال في [سير أعلام النبلاء] ما نصه: (العقيلي في كتاب [الضعفاء] له ترجمة عبدالرزاق، حدثنا محمد بن أحمد بن حماد، سمعت محمد بن عثمان الثقفي قال: لما قدم العباس بن عبدالعظيم من عند عبدالرزاق من صنعاء قال لنا ونحن جماعة: ألست قد تجشمت الخروج إلى عبدالرزاق فدخلت إليه وأقمت عنده حتى سمعت منه ما أردت؟ والله الذي لا إله إلا هو إن عبدالرزاق كذاب والواقدي أصدق منه. قلت ـ القائل الذهبي ـ: بل والله ما بر عباس في يمينه ولبئس ما قال يعمد إلى شيخ الإسلام ومحدث الوقت ومن احتج به كل أرباب الصحاح ـ وإن كان له أوهام مغمورة وغيره أبرع في الحديث منه ـ فيرميه بالكذب ويقدم عليه الواقدي الذي أجمعت

الحفاظ على تركه[١] فهو في مقالته هذه خارق للإجماع).

وكلام أئمة العلم في الثناء على عبدالرزاق كثير يطول الكلام بمحاولة استيعابه، والذي يهمنا من كلام صاحب [السنن والمبتدعات] جزمه بأن حديث «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر» لا أصل له.

هذا وبمناسبة جوابنا عن تلك القطعة التي وردت في خطب ابن نباتة، نستحسن أن نتكلم عن ابن نباتة وعن ديوان خطبه بكلام موجز مفيد، فنقول وبالله التوفيق:

ورد في ترجمة عبدالرحيم بن محمد بن إسماعيل الشهير بابن نباتة صاحب [ديوان الخطب] من [النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة] لجمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ج٤ ص١٤٦) ما نصه: (كان ـ أي عبدالرحيم المذكور ـ يحفظ [نهج البلاغة] وعامة خطبه بألفاظها ومعانيها)، وفي كلامه هذا شدة ارتباط خطب ابن نباتة بكتاب [نهج البلاغة] وهو كتاب تكلم فيه غير واحد من أهل العلم منهم الإمامان الحافظان: شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ الذهبي نصا على أنه غير معتبر، وفي كلامهما غنية عن كلام غيرهما، فلذلك نقتصر عليه فنقول:

---

(١) في حكاية الذهبي الإجماع على ترك الواقدي نظر فقد دافع عنه غير واحد من أهل العلم منهم: الحافظ أبوالفتح محمد بن محمد المعروف بابن سيد الناس في [عيون الأثر] وقد اعتمد على كلامه الإمام الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ مفتي الديار السعودية ورئيس قضاتها في رسالته [نصيحة الإخوان في الرد على ابن حمدان] (ص٦٦ ـ ٧٣) جزاهما الله خير الجزاء عن الواقدي.

قال شيخ الإسلام في الجزء الرابع من [منهاج السنة] (ص٢٤) في [نهج البلاغة]: (أهل العلم يعلمون أن أكثر خطب هذا الكتاب مفتراة على علي؛ ولهذا لا يوجد غالبها في كتاب متقدم ولا لها إسناد معروف فهذا الذي نقلها من أين نقلها؟! ولكن هذه الخطب بمنزلة من يدعي أنه علوي أو عباسي ولا نعلم أحداً من سلفه ادعى ذلك قط ولا أدّعي ذلك له، فيعلم كذبه فإن النسب يكون معروفاً من أصله حتى يتصل بفرعه، وكذلك المنقولات لابد أن تكون ثابتة معروفة عمن نقل عنه حتى تتصل بنا، فإذا صنف واحد كتاباً ذكر فيه خطباً كثيرة للنبي ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي ولم يرو أحد تلك الخطب قبله بإسناد معروف ـ علمنا قطعاً أن ذلك كذب، وفي هذه الخطب ـ أي المذكورة في [نهج البلاغة] ـ أمور كثيرة قد علمنا من علي ما يناقضها)، وقال في نفس ذلك الجزء من [منهاج السنة] (ص١٥٩): (صاحب [نهج البلاغة] وأمثاله أخذوا كثيراً من كلام الناس فجعلوه من كلام علي ومنه ما يحكى عن علي أنه تكلم به، ومنه ما هو كلام حق يليق أن يتكلم به ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره؛ ولهذا يوجد في كتاب [البيان والتبيين] للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير علي، وصاحب [نهج البلاغة] يجعله عن علي. وهذه الخطب المنقولة في كتاب [نهج البلاغة] لو كانت كلها عن علي من كلامه، لكانت موجودة قبل هذا المصنف منقولة عن علي بالأسانيد وبغيرها، فإذا عرف من له خبرة بالمنقولات أن كثيراً منها، بل أكثرها لا يعرف قبل هذا، علم أن هذا كذب، وإلا فليبين الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك ومن الذي نقله عن علي وما إسناده؟ وإلا فالدعوى المجردة لا

يعجز عنها أحد، ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد وتبين صدقها من كذبهـــا، علم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن علي من أبعد الناس عن المنقولات والتمييز بين صدقها وكذبها).

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة علي بن الحسين المرتضى المتكلم المعتزلي من [ميزان الاعتدال] (ج٣ ص١٢٤): (من طالع كتابه [نهج البلاغة] جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه: ففيه السب الصراح والحط على السيدين أبي بكر وعمر رضي الله عنهمـــا، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفـــــس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخريـن جزم بأن الكتاب أكثره باطل) ا.هـ. ما نقلناه عن [منهاج السنة] و[الميزان] يضاف إليه ما ورد في ترجمة الناصح من [ذيل طبقات الحنابلة] لابن رجب (ج٢ ص١٩٩): أن الناصح قال: كان أبواليمن الكندي قد أخذ على ابن نباتة في خطبه كلمات من جهة اللغة وفي قوله: الحمد لله الذي اختار البقاء لنفسه وارتضاه، قال: وكنت نظرت في خطب ابن نباتة فأخذت عليه مواضع كثيرة من حيث المعاني واعتذرت عنه في قوله: (اختار البقاء لنفسه) وحملته على محمل يصح[1] ثم قرأت هذا الكتاب على الكندي بحضرة جماعة فتغير وجهه وصار يقول في بعض المواضع: ما أراد هذا؟ فيقول: يسمع سيدنا الشيخ تمام الفصل فإن أراد كذا فباطل بكذا قال: وكان مجلسنا مشهوداً).

---

(١) كيف يعتذر عن هذه الكلمة؟

٥ ـ ما في الجزء الأول من فتاوى السيد رشيد رضا (ص٣٣٩) تعليقاً على قول إبراهيم الرياحي التونسي في قصته في المولد النبوي[١]: (إن أول ما خلق الله نور هذا النبي الأواه) ونصه: (لم تصح به ـ أي بكون نور محمد ﷺ أول ما خلق الله ـ رواية، وأقوى الروايات وأكثرها

---

(١) ذكر السيد رشيد رضا ذلك بعدما بين أن قصة المولد الرياحي كغيرها، من حيث وجود الموضوعات والواهيات فيها، وأوجب الاستغناء عما فيها من ذلك بالمناقب والآثار التي هي أوضح من النهار، وقد جاء في ترجمة مؤلف تلك القصة إبراهيم الرياحي من [فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات] للشيخ عبدالحي الكتاني (ج١ ص٤٣٩) طبعة دار الغرب الإسلامي ما نصه (للمترجَم ـ أي إبراهيم الرياحي التونسي ـ مولد نبوي مستعمل بالقطر التونسي، وختم صحيح البخاري، ورد على الوهابية، قرظه شيخ الإسلام محمد بيرم الثالث وغيرها) فلا يستغرب من الرياحي مادام أمره هكذا أن يقع في الإطراء والابتداع، وممن ورث منه إبراهيم الرياحي عداوته لدعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب شيخه إسماعيل التميمي فقد جاء في ترجمته من تراجم المؤلفين التونسيين للشيخ محفوظ: أن من مؤلفاته [المنح الإلهية في طمس الضلالة الوهابية] قال الشيخ محمد محفوظ (ج١ ص٢٤٨): ألفه بأمر من حموده باشا عندما بعث الشيخ محمد بن عبدالوهاب برسالة إلى الباشا الباي المذكور وضح فيها مذهبه من منع التوسل والبناء على القبور وزيارتها ـ أي على غير الطريقة الشرعية ـ وتطهير الإسلام من هذه البدع والخرافات التي أخذت صبغة القداسة مع تطاول الزمن، وأصبحت من العقائد التي ينافح عنها العلماء الذين لم تكن عقولهم هاضمة لتفكير محمد بن عبدالوهاب، وكانوا أكثر ميلاً إلى القبوريين والخرافات الشركية والبدعية، مثل إخوانهم في بقية العالم الإسلامي في هذا العصر المظلم الذي التبس فيه الباطل بالحق فتسابقوا للرد تأييداً للبدع ومقاومة للتوحيد الخالص.

في بدء الخلق أن أول شيء خلقه الله القلم)، وكذلك ما في الجزء الثاني من تلك الفتاوى (ص٤٤٧، ٤٤٨) في الكلام على ذلك الخبر المتضمن: أن أول ماخلق الله نور محمد ﷺ، وأن الله خلق كل شيء من ذلك النور ونصه: (هذا الحديث ـ حديث جابر المروي عن عبدالرزاق ـ لا أصل له، وليس فيه تعظيم لخاتم النبيين ورحمة الله تعالى للعالمين، بل هو مثار شبهات وشكوك في الدين يعسر تأويلها بما يقبله عقلاء الباحثين ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾[1]، وما الرسل إلا بشر مثلكم يوحى إليهم ما فيه هداية لكم، وما البشر إلا جند قليل من جنود الله التي لا يعلمها إلا هو قال فيهم: ﴿وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ۝٧٠﴾[2]، ورفع بعضهم فوق بعض درجات وجعل أفضلهم أنفعهم لعباده، ففضلية نبينا ﷺ على الناس أنه اختاره من خلقه لهداية جميع الناس في طور ارتقائهم واستعدادهم للاتصال بعضهم ببعض فهو ﷺ أنفع الناس للناس، ولو كان هو الأصل لجميع المخلوقات وفرضنا أن هذا معقول، أو أنه تعالى يكلفنا ما ليس في وسعنا أن نعقله لصرح بذلك في كتابه المبين الذي ما فرط فيه في شيء من مهمات الدين، أو لروي برواية صححها جماهير المحدثين وكل ذلك لم يكن، فانفراد عبدالرزاق بهذا لا يكفي في القول بهذه المسألة التي لا يتصورها عقل ولا يشهد لها نقل. ثم أورد السيد رشيد رضا كلام بعض أهل الحديث في عبدالرزاق، وأورد منه قول العباس بن

---

(١) سورة آل عمران، الآية ١٤٤.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٧٠.

عبدالعظيم العنبري: والله الذي لا إله إلا هو إن عبدالرزاق كذاب والواقدي أصدق منه، وذكر أن الحافظ الذهبي تعقب قول العنبري بقوله: (قلت: هذا ما وافق العباس عليه مسلم، بل سائر الحفاظ وأئمة العلم يحتجون به إلا في تلك المناكير المعدودة في سعة ما روى، ونقل عن الذهبي أنه قال في ترجمة أحمد بن عبدالله ابن أخت عبدالرزاق: قال ابن حبان: كان يدخل على عبدالرزاق الحديث، فكل ما وقع في حديث عبدالرزاق من المناكير فبليته منه. وقال: كذبه أحمد والناس.

ومما ذكره السيد رشيد رضا في كلامه على هذا الخبر قوله في (ص٤٤٦): (إذا رجعت إلى استقصاء ما رووه ـ أي أهل الحديث ـ في خلق العالم، تراهم أهملوا ذلك الحديث ـ أي الذي يقال: بأن عبدالرزاق رواه عن جابر ـ ورووا ما يخالفه، كحديث عبادة بن الصامت عند أبي داود والترمذي: «**إن أول ما خلق الله القلم**» الحديث، وهو عند ابن أبي شيبة وأبي نعيم في [الحلية] والبيهقي عن ابن عباس: «**أن أول شيء خلقه الله القلم، فأمره فكتب كل شيء يكون**».

٦ ـ ما في [المغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير] للشيخ أبي الفيض أحمد ابن أبي عبدالله محمد بن الصديق الغماري الحسني (ص٦، ٧) بصدد انتقاده صنيع السيوطي فيما يورده في كتبه من الأحاديث ونصه: (يورد ـ أي السيوطي ـ الحديث الموضوع الذي في نفس متنه ما يدل دلالة واضحة على وضعه؛ كطوله

المفرط، واشتماله على الألفاظ الركيكة، والمعاني المنكرة، فيذكر منه قطعة صالحة، أو يقتصر على أوله الذي ليس فيه نكارة ظاهرة ويترك باقيه الدال على وضعه، موهماً أحياناً أن ذلك هو الحديث بتمامه ويشير أحياناً إلى أن له بقية بقوله: (الحديث)، كما فعل في حديث جابر: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر»، فإنه أورد في [الخصائص الكبرى] قطعة من أوله وهي المشهورة في كتب من جاء بعده من المؤلفين في السير والخصائص، كـ [المواهب اللدنية] للقسطلاني الذي اتهمه الحافظ السيوطي أنه أخذها من كتابه [الخصائص]، كما هو معروف، وقال عقبه: (الحديث) وهو حديث موضوع لو ذكره بتمامه لما شك الواقف عليه في وضعه، وبقيته تقع في نحو ورقتين من القطع الكبير، مشتملة على ألفاظ ركيكة ومعانٍ منكرة، وقد ذكره بتمامه الديار بكري في [الخميس في سيرة أنفس نفيس] ﷺ فأحسن في ذلك[1] غاية الإحسان. انتهى ما في [المغير]. ولفظ الديار بكري الذي أشار إليه الغماري وهو في الجزء الأول من [تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس] (ص١٩، ٢٠) عن جابر بن عبدالله الأنصاري، سألت رسول الله ﷺ عن أول شيء خلقه الله قال: «هو نور نبيك يا جابر، خلقه ثم خلق منه كل خير وخلق بعده كل شيء، وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أقسام: خلق العرش من قسم والكرسي من قسم وحملة العرش وخزنة الكرسي من قسم، وأقام

---

(١) أي: أحسن في ذكره بتمامه؛ لأن ذلك يبين وضعه وإلا فالديار بكري نفسه لا يدري عن درجته شيئاً.

الرابع في مقام الحب اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أقسام: فخلق الخلق من قسم واللوح من قسم والجنة من قسم، وأقام القسم الرابع في مقام الخوف اثني عشر ألف سنة ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق الملائكة من جزء، وخلق الشمس من جزء وخلق القمر والكواكب من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الرجاء اثني عشر ألف سنة، ثم جعله أربعة أجزاء: فخلق العقل من جزء والحلم والعلم من جزء والعصمة والتوفيق من جزء وأقام الجزء الرابع في مقام الحياء اثني عشر ألف سنة ثم نظر الله سبحانه إليه فترشح النور عرقاً فقطرت منه مائة ألف وعشرون ألفاً وأربعة آلاف قطرة من النور فخلق الله سبحانه من كل قطرة روح نبي أو رسول ثم تنفست أرواح الأنبياء فخلق الله من أنفاسهم نور الأولياء والسعداء والشهداء والمطيعين من المؤمنين إلى يوم القيامة، فالعرش والكرسي من نوري، والكروبيون من نوري والروحانيون من الملائكة من نوري وملائكة السموات السبع من نوري والجنة وما فيها من النعيم من نوري، والشمس والقمر والكواكب من نوري، والعقل والعلم والتوفيق من نوري، وأرواح الأنبياء والرسل من نوري، والشهداء والصالحون من نتائج نوري، ثم خلق سبحانه اثني عشر حجاباً فأقام النور وهو الجزء الرابع في كل حجاب ألف سنة وهي مقامات العبودية وهي حجاب الكرامة والسعادة والهيبة والرحمة والرأفة والحلم والعلم والوقار والسكينة والصبر والصدق واليقين، فعبد الله ذلك النور في كل حجاب ألف سنة فلما خرج النور من الحجب ركبه الله في الأرض وكان يضيء منه ما بين المشرق والمغرب، كالسراج في الليل المظلم ثم خلق الله آدم في الأرض وركب فيه النور في جبينه،

ثم انتقل منه إلى شيث ومنه إلى يانش، وهكذا كان ينتقل من طاهر إلى طيب إلى أن أوصله الله تعالى إلى صلب عبدالله بن عبدالمطلب، ومنه إلى رحم آمنة، ثم أخرجني إلى الدنيا فجعلني سيد المرسلين وخاتم النبيين ورحمة للعالمين، وقائد الغر المحجلين، هكذا بدأ خلق نبيك يا جابر» ا.هـ ماذكره الديار بكري.

فإن قيل: قد ورد في باب خلق النبي ﷺ من نور الله عز وجل وخلق غير النبي ﷺ من نور النبي ﷺ حديث رواه أبونعيم في أماليه قال: حدثنا محمد بن محمد بن عمرو بن زيد إملاء، حدثنا أحمد بن يوسف، حدثنا أبوشعيب صالح بن زياد السوسي، حدثنا الهيثم بن جميل، حدثنا أبومعشر عن المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (خلقني الله من نوره وخلق أبا بكر من نوري وخلق عمر من نور أبي بكر وخلق أمتي من نور عمر، وعمر سراج أهل الجنة) نجيب بأن ذلك الحديث ذكره الذهبي في ترجمة أحمد بن يوسف المنبجي من [الميزان] (ج١ ص١٦٦) من طريق أبي نعيم وجزم بأنه كذب، وأن آفته المنبجي، وهو غير معروف.

ثم قال الذهبي: (قال أبونعيم ـ أي: في هذا الخبر ـ: هذا باطل يخالف كتاب الله) ثم أخذ أبونعيم يتكلم على رجاله بكلام غير مفيد، فقال: (أبومعشر ترك ولم يخرجا له، وأما أبوشعيب فمتروك، متفق على تركه، وكذلك الهيثم، ولم يخرج عنه شيء في الصحيحين، قلت ـ القائل الذهبي ـ: ما حدث به واحد من الثلاثة، وإنما الآفة عندي فيه المنبجي).

وأيد الحافظ ابن حجر في [لسان الميزان] (ج١ ص٣٢٨، ٣٢٩) تحميل الذهبي ذلك المنبجي مسؤولية هذا الحديث بقوله: (قد أورد له

ـ أي للمنبجي ـ ابن عبدالبر في [التمهيد] حديثاً من رواية عثمان بن محمد بن عثمان البغدادي عنه ـ أي عن المنبجي ـ عن حاجب بن سليمان، عن وكيع، عن مالك، عن سمي، عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو يعلم الناس ما للمسافر لأصبحوا على ظهر سفر إن الله لينظر إلى المغرب كل يوم مرتين» قال بعده: هذا حديث غريب لا أصل له في حديث مالك ولا في حديث وكيع، وليس في روايته من ينظر في أمره غير المنبجي).

وأما خبر: «كنت نبياً وآدم بين الماء الطين» فخبر باطل، صرح بذلك أئمة الحديث. ودعوى الشيخ محمد بن علوي المالكي أن العلقمي صححه في [شرح الجامع الصغيـــر] دعوى مخالفة لنقل العزيزي في [شرح الجامع الصغير] (ج٣ ص١٠٤) عن العلقمي أنه قال مانصه: (تنبيه: ما اشتهر على الألسنة بلفظ: كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، فقال ابن تيمية والزرعي وغيرهما: لا أصل له، وكذا (كنت نبياً وآدم لاماء ولاطين) ا.هـ ما نقله العزيزي عن العلقمي،وهو الصواب، لا ما عزاه إليه السيد محمد بن علوي، ولو فرضنا أن العلقمي قال ذلك فهو خطأ منه.

وأما قول الملا علي قاري في خبر «كنت نبياً وآدم بين الماء الطين»: هو وإن قال بعض الحفاظ: لم نقف عليه بهذا اللفظ، لكن جاء معناه بطرق صحيحة،وجزمه بأن تلك الأحاديث التي سردها تشهد لمعناه فغير صحيحين، فإن معنى لفظ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» باطل لم يجيء في حديث ثابت، والأحاديث التي ذكرها لا

كما أوضحه شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في كثير من مصنفاته غاية الإيضاح.

فقد قال في رسالته التي صنفها ـ في حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية (ص٦٢ ـ ٦٥)[١]: (ثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس هو ثبوت عينه في الخارج، بل العالم يعلم الشيء ويتكلم به ويكتبه وليس لذاته في الخارج ثبوت ولا وجود أصلاً. وهذا هو تقدير الله السابق لخلقه، كما في [صحيح مسلم] عن عبدالله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»، وفي [سنن أبي داود] عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: «**أول ماخلق الله القلم فقال: اكتب قال: رب وما أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة**»، وقال ابن عباس: إن الله خلق الخلق وعلم ما هم عاملون، ثم قال لعلمه: كن كتاباً، فكان كتاباً، ثم أنزل تصديق ذلك في كتابه فقال: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ﴾[٢]، وهذا هو معنى الحديث الذي رواه أحمد في مسنده عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله،متى كتبت نبياً؟ وفي رواية: متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**» هكذا لفظ الحديث الصحيح.

---

(١) حقيقة مذهب الاتحاديين ضمن المجموعة التي أولها الرسالة العرشيـــة، طبعة المنار.

(٢) سورة الحج، الآية ٧٠.

وأما ما يرويه هؤلاء الجهال كابن عربي في [الفصوص] وغيره من جهال العامة «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، «كنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين» فهذا لا أصل له: ولم يروه أحد من أهل العلم الصادقين ولا هو في شيء من كتب العلم المعتمدة بهذا اللفظ، بل هو باطل، فإن آدم لم يكن بين الماء والطين قط، فإن الله خلقه من تراب، وخلط التراب بالماء حتى صار طيناً، ويبس الطين حتى صار صلصالاً كالفخار فلم يكن له حال بين الماء والطين مركب من الماء والتراب، ولو قيل: بين الماء التراب لكان أبعد عن المحال مع أن هذه الحال لا اختصاص لها وإنما قال: «**بين الروح والجسد**»، وقال: «**وإن آدم لمنجدل في طينته**»؛ لأن آدم بقي أربعين سنة قبل نفخ الروح فيه، كما قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾الآية[1]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَـٰلٍ﴾الآيتين[2]، وقال: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾﴾الآيتين[3]، وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى خَـٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾[4]، والأحاديث في خلق آدم ونفخ الروح فيه مشهورة في كتب الحديث والتفسير وغيرهما، فأخبر ﷺ أنه كان نبياً أي: كتب نبياً وآدم بين الروح والجسد. وهذا ـ والله أعلم ـ لأن هذه الحالة فيها يقدر التقدير الذي يكون بأيدي ملائكة

---

(١) سورة الإنسان، الآية ١.
(٢) سورة الحجر، الآية ٢٨.
(٣) سورة السجدة، الآية ٧.
(٤) سورة ص، الآية ٧١.

الخلق فيقدر لهم ويظهر لهم ويكتب ما يكون من المخلوق قبل نفخ الروح فيه، كما أخرج الشيخان في الصحيحين وفي سائر الكتب الأمهات حديث الصادق المصدوق، وهو من الأحاديث المستفيضة التي تلقاها أهل العلم بالقبول، وأجمعوا على تصديقها، وهو حديث الأعمش عن زيد بن وهب، عن عبدالله بن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله الملك فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه، وأجله وعمله وشقي أو سعيد، ثم ينفخ فيه الروح، وقال: فوالذي نفسي بيده إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة**»، فلما أخبر الصادق المصدوق أن الملك يكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد بعد خلق الجسد وقبل نفخ الروح وآدم هو أبوالبشر كان أيضاً من المناسب لهذا أن يكتب بعد خلق جسده وقبل نفخ الروح فيه ما يكون منه. ومحمد ﷺ سيد ولد آدم فهو أعظم الذرية قدراً وأرفعهم ذكراً فأخبر ﷺ أنه كتب نبياً حينئذٍ.

وكتابة نبوته هو معنى كون نبوته، فإنه كون في التقدير الكتابي ليس كوناً في الوجود العيني إذ نبوته لم يكن وجودها حتى نبأه الله تعالى على رأس أربعين من عمره ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ

إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾الآية[١]، وقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾الآية[٢]، وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾الآية[٣]، ولذلك جاء هذا المعنى مفسراً في حديث العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إني عند الله مكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمنجـــدل في طينته وسأخبركم بأول أمري: دعوة إبراهيم وبشارة عيسى ورؤيا أمي التي رأت حين وضعتني وقد خرج لها نور أضاءت لها منه قصور الشام**» هذا لفظ الحديث من رواية ابن وهب، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرباض رواه البغوي في [شرح السنة] هكذا، ورواه الليث بن سعد عنه ـ أي معاوية بن صالح ـ نحوه، ورواه الإمام أحمد في [المسند] عن ابن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح بالإسناد ـ أي المتقدم ـ عن العرباض قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني عند الله خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم**» الحديث وفيه: «**كذلك أمهات النبيين يرين**»، وقوله: «**لمنجدل في طينته**» أي: ملتف ومطروح على وجه الأرض صورة من طين لم تجر فيه الروح بعد).

وقال شيخ الإسلام أيضاً في (ص١٢٦، ١٢٧) من هذا الكتاب [حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود] قال: (إن الله علم الأشياء وقدرها قبل أن يكونها، ولا تكون موجودة بحقائقها إلا حين

---

(١) سورة الشورى، الآية ٥٢.
(٢) سورة الضحى، الآية ٦.
(٣) سورة يوسف، الآية ٣.

توجد، ولا فرق في ذلك بين الأنبياء وغيرهم، ولم تكن حقيقته ﷺ موجودة قبل أن يخلق إلا كما كانت حقيقة غيره بمعنى: أن الله علمها وقدرها، لكن كان ظهور خبره واسمِه مشهوراً أعظم من غيره فإنه كان مكتوباً في التوراة والإنجيل وقبل ذلك، كما روى الإمام أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ: «**إني لعند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمي رأت حين ولدتني كأنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام**».

وحديث ميسرة الفجر قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ وفي لفظ: متى كتبت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**». وهذا لفظ الحديث. وأما قوله: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» فلا أصل له لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث بهذا اللفظ وهو باطل فإنه لم يكن بين الماء والطين، إذ الطين ماء وتراب ولكن لما خلق الله جسد آدم قبل نفخ الروح فيه كتب نبوة محمد ﷺ وقدرها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق: «**إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح**» قال: فأين الكتاب والتقدير من وجود الحقيقة؟

وقال شيخ الإسلام في [أحاديث القصاص] (ص٨٧) في لفظ: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين)، ولفظ: (كنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين)، قال في لفظ كل واحد منهما: هذا اللفظ باطل، ولكن اللفظ

المأثور الذي رواه الترمذي وغيره أنه قيل: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»، وفي السنن عن العرباض بن سارية أنه قال: «**إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته**».

وجاء في [تلخيص كتاب الاستغاثة] المعروف بـ [الرد على البكري] (ج١ ص٨ ـ ١٠) ما نصه: (قد روى أبوبكر الآجري وابن الجوزي آثاراً في أن اسم النبي ﷺ كان مكتوباً على ساق العرش وعلى أبواب الجنة وهذا ممكن، فإنه قد ثبت عن ميسرة قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ وفي رواية: متى كتبت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»، وفي [مسند أحمد] وغيره بإسناد حسن عن العرباض بن سارية عن النبي ﷺ قال: «**إني عند الله لمكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول أمري: دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورؤيا أمي رأت حين ولدتني كأنها خرج منها نور أضاءت له قصور الشام**»، وفي حديث أبي هريرة، سئل النبي ﷺ: متى وجبت لك النبوة؟ قال: «**بين خلق آدم ونفخ الروح فيه**»رواه الترمذي وحسنه.

فتبين من هذه الأحاديث أن الله كتب اسمه بعد خلق آدم وقبل نفخ الروح فيه. وأما ما يرويه كثير من الجهال والاتحادية وغيرهم من أنه قال: (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، وآدم لا ماء ولا طين) فهذا مما لا أصل له لا من نقل ولا من عقل فإن أحداً من المحدثين لم يذكره ومعناه باطل فإن آدم عليه السلام لم يكن بين الماء والطين قط فإن الطين ماء وتراب، وإنما كان بين الروح والجسد، ثم هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي ﷺ كان حينئذٍ موجوداً وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ويستشهدون على ذلك بأحاديث مفتراة مثل حديث فيه: (أنه

كان نوراً حول العرش) فقال: (يا جبريل، أنا كنت ذلك النور).
ويدعي أحدهم أن النبي ﷺ كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل).

والمقصود هنا: أن الله سبحانه وتعالى كتبه نبياً بعد خلق آدم قبل نفخ الروح فيه. وهو موافق لما أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود: «**إن خلق أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك**» إلى آخره، بين فيه خلق الجنين وتنقله من حال إلى حال؛ فناسب هذا أنه بين خلق آدم ونفخ الروح فيه تكتب أحواله، ومن أعظمها كتابة سيد ولده، وإذا كان هذا ثابتاً أمكن أن يكتب اسمه، كما رواه بالإسناد لكن الجزم بثبوته ـ أي ما روى الآجري وابن الجوزي من الآثار في أن اسم النبي ﷺ كان مكتوباً على ساق العرش وعلى أبواب الجنة ـ يحتاج إلى دليل يثبت بمثله، فما علمناه قلناه وما لم نعلمه أمسكنا عنه. والرب تعالى قد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم بخمسين ألف سنة وعرشه على الماء قد علمهم وما هم عاملون، ثم أبرزهم في أحايين قدَّرها فكل يوم هو في شؤون يبديها لا شؤون يبتديها).

وعلى هذا الذي أوضحه ابن تيمية في لفظ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» اعتمد تلميذه شمس الدين ابن القيم قال في فتاوى إمام المتقين ورسول رب العالمين التي ختم بها كتابه [إعلام الموقعين]: (سئل ﷺ متى وجبت لك النبوة؟ وفي لفظ: متى كنت نبياً؟ فقال: «وآدم بين الروح والجسد» هذا هو اللفظ الصحيح. والعوام يروونه (بين الماء والطين) قال شيخنا ـ يعني الإمام ابن تيمية ـ: وهذا باطل، وليس بين الماء والطين مرتبة، واللفظ المعروف ما ذكرناه) ا. هـ كلام ابن القيم.

كما اعتمد السخاوي في فتاويه على قول شيخ الإسلام تقي

الدين ابن تيمية ببطلان لفظ «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، ولفظ «كنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين» وأتبع السخاوي ذلك قوله: (وناهيك به - أي بالإمام ابن تيمية - اطلاعاً وحفظاً، أقر له بذلك المخالف والموافق قال: وكيف لا يعتمد كلامه في مثل هذا؟ وقد قال فيه الحافظ الذهبي: ما رأيت أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه، وكانت السنة بين عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة وعين مفتوحة) أفاد ذلك الزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص٣٣).

وممن سلك مسلك شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في تلك الأحاديث التي ادعى الملا علي قاري أنها تشهد لمعنى (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) - ممن سلكه الإمام ابن كثير فيها حيث ذكر في (كتاب مبعث النبي ﷺ وذكر شيء من البشارات بذلك)، من [البداية والنهاية] (ج٢ ص٣٠٦، ٣٠٧) ذكر حديث أبي أمامة رضي الله عنه عند أحمد: (قلت: يا رسول الله، ما كان بدء أمرك؟ قال: «**دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت له قصور الشام**»، وذكر أن المراد به بدء أمر النبي ﷺ واشتهاره، وانتشاره، فذكر دعوة إبراهيم الذي تنسب إليه العرب، ثم بشرى عيسى الذي هو خاتم أنبياء بني إسرائيل، وأن هذا يدل على أن من بينهما من الأنبياء بشروا به أيضاً، ذكر ذلك كله ثم قال: (أما في الملأ الأعلى فقد كان أمره مشهوراً مذكوراً معلوماً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام، كما قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني**

عند[١] الله خاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين[٢] يرين»، وقد رواه الليث عن معاوية بن صالح وقال: «إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام».

وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا عبدالرحمن، حدثنا منصور بن سعد، عن بديل بن ميسرة، عن عبدالله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: قلت: يارسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»، تفرد بهن أحمد. وقد رواه عمر بن أحمد بن شاهين في كتاب [دلائل النبوة] من حديث أبي هريرة فقال: حدثنا عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز ـ يعني: أبا القاسم البغوي ـ حدثنا أبوهمام الوليد بن مسلم عن الأوزاعي، حدثني يحيى عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ متى وجبت لك النبوة؟ قال: «بين خلق آدم ونفخ الروح فيه»، ورواه من وجه آخر عن الأوزاعي به وقال: «وآدم منجدل في طينته»، وروى عن البغوي أيضاً عن أحمد بن المقدام

---

(١) لفظ (عند) بنون بعد العين ووقع في [البداية والنهاية] (عبد) بالباء، وهو كما في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص١١٦) تحريف؛ إذ ليس القصد الإخبار في هذا الحديث بأنه عبدالله، بل بأنه مكتوب عنده خاتم النبيين، وعلى الصواب ورد هذا اللفظ في [تفسير ابن كثير] (ج٤ ص٣٦٠) في تفسير ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

(٢) لفظ (النبيين) هو الصواب، لا ما ورد في [البداية والنهاية] بلفظ (المؤمنين)، وقد ذكر الزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] أن لفظ (المؤمنين) ورد في بعض نسخ [المواهب اللدنية] وجزم بأنه تحريف وأن الصواب (النبيين)، قلت: وهو ـ أي لفظ (النبيين) ـ الوارد في [تفسير ابن كثير] (ج٤ ص٣٦٠).

عن بقية عن سعيد بن بشير عن قتادة عن أبي هريرة مرفوعاً في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**»، ومن حديث أبي مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر عن الشعبي عن ابن عباس قيل: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**». وقال ابن كثير في ذلك الجزء من [البداية والنهاية] (ص٣٢٠ ـ ٣٢٢) ما نصه: قد روى الحافظ أبونعيم في كتاب [دلائل النبوة] من طرق عن الوليد بن مسلم، حدثنا الأوزاعي، حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، سئل النبي ﷺ متى وجبت لك النبوة؟ قال: «**بين خلق آدم ونفخ الروح فيه**»، وهكذا رواه الترمذي من طريق الوليد بن مسلم، وقال: حسن غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وقال أبونعيم: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا يعقوب بن إسحاق بن الزبير الحلبي، حدثنا أبوجعفر النفيلي، حدثنا عمرو بن واقد عن عروة بن رويم، عن الصنابحي قال: قال عمر: يا رسول الله، متى جعلت نبياً؟ قال: «**وآدم منجدل في الطين**»، ثم رواه من حديث نصر بن مزاحم عن قيس بن الربيع عن جابر الجعفي عن الشعبي عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»، ثم قال ابن كثير: (وفي هذا المعنى ـ أي التنويه بشرف النبي ﷺ وعلو قدره ـ الحديث الذي قال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، حدثنا معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد الكلبي، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي، عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم**

لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك: دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين». ورواه الليث وابن وهب، عن عبدالرحمن بن مهدي وعبدالله بن صالح، عن معاوية بن صالح وزاد (إن أمه رأت حين وضعته نوراً أضاءت منه قصور الشام).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبدالرحمن، حدثنا منصور بن سعد، عن بديل، عن عبدالله بن شقيق، عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**» إسناده جيد أيضاً، وهكذا رواه إبراهيم بن طهمان وحماد بن زيد وخالد الحذاء، عن بديل بن ميسرة به، ورواه أبونعيم عن محمد بن عمر بن أسلم عن محمد بن بكر بن عمرو الباهلي عن شيبان عن الحسن بن دينار عن عبدالله بن سفيان عن ميسرة الفجر قال: قلت: يا رسول الله، متى كنت نبياً؟ قال: «**وآدم بين الروح والجسد**»، وقال الحافظ أبونعيم في كتابه [دلائل النبوة]: حدثنا أبوعمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم عن خليد بن دعلج وسعيد، عن قتادة عن الحسن، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾[1]، قال: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**»، ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقية عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً مثله، وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال: ذكر لنا

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧.

أن رسول الله ﷺ قال مثله، وهذا أثبت وأصح، والله أعلم. وهذا إخبار عن التنويه بذكره في الملأ الأعلى وأنه معروف بذلك بينهم بأنه خاتم النبيين وآدم لم ينفخ فيه الروح؛ لأن علم الله تعالى بذلك سابق قبل خلق السموات والأرض لا محالة، فلم يبق إلا هذا الذي ذكرناه من الإعلام به في الملأ الأعلى، والله أعلم.

وقد أورد أبونعيم من حديث عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة الحديث المتفق عليه: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم**»، وزاد أبونعيم في آخره: فكان ﷺ آخرهم في البعث وبه ختمت النبوة وهو السابق يوم القيامة؛ لأنه أول مكتوب في النبوة والعهد)، ثم قال: (ففي هذا الحديث الفضيلة لرسول الله ﷺ لما أوجب الله له النبوة قبل تمام خلق آدم ويحتمل أن يكون هذا الإيجاب هو ما أعلم الله ملائكته مما سبق في علمه وقضائه من بعثته له في آخر الزمان. وهذا الكلام يوافق ما ذكرناه ولله الحمد).

وبعد كتابتنا ما كتبنا حول دعوى للملا علي قاري أن الأحاديث التي سردها في [المورد الروي في المولد النبوي] بصدد كلامه على خبر: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» ـ تشهد لمعنى ذلك الخبر الموضوع الذي يحاول تصحيح معناه، بعد ذلك وجدنا في الجزء الخامس من [شرح مشكاة المصابيح] لعلي القاري طبعة بمباي (ص٣٦٧) ما نصه: (أما ما يدور على الألسنة بلفظ: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»، فقال السخاوي: لم أقف عليه بهذا اللفظ فضلاً عن زيادة: «كنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين»، وقال الحافظ ابن حجر في

بعض أجوبته: إن الزيادة ضعيفة وما قبلها قوي. وقال الزركشي: لا أصل له بهذا اللفظ، ولكن في الترمذي (متى كنت نبياً؟) قال: «**وآدم بين الروح والجسد**» قال السيوطي: وزاد العوام (ولا آدم ولا ماء ولا طين) ولا أصل له أيضاً) ا.هـ كلام الملا علي قاري، كما وجدنا في شرح حديث «**بعثت من خير قرون بني آدم**» الحديث من ذلك الجزء من [المرقاة شرح المشكاة] (ص٣٥٧) ما نصه: (قد ذكرت مجملاً من أحوال ولادته ﷺ في رسالة مستقلة سميتها بـ [المورد في المولد].

فبناءً على هذين الأمرين لا نستبعد أن يكون علي القاري قد رجع عما في [المورد الروي] إلى ذلك الذي نقلناه عن [المرقاة]، وعلى كلٍّ فالصواب ما بيَّنه أئمة العلم من كون ذلك الخبر (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) موضوع اللفظ باطل المعنى.

وأما حديث: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**» فقد أجاد الحافظ ابن كثير الكلام عليه في تفسيره وفي تاريخه: قال في تفسيره في الكلام على الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ الآية (قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبوزرعة الدمشقي، حدثنا محمد بن بكار حدثنا سعيد بن بشير، حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة رضي الله عنه في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[1]، قال النبي ﷺ: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث فبدأ بي قبلهم**»، سعيد بن بشير فيه ضعف وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة موقوفاً، والله أعلم)، وقال في

(١) سورة الأحزاب، الآية ٧.

[البداية والنهاية] (ج٢ ص٣٢١): قال الحافظ أبونعيم في كتابه [دلائل النبوة]: حدثنا أبوعمرو بن حمدان، حدثنا الحسن بن سفيان، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا الوليد بن مسلم عن خليد بن دعلج[1] وسعيد عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾[2] قال: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**»، ثم رواه من طريق هشام بن عمار عن بقية عن سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً مثله، وقد رواه من طريق سعيد بن أبي عروبة وشيبان عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال مثله. هذا أثبت وأصح والله أعلم)، وسعيد بن بشير هذا الذي أعل به ابن كثير هذا الحديث، أفاد ابن كثير في تفسير سورة لقمان من تفسيره (ج٣ ص٤٤٤) أن سبب الكلام فيه أثر رواه في شأن لقمان عند ابن أبي حاتم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا العباس بن الوليد، حدثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي، حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال: خيَّر الله لقمان الحكيم بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة على النبوة، قال: فأتاه جبريل وهو نائم فذر عليه الحكمة أو رش عليه الحكمة، قال: فأصبح ينطق بها قال سعيد: فسمعت عن قتادة يقول: قيل للقمان: كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك؟ فقال: إنه لو أرسل إليَّ بالنبوة عزمة لرجوت فيه الفوز منه، ولكنت أرجو أن أقوم بها، ولكن خيرني فخفت أن أضعف

---

(١) خليد بن دعلج ضعيف.
(٢) سورة الأحزاب، الآية ٧.

عن النبوة فكانت الحكمة أحب إلي)، استغرب ابن كثير هذا الأثر بعد أن ساقه ثم قال: هذا من رواية سعيد بن بشير، وفيه ضعف، قد تكلموا فيه بسببه، والله أعلم) ا.هـ كلامه. والذين تكلموا في سعيد بن بشير ذكرهم الذهبي فقال: قال فيه البخاري: يتكلمون في حفظه، وقال عثمان عن ابن معين: ضعيف، وقال عباس عن ابن معين: ليس بشيء، وقال الفلاس: حدثنا عنه ابن مهدي ثم تركه، وقال النسائي: ضعيف، وقال يعقوب الفسوي: سألت أبا مسهر عن سعيد بن بشير فقال: لم يكن في جندنا أحفظ منه، وهو ضعيف منكر الحديث، وقال ابن نمير: يروي عن قتادة المنكرات، وذكره أبوزرعة في [الضعفاء]، وقال: لا يحتج به، ذكر جميع ذلك الذهبي في ج٢ من [ميزان الاعتدال]، وذكر أن هذا الحديث الذي رواه بقية قال: حدثني سعيد بن بشير، حدثني قتادة عن الحسن عن أبي هريرة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث**»، من غرائبه هذا ما يتعلق بسند حديث: «**كنت أول النبيين في الخلق**» الحديث، وأما معناه على فرض ثبوته فيتضح من كلام ابن كثير في كتاب مبعث النبي ﷺ وذكر شيء من البشارات بذلك من [البداية والنهاية] (ص٣٠٧) أنه من الأحاديث التي تدل على أن أمر النبي ﷺ في الملأ الأعلى كان مشهوراً مذكوراً معلوماً من قبل خلق آدم عليه الصلاة والسلام.

وأما خبر (لما أراد الله أن يخلق محمداً ﷺ أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض وبهاؤها ونورها، قال: فهبط جبريل في ملائكة الفردوس وملائكة الرقيع الأعلى فقبض قبضة رسول الله ﷺ من

موضع قبره الشريف وهي بيضاء منيرة فعجنت بماء التسنيم في معين أنهار الجنة حتى صارت كالدرة البيضاء لها شعاع عظيم، ثم طافت بها الملائكة حول العرش والكرسي وفي السموات والأرض والجبال والبحار فعرفت الملائكة وجميع الخلائق سيدنا محمداً ﷺ وفضله قبل أن تعرف آدم)، فمداره على كعب الأحبار، كما يتبين من مراجعة [المواهب اللدنية] للقسطلاني وشرحه للزرقاني (ج١ ص٤٢)، وزاد الزرقاني قوله فيه: (هو إما عن الكتب القديمة؛ لأنه حبرها، أو عن المصطفى بواسطة، فهو مرسل).

وأما لفظ: «كنت نوراً بين يدي ربي» ففي أحكام ابن القطان عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام» نقل ذلك القسطلاني في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص٤٩) عن ابن مرزوق لكن لم يذكر سند ابن القطان إلى علي بن الحسين فلذلك لا يمكن الاعتماد على هذا الحديث.

وقد وجدنا في الجزء الثاني من [فضائل الصحابة] للإمام أحمد بن حنبل تحت عنوان (ومن فضائل علي رضي الله عنه من حديث أبي بكر بن مالك عن شيوخه غير عبدالله) (ص٦٦٢، ٦٦٣) وجدنا فيه هذا الحديث من رواية القطيعي إياه بسنده عن سلمان رضي الله عنه قال: (حدثنا الحسن قال: حدثنا أحمد بن المقدام العجلي قال: حدثنا الفضيل بن عياض قال: حدثنا ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن زاذان عن سلمان قال: سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول:

«كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عزوجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزأين فجزء أنا وجزء علي عليه السلام» هكذا جاء بهذا الإسناد في [فضائل الصحابة] من زيادات أبي بكر القطيعي، وزيادات القطيعي في [فضائل الصحابة] وغيره من كتب الإمام أحمد فيها أحاديث موضوعة، كما قرره الإمام ابن تيمية في الجزء الرابع من [منهاج السنة] (ص٢٧) ط المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر. ولا شك في أن هذا الحديث من ذلك الباب، والمتهم بوضعه الحسن بن علي بن زكريا بن صالح أبوسعيد العدوي البصري الملقب بالذئب شيخ أبي بكر بن مالك القطيعي وهو هالك، قال الذهبي في [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] في ترجمته: (قال الدارقطني: متروك، وقال حمزة السهمي: سمعت أبا محمد الحسن بن علي البصري يقول: أبوسعيد العدوي كذاب على رسول الله ﷺ يقول عليه ما لم يقل، وزعم لنا أن خراشاً حدثه عن أنس، وأن عروة بن سعيد حدثه عن ابن عون بنسخه. وقال ابن عدي فيه: عامة ما حدث به إلا القليل موضوعات وكنا نتهمه، بل نتيقن أنه هو الذي وضعها) كما نقل الذهبي عن ابن عدي أنه قال في الحسن بن علي بن صالح أبي سعيد العدوي البصري: (يضع الحديث روى عن خراش عن أنس أربعة عشر حديثاً، وحدث عن جماعة لا يدرى من هم وحدث عن الثقات بالبواطل)، وعن ابن حبان أنه قال فيه: لعله قد حدث عن الثقات بالأشياء الموضوعات ما يزيد على ألف حديث، وعن أبي أحمد الحاكم أنه قال: فيه نظر، يقال حبسه إسماعيل القاضي إنكاراً عليه، وذكر الذهبي أن ابن عساكر قال في تاريخه: أنبأنا أبوغالب، أنبأنا

أبومحمد الجوهري، أخبرنا أبوعلي محمد بن أحمد بن يحيى حدثنا أبوسعيد العـــدوي ـ وهو الحسن بن علي بن زكريا بن صالح ـ حدثنا أبوالأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض، عن ثور، عن خالد بن معدان، عن زاذان، عن سلمان، عن النبي ﷺ قال: «كنت أنا وعلي نوراً يسبح الله ويقدسه قبل أن يخلق آدم بأربعة آلاف عام». وذكر الحديث. هذا ما أورده الذهبي عن الحسن بن علي بن صالح أبي سعيد العدوي بسنده إلى سلمان من طريق ابن عساكر في تاريخه وعنده (بأربعة آلاف عام) بدل (بأربعة عشر ألف عام) التي جاءت في رواية غير ابن عساكر، والرجل على كل حال هو كما قال الذهبي: شيخ قليل الحياء لا يفكر فيما يفتريه)، يضاف إلى ذلك أن هذا الحديث (كنت نوراً بين يدي ربي) يتناوله قول الإمام ابن تيمية في [حقيقة مذهب الاتحاديين أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية] (ص١٢٧، ١٢٨) في الرد على من قال: بأن حقيقة النبي ﷺ كانت موجودة قبل أن يخلق (ما يروى في هذا الباب من الأحاديث هو من هذا الجنس ـ أي جنس (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) مثل كونه كان نوراً يسبح حول العرش أو كوكباً يطلع في السماء) ونحو ذلك كما ذكره ابن حمويـــه صاحـــب ابن عربـــي، وذكر بعضه عمر الملا في [وسيلة المتعبدين] وأمثالهم ممن يروي الموضوعات المكذوبات باتفاق أهل المعرفة بالحديث فإن هذا المعنى رووا فيه أحاديث كلها كذب حتى إنه اجتمع بي قديماً شيخ معظم من أصحاب ابن حمويه يسميه أصحابه سلطان الأقطاب، وتفاوضنـــا في كتاب [الفصوص] وكان معظماً له ولصاحبه حتى أبديت له بعض ما فيه، فهاله ذلك وأخذ يذكر مثل هذه

الأحاديث، فبينت له أن هذا كله كذب).

قلت ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ: مما ورد في ذلك ما جاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ سأل جبريل عليه السلام فقال: يا جبريل كم عُمِّرت من السنين؟ فقال: يا رسول الله، لست أعلم غير أن في الحجاب الرابع نجماً يطلع في كل سبعين ألف سنة مرة، رأيته اثنين وسبعين ألف مرة، فقال: يا جبريل وعزة ربي جل جلاله أنا ذلك الكوكب، عزاه علي بن برهان الحلبي في [السيرة الحلبية] (ج١ ص٣٦) إلى كتاب اسمه [التشريفات في الخصائص والمعجزات] لم يقف على اسم مؤلفه، وذكر أن ذلك الكتاب عزاه إلى البخاري، قلت: ليس في البخاري وإنما هو موضوع، كما ذكره التقي ابن تيمية جزاه الله عن الإسلام خير الجزاء. وإلى هذا الخبر الباطل أشار الشيخ محمد بن عثمان الميرغني في مولده المسمى [الأسرار الربانية] (ص٩، ١٠) بقوله: (وقال ﷺ لجبريل: كم عمرت يا جبريل؟ قال: لا أدري رواية جلية، غير أن كوكباً يبدو في الحجاب الرابع: يا معشر الإخوان بعد كل سبعين ألف سنة مرة فهذه علامات اجتبائية، وقد رأيته اثنين وسبعين ألف مرة بلا نقصان، فقال ﷺ تعريفاً بمقامه وأسراره المصطفوية: وعزة ربي أنا ذلك الكوكب الذي رأيته يا جبريل في حجاب المنان)

وأما تعليق الشيخ محمد بن علوي المالكي على لفظ «كنت نوراً» الوارد في طبعتيه لـ [مولد ابن الديبع] فترد عليه أمور:

أولها: أن لفظ «كنت نوراً» الذي عزاه السيد محمد بن علوي

المالكي إلى مسند العدني ليس عند العدني، وإنما عنده (أن قريشاً كانت نوراً) ومن طريقه رواه الآجري في باب قول الله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ۝٢١٩﴾ من [كتاب الشريعة] (ص٤٣٠) قال: (حدثنا أبومحمد عبدالله بن صالح البخاري، قال: حدثنا محمد بن أبي عمر العدني، قال: حدثني عمر بن خالد، قال: حدثنا أبوعبدالله محمد الحُبُلِّي عن عبدالله بن الفرات، عن عثمان بن الضحاك، عن ابن عباس: أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله عزوجل آدم عليه السلام ألقى ذلك النور في صلبه) إلى آخر روايته المتقدمة، وبهذا اللفظ لفظ «إن قريشاً كانت نوراً» ورد هذا الحديث في [الشفا...] للقاضي عياض فعزاه السيوطي في [مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا] (ص١٣)، والشهاب الخفاجي في [نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض] (ج١ ص٤٣٥) إلى العدني، كما عزاه الزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص٤٩) إلى العدني بلفظ: (أن قريشاً أي المسعدة بالإسلام ـ ولفظ الزرقاني: روى محمد بن أبي عمر العدني شيخ مسلم في مسنده عن ابن عباس أن قريشاً ـ أي: المسعدة بالإسلام ـ كانت نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام وتسبح الملائكة بتسبيحه).

ثانيها: أن لفظ [الوفا] لابن الجوزي في (ص٣٥) التي أحال عليها الشيخ محمد بن علوي هو: (عن ابن عباس قال: قلت: يا رسول الله، أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: كنت في صلبه وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب نوح، وقذفت في النار في صلب

أبي إبراهيم، لم يلتق لي أبوان قط على سفاح لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً لا تتشعب شعبتان إلا كنت في خيرهما أخذ الله لي بالنبوة ميثاقي وفي التوراة بشربي وفي الإنجيل شهر اسمي تشرق الأرض لوجهي والسماء لرؤيتي، وقال العباس: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك فقال له: «قل، لا يفضض الله فاك»، فأنشأ يقول:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
وردت نار الخليل مكتتماً ... تجول فيها ولست تحترق
تنقل من صلب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ... وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور ... وسبل الرشاد نخترق

هذا نص ما في (ص٣٥) من [الوفاء] لابن الجوزي لا ذكر فيه للفظ «كنت نوراً» ولا للفظ «أن قريشاً كانت نوراً».

ثالثها: أن كتاب [الموضوعات] للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي ليس فيه لفظ «كنت نوراً» في الموضع الذي أشار إليه السيد محمد بن علوي، وإنما فيه في باب في ذكر انتقاله إلى الأصلاب (ج١ ص٢٨١) ما نصه: (أنبأنا علي بن أحمد الموحد، أنبأنا هناد بن إبراهيم النسفي قال: حدثنا أبوالحسن علي بن محمد بن بكران، قال: أنبأنا أبوصالح خلف بن محمد بن إسماعيل، قال: حدثنا الحسين بن الحسن بن

الوضاح ومحبوب بن يعقوب قالا: حدثنا يحيى بن جعفر بن أعين قال: حدثنا علي بن عاصم عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن عباس قال: قلت: يا رسول الله، أين كنت وآدم في الجنة؟ قال: «كنت في صلبه وأهبط إلى الأرض وأنا في صلبه، وركبت السفينة في صلب أبي نوح وقذفت في النار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق لي أبوان قط على سفاح لم يزل ينقلني من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام النقية مهذباً لا يتشعب شعبان إلا كنت في خيرهما، فأخذ الله لي بالنبوة ميثاقي، وفي التوراة بشر بي، وفي الإنجيل شهر اسمي، تشرق الأرض لوجهي والسماء لرؤيتي ورقى بي في سمائه، وشق لي اسماً من أسمائه، فذو العرش محمود وأنا محمد)، وفي ذلك يقول حسان بن ثابت:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم سكنت البلاد لا بشر ... أنت ولا نطفة ولا علق

فذكر الأبيات قال: فحشت الأنصار فمه دنانير.

هذا ما ذكره ابن الجوزي هناك وأتبعه قوله: (هذا حديث موضوع قد وضعه بعض القصاص، وهناد لا يوثق به، ولعله من وضع شيخه أو شيخ شيخه، على أن علي بن عاصم قد قال فيه: يزيد بن هارون: مازلنا نعرفه بالكذب، وقال يحيى: ليس بشيء إلا أن التهمة بالمتأخرين أليق فالأبيات للعباس بلا خلاف) ا.هـ. فلا وجه للإحالة على ذلك الموضع مادام الخبر المذكور فيه موضوعاً وليس فيه لفظ «كنت نوراً».

رابعها: أن صفحة [اللآلىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة]

للسيوطي التي أحال عليها الشيخ محمد بن علوي ليس فيها لفظ «كنت نوراً» وإنما فيها بعض حديث (قلت: يا رسول الله، أين كنت وآدم في الجنة؟) وقد أورد ذلك الحديث من طريق ابن الجوزي، كما ذكرناه عنه آنفاً وأعله بنفس ما أعله به قال: (هذا حديث موضوع قد وضعه بعض القصاص، وهناد لا يوثق به ولعله من وضع شيخه أو شيخ شيخه). والأبيات للعباس بلا خلاف وزاد السيوطي قوله: (قلت: قال ـ أي الذهبي ـ في [الميزان]: علي بن محمد بن بكران شيخ لهناد النسفي جاء بخبر سمج أحسبه باطلاً، وقال الخليلي: خلف ضعيف جداً روى متوناً لا تعرف. والله أعلم).

خامسها: أن قول عياض في [الشفا...] بعد إيراده حديث (أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه الصلاة والسلام بألفي عام، يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه). الحديث: يشهد لصحة هذا الخبر شعر العباس في النبي ﷺ) يعني الشعر الذي أوله:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

لا يعني به أن ذلك الشعر الذي أشار إليه يشهد لما ورد في أول هذا الحديث «أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور بتسبيحه»، وإنما يعني أنه يشهد لصحة قوله في ذلك الحديث: «لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض، وجعلني في صلب نوح في السفينة، وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ولم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة

حتى أخرجني بين أبويَّ لم يلتقيا على سفاح قط» يدل على ذلك قول القاضي عياض في الفصل الذي عقده لمكانة النبي ﷺ عند ربه وتفضيله وسيادته ولد آدم ما نصه: (وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه ﷺ: «لما خلق الله آدم أهبطني في صلبه إلى الأرض، وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذف بي في النار في صلب إبراهيم، ولم يزل ينقلني في الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة حتى أخرجني بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط»، وإلى هذا أشار العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه بقوله:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأرض ... وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور ... وسبل الرشاد نخترق

وعلى فرض أن قول القاضي عياض: (يشهد لصحة هذا الخبر) إلخ. يشمل أول ذلك الحديث نعتبر ذلك مما يعتريه أحياناً في [الشفاء] من إيراد تأويلات واهية وأحاديث موضوعة فقد قال الذهبي في [شفاء القاضي عياض]: (إنه محشو بالأحاديث الموضوعة والتأويلات الواهية الدالة على قلة تفقده مما لا يحتاج قدر النبوة له). وقال أيضاً: (إنه قلد فيما ذكره ابن سبع في

شفائه)[١]، وجاء في تلخيص كتاب [الاستغاثة الكبرى] المعروف بـ [الرد على البكري](ص٢٥، ٢٦) ما نصه: (كل عالم بالحديث يعلم أن في هذا الكتاب ـ يعني شفاء القاضي عياض ـ من الأحاديث والآثار ما ليس له أصل ولا يجوز الاعتماد عليه، فإذا قال القاضي عياض: ذكره فلان في كتابه فهو الصادق في خطابه وإذا لم يذكر من أين نقله لم نتهمه ولكن نتهم من فوقه وقد رأيناه ينقل من كتب فيها كذب كثير وهو صادق في نقله منها، لكن من فوقه لا يجوز الاعتماد عليه) ا.هـ. فيستفاد من كلام الإمامين الحافظين: الذهبي وتقي الدين ابن تيمية أن تصرفات القاضي عياض في [الشفاء] من ناحية التأويلات ومن ناحية الأحاديث التي يوردها فيه تحوج المستدل بها فيه إلى التحري.

سادسها: أن قول الشيخ محمد بن علوي في أبيات العباس المروية عن خريم بن أوس بن لام (وذكر هذه الأبيات الحافظ ابن حجر في الإصابة في ترجمة خريم وقال: رواها ابن خيثمة[٢] والبزار وابن شاهين. يرد عليه: أن الحافظ لم يذكر نفس تلك الأبيات في تلك الترجمة وإنما عبر بدل ذكرها بعبارة (فذكر الشعر)، ونص [الإصابة]: (روى ابن أبي خيثمة والبزار وابن شاهين من طريق حميد بن منهب

---

(١) نقل ذلك كله عن الذهبي صاحب [نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض] الشهاب الخفاجي (ج١ ص٤) طبعة دار الكتاب العربي بلبنان، وحاول الدفاع عن الشفاء، واعترف رغم ذلك بأن فيه بعض أحاديث ضعيفة وقليلاً مما قيل إنه موضوع تبع فيه ابن سبع في شفائه.

(٢) كذا، والصواب (ابن أبي خيثمة).

قال: قال خريم بن أوس كنا عند النبي ﷺ فقال له العباس: يا رسول الله، إني أريد أن أمدحك، فقال له النبي ﷺ: «**هات لا يفضض الله فاك**» فذكر الشعر. هذا لفظ الحافظ في [الإصابة] وبه اتضح أنه لم يذكر تلك الأبيات هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى يظهر من هذه العبارة التي نقلناها عن الحافظ أن مدار رواية ابن أبي خيثمة والبزار وابن شاهين لحديث خريم على حميد بن منهب وهو مجهول كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

سابعها: أن قول الشيخ محمد بن علوي في ذلك التعليق: (ظفرت بفائدة نفيسة، وهي: أن الحاكم روى أيضاً في كتابه [المستدرك] هذه الأبيات عن خريم، وأقره الذهبي وهو معروف بتشدده وتعنته فقال: رواية الأعراب عن آبائهم، ومثلهم لا يضعون، كذا في [المستدرك وتلخيصه] (٣/ ٣٢٧)، وقد ذكر هذه الأبيات أيضاً الحافظ ابن كثير في [السيرة] (١/ ١٩٥) عن أبي السكين زكريا الطائي عن زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب، قال جدي خريم بن أوس: هاجرت إلى رسول الله ﷺ فسمعت العباس عمه يقول: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك، فقال له النبي ﷺ: «**قل، لا يفضض الله فاك**» فأنشأ يقول، وقال: قد روي هذا الشعر لحسان بن ثابت، والمحفوظ أن هذه الأبيات للعباس ـ لا يجدي، فإن سكوت الذهبي عن صنيع الحاكم في مستدركه (ج٣ ص٣٢٦، ٣٢٧) حيث قال: حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا أبوالبختري عبدالله بن محمد بن شاكر، حدثنا زكريا بن يحيى الخزاز، ثنا عم أبي زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب قال: سمعت جدي خريم بن أوس بن حارثة بن لام رضي الله عنه

قال: هاجرت مع رسول الله ﷺ منصرفه من تبوك فأسلمت، فسمعت العباس بن عبدالمطلب يقول: يا رسول الله، إني أريد أن أمتدحك فقال رسول الله ﷺ: «**قل، لا يفضض الله فاك**» قال: فقال العباس:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ... ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم ... إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من ... خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأ ... رض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي ... النور وسبل الرشاد نخترق

ثم قال: هذا حديث رواته أعراب عن آبائهم، وأمثالهم من الرواة لا يضعون.

إن سكوت الذهبي في [التلخيص] عن قول الحاكم هذا ـ بعد أن روى ذلك الحديث في [المستدرك] بذلك السند ـ غير معتبر مادام الذهبي قد تعقب ذلك في [سير أعلام النبلاء] (ج٢ ص١٠٣) فقد قال فيه: (روى الحاكم أن زحر بن حصين روى عن جده حميد بن منهب سمع جده خريم بن أوس يقول: هاجرت إلى رسول الله، ﷺ منصرفه من تبوك فسمعت العباس يقول: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك قال: «**قل، لا يفضض الله فاك**» قال:

من قبلها طبت في الظلال وفي ... مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر ... أنت ولا مضغة ولا علق

بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسراً وأهله الغرق
تنقل من صالب إلى رحم إذا مضى عالم بدا طبق
حتى احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
وأنت لما ولدت أشرقت الأ رض وضاءت بنورك الأفق
فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق

قال الحاكم: رواته أعراب ومثلهم لا يضعون، قلت: ـ القائل الذهبي ـ ولكنهم لا يُعْرَفون. انتهى نص [سير أعلام النبلاء]، ويضاف إليه قوله في الجزء الثاني من [ميزان الاعتدال] (ص٦٩)، زحر بن حصين عن جده وعنه أبوالسكين الطائي لا يعرف ا.هـ. من هذا كله يتبين عدم اعتبار سكوت الذهبي في [تلخيص المستدرك] عن صنيع الحاكم في حديث خريم بن أوس بن حارثة بن لام وأنه من قبيل ما يقع له أحياناً من سكوته في تلخيص [المستدرك] عن تصرف الحاكم رغم وجود ما يدل على عدم قبوله في غير [المستدرك] من مصنفاته، مثل ماوقع له في تصحيح الحاكم حديث: «من أطعم أخاه المسلم خبزاً حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه، باعده الله من النار سبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام» بعد أن رواه الحاكم عن الأصم عن إبراهيم بن منقذ عن إدريس بن يحيى الخولاني عن رجاء بن أبي عطاء المؤذن عن واهب بن عبدالله الكعبي عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، فإن الحافظ الذهبي لم يتعقب ذلك في [التلخيص]، بينما يقول في ترجمة رجاء بن أبي عطاء المؤذن من [ميزان الاعتدال] (ج٢ص٤٦) مانصه: (رجاء بن أبي عطاء المصري عن واهب المعافري صويلح، قال الحاكم: مصري صاحب موضوعات،

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات، ثم ساق له الحديث الذي وقع لنا مسلسلاً بالمصريين: أخبرنا محمد بن الحسين القريشي بمصـــــر، أخبرنا محمد بن عباد، أخبرنا عبدالله بن رفاعة، أخبرنا أبوالحسن القاضي، أخبرنا عبدالرحمن بن عمر البزار، أخبرنا أبوطاهر أحمد بن محمد بن عمرو، حدثنا يونس بن عبدالأعلى، حدثنا إدريس بن يحيى الخولاني، حدثنا رجاء بن أبي عطاء المؤذن عن واهب بن عبدالله الكعبي عن عَبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطعم أخاه المسلم حتى يشبعه وسقاه من الماء حتى يرويه بعده الله من النار سبع خنادق ما بين كل خندقين مسيرة خمسمائة عام»، هذا حديث غريب منكر تفرد به إدريس، أحد الزهاد ا. هـ. ولما ذكره الذهبي وما نقله عن الحاكم عاب الحافظ العسقلاني في [لسان الميزان] (ج٢ ص٤٥٧) صنيع الحاكم في [المستـدرك] والذهبـي في [التلخيـص] في هذا الحديث فقال: (هذا الحديث أورده ابن حبان وقال: إنه موضوع، وحكاه صاحب الحافل، وأخرجه الحاكم في [المستدرك] عن الأصـم عـــن إبراهيم بن منقذ عن إدريس عن رجاء به، وقال: صحيح الإسناد مع أنه قال في تاريخه: مصري صاحب موضوعات، فما أدري ما وجه الجمع بين كلاميه! كمـا لا أدري كيف الجمع بين قول الذهبي في [الميزان] في ترجمـة رجـاء صويلح، وسكوته عن تصحيح الحاكم في [تلخيص المستـــدرك] مع حكايتـه عن الحافظين: الحاكم وابن حبان أنهما شهدا عليه برواية الموضوعات؟!

ثامنها: أن أبا السكين زكريا بن يحيى الطائي الذي روى حديث خريم بن أوس بن حارثة بن لام في جزئه وعليه مداره هو وإن وثقه

الخطيب غير معتبر؛ لما بينه الحافظ ابن حجر العسقلاني في [هدي الساري] (ج٢ ص١٢٨) ط الطبعة المنيرية و[تهذيب التهذيب] (ج٣ ص٣٣٨): فقد قال في [هدي الساري]: (تكلم فيه الدارقطني فقال مرة: ليس بالقوي، وقال مرة: متروك، وقال الحاكم: يخطىء في أحاديثه)، ثم نبه الحافظ على أن البخاري روى في الصحيح حديثاً واحداً وهو في العيدين عنه، عن المحاربي عن محمد بن سوقة وعن أحمد بن يعقوب عن إسحاق بن سعيد كلاهما عن سعيد بن جبير عن ابن عمر في قصته مع الحجاج حين أصابه سنان الرمح، قال فيه البخاري: حدثنا زكريا بن يحيى أبوالسكين.

قال الحافظ: وأخرج ثلاثة أحاديث أخرى عن زكريا بن يحيى غير مكني ولا منسوب: اثنان منهما عنه عن عبدالله بن نمير والآخر عنه عن أبي أسامة.

وزكريا بن يحيى في هذه المواضع الثلاثة هو البلخي وليس لأبي السكين عنده سوى الأول وقد أخرج شاهداً له بجانبه، والله أعلم.

وقال في [تهذيب التهذيب] في ترجمة أبي السكين يحيى بن زكريا: (قال الحاكم: قلت للدارقطني: فأبوالسكين الكلابي، قال: هو الطائي كوفي ليس بالقوي يحدث بأحاديث ليست بمضيئة. وقال الحاكم عنه أيضاً: يحدث بأحاديث خطأ. وقال البرقاني: سمعت الدارقطني يقول: زكريا بن يحيى الطائي متروك. وفي كتاب ابن أبي حاتم زكريا بن يحيى بن عمر: روى عن عم أبيه روى عنه الزعفراني ولم يذكر فيه شيئاً فكأنه ما عرفه جيداً.

وبما بيناه حول سند حديث خريم بن أوس بن حارثة بن لام عند

الحاكم، نجيب عن إيراد ابن كثير إياه؛ لأن مداره عنده على أبي السكين زكريا بن يحيى الطائي عن عم أبيه زحر بن حصين عن جده حميد بن منهب عن خريم بن أوس كما هو عند الحاكم.

هذا ما يتعلق بإسناد حديث خريم بن أوس بن لام عند الحاكم، وأما معنى تلك الأبيات التي وردت في ذلك الحديث فقد أوضحه الإمام ابن قتيبة أحسن إيضاح في كتابه [تأويل مختلف الحديث] بصدد كلامه على دفع التعارض بين حديث «إن الله مسح على ظهر آدم عليه السلام وأخرج منه ذريته إلى يوم القيامة أمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم، قالوا: بلى» وبين قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾[1]. ولشدة الارتباط بين كلامه في معاني تلك الأبيات وبين كلامه في دفع ذلك التعارض آتي بجميع ذلك.

فأقول: قال ابن قتيبة في الجواب عن دعوى التعارض بين تلك الآية وبين ذلك الحديث (ص١٠٤ ـ ١٠٧) ما نصه: (نحن نقول: إن ذلك ليس كما توهموا، بل المعنيان متفقان ـ بحمد الله ومنه ـ صحيحان؛ لأن الكتاب يأتي بجُمَلٍ يكشفها الحديث، واختصارٍ تدل عليه السنة، ألا ترى أن الله تعالى حين مسح ظهر آدم عليه السلام على ما جاء في الحديث فأخرج منه ذريته أمثال الذر إلى يوم القيامة إذ في تلك الذرية الأبناء وأبناء الأبناء وأبناؤهم إلى يوم القيامة، فإذا أخذ من

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

جميع أولئك العهد وأشهدهم على أنفسهم فقد أخذ من بني آدم جميعاً من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم. ونحو هذا قول الله تعالى في كتابه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾[1] فجعل قوله للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ بعد ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ و﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾، وإنما أراد بقوله تعالى: ﴿خَلَقْنَٰكُمْ﴾ و﴿صَوَّرْنَٰكُمْ﴾: خلقنا آدم وصورناه ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم وجاز ذلك؛ لأنه حين خلق آدم خلقنا في صلبه وهيأنا كيف شاء فجعل خلقه لآدم خلقه لنا إذ كنا منه. ومثل هذا مثل رجل أعطيته من الشاء ذكراً وأنثى، وقلت له: قد وهبت لك شاءً كثيراً تريد أني وهبته لك بهبتي هذين الإثنين من النتاج شاءً كثيراً، وكان عمر بن عبدالعزيز وهب لدكين الراجز ألف درهم فاشترى به دكين عدة من الإبل فرمى الله تعالى في أذنابها بالبركة فنمت وكثرت فكان دكين يقول: هذا منائح عمر بن عبدالعزيز ولم تكن كلها عطاءه وإنما أعطاه الآباء والأمهات فنسبها إليه إذ كانت نتائج ما وهب له، ومما يشبه هذا قول العباس بن عبدالمطلب في رسول الله ﷺ:

من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع حيث يخصف الورق

يريد طبت في ظلال الجنة (وفي مستودع) يعني الموضع الذي استودعه من الجنة (حيث يخصف الورق) أي: حيث خصف آدم وحواء عليهما من ورق الجنة، وإنما أراد أنه كان إذ ذاك طيباً في

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١١.

صلب آدم ثم قال:

ثـم هبطـت البـلاد لا بشـر أنـت ولا مضغـة ولا علـق

يريد أن آدم هبط البلاد فهبطت في صلبه وأنت إذ ذاك لا بشر ولا مضغة ولا دم ثم قال:

بل نطفة تركب السفين وقد ألجـم نسـراً وأهلـه الغـرق

يريد أنك نطفة في صلب نوح ﷺ حين ركب الفلك ثم قال:

تنقـل مـن صالـب إلـى رحـم إذا مضـى عالـم بـدا طبـق

يريد أنه ينتقل في الأصلاب والأرحام فجعله طيباً وهابطاً للبلاد وراكباً للسفين من قبل أن يخلق، إنما يريد بذلك آباؤه الذين اشتملت أصلابهم عليه. ا.هـ كلام ابن قتيبة في [تأويل مختلف الحديث].

وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما (أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه) الحديث، فقد رواه الآجري في [كتاب الشريعة] في باب قول الله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾[1] من طريق محمد بن أبي عمر العدني، ولفظه: حدثنا أبومحمد عبدالله بن صالح البخاري قال: حدثنا محمد بن أبي عمر العدني قال: حدثني عمر بن خالد قال: حدثنا أبوعبدالله محمد الحبلي، عن عبدالله بن الفرات، عن عثمان بن الضحاك، عن ابن عباس أن قريشاً كانت نوراً بين يدي الله عز وجل

---

(١) سورة الشعراء، الآية ٢١٩.

قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه، فلما خلق الله عز وجل آدم ألقى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله ﷺ: فأهبطني الله إلى الأرض في صلب آدم، وجعلني في صلب نوح، وقذفني في صلب إبراهيم، ثم لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الكريمة والأرحام الطاهرة حتى أخرجني من بين أبوي لم يلتقيا على سفاح قط.

وممن عزاه إلى مسند العدني السيوطي في [مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا]، والشهاب الخفاجي في [نسيم الرياض(١) في شرح شفاء القاضي عياض] (ج١ ص٤٣٥)، والزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص٤٩)، ولفظ الزرقاني (أن قريشاً ـ أي: المسعدة بالإسلام ـ كانت نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه. وعثمان بن الضحاك بن عثمان ـ راوي هذا الحديث عن ابن عباس ضعيف نقل الحافظ أبوالحجاج المزي في (ج٢) من [تهذيب الكمال] (ص٩١٠) عن أبي عبيد الآجري أنه قال: سألت أبا داود عن الضحاك بن عثمان الجدامي فقال: ثقة، وابنه عثمان بن الضحاك ضعيف).

وابن أبي عمر العدني ـ وإن كان صدوقاً صالحاً من مشايخ مسلم ـ قال فيه الإمام أبوحاتم: فيه غفلة رأيت عنده حديثاً موضوعاً رواه عن سفيان، نقل ذلك عن أبي حاتم الحافظ الذهبي في ترجمته من [تذكرة الحفاظ] (ج٢ ص٥٠١) طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد.

---

(١) نقلاً عن السيوطي.

وأما ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما (كان[١] يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر، ثـم خلـق الله تعالى له حواء زوجته من ضلع من أضلاعه اليسرى وهو نائم وسميت حواء؛ لأنهاخلقت من حي فلما استيقظ ورآها سكن إليها ومد يده إليها فقالت الملائكة: مه يا آدم! قال: ولم وقد خلقها لي؟! فقالوا: حتى تؤدي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد ثلاث مرات، وعند ابن الجوزي في [سلوة الأحزان] أنه لما رام القرب منها طلبت المهر منه فقال: يارب، وماذا أعطيها؟ قال: يا آدم، صل على حبيبي محمد بن عبدالله عشرين مرة ففعل. فقد ذكر الشيخ محمد عبدالسلام خضر الشقيري في كتابه [السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات] (ص٢٤٣) روايته الأخيرة، وجزم بأن هذا الخبر ليس له أصل في أي كتاب من الكتب المعتمدة، وأنه لا يوجد إلا في كتب من لا يفرقون بين الصحيح والموضوع من كلام المعصوم ﷺ. وهذا المسلك الذي سلكه الشقيري هو الصواب لا مسلك الشيخ السيد محمد بن علوي، حينما علق على ذلك الخبر في تعليقه على [المورد الروي في المولد النبوي] (ص٤٤) بقوله: (هذا خبر موقوف على ابن عباس وليس من المرفوع، وقد نقلته كتب التواريخ والتفاسير، ولا اعتراض على ذكر المصنف ـ أي الملا علي القاري ـ له؛ لأنه كلام ابن عباس وهو نقله عنه، فمن شاء فليقبله ومن شاء فليرده وابن عباس لا يغضب عليه).

---

(١) أي زمن السجود لآدم، بين ذلك الزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص٥٢).

فإن هذا التعليق ليس للشيخ محمد بن علوي أن يكتبه حول ذلك الكلام الذي لا مجال للرأي فيه ولو كان لابن عباس، وإنما يجب عليه أن يقول ما قاله الشقيري وهو أن ذلك الكلام لا أصل له.

وأما خبر خلق الأرواح قبل الأجساد فقد بين ابن القيم والسيوطي والهيتمي أنه غير صحيح: قال الإمام ابن القيم في كتاب [الروح] (ص١٩٧) ما نصه: (روى أبوعبدالله بن منده قال: أخبرنا محمد بن صابر البخاري، حدثنا محمد بن المنذر بن سعد الهروي، حدثنا جعفر بن محمد بن هارون المصيصي، حدثنا عتبة بن السكن، حدثنا أرطاة بن المنذر، حدثنا عطاء بن عجلان، عن يونس بن حلبس، عن عمرو بن عبسة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق أرواح العباد قبل العباد بألفي عام، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف»، ثم قال ابن القيم بعد ذلك (ص٢١٢): (أما حديث خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام ـ يعني هذا الحديث ـ فلا يصح إسناده ـ أي الذي ذكره من قبل (ص١٩٧)، ففيه عتبة بن السكن، قال الدارقطني: متروك، وأرطاة بن المنذر قال ابن عدي: بعض أحاديثه غلط)، ولهذا لم يأخذ ابن القيم بما تضمنه من تقدم خلق الأرواح على خلق الأجساد. بل صرح في (ص٢١٢ ـ ٢١٦) بأن خلق الأرواح متأخر عن خلق أبدانها واستدل لذلك بأدلة منها: ما في الحديث الصحيح: إن خلق ابن آدم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح، قال: فالملك وحده يرسل إليه فينفخ فيه فإذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه، ولم يقل: يرسل

الملك إليه بالروح فيدخلها في بدنه وإنما أرسل إليه الملك فأحدث فيه الروح بنفخته فيه لا أن الله سبحانه أرسل إليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل مع الملك، ففرق بين أن يرسل إليه ملك ينفخ فيه الروح وبين أن يرسل إليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك، قال: (وتأمل ما دل عليه النص من هذين المعنيين وبالله التوفيق). وجزم في [روضة المحبين] (ص٧٥) ط مطبعة السعادة بمصر: بأن الصحيح الذي دل عليه الشرع والعقل أن الأرواح مخلوقة مع الأجساد، وأن الملك الموكل بنفخ الروح في الجسد ينفخ فيه الروح إذا مضى على النطفة أربعة أشهر ودخلت في الخامس، وذلك أول حدوث الروح فيه) قال: (ومن قال: إنها مخلوقة قبل ذلك فقد غلط).

وقال السيوطي في كتاب الأدب والرقائق من [الحاوي للفتاوي] (ج١ ص٣٧٠) في الجواب عن سؤال وجه إليه عن خبر ورد عن النبي ﷺ أنه قال: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»، وعن خبر ورد عن ابن عباس أنه قال: «خلق الله الأرواح قبل الأجساد بأربعة آلاف سنة، وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة» كيف يدفع التعارض بين الخبرين؟ قال في الجواب عن ذلك السؤال: (إنما يطلب الجواب عن التعارض بين حديثين ثابتين، وهذان الحديثان غير ثابتين: أما الثاني: فباطل لا أصل له. وأما الأول: فورد بإسناد ضعيف جداً فلا يعول عليه، والمعول عليه في ذلك الحديث الصحيح: «**إن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة**»؛ وذلك شامل للأرزاق.

وقال ابن حجر الهيتمي في [الفتاوى الحديثية] (ص١١٦) في جوابه عن سؤال وجه إليه عن الجمع بين خبر خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام وبين قول ابن عباس رضي الله عنهما بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة قال: (ما ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما باطل لا أصل له، والأول ـ أي خبر خلق الأرواح قبل الأجسام بألفي عام ـ ضعيف جداً فلا يعول عليه، نعم صح أن الله قدر المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وذلك شامل للأرزاق.

ومما جاء في باب خلق الأرواح قبل الأجساد ما رواه أبوالفرج ابن الجوزي في باب فضائل علي من [الموضوعات] (ج١ ص٤٠١) قال: (أنبأنا محمد بن ناصر قال: أنبأنا المبارك بن عبدالجبار، أنبأنا عبدالباقي بن أحمد، أنبأنا محمد بن جعفر بن علاق قال: أنبأنا أبوالفتح الأزدي الحافظ، حدثنا هاشم بن نصير، حدثنا شيبان بن محمد، حدثنا عبدالله بن أيوب بن أبي علاج قال: حدثني أبي، عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين عن أبيه عن جده علي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام، ثم حطها تحت العرش ثم أمرها بالطاعة لي، فأول روح سلمت عليَّ روح علي عليه السلام»، وهذا الحديث قال فيه ابن الجوزي: (هذا حديث موضوع، قال الأزدي: عبدالله بن أيوب وأبوه كذابان لا تحل الرواية عنهما[1]).

---

(١) هذا لفظ [الموضوعات] لابن الجوزي، وفي الجزء الثالث من [لسان الميزان] =

قلت: عبدالله راوي هذا الحديث قال الذهبي في [ميزان الاعتدال]: متهم بالوضع كذاب مع أنه من كبار الصالحين وذكر أن الحميدي كتب إلى والد علي بن حرب: يستتاب ابن أبي علاج ويؤدب). وقال الحافظ في [لسان الميزان] (ج٣ ص٢٦١، ٢٦٢): (قال الحاكم والنقاش وأبونعيم الأصبهاني: روى عن مالك ويونس أحاديث موضوعة، وقال الأزدي: هو وأبوه كذابان، وقال أبوالقاسم الطحان: حديثه منكر، وقال الحافظ أبوزكريا الأزدي في طبقات العلماء بالموصل: هو مولى عقيل بن أبي طالب كان رجلاً صالحاً كثير الحديث منكره).

وأما أبوعبدالله وهو أيوب بن أبي علاج ففي (ج١) من [الميزان] (ص٢٩٢) ما نصه: (أيوب بن أبي علاج روى عن أبي جعفر محمد بن علي متهم بالكذب ساقط، وابنه عبدالله أوهى منه).

وأما رواية الحاكم لما جاء عن عمر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي) فلا يليق التعلق بصنيع الحاكم فيه حينما رواه في كتاب التاريخ من [المستدرك] (ج٢ ص٦١٥) قال: (حدثنا أبوسعيد عمرو بن محمد بن منصور العدل، ثنا أبوالحسن محمد بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، ثنا أبوالحارث عبدالله بن مسلم الفهري، ثنا إسماعيل بن مسلمة، أنبأنا عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن

= (ص٢٦٢) (قال الأزدي: أيوب كذاب وابنه عبدالله أكذب منه وأجرأ على الله، لا تحل الرواية عنه).

جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم، الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله: يا آدم وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟ قال: يا رب؛ لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليَّ، ادعني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ماخلقتك» لا يليق التعلق بصنيع الحاكم في هذا الحديث، حيث قال بعد إيراده بالسند المذكور: (هذا حديث صحيح الإسناد وهو أول حديث ذكرته لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب؛ لما بينه الحفاظ من عدم اعتبارهم ذلك الصنيع، فقد قال البيهقي: تفرد به عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف، ونقل ذلك عنه الحافظ ابن كثير قال في باب ما ورد في خلق آدم عليه السلام، من تاريخه [البداية والنهاية] (ج١ ص٨١) قال: (روى الحاكم والبيهقي وابن عساكر من طريق عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد إلا غفرت لي، فقال الله: فكيف عرفت محمداً ولم أخلقه بعد؟! فقال: يا رب؛ لأنك لما خلقتني بيدك ونفخت في من روحك رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إليَّ، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك»، قال البيهقي: تفرد به

عبدالرحمن بن زيد بن أسلم من هذا الوجه وهو ضعيف، كما نقل ابن كثير كلام البيهقي هذا أيضاً في كتاب مبعث رسول الله ﷺ من [البداية والنهاية] (ج٢ ص٣٢٢) بعد إيراده هذا الحديث من طريق الحاكم قال: (روى الحاكم في مستدركه من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ـ وفيه كلام ـ عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لما اقترف آدم الخطيئة قال: يا رب، أسألك بحق محمد إلا غفرت لي» فساق ابن كثير هذا الحديث من طريق مستدرك الحاكم كما تقدم ثم قال: (قال البيهقي: تفرد به عبدالرحمن بن زيد بن أبي أسلم وهو ضعيف).

وقال الإمام الحافظ شيخ الإسلام ابن تيمية في [قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة] في حديث توسل آدم بالنبي محمد ﷺ: (هذا الحديث رواه الحاكم في مستدركه من حديث عبدالله بن مسلم الفهري عن إسماعيل بن مسلمة عنه ـ أي عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم ـ قال الحاكم: وهو أول حديث ذكرته لعبدالرحمن ـ أي ابن زيد بن أسلم ـ في هذا الكتاب ـ أي [المستدرك] ـ، وقال الحاكم: هو صحيح. ثم ذكر شيخ الإسلام أن رواية الحاكم لهذا الحديث مما أنكر عليه قال: فإنه نفسه قد قال في كتاب [المدخل إلى معرفة الصحيح من السقيم]: عبدالرحمن بن زيد بن أسلم روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه قلت: ـ القائل تقي الدين ابن تيمية ـ وعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ضعيف باتفاقهم يغلط كثيراً، ضعفه أحمد بن حنبل وأبوزرعة وأبوحاتم والنسائي والدارقطني وغيرهم. وقال أبوحاتم ابن حبان: كان يقلب الأخبار وهو لا يعلم،

حتى كثر ذلك من روايته: من رفع المراسيل وإسناد الموقوف فاستحق الترك، وأما تصحيح الحاكم لهذا الحديث وأمثاله فهذا مما أنكره عليه أئمة العلم بالحديث، وقالوا: إن الحاكم يصحح أحاديث هي موضوعة مكذوبة عند أهل العلم بالحديث، ومنها ما يكون موقوفاً يرفعه).

وقال الحافظ ابن عبدالهادي في [الصارم المنكي في الرد على السبكي] (ص٦٠ ـ ٦٢) تعقيباً على محاولة السبكي في كتابه [شفاء السقام في زيارة خير الأنام] تقوية عبدالرحمن بن زيد بن أسلم بتصحيح الحاكم حديثه المذكور في [المستدرك] قال: (إني لأتعجب منه ـ أي من السبكي ـ كيف قلد الحاكم فيما صححه من حديث عبدالرحمن بن زيد بن أسلم الذي رواه في التوسل، وفيه قول الله لآدم: (ولولا محمد ما خلقتك) مع أنه حديث غير صحيح ولا ثابت، بل هو حديث ضعيف الإسناد جداً، وقد حكم عليه بعض الأئمة بالوضع، وليس إسناده من الحاكم إلى عبدالرحمن بن زيد بصحيح، بل هو مفتعل على عبدالرحمن، قال ابن عبدالهادي: (ولو كان صحيحاً إلى عبدالرحمن لكان ضعيفاً غير محتج به؛ لأن عبدالرحمن في طريقه وقد أخطأ الحاكم في تصحيحه وتناقض تناقضاً فحاشاً، كما عرف له ذلك في مواضع: فإنه قال في كتابه [الضعفاء] بعد أن ذكر عبدالرحمن منهم وقال: ما حكيته عنه فيما تقدم أنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه، وقال في آخر هذا الكتاب: فهؤلاء الذين قدمت ذكرهم قد ظهر عندي جرحهم؛ لأن الجرح لا يثبت إلا ببينة فهم الذين أبين جرحهم لمن طالبني به فإن الجرح لا أستحله تقليداً، والذي أختاره لطالب هذا

الشأن أن لا يكتب حديثاً واحداً من هؤلاء الذين سميتهم، فالراوي لحديثهم داخل في قوله ﷺ: «**من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**» هذا كله كلام الحاكم أبي عبدالله صاحب [المستدرك] وهو متضمن أن عبدالرحمن بن زيد ـ أي ابن أسلم ـ قد ظهر له جرحه بالدليل وأن الراوي لحديثه داخل في قوله ﷺ: «**من حدث بحديث وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين**». ثم إنه رحمه الله لما جمع [المستدرك على الشيخين] ذكر فيه من الأحاديث الضعيفة والمنكرة، بل والموضوعة جملة كثيرة، وروى فيه لجماعة من المجروحين الذين ذكرهم في كتابه في الضعفاء وذكر أنه تبين له جرحهم، وقد أنكر عليه غير واحد من الأئمة هذا الفعل، وذكر بعضهم أنه حصل له تغير وغفلة في آخر عمره؛ فلذلك وقع منه ما وقع وليس ذلك ببعيد، ومن جملة ما خرجه في [المستدرك] حديث لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم في التوسل قال بعد روايته: هذا حديث صحيح الإسناد، وهو أول حديث ذكرته لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم في هذا الكتاب، فانظر إلى ما وقع للحاكم في هذا الموضع من الخطأ العظيم والتناقض الفاحش).

وقال الحافظ الذهبي في [تلخيص المستدرك] تعليقاً على قول الحاكم في حديث توسل آدم بخاتم الأنبياء محمد عليهما السلام: (هذا حديث صحيح الإسناد)، قال الذهبي: قلت: بل موضوع وعبدالرحمن واه، قال الحاكم: وهو أول حديث ذكرته له في هذا الكتاب، قلت: ـ القائل الذهبي ـ رواه عبدالله بن مسلم الفهري ولا أدري من ذا عن إسماعيل بن مسلمة عنه. وقال في ترجمة عبدالله بن مسلم الفهري أبي الحارث من [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] (ج٢

ص٥٠٤): روى عن إسماعيل بن مسلمة بن قعنب عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم خبراً باطلاً فيه: (يا آدم، لـولا محمـد ما خلقتك) رواه البيهقي في [دلائل النبوة].

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة محمد بن عبدالله الضبي النيسابوري الحاكم صاحب [المستدرك] من كتابه [لسان الميزان] (ج٥ ص٢٣٣) ما نصه: (ذكر بعضهم أنه ـ أي الحاكم ـ حصل له تغير وغفلة في آخر عمره ويدل على ذلك أنه ذكر جماعة في كتاب [الضعفاء] له وقطع بترك الرواية عنهم ومنع من الاحتجاج بهم ثم أخرج أحاديث بعضهم في [مستدركه] وصححها، من ذلك أنه أخرج حديثاً لعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ـ يعني الحافظ حديث التوسل المتقدم ذكره، وكان ـ أي الحاكم قد ذكره ـ أي عبدالرحمن بن زيد بن أسلم في [الضعفاء] فقال: إنه روى عن أبيه أحاديث موضوعة لا يخفى على من تأملها من أهل الصنعة أن الحمل فيها عليه. وقال في آخر الكتاب: فهؤلاء الذين ذكرتهم في هذا الكتاب ثبت عندي جرحهم[1]؛ لأني لا أستحل الجرح إلا مبيناً ولا أجيزه تقليداً والذي أختاره لطالب العلم أن[2] لا يكتب حديث هؤلاء أصلاً).

هذا ما ذكره أولئك الحفاظ حول تصحيح الحاكم الإسناد الذي

---

(١) لفظ: (جرحهم) هو الصواب لا ما في طبعة [لسان الميزان] المتداولة بلفظ: (صدقهم).

(٢) سقط لفظ: (لا) من [لسان الميزان] غلطاً من الطابع أو من الناسخ والصواب إثباتها.

روي به حديث توسل آدم عليه السلام بنبينا محمد ﷺ، وقد اتضح بما ذكروه عدم اعتبارهم تصحيح الحاكم لإسناده فلا وجه لاعتبار الملا علي القاري تصحيح الحاكم إياه مادام الأمر كذلك. كما تبين بكلام البيهقي وابن تيمية وابن عبدالهادي وابن كثير وابن حجر العسقلاني أن قول الشيخ محمد بن علوي في تعليقه على ذكـر المـلا علـي قاري تصحيح الحاكم ذلك الحديث (ص٤٦): (لا عبرة بقدح الذهبي فإنه مسرف في الحكم على الأحاديث بالنكارة والوضع دون مراعاة الطرق والشواهد) هو الذي لا عبرة به، فإن مع الذهبي في إعلاله ذلك الحديث أولئك الأئمة الحفاظ، علـى أن رمي الذهبي بما رماه به لا يؤثر في إمامته في الجرح والتعديل.

وأما رواية الطبراني لما جاء عن عمر بن الخطاب في توسل آدم بنبينا محمد ﷺ ففي كتابه [المعجم الصغير] (ج٢ ص٨٢، ٨٣) طبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة. قال الطبراني فيه: حدثنا محمد بن داود بن أسلـم الصدفـي المصـري، حدثنـا أحمـد بن سعيـد المدني الفهري، حدثنا عبدالله بن إسماعيـل المدني، عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أذنب آدم صلى الله عليه وسلم الذنب الذي أذنبه، رفع رأسه إلى العرش فقال: أسألك بحق محمد إلا غفرت لي، فأوحى الله إليه وما محمد ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك، فإذا فيه مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعلمت أنه ليس أحد أعظم عندك قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله عزوجل إليه يا آدم**

إنه آخر النبيين من ذريتك، وإن أمته آخر الأمم من ذريتك ولولاه يا آدم ما خلقتك» هكذا رواه الطبراني في [المعجم الصغير][١] ثم قال: (لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد تفرد به أحمد بن سعيد). والجواب عن هذه الرواية هو نفس الجواب عن رواية الحاكم وهو: أنها من رواية عبدالرحمن بن زيد بن أسلم الذي تقدم كلام الأئمة فيه.

وأما ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: (أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: يا عيسى، آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به، فلولا محمد ما خلقت آدم، ولولا محمد ماخلقت الجنة ولا النار، ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن) فعند الحاكم في كتاب التاريخ من [المستدرك] (ج٢ ص٦١٤، ٦١٥) قال: حدثنا علي بن حمشاذ العدل إملاءً، حدثنا هارون بن العباس الهاشمي، حدثنا جندل بن والق، ثنا عمرو بن أوس الأنصاري، ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (أوحى الله إلى عيسى عليه السلام: آمن بمحمد...) فساقه، ثم قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وتعقبه الحافظ الذهبي في [تلخيص المستدرك] بقوله: (قلت: أظنه موضوعاً على سعيد). وأشار في ترجمة عمرو بن أوس راويه عن سعيد بن أبي عروبة من [الميزان] (ج٣ ص٢٤٢) إلى أنه هو المتحمل لمسؤولية هذا الحديث، ولفظه:

---

(١) وإليه وإلى [المعجم الأوسط] عزا الحافظ الهيثمي في [مجمع الزوائد ومنبع الفوائد] (ج٨) هذا الحديث.

(عمرو بن أوس يجهل حاله أتى بخبر منكر أخرجه الحاكم في مستدركه وأظنه موضعاً من طريق جندل بن والق حدثنا عمرو بن أوس حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال: أوحى الله إلى عيسى آمن بمحمد فلولاه ماخلقت آدم ولا الجنة ولا النار.. الحديث. وعلى إعلال الذهبي هذا الحديث بعمرو بن أوس اعتمد السيوطي في الجزء الأول من [الخصائص الكبرى] (ص١٩) قال في (باب خصوصيته ﷺ بكتابة اسمه الشريف مع اسم الله تعالى على العرش وسائر ما في الملكوت): (أخرجه الحاكم وصححه عن ابن عباس قال: (أوحى الله إلى عيسى: آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا إله إلا الله محمد رسول الله فسكن). قال الذهبي: في سنده عمرو بن أوس لا يدرى من هو) ا.هـ كلام السيوطي.

هذا ومما ذكر في باب (لولا محمد ما خلق كذا) ما أورده صاحب [اللجة] وزعم أنه حديث بلفظ: (لولا حبيبي محمد ماخلقت سمائي ولا أرضي ولا جنتي ولا ناري) وقد قال فيه العلامة الإمام الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في [بيان المحجة[1] على صاحب اللجة] (ص٢٤٤، ٢٤٥) ما نصه: (هذا

---

(١) هي في المجلد الرابع من [مجموعة الرسائل والمسائل النجدية] وهي رسالة دافع بها الشيخ عبدالرحمن عن الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبا بطين ورد على من اعترض عليه في جوابه عن أبيات من البردة سئل عنها فأوضح ما فيها من صرف =

من الموضوعات لا أصل له، ومن ادعى خلاف ذلك فليذكر من رواه من أهل الكتب المعتمدة في الحديث وأنى له ذلك، بل هو من أكاذيب الغلاة الوضاعين وقد بين الله تعالى حكمته في خلق السموات والأرض في كثير من سور القرآن، كما في الآية التي تأتي بعد وهي قول الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾[(١)].

وأما حديث أنس رضي الله عنه قال: (خطب النبي ﷺ وقال: **«أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار»** الحديث فقد رواه البيهقي في الجزء الأول من [دلائل النبوة] (ص١١٧ ـ ١١٩) قال: أخبرنا أبوالحسن علي بن أحمد بن محمد[(٢)] بن حفص المقرىء ببغداد قال: حدثنا أبوعيسى بكار بن أحمد بن بكار قال: حدثنا أبوجعفر أحمد بن موسى بن سعيد إملاءً سنة ست وتسعين ومائتين قال: حدثنا أبوجعفر محمد بن أبان القلانسي قال: حدثنا أبومحمد عبدالله بن محمد بن ربيعة القدامي قال: حدثنا مالك بن أنس عن الزهري عن أنس بن مالك وعن أبي بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن

= خصائص الربوبية والألوهية لغير الله تعالى جزاهما الله عن دينه خير الجزاء.

(١) سورة الطلاق، الآية ١٢.

(٢) كذا في نسخة [دلائل النبوة] المذكورة (محمد) وفي [البداية والنهاية] لابن كثير من طريق البيهقي (عمر) بدل (محمد) كما سيأتي.

هشام قالا: بلغ النبي ﷺ أن رجالاً من كندة يزعمون أنه منهم فقال: إنما كان يقول ذلك العباس وأبوسفيان بن حرب إذا قدما المدينة ليأمنا بذلك وإننا لن ننتفي من آبائنا نحن بنو النضر بن كنانة قال: وخطب رسول الله ﷺ فقال: «**أنا محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار، ومافترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرها، فأخرجت من بين أبوين فلم يصبني شيء من عهر الجاهلية وخرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأناخيركم نَفْساً وخيركم أباً**» ﷺ.

وأخبرنا أبوعبدالله الحافظ قال: أخبرني أبوعلي الحسين بن علي الحافظ قال: أخبرنا محمد بن سعيد بن بكر الرازي بعسقلان قال: حدثنا صالح بن علي النوفلي قال: حدثنا عبدالله بن محمد بن ربيعة.. فذكره بإسناده نحوه إلا أنه لم يذكر قوله: «**فأخرجت**» إلى قوله: «**حتى خرجت**» تفرد به أبومحمد عبدالله بن محمد بن ربيعة القدامي هذا، وله عن مالك وغيره أفراد لم يتابع عليها والله أعلم)[١]. ومن طريق البيهقي أورد ابن كثير هذا الحديث في الجزء الثاني من [البداية والنهاية] (ص٢٥٥) قال بعد أن ساق نسب النبي ﷺ إلى عدنان، وذكر أنه لا خلاف فيه بين العلماء وأنه لا خلاف في أن النبي ﷺ من ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ـ قال: (وقد ورد حديث في انتسابه

---

(١) طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.

عليه السلام إلى عدنان ـ وهو على المنبر ـ الله أعلم بصحته، كما قال الحافظ أبوبكر البيهقي: أنبأنا أبوالحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص المقرىء ببغداد فساق حديث البيهقي بسنده ومتنه المتقدمين، ثم قال: (هذا حديث غريب جداً من حديث مالك تفرد به القدامي وهو ضعيف) ا.هـ كلام الحافظ ابن كثير على ما في ذلك الحديث الذي رواه البيهقي من رفع النبي ﷺ نسبه إلى نزار، وقد راجعنا في [ميزان الاعتدال] للذهبي ترجمة القدامي الذي تفرد بتلك الزيادة فوجدنا الذهبي يقول فيه: (أحد الضعفاء تفرد عن مالك بمصائب)، ويقول: ضعفه ابن عدي وغيره، وأما ما سوى رفع النبي ﷺ نسبه إلى نزار الذي تفرد به القدامي من ذلك الحديث فله شواهد سردها الإمام الحافظ ابن كثير في تاريخه [البداية والنهاية].

هذا وفي باب رفع النبي ﷺ نسبه رواية أخرى رفعه فيها إلى النضر بن كنانة عند ابن سعد في طبقاته الكبرى قال: (أخبرنا معن بن عيسى، أخبرنا ابن أبي ذئب عمن لا يتهم عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا محمد بن عبدالله**...» فانتسب حتى بلغ النضر بن كنانة: (فمن قال غير ذلك فقد كذب)، وقد ضعف الحافظ ابن حجر العسقلاني هذه الرواية في [فتح الباري] (ج٦ ص٥٢٩) ولفظه: (روى ابن سعد من حديث عمرو بن العاص بسند فيه ضعف مرفوعاً: «**أنا محمد بن عبدالله**» وانتسب حتى بلغ النضر بن كنانة قال: من قال غير هذا فقد كذب) ا.هـ كلام الحافظ العسقلاني.

وأما «**أنا ابن الذبيحين**» ففي كتاب التاريخ من [مستدرك الحاكم]

(ج٢ ص٥٥٩) تحت عنوان (ذكر من قال: إن الذبيح إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام) ما نصه: (قد كنت أرى مشايخ الحديث قبلنا وفي سائر المدن وهم لا يختلفون أن الذبيح إسماعيل، وقاعدتهم فيه قول النبي ﷺ: «**أنا ابن الذبيحين**» إذ لا خلاف أنه من ولد إسماعيل وأن الذبيح الآخر أبوه الأدنى عبدالله بن عبدالمطلب، والآن فإني أجد مصنفي هذه الأدلة يختارون قول من قال: إنه إسحاق) هذا نص المستدرك هناك قد جزم فيه الحاكم بأن النبي ﷺ قال: «**أنا ابن الذبيحين**»، لكن لم يسلم ذلك للحاكم فإن هذا اللفظ لم يرد عن النبي ﷺ، كما صرح به الزرقاني في [مختصر المقاصد الحسنة]، ونقل العجلوني في [كشف الخفاء] عن الزيلعي والعسقلاني أنهما قالا في تخريج الكشاف: لم نجده بهذا اللفظ) ا.هـ والذي ورد في الباب هو ما أخرجه الحاكم في [المستدرك] (ج٢ ص٥٥٤) تحت عنوان: (ذكر إسماعيل بن إبراهيم صلوات الله عليهما)، وذلك في كتاب التاريخ قال: (حدثنا أبوبكر محمد بن عبدالله الشافعي ثنا عبيد بن حاتم الحافظ العجلي، ثنا إسماعيل بن عبيد بن عمر بن أبي كريمة الحراني، ثنا عبدالرحيم الخطابي، ثنا عبدالله بن محمد العتبي ثنا عبدالله بن سعيد الصنابحي قال: حضرنا مجلس معاوية بن أبي سفيان فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم فقال بعضهم: الذبيح إسماعيل، وقال بعضهم: بل إسحاق الذبيح، فقال معاوية: سقطتم على الخبير، كنا عند رسول الله ﷺ فأتاه الأعرابي فقال: يا رسول الله، خلفت البلاد يابسة والماء يابساً، هلك المال وضاع العيال فعد علي بما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه، فقلنا: يا

أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ قال: إن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله أمرها أن ينحر بعض ولده فأخرجهم فأسهم بينهم فخرج السهم لعبدالله، فأراد ذبحه فمنعه أخواله من بني مخزوم وقالوا: ارض ربك وافد ابنك، قال: ففداه بمائة ناقة، قال: فهو الذبيح، وإسماعيل الثاني.

هكذا روى الحاكم هذا الحديث في [المستدرك] وسكت عنه وتعقبه الحافظ الذهبي في تلخيصه بقوله: (قلت: إسناده واه) ا.هـ ورواه ابن جرير في تفسيره، ومن طريقه أورده الإمام الحافظ ابن كثير في تفسيره واستغربه جداً ولفظه (ج٤ ص١٨): (وقد روى ابن جرير في ذلك - أي في كون إسماعيل عليه السلام هو الذبيح - حديثاً غريباً فقال: حدثني محمد بن عمار الرازي، حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، حدثنا عمر بن عبدالرحيم الخطابي عن عبدالله بن محمد العتبي - من ولد عتبة بن أبي سفيان - عن أبيه، حدثني عبدالله بن سعيد عن الصنابحي قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبير سقطتم، كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل فقال: يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فضحك رسول الله ﷺ. فقيل له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: إن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل الله له أمرها عليه ليذبحن أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبدالله فمنعه أخواله وقالوا: افد ابنك بمائة من الإبل ففداه بمائة من الإبل، والثاني إسماعيل)، قال ابن كثير بعد إيراده: (وهذا حديث غريب جداً، وأضاف إلى ذلك قوله: (وقد رواه الأموي في مغازيه: حدثنا بعض أصحابنا،

أخبرنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة، حدثنا عمرو بن عبدالرحمن القرشي، حدثنا عبيدالله بن محمد العتبي ـ من ولد عتبة بن أبي سفيان ـ حدثناعبدالله بن سعيد، حدثنا الصنابحي قال: حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل أو إسحاق، وذكره. كذا كتبته من نسخة مغلوطة) ا.هـ كلام ابن كثير رحمه الله تعالى، وممن جزم بضعف ذلك الحديث حديث معاوية الذي ورد فيه (يا ابن الذبيحين) القرطبي في تفسيره [الجامع لأحكام القرآن] (ج١٥ ص١١٣)، والسيوطي في [القول الفصيح في تعيين الذبيح] وهو من محتويات الحاوي للفتاوي (ج١ ص٣١٨): قال القرطبي: (وأما ما روي من طريق معاوية قال: سمعت رجلاً يقول للنبي ﷺ: يا ابن الذبيحين فضحك النبي ﷺ، ثم قال معاوية: إن عبدالمطلب لما حفر بير زمزم نذر لله إن سهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده لله، فسهل الله عليه أمرها، فوقع السهم على عبدالله فمنعه أخواله بنو مخزوم وقالوا: افد ابنك ففداه بمائة من الإبل وهو الذبيح وإسماعيل هو الذبيح الثاني)، فلا حجة فيه؛ لأن سنده لا يثبت على ما ذكرناه في [كتاب الإعلام في معرفة مولد المصطفى عليه السلام]؛ ولأن العرب تجعل العم أبا، قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[2] وهما أبوه وخالته).

وقال السيوطي: (روى الحاكم في [المستدرك] وابن جرير في

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٣.
(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٠.

تفسيره، والأموي في مغازيه، والخلعي في فوائده من طريق إسماعيل بن أبي كريمة عن عمر بن أبي محمد الخطابي عن العتبي عن أبيه عن عبدالله بن سعيد عن الصنابحي قال: حضرنا مجلس معاوية رضي الله عنه فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق ابني إبراهيم أيهما الذبيح فقال بعض القوم: إسماعيل، وقال بعضهم: بل إسحاق، فقال معاوية: على الخبير سقطتم، كنا عند رسول الله ﷺ وعنده أعرابي فقال: يا رسول الله، خلفت الكلأ يابساً والماء يابساً، هلك العيال وضاع المال فعد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين، فتبسم رسول الله ﷺ ولم ينكر عليه، فقال القوم: من الذبيحان يا أمير المؤمنين؟ قال: إن عبدالمطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل أمرها أن ينحر بعض بنيه فلما فرغ أسهم بينهم ـ وكانوا عشرة ـ فخرج السهم على عبدالله فأراد أن ينحره فمنعه أخواله بنو مخزوم، وقالوا: ارض ربك وافد ابنك، ففداه بمائة ناقة قال معاوية: هذا واحد والآخر إسماعيل. هذا حديث غريب وفي إسناده من لا يعرف حاله) ا.هـ كلام السيوطي.

فإن قيل: إن الشيخ إسماعيل بن محمد العجلوني ذكر في كتابه [كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس] أن الزرقاني شارح [المواهب اللدنية] قال في هذا الحديث: (حسن، بل صححه الحاكم والذهبي لتقويه بتعدد طرقه). قلنا: إن ذلك وهم من العجلوني فإن الزرقاني لم يقل ذلك في الخبر الذي ورد فيه (يا ابن الذبيحين)، بل إنما قاله في حديث: (الذبيح إسحاق)، ونص كلامه (ج١ ص٩٧): (قوله ﷺ (الذبيح إسحاق) رواه الدارقطني عن ابن مسعود، وابن مردويه والبزار عن العباس وفيه المبارك بن فضالة

ضعفه الجمهور، ولكن رواه الحاكم من طرق عن العباس وقال: صحيح على شرطهما، وقال الذهبي: صحيح، وورواه ابن مردويه، قال ابن كثير: وفيه الحسن بن دينار متروك وشيخه منكر، وقد رواه ابن أبي حاتم مرفوعاً ثم رواه عن مبارك بن فضالة موقوفاً وهو أشبه[١] وتعقبه السيوطي بأن مباركاً قد رفعه مرة فأخرجه البزار عنه مرفوعاً وله شواهد عنده وعند الديلمي عن العباس مرفوعاً بلفظ: (وأما إسحاق فبذل نفسه للذبح)، وللطبراني وابن أبي حاتم عن أبي هريرة نحوه بسند ضعيف، وللطبراني بسند ضعيف عن ابن مسعود: سئل رسول الله ﷺ من أكرم الناس؟ قال: «**يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله**»، وأخرج في الكبير عن أبي الأحوص، قال: افتخر رجل عند ابن مسعود وفي لفظ: (فاخر أسماء بن خارجة رجلاً، فقال: أنا ابن الأشياخ الكرام، فقال عبدالله: ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ذبيح الله بن إبراهيم خليل

---

(١) قال ابن كثير في تفسيره (ج٤ ص١٧) قال في ذلك الحديث ما نصه: (قد ورد في ذلك ـ أي كون إسحاق هو الذبيح ـ حديث لو ثبت: لقلنا به على الرأس والعين ولكن لم يصح سنده، قال ابن جرير: حدثنا أبوكريب، حدثنا زيد بن حباب عن الحسن بن دينار عن علي بن زيد بن جدعان عن الحسن عن الأحنف ابن قيس عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي ﷺ في حديث ذكره قال: (هو ـ أي الذبيح ـ: إسحاق).

ففي إسناده ضعيفان وهما: الحسن بن دينار البصري متروك، وعلي بن زيد بن جدعان منكر الحديث، وقد رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن مسلم بن إبراهيم عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان به مرفوعاً ثم قال: (قد رواه مبارك ابن فضالة عن الحسن عن الأحنف عن العباس رضي الله عنه وهذا أشبه وأصح والله أعلم) ا. هـ كلام ابن كثير.

الله)، وإسناده صحيح موقوف ا.هـ ملخصاً، فهذه أحاديث يعضد بعضها بعضاً، فأقل مراتب الحديث الأول ـ أي حديث (الذبيح إسحاق) أنه حسن فكيف وقد صححه الحاكم والذهبي، وهو نص صريح لا يقبل التأويل بخلاف حديث معاوية ـ أي الذي ورد فيه إقرار النبي ﷺ الأعرابي على قوله له: (يا ابن الذبيحين) بالتبسم ـ فإنه قابل له[1] ا.هـ كلام الزرقاني في شرح المواهب اللدنية، وبإيراده تبين أن الحديث الذي حسنه الزرقاني وذكر أن الحاكم والذهبي صححاه هو حديث (الذبيح إسحاق) لا حديث معاوية الذي ورد فيه أن النبي ﷺ تبسم لما قال له الأعرابي: يا ابن الذبيحين، كما توهمه العجلوني، على أن تصحيح حديث مرفوع في كون إسحاق هو الذبيح غير معتبر، ولولا خشية الإطالة لأسهبنا في ذكر ماورد في ذلك وفي إيضاح علة كل حديث منه، لكن المقصود هنا إثبات أن لفظ: (أنا ابن الذبيحين) لم يرد عن النبي ﷺ، وأن حديث معاوية الذي ورد فيه أن الأعرابي قال للنبي ﷺ: يا ابن الذبيحين، فتبسم النبي ﷺ، غير صحيح.

وأما حديث وضع الحوامل في السنة التي ولد فيها النبي ﷺ الذكورَ كرامة له، فقد ذكره السيوطي في [الخصائص الكبرى] وبين أنه منكر شديد النكارة، ونصه (ج١ ص١١٧، ١١٨): (أخرج أبونعيم عن عمرو بن قتيبة قال: سمعت أبي ـ وكان من أوعية العلم ـ قال: (لما حضرت ولادة آمنة قال الله لملائكته: افتحوا أبواب السماء كلها وأبواب الجنان كلها، وأمر الله الملائكة بالحضور، فنزلت تبشر بعضها بعضاً

(١) أي: للتأويل؛ لأن العرب تجعل العم أباً.

وتطاولت جبال الدنيا وارتفعت البحار وتباشر أهلها فلم يبق ملك إلا حضر وأخذ الشيطان فَغُل سبعين غِلاً، وألقي منكوساً في لجة البحار الخضراء وغلت الشياطين والمردة وألبست الشمس يومئذٍ نوراً عظيماً وأقيم على رأسها سبعون ألف حوراء في الهواء ينتظرون ولادة محمد ﷺ، وكان قد أذن الله تلك السنة لنساء الدنيا أن يحملن ذكوراً كرامة لمحمد ﷺ، وأن لا تبقى شجرة إلا حملت ولا خوف إلا عاد أمناً، فلماولد النبي ﷺ امتلأت الدنيا كلها نوراً، وتباشرت الملائكة وضرب في كل عمود من زبرجد وعمود من ياقوت قد استنار به فهي معروفة في السماء قد رآها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء، قيل: هذا ما ضرب لك استبشاراً بولادتك وقد أنبت الله ليلة ولد على شاطىء نهر الكوثر سبعين ألف شجرة من المسك الأذفر ثمارها بخور أهل الجنة وكل أهل السموات يدعون الله بالسلامة ونكست الأصنام كلها وأما اللات والعزى فإنهما خرجا من خزانتهما، وهما يقولان: ويح قريش جاءهم الأمين جاءهم الصديق لا تعلم قريش ماذا أصابها، وأما البيت فإنما سمعوا من جوفه صوتاً وهو يقول: الآن يرد علي نوري الآن يجيئني زواري، الآن أطهر من أنجاس الجاهلية، أيتها العزى هلكت، ولم تسكن زلزلة البيت ثلاثة أيام ولياليهن وهذا أول علامة رأت قريش من مولد رسول الله ﷺ). ثم قال السيوطي في هذا الأثر وأثرين آخرين معه (ص١٢٢) ما نصه: (فيها ـ أي تلك الآثار الثلاثة التي كان هذا من ضمنها ـ نكارة شديدة ولم أورد في كتابي هذا أشد نكارة منها ولم تكن نفسي لتطيب بإيرادها لكني تبعت الحافظ أبا نعيم في ذلك).

وأما حديث أن كل دابة لقريش نطقت ليلة الحمل بمحمد ﷺ

وقالت: حمل برسول الله ﷺ إلخ، فقد قال أبونعيم في الجزء الثالث من [دلائل النبوة] (ص٢٢١)، قال: حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا عمرو بن محمد بن الصباح قال: ثنا يحيى بن عبدالله البابلتي، ثنا أبوبكر بن أبي مريم عن سعيد بن عمرو الأنصاري عن أبيه قال: قال ابن عباس: فكان من دلالات حمل النبي ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم تبق كاهنة من قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم الكهنة ولم يكن سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والملك مخرساً لا ينطق يومه ذلك ومرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك البحار يبشر بعضهم بعضاً به في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً فكانت أمه تحدث عن نفسها وتقول: أتاني آت حين مر بي من حمله ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال: يا آمنة إنك قد حملت بخير العالمين طراً فإذا ولدتيه فسميه محمداً واكتمي شأنك قال: فكانت تقول: لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ذكر ولا أنثى وإني لوحيدة في المنزل وعبدالمطلب في طوافه قالت: فسمعت وجبة شديدة وأمراً عظيماً فهالني ذلك وذلك يوم الإثنين فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كل رعب وكل فزع ووجع كنت أجده ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء وظننتها لبناً وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن بنات عبدالمطلب يحدقن بي فبينا أنا أعجب

وأقول: واغوثاه من أين علمن بي هؤلاء؟ واشتد بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول فإذا أنا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا قائل يقول: خذوه عن أعين الناس، قالت: ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح مني عرق كالجمان أطيب ريحاً من المسك الأذفر وأنا أقول: يا ليت عبدالمطلب قد دخل علي وعبدالمطلب عني ناء، قالت: ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليواقيت فكشف لي عن بصري فأبصرت ساعتي مشارق الأرض ومغاربها، ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات: علم في المشرق وعلم في المغرب وعلم على ظهر الكعبة وأخذني المخاض واشتد بي الأمر جداً فكنت كأني مستندة إلى أركان النساء كثرن علي حتى كان الأيدي معي في البيت وأنا لا أرى شيئاً فولدت محمداً ﷺ(١)، فلما خرج من بطني درت فنظرت إليه فإذا أنا به ساجد وقد رفع إصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته فغيب عن وجهي فسمعت منادياً ينادي يقول: طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار كلها؛ ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محى به في زمنه ثم تجلت عنه في أسرع وقت فإذا به مدرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضاً من اللبن وتحته حريرة خضراء قد

---

(١) لفظ (صلى الله عليه وسلم) من بعض الرواة، كما في [شرح المواهب اللدنية] للزرقاني.

قبض على ثلاث مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض وإذا قائل يقول: قبض محمد على مفاتيح النصر ومفاتيح الذبح ومفاتيح النبوة، هكذا روى أبونعيم هذا الخبر في [دلائل النبوة] ومن طريق أبي نعيم أورده الحافظ ابن كثير في الجزء السادس من [البداية والنهاية] (ص٢٩٨، ٢٩٩)، والسيوطي في الجزء الأول من [الخصائص الكبرى] (ص١١٨ ـ ١٢١) والقسطلاني في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص١٠٨) ولما بين ما في نسختي [دلائل النبوة] اللتين عندي وبين ما عزاه ابن كثير والسيوطي والقسطلاني إلى أبي نعيم من اختلاف بزيادة تارة ونقصان تارة أخرى، أورد ما عند كل واحد منهم مقروناً ببيان ما قاله كل منهم في درجته. فأقول: قال الحافظ ابن كثير في (باب ما أعطي محمد ﷺ من الآيات وما أعطي من قبله من الأنبياء من الآيات): (قد أورد الحافظ أبونعيم هاهنا حديثاً غريباً مطولاً بالمولد فقال ـ أي أبونعيم ـ: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا حفص بن عمرو بن الصباح، حدثنا يحيى بن عبدالله البابلتي، أنا أبوبكر بن أبي مريم عن سعيد بن عمرو الأنصاري عن أبيه قال: قال ابن عباس: فكان من دلالات حمل محمد ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة: قد حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة وهو أمان الدنيا وسراج أهلها ولم يبق كاهن في قريش ولا قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والملك مخرساً لا ينطق يومه لذلك، وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات وكذلك أهل البحار بشر بعضهم بعضاً وفي كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السموات: أبشروا

فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً قال: (وبقي في بطن أمه تسعة أشهر وهلك أبوه عبدالله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا، بقي نبيك هذا يتيماً، فقال الله تعالى للملائكة: أنا له ولي وحافظ ونصير فتبركوا بمولده ميموناً مباركاً وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته[١]، وكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول: أتى لي آت حين مر لي من حمله ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال: يا آمنة إنك حملت بخير العالمين طراً فإذا ولدتيه فسميه محمداً واكتمي شأنك قال: وكانت تحدث عن نفسها وتقول: لقد أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم ذكر ولا أنثى وإني لوحيدة في المنزل وعبدالمطلب في طوافه قالت: فسمعت وجبة شديدة وأمراً عظيماً فهالني ذلك وذلك يوم الإثنين، ورأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب كل رعب وكل فزع ووجل كنت أجد، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء ظننتها لبناً وكنت عطشى، فتناولتها فشربتها فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن من بنات عبدالمطلب يحدقن بي فبينا أنا أعجب وأقول: واغوثاه من أين علمن

---

(١) ما بين قوله: (ميموناً مباركاً) وبين قوله: (وكانت آمنة) ليس فيما لدي من نسخ [دلائل النبوة] لأبي نعيم، وإنما هو عند ابن كثير وسيأتي فيما عند السيوطي في [الخصائص الكبرى] من طريق أبي نعيم بلفظ (قال: وبقي في بطن أمه تسعة أشهر كملاً لا تشكو وجعاً ولا ريحاً ولا مغصاً ولا ما يعرض للنساء ذوات الحمل وهلك أبوه عبدالله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا بقي نبيك هذا يتيماً فقال الله: أنا له وليٌّ وحافظ ونصير وتبركوا بمولده فمولده ميمون مبارك وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته).

بي؟ واشتد بي الأمر وأنا أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول وإذا أنا بديباج أبيض قد مد ما بين السماء والأرض وإذا قائل يقول: خذوه عن أعين الناس قالت: رأيت رجالاً وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة وأنا يرشح مني عرق كالجمان أطيب ريحاً من المسك الأذفر وأنا أقول: يا ليت عبدالمطلب قد دخل علي قالت: ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت من حيث لا أشعر حتى غطت حجري مناقيرها من الزمرد، وأجنحتها من اليواقيت فكشف الله لي عن بصري فأبصرت من ساعتي مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاث علامات مضروبات علم بالمشرق وعلم بالمغرب، وعلم على ظهر الكعبة، فأخذني المخاض واشتد بي الطلق جداً فكنت كأني مسندة إلى أركان النساء وكثرن علي حتى كأني (كذا) مع البيت وأنا لا أرى شيئاً فولدت محمداً فلما خرج من بطني درت فنظرت إليه فإذا هو ساجد وقد رفع أصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء تنزل حتى غشيته فغيب عن عيني فسمعت منادياً ينادي يقول: طوفوا بمحمد ﷺ شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار كلها؛ ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلموا أنه سمي الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محي به قالت: ثم تخلوا عنه في أسرع وقت فإذا أنا به مدرج في ثوب صوف أبيض أشد بياضاً من اللبن وتحته حريرة خضراء وقد قبض محمد ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب الأبيض وإذا قائل يقول: قبض محمد مفاتيح النصر ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة، بهذا اللفظ أورد ابن كثير هذا الحديث من طريق أبي نعيم في [دلائل النبوة] ثم قال: (هكذا أورده ـ أي أبونعيم ـ وسكت عليه وهو غريب جداً).

وقال السيوطي في الجزء الأول من [الخصائص الكبرى] (ص١١٨ ـ ١٢١): (أخرج أبونعيم عن ابن عباس قال: كان من دلالات حمل رسول الله ﷺ أن كل دابة كانت لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة وهو أمان الدنياوسراج أهلها ولم تبق كاهنة في قريش ولا في قبيلة من قبائل العرب إلا حجبت عن صاحبتها وانتزع علم الكهنة منها ولم يبق سرير ملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً والملك مخرساً لا ينطق يومه ذلك، ومرت وحش المشرق إلى وحش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً به في كل شهر من شهوره نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن لأبي القاسم أن يخرج إلى الأرض ميموناً مباركاً، قال: (وبقي في بطن أمه تسعة أشهر كملاً لا تشكو وجعاً ولا ريحاً ولا مغصاً ولا ما يعرض للنساء ذوات الحمل، وهلك أبوه عبدالله وهو في بطن أمه فقالت الملائكة: إلهنا وسيدنا بقي نبيك هذا يتيماً فقال الله: أنا له ولي وحافظ ونصير وتبركوا بمولده فمولده ميمون مبارك وفتح الله لمولده أبواب السماء وجناته[1] فكانت آمنة تحدث عن نفسها وتقول: أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر فوكزني برجله في المنام وقال لي: يا آمنة، إنك قد حملت بخير العالمين طراً فإذا ولدتيه فسمه محمداً فكانت تحدث عن نفاسها وتقول: لقد أخذني

---

(١) ما بين القوسين في [الخصائص الكبرى] من طريق أبي نعيم بهذا اللفظ، وتقدم لفظه عند ابن كثير من طريقه، وليس فيما عندي من نسخ [دلائل النبوة] لا بهذا اللفظ ولا باللفظ الذي عند ابن كثير.

ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد من القوم فسمعت وجبة شديدة وأمراً عظيماً، فهالني ذلك، فرأيت كأن جناح طير أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني كل رعب وكل وجع كنت أجد، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء لبناً وكنت عطشى فتناولتها فشربتها فأضاء مني نور عالٍ ثم رأيت نسوة كالنخل الطوال كأنهن من بنات عبدمناف يحدقن بي فبينا أنا أعجب وإذا بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول: خذوه من أعين الناس قالت: ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق فضة ورأيت قطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجري مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من اليواقيت فكشف الله عن بصري وأبصرت تلك الساعة مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علماً في المشرق وعلماً في المغرب وعلماً على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فولدت محمداً ﷺ فلما خرج من بطني نظرت إليه فإذا أنا به ساجداً قد رفع إصبعيه كالمتضرع المبتهل ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيب عن وجهي وسمعت منادياً ينادي: طوفوا بمحمد شرق الأرض وغربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محي في زمنه ثم تجلت عنه في السرع فإذا أنا به مدرجاً في ثوب صوف أبيض وتحته حريرة خضراء وقد قبض على ثلاثة مفاتيح من اللؤلؤ الرطب وإذا قائل يقول: قبض محمد على مفاتيح النصرة ومفاتيح الريح ومفاتيح النبوة[1]، ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل وخفقان

---

(١) عبارة (ثم أقبلت سحابة أخرى يسمع منها صهيل الخيل) إلى قوله: (ثم رده إلي) زيادة عند السيوطي في [الخصائص الكبرى] مما عزاه إلى أبي نعيم وليست فيما =

الأجنحة حتى غشيته فغيب عن عيني فسمعت منادياً ينـــادي: طوفوا بمحمد الشرق والغرب وعلى موالد النبيين واعرضوه على كل روحاني من الجـــن والإنس والطير والسباع وأعطوه صفاء آدم ورقة نوح وخلة إبراهيم ولسان إسماعيل وبشرى يعقوب وجمال يوسف وصوت داود وصبر أيوب وزهد يحيى وكرم عيسى، واغمروه في أخلاق الأنبياء، ثم تجلت عنه فإذا أنا قد قبض على حريرة خضراء مطوية،وإذا قائل يقول: بخ بخ، قبض محمد ﷺ على الدنيا كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل في قبضته وإذا أنا بثلاثة نفر في يد أحدهم إبريق من فضة، وفي يد الثاني طست من زمرد أخضر، وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين دونه، فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم حمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده إلي)، هكذا ساقه السيوطي في [الخصائص الكبـــرى] وعزاه إلى أبي نعيم، وقال فيه وفي أثرين آخرين ذكرهما معه قال: فيها ـ أي في تلك الآثار الثلاثة التي كان هذا الأثر منها ـ نكارة شديدة، ولم أورد في كتابي هذا ـ أي [الخصائص الكبرى] ـ أشـــد نكارة منها ولم تطب نفسي بإيرادها لكني تبعت

= لدي من نسخ الدلائل، ولا في الرواية التي ذكرها ابن كثير وسيأتي لفظها عند القسطلاني ضمن ما عزاه إلى أبي نعيم، وبين لفظيهما من الاختلاف ما سيطلع عليه القارىء عند المقارنة بينهما إن كان مراد القسطلاني بقوله بعد ذكر رواية الخطيب التي فيها ذلك (ورواه أبونعيم): أن لفظهما واحد.

أبا نعيم في ذلك) ا.هـ كلام السيوطي[١].

وقال القسطلاني في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص١٠٨): (روى أبونعيم[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (كان من دلالة حمل آمنة برسول الله ﷺ أن كل دابة لقريش نطقت تلك الليلة وقالت: حمل برسول الله ﷺ ورب الكعبة وهو إمام[٣] الدنيا وسراج أهلها ولم يبق سرير لملك من ملوك الدنيا إلا أصبح منكوساً وفرت وحوش المشرق إلى وحوش المغرب بالبشارات، وكذلك أهل البحار يبشر بعضهم بعضاً. وله في كل شهر من شهور حمله نداء في الأرض ونداء في السماء أن أبشروا فقد آن أن يظهر أبوالقاسم ﷺ ميموناً مباركاً) الحديث وهو شديد الضعف، وقال في (ص١١١، ١١٢) من هذا الجزء: (روى أبونعيم من حديث ابن عباس قال: (كانت آمنة تحدث وتقول: أتاني آت حين مر بي من حملي ستة أشهر

---

(١) وعلى كلامه في هذا الأثر اعتمد السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من فتاويه (ص٤٤٩) فقد قال في بيان درجته: (إن الأثر الذي يذكرونه ـ أي مؤلفو الموالد في نطق الدواب والوحوش ليلة حمله ـ أي النبي محمد ﷺ قد أخذه واضعو قصص المولد من رواية أبي نعيم وهو منكر جداً أورده السيوطي في [الخصائص الكبرى] وأنكره مع آخرين، ثم جزم السيد رشيد رضا بأن تلك الآثار الثلاثة قد جمعت أكثر المنكرات في قصص المولد.

(٢) أي في [دلائل النبوة]، كما في [شرح المواهب اللدنية] للشيخ محمد بن عبدالباقي الزرقاني.

(٣) قال الزرقاني: (بالميم قدوة أهلها) قال: (ورأيته في خصائص السيوطي الكبرى عن أبي نعيم) أمان بالنون: أي أمانها من العاهات العامة ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

في المنام وقال لي: يا آمنة، إنك قد حملت بخير العالمين، فإذا ولدته فسميه محمداً واكتمي شأنك قالت: ثم أخذني ما يأخذ النساء ولم يعلم بي أحد لا ذكر ولا أنثى، وإني لوحيدة في المنزل وعبدالمطلب في طوافه فسمعت وجبة عظيمة وأمراً عظيماً هالني ثم رأيت كأن جناح طائر أبيض قد مسح على فؤادي فذهب عني الرعب وكل وجع أجده، ثم التفت فإذا أنا بشربة بيضاء فتناولتها فأصابني نور عال ثم رأيت نسوة كالنخل طوالاً كأنهن من بنات عبد مناف يحدقن فبينما أتعجب وأنا أقول: واغوثاه، من أين علمن بي؟ قال في غير هذه الرواية: فقلن لي: نحن آسية امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وهؤلاء من الحور العين(١) واشتد بي الأمر وإني أسمع الوجبة في كل ساعة أعظم وأهول مما تقدم فبينما أنا كذلك إذ بديباج أبيض قد مد بين السماء والأرض وإذا بقائل يقول: خذاه عن أعين الناس قال: ورأيت رجالاً قد وقفوا في الهواء بأيديهم أباريق من فضة، ثم نظرت فإذا أنا بقطعة من الطير قد أقبلت حتى غطت حجرتي مناقيرها من الزمرد وأجنحتها من الياقـــوت، فكشف الله عن بصري فرأيت مشارق الأرض ومغاربها ورأيت ثلاثة أعلام مضروبات علماً بالمشرق، وعلماً بالمغرب، وعلماً على ظهر الكعبة فأخذني المخاض فوضعت محمداً ﷺ(٢) فنظرت إليه

---

(١) قوله: (فقلن لي: نحن آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وهؤلاء من الحور العين) مما عزاه القسطلاني إلى أبي نعيم ولم أجده فيما لدي من نسخ [دلائل النبوة] لأبي نعيم ولا فيما عزاه إليه ابن كثير ولا فيما عزاه إليه السيوطي.

(٢) لفظ (صلى الله عليه وسلم) ذكر الزرقاني أنه من الراوي.

فإذا هو ساجد قد رفع إصبعيه إلى السماء كالمتضرع المبتهل، ثم رأيت سحابة بيضاء قد أقبلت من السماء حتى غشيته فغيبته عني ثم سمعت منادياً ينادي: طوفوا به مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ويعلمون أنه سمي فيها الماحي لا يبقى شيء من الشرك إلا محي في زمنه ثم انجلت عنه في أسرع وقت) الحديث، وهو مما تكلم فيه[١].

ثم قال القسطلاني: (روى الخطيب بسنده، كما ذكره صاحب السعادة والبشرى أيضاً أن آمنة قالت: لما وضعته عليه الصلاة والسلام[٢] رأيت سحابة عظيمة لها نور أسمع فيها صهيل الخيل وخفقان الأجنحة وكلام الرجال حتى غشيته وغيب عني فسمعت منادياً ينادي: طوفوا بمحمد مشارق الأرض ومغاربها وأدخلوه البحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته في جميع الأرض واعرضوه على كل روحاني من الجن والإنس، والملائكة والطيور والوحوش وأعطوه خلق آدم ومعرفة شيث وشجاعة نوح وخلة إبراهيم ولسان إسماعيل ورضا إسحاق وفصاحة صالح وحكمة لوط وبشرى يعقوب وشدة موسى وصبر أيوب وطاعة يونس وجهاد يوشع وصوت داود وحب دانيال ووقار إلياس وعصمة يحيى وزهد عيسى واغمسوه في أخلاق النبيين، قالت: ثم انجلى عني فإذا به قد قبض على حريرة خضراء مطوية طياً شديداً ينبع من تلك الحريرة ماء وإذا بقائل يقول: بخ بخ قبض محمد على الدنيا

---

(١) علق الزرقاني على هذا بقوله: (فذكره لينبه عليه لشهرته في الموالد).

(٢) لفظ (عليه الصلاة والسلام) من بعض الرواة.

كلها لم يبق خلق من أهلها إلا دخل طائعاً في قبضته، قالت: ثم نظرت إليه ﷺ فإذا هو كالقمر ليلة البدر ريحه يسطع كالمسك الأذفر وإذا بثلاثة نفر في يد أحدهم إبريق من فضة، وفي يد الآخر طست من زمرد أخضر، وفي يد الثالث حريرة بيضاء فنشرها فأخرج منها خاتماً تحار أبصار الناظرين دونه فغسله من ذلك الإبريق سبع مرات ثم ختم بين كتفيه بالخاتم ولفه في الحريرة ثم احتمله فأدخله بين أجنحته ساعة ثم رده إلي، ورواه أبونعيم[1] عن ابن عباس وفيه نكارة).

هذا ما وجدناه في [دلائل النبوة] لأبي نعيم وما عند ابن كثير والسيوطي والقسطلاني من طريق أبي نعيم وبه تبينت روايات هذا الحديث ودرجاتها.

وأما ما ورد في أن النبي ﷺ ولد مختوناً، وفي أن ذلك من خصائصه فقد أعله الحفاظ ابن كثير وابن القيم والذهبي، وفيما يلي كلامهم:

قال الحافظ ابن كثير في [البداية والنهاية] (ج٢ ص٢٦٥) تحت عنوان (صفة مولده الشريف ﷺ): (قال البيهقي: أنبأنا أبوعبدالله الحافظ، أنا أبوبكر محمد بن أحمد بن حاتم الدرابودي بمرو، حدثنا أبوعبدالله البوشنجي، حدثنا أبو أيوب سليمان بن سلمة الخبائري، حدثنا يونس بن عطاء بن عثمان بن ربيعة بن زياد بن الحارث الصدائي

---

(١) إذا كان المراد بقوله: (ورواه أبونعيم) أن لفظه مثل لفظ الخطيب الذي ذكره يكون تفاوت ما بين ما عند القسطلاني وبين ما عند السيوطي في عبارة (ثم رأيت سحابة) إلى قوله: (ثم رده إلي) وإن كانت الزيادة عندهما.

بمصر، حدثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه قال: (ولد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً، قال: فأعجب جده عبدالمطلب وحظي عنده وقال: (ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن) وهذا الحديث في صحته نظر. وقد رواه الحافظ ابن عساكر من حديث سفيان بن محمد المصيصي عن هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من كرامتي على الله أني ولدت مختوناً ولم ير سوأتي أحد» ثم أورده من طريق الحسن بن عرفة عن هشيم به، ثم أورده من طريق محمد بن محمد بن سليمان هو الباغندي، حدثنا عبد الرحمن بن أيوب الحمصي، حدثنا موسى بن أبي موسى المقدسي، حدثني خالد بن سلمة عن نافع عن ابن عمر قال: ولد رسول الله ﷺ مسروراً مختوناً. وقال أبونعيم: حدثنا أبو أحمد محمد بن أحمد الغطريفي، حدثنا الحسين بن أحمد بن عبدالله المالكي، حدثنا سليمان بن سلمة الخبائري، حدثنا يونس بن عطاء، حدثنا الحكم بن أبان، حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس قال: ولد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً فأعجب ذلك جده عبدالمطلب وحظي عنده وقال: ليكونن لابني هذا شأن فكان له شأن. وقد ادعى بعضهم صحته؛ لما ورد له من الطرق حتى زعم بعضهم أنه متواتر، وفي هذا[1] كله نظر. ومعنى مختوناً: أي مقطوع الختان، ومسروراً: أي مقطوع السرة من بطن أمه، وقد روى الحافظ ابن عساكر من طريق عبدالرحمن بن عيينة البصري، حدثنا

---

(١) أي: دعوى صحته ودعوى تواتره.

علي بن محمد المدائني السلمي، حدثنا سلمة بن محارب بن مسلم بن زياد عن أبيه عن أبي بكرة أن جبريل ختن النبي ﷺ حين طهر قلبه وهذا غريب جداً. وقد روي أن جده عبدالمطلب ختنه وعمل له دعوة جمع قريشاً عليها والله أعلم) انتهى كلام ابن كثير في [البداية والنهاية].

وذكر في الكلام على خصائص النبي ﷺ من كتابه [الفصول في اختصار سيرة الرسول] أن الحديث الذي ورد فيه (أن النبي ﷺ ولد مختوناً) جاء من طرق عديدة لكنها غريبة، ثم قال: وقد قيل: إنه شاركه فيها غيره من الأنبياء، كما ذكره أبوالفرج بن الجوزي في كتاب [تلقيح الفهوم] ا.هـ.

يشير ابن كثير بهذه الإحالة إلى قول الحافظ أبي الفرج بن الجوزي في كتابه القيم [تلقيح فهوم أهل الأثر] (ص٤) تحت عنوان (أسماء من خلق من الأنبياء مختوناً) حُدّثنا عن كعب الأحبار أنه قال: (هم ثلاثة عشر: آدم وشيث وإدريس ونوح وسام[1] ولوط ويوسف وموسى وشعيب وسليمان ويحيى وعيسى والنبي محمد ﷺ. وقال محمد بن حبيب الهاشمي: هم أربعة عشر: آدم وشيث ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب ويوسف وموسى وسليمان وزكريا وعيسى

---

(١) يقتضي هذا أن سام بن نوح نبي قال الزرقاني في الجزء الأول من [شرح المواهب اللدنية] (ص١٢٥): وكذا رواه الزبير وابن سعد عن الكلبي وقال به أبوالليث السمرقندي ومن قلده. والصحيح أنه ليس بنبي، كما قاله البرهان الدمشقي وغيره ولا حجة في أثر الكلبي ـ الذي عند الزبير وابن سعد؛ ـ لأنه مقطوع مع أنه متروك متهم بالوضع.

وحنظلة بن صفوان نبي أصحاب الرس ومحمد ﷺ) يريد ابن الجوزي بمحمد بن حبيب الهاشمي العلامة الأخباري النسابة أباجعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو البغدادي المتوفى سنة (٢٤٥) ولفظ كتابه [المحبر] (ص١٣١): (من خلق مختوناً فلم يختن ولم يحتج إلى الختان من الأنبياء صلى الله عليهم: آدم، شيث، نوح، سام، هود، صالح، لوط، يوسف، موسى، شعيب، سليمان، زكريا، شعيب بن ذي مهدم، حنظلة بن صفوان نبي أهل الرس ومحمد صلى الله عليه وعليهم أجمعين.

ثم قال: ذكر ابن الكلبي عن أبي محمد المرهبي عن شيخ من ذي الكلاع قال: سمعت كعب الأحبار يقول: وجدت في بعض كتبنا أن آدم وجد مختوناً، وكذلك وجد أحد عشر نبياً مختونين، وهم: شيث وإدريس ونوح وابنه سام ولوط ويوسف وموسى وسليمان وزكريا وعيسى ومحمد صلى الله عليه وعليهم، وقال صاحب [المحبر] أيضاً: ذكر ابن الكلبي قال: حدثني فروة بن سعيد بن عفيف قال: سمعت مالك بن مرارة الرهاوي يحدث قال: كان سبب إسلامي أني سمعت شيخاً من حمير كان يهودياً ثم ـ أسلم وكان قد أمهل له في العمرـ يقول: ستة من الأنبياء وجدوا مختونين: هود وصالح وشعيب ونبي أهل حضور ونبي الرس والمضري خاتم النبيين صلى الله عليه وعليهم أجمعين).

وقال الإمام ابن القيم في الفصل الذي عقده لختان النبي ﷺ في كتابه [تحفة المودود بأحكام المولود]: (أما من قال: ولد ـ أي النبي ﷺ ـ مختوناً فاحتجوا بأحاديث:

أحدها: ما رواه أبوعمر بن عبدالبر قال: وقد روي أن النبي ﷺ ولد مختوناً من حديث عبدالله بن عباس عن أبيه العباس بن عبدالمطلب قال: ولد رسول الله ﷺ مختوناً مسروراً، يعني: مقطوع السرة، فأعجب ذلك جده عبدالمطلب وقال: ليكونن لابني هذا شأن عظيم، ثم قال ابن عبد البر: ليس إسناد حديث العباس هذا بالقائم، قال: وقد روي موقوفاً على ابن عمر ولا يثبت أيضاً، قلت ـ القائل ابن القيم ـ: حديث ابن عمر رويناه من طريق أبي نعيم، حدثنا أبوالحسن أحمد بن محمد بن خالد الخطيب، حدثنا محمد بن محمد بن سليمان، حدثنا عبدالرحمن بن أيوب الحمصي، حدثنا موسى بن أبي موسى المقدسي، حدثنا خالد بن سلمة عن نافع عن ابن عمر قال: ولد النبي ﷺ مختوناً ولكن محمد بن سليمان هذا هو الباغندي وقد ضعفوه، وقال الدارقطني: كان كثير التدليس يحدث بما لم يسمع وربما سرق الحديث.

ومنها: ما رواه الخطيب بإسناده من حديث سفيان بن محمد المصيصي، حدثنا هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: من كرامتي على ربي أني ولدت مختوناً ولم ير سوأتي أحد، قال الخطيب: لم يروه فيما يقال غير يونس عن هشيم، تفرد به سفيان بن محمد المصيصي وهو منكر الحديث، قال الخطيب: أخبرني الأزهري قال: سئل الدارقطني عن سفيان بن محمد المصيصي، وأخبرني أبوالطيب الطبري قال: قال لنا الدارقطني: شيخ لأهل المصيصة يقال له: سفيان بن محمد الفزاري كان

ضعيفاً سيء الحال[١]، وقال صالح بن محمد الحافظ: سفيان بن محمد المصيصي لا شيء، وقد رواه أبوالقاسم بن عساكر من طريق الحسن بن عرفة، حدثنا هشيم عن يونس عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله عليه الصلاة والسلام: من كرامتي على ربي عز وجل أني ولدت مختوناً لم ير أحد سوأتي. وفي إسناده إلى الحسن بن عرفة عدة مجاهيل. قال أبوالقاسم بن عساكر: وقد سرقه ابن الجارود وهو كذاب فرواه عن الحسن بن عرفة. ومما احتج به أرباب هذا القول ما ذكره محمد بن علي الترمذي في معجزات النبي عليه الصلاة والسلام فقال:

ومنها: أن صفية بنت عبدالمطلب قالت: أردت أن أعرف أذكر أم أنثى فرأيته مختوناً. وهذا الحديث لا يثبت وليس له إسناد يعرف به وقد قال أبوالقاسم عمر بن الحسن بن هبة الله بن أبي جرادة في كتاب صنفه في ختان الرسول عليه الصلاة والسلام يرد به على محمد بن طلحة في تصنيف صنفه، وقرر فيه أن رسول الله ﷺ ولد مختوناً. وهذا محمد بن علي الترمذي الحكيم لم يكن من أهل الحديث ولا علم له به بطرقه وصناعته، وإنما كان فيه الكلام على إشارات الصوفية والطرائق ودعوى الكشف على الأمور الغامضة والحقائق حتى خرج في الكلام

(١) في [مجمع الزوائد] للحافظ الهيثمي (ج٨ ص٢٢٤) أن سفيان بن الفزاري هو المتهم بهذا الحديث واتهامه به هو ظاهر صنيع الذهبي في ترجمته من [ميزان الاعتدال] فقد قال في ترجمته مانصه: (قال ابن عدي: كان يسرق الحديث ويسوي الأسانيد) ثم قال: (وله عن هشيم عن يونس عن الحسن عن أنس رفعه «من كرامتي أني ولدت مختوناً».

على ذلك عن قاعدة الفقهاء والصوفية، وأخرجوه بذلك عن [السيرة المرضية] وقالوا: إنه أدخل في علم الشريعة ما فارق به الجماعة فاستوجب بذلك القدح والشناعة وملأ كتبه بالأحاديث الموضوعة، وحشاها بالأخبار التي ليست بمروية ولا مسموعة وعلل فيها خفي الأمور الشرعية التي لا يعقل معناها بعلل ما أضعفها وما أوهاها.

ومما ذكر في كتاب له رسمه بالاحتياط أن يسجد عقب كل صلاة يصليها سجدتي السهو وإن لم يكن سها فيها وهذا مما لا يجوز فعله بالإجماع وفاعله منسوب إلى الغلو والابتداع. وما حكاه عن صفية بقولها: فرأيته مختوناً، يناقض الأحاديث الأخر وهو قوله: «لم ير سوأتي أحد» فكل حديث في هذا الباب يناقض الآخر، ولا يثبت واحد منهما. ولو ولد مختوناً فليس هذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام فإن كثيراً من الناس يولد غير محتاج إلى الختان. قال: وذكر أبوالغنائم النسابة الزيدي أن أباه القاضي أبا محمد الحسن بن الحسن الزيدي ولد غير محتاج إلى الختان. قال: ولهذا لقب بالمطهر، قال: قال فيما قرأته بخطه: خلق أبومحمد الحسن مطهراً لم يختن وتوفي كما خلق، وقد ذكر الفقهاء في كتبهم أن من ولد كذلك لا يختن، واستحسن بعضهم أن يمر الموسى على موضع الختان من غير قطع، والعوام يسمون هذا الختان ختان القمر يشيرون في ذلك إلى أن النمو في خلقة الإنسان يحصل في زيادة القمر ويحصل النقصان في الخلقة عند نقصانه، كما يوجد ذلك في الجزر والمد فينسبون النقصان الذي حصل في القلفة إلى نقصان القمر. قال: وقد ورد في حديث رواه سيف بن محمد بن أخت سفيان الثوري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة عن النبي

ﷺ قال: إن ابن صياد ولد مسروراً مختوناً. وسيف مطعون في حديثه، وقيل: إن قيصر ملك الروم الذي ورد عليه امرؤ القيس ولد كذلك ودخل عليه امرؤ القيس الحمام فرآه كذلك، فقال يهجوه:

إني حلفت يميناً غير كاذبة لأنت الأغلف إلا ما جنى القمر

يعيره أنه لم يختتن وجعل ولادته كذلك نقصاً. وقيل: إن هذا البيت أحد الأسباب الباعثة لقيصر على أن سم امرأ القيس فمات، وأنشد ابن الأعرابي فيمن ولد بلا قلفة لبعض الأعراب:

فذاك نكس لا يبض حجره مخرة العرض حديد منظره
في ليل كانون شديد خصره عض بأطراف الزبانا قمره

يقول: هو أقلف ليس بمختون إلا ما قلص القمر وشبه قلفته بالزبانا وهي قرنا العقرب، وكانت العرب لا تعتد بصورة الختان من غير ختان، وترى الفضيلة في الختان نفسه وتفخر به، قال: وقد بعث الله نبينا عليه الصلاة والسلام من صميم العرب وخصه بصفات الكمال من الخلق والخلق والنسب فكيف يجوز أن يكون ما ذكره من كونه ولد مختوناً مما يميز به النبي عليه الصلاة والسلام ويخصص، وقيل: إن الختان من الكلمات التي ابتلى الله بها خليله عليه الصلاة والسلام، فأتمهن وأكملهن، وأشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل..

وقد عد النبي ﷺ الختان من الفطرة. ومن المعلوم أن الابتلاء به مع الصبر عليه مما يضاعف ثواب المبتلى به وأجره. والأليق بحال النبي عليه الصلاة والسلام أن لا يسلب هذه الفضيلة، وأن يكرمه الله بها، كما أكرم خليله فإن خصائصه أعظم من خصائص غيره من النبيين

وأعلى، وختن الملك إياه كما رويناه، أجدر من أن يكون من خصائصه وأولى، وهذا كله كلام ابن العديم. ويريد بختن الملك ما رواه من طريق الخطيب عن أبي بكرة أن جبريل ختن النبي ﷺ حين طهر قلبه، وهو مع كونه موقوفاً على أبي بكرة لا يصح إسناده فإن الخطيب قال فيه: أنبانا أبوالقاسم عبدالواحد بن عثمان بن محمد البجلي، أنبانا جعفر بن محمد بن نصير، حدثنا محمد بن عبدالله بن سليمان، حدثنا عبدالرحمن بن عيينة البصري، حدثنا علي بن محمد المدائني، حدثنا سلمة بن محارب بن سليم بن زياد عن أبيه عن أبي بكرة. وليس هذا الإسناد مما يحتج به. وحديث شق الملك قلبه عليه الصلاة والسلام قد روي من وجوه متعددة مرفوعاً إلى النبي عليه الصلاة والسلام، وليس في شيء منها أن جبريل ختنه إلا في هذا الحديث فهو شاذ غريب. قال ابن العديم: وقد جاء في بعض الروايات أن جده عبدالمطلب ختنه في اليوم السابع، وقال: وهو على ما فيه أشبه بالصواب وأقرب إلى الواقع. ثم ساق من طريق ابن عبد البر، حدثنا أبوعمرو أحمد بن محمد بن أحمد قراءةً مني عليه أن محمد بن عيسى حدثه قال: حدثنا يحيى بن أيوب بن زياد العلاف، حدثنا محمد بن أبي السري العسقلاني، حدثنا الوليد بن مسلم عن شعيب بن أبي حمزة عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس أن عبدالمطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعه وجعل له مأدبة وسماه محمداً قال يحيى بن أيوب: ما وجدنا هذا الحديث عند أحد إلا عند ابن أبي السري وهو محمد بن المتوكل بن أبي السري والله أعلم) ا.هـ. كلام ابن القيم في [تحفة المودود بأحكام المولود]، وقال في الفصل الذي

عقده لختانه ﷺ من [زاد المعاد في هدي خير العباد]: قد اختلف فيه - أي ختانه ﷺ - على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه ولد مختوناً مسروراً، وروي في ذلك حديث لا يصح ذكره أبوالفرج ابن الجوزي في [الموضوعات](١)، وليس فيه حديث ثابت وليس هذا من خواصه فإن كثيراً من الناس يولد مختوناً. وقال الميموني: قلت لأبي عبدالله: مسألة سئلت عنها ختان ختن صبياً فلم يستقص، قال: إذا كان الختان جاوز نصف الحشفة إلى فوق فلا يعيد؛ لأن الحشفة تغلظ وكلما غلظت ارتفع الختان فأما إذا كان الختان دون النصف فكنت أرى أن يعيد. قلت: فإن الإعادة شديدة جداً وقد يخاف عليه من الإعادة، فقال: لا أدري، ثم قال لي: فإن هاهنا رجلاً ولد له ابن مختون فاغتم لذلك غماً شديداً، فقلت له: إذا كان الله قد كفاك المؤنة فما غمك بهذا. انتهى. وحدثني صاحبنا أبوعبدالله محمد بن

---

(١) لم أجده في [الموضوعات] لابن الجوزي، وإنما وجدت له في باب ولادة النبي ﷺ مختوناً من [العلل المتناهية في الأحاديث الواهية] (ج١ ص١٦٥، ١٦٦) ما نصه: (أنا أبومنصور القزاز قال: نا أبوبكر الخطيب قال: أخبرنا أبوسعيد الحسن ابن محمد بن عبدالله بن حسنويه الكاتب قال: نا القاضي أبوبكر محمد بن عمر ابن سالم قال: حدثني أبوبكر محمد بن أحمد بن الفرج البغدادي قال: نا سفيان ابن محمد المصيصي قال: نا هشيم عن يونس بن عبيد عن الحسن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «من كرامتي أني ولدت مختوناً ولم ير أحد سوأتي»، قال المؤلف: تفرد به سفيان، قال ابن عدي: كان يسرق الأحاديث ويسوي الأسانيد وفي حديثه موضوعات، وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به، ثم قال ابن الجوزي: (لا شك أنه ولد مختوناً غير أن هذا الحديث لا يصح به) ا.هـ كلام ابن الجوزي.

عثمان الخليلي المحدث ببيت المقدس أنه ولد كذلك وأن أهله لم يختنوه والناس يقولون لمن ولد كذلك: ختنه القمر، وهذا من خرافاتهم.

والقول الثاني: أنه ختن ﷺ يوم شق قلبه الملك عند ظئره حليمة.

القول الثالث: أن جده عبدالمطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمداً. وقال أبوعمر بن عبدالبر: (وفي هذا الباب حديث مسند غريب حدثناه أحمد بن محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف، حدثنا محمد بن أبي السري العسقلاني، حدثنا الوليد بن مسلم عن شعيب عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس أن عبدالمطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعه وجعل له مأدبة وسماه محمداً ﷺ. قال يحيى بن أيوب: طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته إلا عند ابن أبي السري، وقد وقعت هذه المسألة بين رجلين فاضلين صنف أحدهما مصنفاً في أنه ولد مختوناً وأجلب فيه من الأحاديث التي لا خطام لها ولا زمام وهو كمال الدين بن طلحة، فنقضه عليه كمال الدين بن العديم وبين فيه أنه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب قاطبة مغنياً عن نقل معين فيها، والله أعلم.

وقال الحافظ الذهبي في ترجمة جعفر بن عبدالواحد الهاشمي القاضي من [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] (ج١ ص٤١٢، ٤١٣): (أخبرنا عمر بن عبدالمنعم، أنبأنا أبوالقاسم بن الحرستاني قراءة عليه وأنا في الرابعة أنبأ علي بن المسلم، حدثنا ابن طلاب، أنبأنا ابن جميع الغساني، حدثنا عمر بن موسى بن هارون بالمصيصة، حدثنا جعفر بن

عبدالواحد قال: قال لنا صفوان بن هبيرة ومحمد بن بكر البرساني عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: (ولد النبي ﷺ مسروراً مختوناً) وهذا آفته جعفر وكان الذهبي قد نقل عن الدارقطني أنه قال في جعفر الذي هو آفة هذا الحديث: يضع الحديث. وعن أبي زرعة أنه قال فيه: روى أحاديث لا أصل لها. وعن ابن عدي أنه قال: يسرق الحديث ويأتي بالمناكير عن الثقات وساق له ابن عدي أحاديث وقال: كلها بواطل وبعضها سرقه من قوم، وكان عليه يمين أن لا يحدث ولا يقول حدثنا وكان يقول: قال لنا فلان، وعن الخطيب أنه قال في جعفر بن عبدالواحد هذا: عزله المستعين عن القضاء ونفاه إلى البصرة. وعن أبي حاتم أنه قال: وصل جعفر بن عبدالواحد بن جعفر بن سليمان بن علي حديثاً للقعنبي فزاد فيه عن أنس فدعا عليه القعنبي فافتضح، وعن أبي زرعة أنه قال فيه: أخاف أن تكون دعوة الشيخ الصالح أدركته.

وقال الذهبي في الجزء الأول من [تاريخ الإسلام وطبقات مشاهير الأعلام] (ص٢٣، ٢٤) مانصه: (قال الوليد بن مسلم، عن شعيب بن أبي حمزة عن عطاء الخراساني عن عكرمة عن ابن عباس أن عبدالمطلب ختن النبي ﷺ يوم سابعه وصنع له مأدبة وسماه محمداً... وهذا أصح مما رواه ابن سعد: أنا يونس عن عطاء المكي، حدثنا الحكم بن أبان العدني، حدثنا عكرمة عن ابن عباس عن أبيه العباس قال: ولد النبي ﷺ مختوناً مسروراً فأعجب ذلك عبدالمطلب وحظي عنده، وقال: ليكونن لابني هذا شأن. تابعه سليمان بن سلمة الخبائري عن يونس لكن أدخل فيه بين يونس والحكم

عثمان بن ربيعة الصدائي، قال شيخنا الدمياطي: يروى عن أبي بكرة قال: ختن جبريل رسول الله ﷺ لما طهر قلبه. قلت: ـ القائل الذهبي ـ هذا منكر.

وأما تعلق الملا علي قاري بقول الحاكم في الجزء الثاني من مستدركه (ص٦٠٢) (قد تواترت الأخبار بأن رسول الله ﷺ ولد مختوناً مسروراً) فيرده أن الذهبي تعقب قول الحاكم ذلك بقوله: (قلت: ما أعلم صحة ذلك فكيف يكون متواتراً؟!)، كما عد في ترجمة الحاكم من [ميزان الاعتدال] قول الحاكم في خبر أن المصطفى ﷺ ولد مسروراً مختوناً: (قد تواتر هذا) عده من شقاشقه.

هذه نبذة من كلام الحفاظ فيما ورد في باب كون النبي ﷺ ولد مختوناً يتضح بها أن ما ورد في ذلك الباب من الأحاديث غير صحيح سواء كان النبي ﷺ في نفس الأمر ولد مختوناً أم لا، ولو لم يكن في الباب إلا قول المروذي: سئل أبوعبدالله ـ أي: أحمد بن حنبل ـ هل ولد النبي ﷺ مختوناً؟ قال: الله أعلم، ثم قال: لا أدري. قال أبوبكر بن عبدالعزيز بن جعفر من أصحابنا: قد روي أنه ﷺ ولد مختوناً مسروراً ولم يجترىء أبوعبدالله على تصحيح هذا الحديث).

أقول: لو لم يكن في الباب إلا هذا التوقف الذي رواه المروذي عن الإمام أحمد لكان كافياً، فكيف وقد انضمت إليه تصريحات كبار الحفاظ بعده بعدم صحته؟! ومنهم الحافظ العراقي الذي نقل الملا علي قاري في (ص٧٧) من [المورد الروي في المولد النبوي] عنه أنه قال بعد استعراضه القول بأنه ﷺ ولد مختوناً وبأنه ختنه جبريل عليه السلام وبأنه ختنه عبدالمطلب قال ما نصه: لا يثبت في هذا كله

شيء، ولكن التوفيق بيد الله عز وجل نسأله إياه فإنه هو القادر على ذلك.

وأما حديث مناغاة النبي ﷺ القمر فعند الخطيب في [المؤتلف] من طريق محارب بن دثار عن عمرو بن يثربي الضمري عن العباس بن عبدالمطلب قال: رأيت النبي ﷺ يناغي القمر ويشير إليه بأصبعه فسألته بعد أن أسلمت فقال: كان يلهيني عن البكاء وكنت أسمع وجبته حين يسجد تحت العرش، فذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني في ترجمة عمرو بن يثربي من [الإصابة في تمييز الصحابة] (ج٣ ص٢٣) بعد إيراده من هذا الطريق أن سنده واهٍ جداً، قلت: ـ القائل إسماعيل الأنصاري ـ لأن في سنده أحمد بن إبراهيم الحلبي به أعله البيهقي في الجزء الأول من [دلائل النبوة] (٣٩٠) قال: (أخبرنا أبوعبدالله الحافظ قال: حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن شيبان الرملي قال: حدثنا أحمد بن إبراهيم الحلبي قال: حدثنا الهيثم بن جميل، حدثنا زهير عن محارب بن دثار عن عمرو بن يثربي عن العباس بن عبدالمطلب قال: قلت: يا رسول الله، دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال، قال: إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش)، ثم قال البيهقي (ص٣٩١): (تفرد به هذا الحلبي بإسناده وهو مجهول)، ومن طريق البيهقي أورده الحافظ ابن كثير في كلامه على صفة مولد النبي ﷺ من [البداية والنهاية] (ج٢ ص٢٦٦) بسنده ومتنه المذكورين وأقر البيهقي على تجهيل راويه إلا أن في طبعة [تاريخ ابن كثير] تفرد به (الليثي) بدل

(الحلبي)، وفي [المواهب اللدنية] في (باب ذكر رضاعه ﷺ وما معه) أن هذا الحديث أخرجه البيهقي والصابوني في المائتين والخطيب[١] وابن عساكر في تاريخيهما وابن طغر بك في النطق المفهوم عن العباس بن عبدالمطلب قال: قلت يا رسول الله، دعاني إلى الدخول في دينك أمارة لنبوتك رأيتك في المهد تناغي القمر وتشير إليه بأصبعك فحيث أشرت إليه مال، قال: «إني كنت أحدثه ويحدثني ويلهيني عن البكاء وأسمع وجبته حين يسجد تحت العرش»، ثم قال القسطلاني: قال البيهقي: تفرد به أحمد بن إبراهيم الحلبي وهو مجهول، وقال الصابوني: هذا حديث غريب الإسناد والمتن وهو في المعجزات حسن ا.هـ، المراد من كلام القسطلاني ولا وجه لتحسين الصابوني إيراد هذا الحديث في المعجزات مادام أمر راويه الحلبي كما ذكرنا، بل قال ابن أبي حاتم في [الجرح والتعديل] (ج١ قسم ١ ص٤٠) في راويه أحمد بن إبراهيم الحلبي ما نصه: (سألت أبي عنه وعرضت عليه حديثه فقال: لا أعرفه وأحاديثه باطلة موضوعة كلها ليس لها أصول، يدل حديثه على أنه كذاب) هذا من ناحية السند وأما من ناحية المتن فإن العباس أصغر أعمام النبي ﷺ فحمزة أكبر منه وهو ـ أي حمزة ـ أسن من النبي ﷺ بسنتين، كما رواه البكائي عن ابن إسحاق فرؤية العباس لذلك وروايته إياه غريبان) أفاد ذلك الزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] (ج١ ص١٤٧).

وأما ما جاء عن بريدة رضي الله عنه أنه قال: (رأت آمنة وهي

---

(١) لم أجده في تاريخه الذي عزاه إليه صاحب [المواهب اللدنية].

حامل برسول الله ﷺ فقيل لها: إنك حبلى بخير البرية وسيد العالمين فإن ولدتيه فسميه أحمد أو محمداً وعلقي عليه هذه فانتبهت وعند رأسها صحيفة مكتوب عليها:

أعيذه بالواحد ... من شر كل حاسد.. إلخ

فعند أبي نعيم في الفصل الحادي عشر من [دلائل النبوة] (ج١ ص٤٠) طبعة بيروت قال: حدثنا عمر بن محمد قال: حدثنا إبراهيم بن السندي قال: حدثنا النضر بن سلمة، ثنا أبوغزية محمد بن موسى الأنصاري عن أبي عثمان سعيد بن زيد الأنصاري عن ابن بريدة عن أبيه قال: (رأت آمنة بنت وهب أم النبي ﷺ في منامها فقيل لها: إنك حملت بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدتيه فسميه أحمد ومحمداً وعلقي عليه هذه، قال: فانتبهت وعند رأسها صحيفة من ذهب مكتوب فيها:

أعيذه بالواحد ... من شر كل حاسد
وكل خلق رائد ... من قائم وقاعد
عن السبيل عاند ... على الفساد جاهد
من نافث أو عاقد ... وكل خلق مارد
يأخذ بالمراصد ... في طرق الموارد

أنهاهم عنه بالله الأعلى وأحوطه منهم باليد العليا، والكف الذي لا يرى، يد الله فوق أيديهم وحجاب الله دون عاديهم لا تطردوه ولا تضروه في مقعد ولا منام ولا مسير ولا مقام، أول الليالي وآخر الأيام أربع مرات بهذا.

هكذا رواه الحافظ أبونعيم وفي سنده عنده النضر بن سلمة وشيخه أبوغزية محمد بن موسى الأنصاري وهما تالفان: أما النضر بن سلمة فلقول الدارقطني في حواشيه على كتاب [المجروحين] لابن حبان (ص٢٨٤): (إن النضر مشهور بوضع الحديث على الثقات). وأما محمد بن موسى بن مسكين الأنصاري المكنى بأبي غزية فلقول ابن حبان في الجزء الثاني من [المجروحين] (ص٢٨٣): (كان ممن يسرق الحديث ويحدث به ويروي عن الثقات أشياء موضوعات حتى إذا سمعها المبتدىء في الصناعة سبق إلى قلبه أنه كان المتعمد لذلك)، ولقول الحافظ الذهبي في [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] في ترجمته: قال البخاري: عنده مناكير، وقال ابن حبان: كان يسرق الحديث ويروي عن الثقات الموضوعات، وقال أبوحاتم: ضعيف، ووثقه الحاكم مات سنة سبع ومائتين، ولقول الحافظ العسقلاني في الجزء الخامس من [لسان الميزان] (ص٣٩٨) بعد إيراده كلام الذهبي هذا في أبي غزية: (ذكره ـ أي محمد بن موسى أباغزية ـ العقيلي في [الضعفاء]، وقال ابن عدي: روى أشياء أنكرت عليه واتهمه الدارقطني بالوضع وقد تقدم ذلك في ترجمة علي بن أحمد الكعبي المصري)، يشير الحافظ العسقلاني بهذه الإحالة إلى قوله في ترجمة علي بن أحمد الكعبي من [لسان الميزان] (ج٤ ص١٩٢): (روى عن أبي غزية عن عبدالوهاب بن موسى عن مالك عن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها حديثين: أحدهما: أن النبي ﷺ لما حج مر بقبر أمه آمنة فسأل الله عز وجل فأحياها فآمنت به فردها إلى حفرتها. والثاني: بهذا الإسناد: أن النبي ﷺ كان ينقل الحجارة للبيت

عرياناً فجاءه جبريل وميكائيل فوزراه وطفقا يحملان الحجارة عن شفقة من الله عليه)، قال الدارقطني: والإسناد والمتنان باطلان ولا يصح لأبي الزناد عن هشام عن أبيه عن عائشة شيء، وهذا كذب على مالك والحمل فيه على أبي غزية، والمتهم بوضعه هو أو من حدث به عنه، وعبدالوهاب بن موسى ليس به بأس) وبهذا الذي ذكرناه في سند هذا الحديث تبين قول الشامي في سيرته (ج١ ص٣٩٥): (سنده واه جداً وإنما ذكرته لأنبه عليه لشهرته في كتب الموالد).

هذا الجواب عن هذا الحديث من ناحية السند، وأما الجواب عنه من ناحية المتن فبما أفاده الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي في [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد] (ج١ ص٣٩٥) وهو أن الحافظ أبا الفضل العراقي قال في مولده: (إن من قوله: (وعلقي عليه هذه) إلى آخره أدرجه بعض القصاص).

وأما ذكر بعض أهل السير هذه الأبيات من حديث ابن عباس فالجواب عنه بما نقله القسطلاني في الجزء الأول من [المواهب اللدنية] (ص١٠٧) بعد إيراده الخبر المذكور عن الحافظ العراقي وهو أنه قال في الأبيات المذكورة في هذا الخبر: (أعيذه بالواحد: من شر كل حاسد) مانصه: هكذا ذكر هذه الأبيات بعض أهل السير وجعلها من حديث ابن عباس ولا أصل لها ا.هـ.

وأما حديث سلمان رضي الله عنه أنه قال: (هبط جبريل على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول: إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً، وما خلقت خلقاً أكرم علي منك، ولقد خلقت الدنيا

وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ماخلقت الدنيا) فرواية ابن عساكر له أوردها السيوطي في الجزء الثالث من [الخصائص الكبرى] (ص١٥١، ١٥٢) بلفظ: (قيل للنبي ﷺ: كلم الله موسى تكليماً وخلق عيسى من روح القدس واتخذ إبراهيم خليلاً واصطفى آدم فما أعطيت من الفضل؟ فهبط جبريل فقال: إن ربك يقول: «إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك حبيباً وإن كنت كلمت موسى في الأرض تكليماً فقد كلمتك في السماء وإن كنت خلقت عيسى من روح القدس فقد خلقت اسمك من قبل أن أخلق الخلق بألفي سنة، ولقد وطئت في السماء موطئاً لم يطأه أحد بعدك وإن كنت اصطفيت آدم فقد ختمت بك الأنبياء وما خلقت خلقاً أكرم علي منك وقد أعطيتك الحوض والشفاعة والناقة والقضيب والتاج والهراوة والحج والعمرة وشهر رمضان والشفاعة كلها لك حتى ظل عرشي في القيامة عليك ممدود وتاج الحمد على رأسك معقود وقرنت اسمك مع اسمي فلا أذكر في موضع حتى تذكر معي ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك ومنزلتك عندي ولولاك ما خلقت الدنيا) بهذا اللفظ أوردها السيوطي وعزاها إلى ابن عساكر وأوردها تلميذه الشامي في [سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد] (ج١ ص٩٤) باللفظ الذي ذكرناه أولاً ثم قال: (رواه ـ أي حديث سلمان بتلك الرواية ـ ابن عساكر وسنده واه جداً) ا.هـ.

وقد رواه أبوالفرج بن الجوزي في الجزء الأول من [الموضوعات] (ص٢٨٨، ٢٨٩) بسند واه جداً فإنه رواه من طريق محمد بن عيسى بن حبان المدائني المعروف بأبي السكين قال: حدثنا

محمد بن الصباح قال: أنبأنا علي بن الحسن الكوفي عن إبراهيم بن اليسع عن أبي العباس الضرير عن الخليل بن مرة عن يحيى البصري عن زاذان عن سلمان قال: (حضرت النبي ﷺ ذات يوم فإذا بأعرابي جاف راجل بدوي وقد وقف علينا فسلم فرددنا عليه السلام فقال: يا قوم أيكم محمد رسول الله؟ فقال النبي ﷺ: أنا محمد رسول الله. فقال الأعرابي: لقد أيقنت بك قبل أن أراك وأحببتك من قبل أن ألقاك وصدقت بك قبل أن أرى وجهك ولكني أريد أن أسألك عن خصال، قال: سل عما بدالك. فقال: فداك أبي وأمي أليس الله عزوجل كلم موسى؟ قال: بلى. قال: وخلق عيسى من روح القدس. قال: بلى. قال: واتخذ إبراهيم خليلاً واصطفى آدم. قال: بلى. قال: بأبي أنت وأمي أي شيء أعطيت من الفضل؟ فأطرق النبي ﷺ فهبط عليه جبريل فقال: الله يقرئك السلام وهو يسألك عما هو أعلم به منك فيقول: يا حبيبي لم أطرقت ارفع رأسك ورد على الأعرابي جوابه. قال: أقول ماذا يا جبريل؟ قال: الله يقول: إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً فقد اتخذتك من قبل حبيباً، وإن كلمت موسى في الأرض فقد كلمتك وأنت معي في السماء والسماء أفضل من الأرض وإن كنت خلقت عيسى من روح القدس فقد خلقت اسمك قبل أن أخلق الخلق بألفي سنة ولقد وطئت في السماء موطئاً لم يطأه أحد قبلك ولا يطؤه أحد بعدك وإن كنت قد اصطفيت آدم فقد ختمت بك الأنبياء ولقد خلقت مائة ألف نبي وأربعة وعشرين ألف نبي ماخلقت خلقاً أكرم علي منك ومن يكون أكرم علي منك ولقد أعطيتك الحوض والشفاعة والناقة والقضيب والميزان والوجه الأقمر والجمل الأحمر والتاج والهراوة

والحج والعمرة والقرآن وشهر رمضان والشفاعة كلها لك حتى ظل عرشي في القيامة على رأسك ممدود وتاج الملك على رأسك معقود ولقد قرنت اسمك مع اسمي فلا أذكر في موضع حتى تذكر معي ولقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك علي ومنزلتك عندي ولولاك يا محمد ما خلقت الدنيا) هكذا رواه ابن الجوزي وقال فيه (ص٢٨٩، ٢٩٠): (هذا حديث موضوع لا شك فيه وفي إسناده مجهولون وضعفاء والضعفاء: أبوالسكين وإبراهيم بن اليسع، قال الدارقطني: أبوالسكين ضعيف، وإبراهيم ويحيى البصري متروكان، قال أحمد بن حنبل: حرقناحديث يحيى البصري، وقال الفلاس: كان كذاباً يحدث أحاديث موضوعة. وقال الدارقطني: متروك) ا.هـ.

وأما ما جاء في خبر وفاة النبي ﷺ أن جبريل قال له: (هذا آخر موطئي من الأرض) فقد ذكر السيوطي في [الخصائص الكبرى] له روايات أعل بعضها بالإعضال وبعضها بالإرسال، وذكر أن العدني روى بعضها في مسنده متصلاً قال: حدثنا محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب) لذلك نذكر كلام السيوطي المتضمن لذلك ثم نجيب عن السند الذي زعم أنه موصول فنقول وبالله التوفيق:

قال السيوطي في [الخصائص الكبرى] (ج٣ ص٣٨٤، ٣٨٥): (أخرج ابن سعد والبيهقي عن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه قال: (لما كان قبل وفاة رسول الله ﷺ بثلاث هبط إليه جبريل فقال: يا محمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً وخاصة يسألك عما هو

أعلم به منك يقول: كيف تجدك؟ قال: أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً، فلما كان اليوم الثاني هبط إليه فقال له مثل ذلك فقال له: أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً فلما كان اليوم الثالث هبط إليه جبريل ومعه ملك الموت ومعهما ملك يسكن الهواء لم يصعد إلى السماء قط ولم يهبط إلى الأرض قط يقال له إسماعيل على سبعين ألف ملك، كل ملك منهم على سبعين ألف ملك فسبقهم جبريل فقال: يا محمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجدك؟ قال: أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً ثم استأذن ملك الموت على الباب، فقال جبريل: هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك، فقال: ائذن له فدخل فوقف بين يدي رسول الله ﷺ فقال: إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني إن أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها وإن أمرتني أن أتركها تركتها. قال: وتفعل ذلك يا ملك الموت قال: نعم بذلك أُمرت، فقال جبريل: إن الله قد اشتاق إلى لقائك قال: يا ملك الموت امض لما أُمرت به، فقال جبريل: السلام عليك يا رسول الله هذا آخر موطئي الأرض، فتوفي رسول الله ﷺ فأتاهم آت يسمعون حسه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته إن في الله خلفاً من كل هالك وعزاء من كل مصيبة ودركاً من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا فإن المصاب من حرم الثواب)، هذا إسناد معضل وقد أخرجه ابن سعد والشافعي في سننه والطبراني من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده علي بن الحسين به وهو مرسل

أيضاً. هذا ما أعله السيوطي من تلك الروايات بالإعضال والإرسال.

وأما رواية محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب[١] عند العدني في مسنده التي جزم السيوطي ـ بعد إعلاله ما سواها من الروايات بالإعضال والإرسال ـ بأنها موصولة[٢] فمدارها على محمد بن جعفر وهو متكلم فيه، كما بينه الخطيب والذهبي.

فقد قال الخطيب البغدادي في [تاريخ بغداد] (ج٢ ص١١٤، ١١٥): (أخبرنا الحسن بن أبي بكر، قال: أنبأنا الحسن بن محمد بن يحيى قال: نا جدي قال: قال أبوموسى العباسي: كان جدي لما ولاه المأمون اليمن خلف عياله وثقله بمكة فخرج بها محمد بن جعفر في سنة تسع وتسعين ومائة فضرب على ما كان لجدي من مال قليل وكثير، فقدم جدي إسحاق بن موسى من اليمن وقد ولاه المأمون الموسم والصلاة بأهله فوجد محمد بن جعفر قد حال بين أمواله وعياله فبعث إليه: إن حاربتني لقيت مني ما تكره فدخل بينهم ابن أبي مسرة جد هذا الذي كان بمكة المخزومي القاضي حتى ضمن له جدي أن لا يحاربه إلا أن يأتيه مدد من المأمون فينفيه من مكة، فلجأ جدي إلى ذات عرق، ولم يبق من أثاثه ولا من ثقله قليل ولا كثير إلا أخذه محمد بن جعفر فبينا جدي بذات عرق إذ أتاه عيسى الجلودي بمن معه فانحدر إلى مكة محارباً

---

(١) لما ورد في خبر وفاة النبي ﷺ أن جبريل قال له: هذا آخر موطئي من الأرض.

(٢) لفظ السيوطي: وأخرجه العدني في مسنده، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب به موصولاً.

لمحمد بن جعفر فوجد الكعبة قد عريت وكسوها أثواب حبر، ووجدوه قد كتب على أبواب المسجد ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[1]، فأسرع الجند ليمحوه فقال: لا تمحوه واكتبوا ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ وَلَكُمُ ٱلۡوَيۡلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾[2]، ثم أخذ محمد بن جعفر فقال: قد كنت حدثت الناس بروايات لتفسد عليهم دينهم فقم فأكذب نفسك، وأصعده المنبر وألبسه دراعة سوداء، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: (يا أيها الناس إني قد حدثتكم بأحاديث زورتها) فشق الناس الكتب والسماع الذي كانوا سمعوا منه، ثم نزل من على المنبر فأحسن جدي رفده وأطلقه إلى المدينة فخرج من المدينة إلى المأمون بخراسان).

وقال الحافظ الذهبي في ترجمته ـ أي محمد بن جعفر راوي ذلك الحديث ـ من [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] (ج٣ ص٥٠٠): (محمد بن جعفر بن محمد بن علي الهاشمي الحسيني عن أبيه تكلم فيه حدث عنه إبراهيم بن المنذر ومحمد بن يحيى العدني دعا إلى نفسه في أول دولة المأمون وبويع بمكة سنة مائتين فحج حينئذٍ المعتصم ـ وهو أمير ـ وظفر به واعتقله ببغداد فبقي بها قليلاً وكان بطلاً شجاعاً يصوم يوماً ويفطر يوماً مات سنة ثلاث ومائتين وقد نيف على السبعين وقبره بجرجان ذكره ابن عدي في [الكامل]. وقال البخاري: أخوه إسحاق أوثق منه. قلت ـ القائل الذهبي ـ: فمن الباطل الذي ألصق

---

(١) سورة الإسراء، الآية ٨١.
(٢) سورة الأنبياء، الآية ١٨.

بمحمد هذا عن أبيه جعفر الصادق أنه قال: تملك سليمان الدنيا سبعمائة عام وستة أشهر. وذكر قصة منكرة أخرجها الحاكم في مستدركه فشان الكتاب بها وبأمثالها).

وعلى كلام الخطيب والذهبي اعتمد الحافظ ابن حجر العسقلاني في كتابيه [الزهر النضر في نبأ الخضر][١]، و[الإصابة] في إعلال رواية ابن أبي عمر العدني لحديث وفاة النبي ﷺ الذي ورد في آخره أن جبريل قال للنبي ﷺ: يا أحمد عليك السلام هذا آخر وطئي الأرض إنما كنت أنت حاجتي من الدنيا قال الحافظ في الكتابين المذكورين في ذلك الحديث: (أخبرني به شيخنا حافظ العصر أبوالفضل بن الحسين رحمه الله قال: أخبرني أبومحمد بن القيم، أخبرنا الحسن ابن[٢] البخـــاري عن محمد بن معمر، أخبرنا سعيد بن أبي الرجاء، أخبرنا أحمد بن محمد بن النعمان، أخبرنا أبوبكر بن المقريء، أخبرنا إسحاق بن أحمد الخزاعي، حدثنا محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال: كان أبي هو جعفر بن محمد الصادق يذكر عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب أنه دخل عليهم نفر من قريش فقال: ألا أحدثكم عن أبي القاسم، قالوا: بلى، فذكر الحديث بطوله في وفاة النبي ﷺ وفي آخره: (فقال جبريل: يا أحمد عليك السلام هذا آخر وطئي الأرض إنما كنت أنت حاجتي من الدنيا، فلما قبض رسول الله ﷺ وجاءت التعزية جاء آت يسمعون حسه

---

(١) هو ضمن [مجموعة الرسائل المنيرية]، وهذا الحديث فيه (ص٢١٦، ٢١٧) وفي [الإصابة] (ج١ ص٤٤٠).

(٢) كذا في [الإصابة] وفي [الزهر النضر]: (أبوالحسن).

ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله إن في الله عزاء عن كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا، فإن المحروم من حرم الثواب وإن المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم، فقال علي: هل تدرون من هذا؟ هذا (الخضر). ومحمد بن جعفر هذا هو أخو موسى الكاظم حدث عن أبيه وغيره روى عنه إبراهيم بن المنذر وغيره وكان قد دعا لنفسه بالمدينة ومكة وحج بالناس سنة مائتين وبايعوه بالخلافة فحج المعتصم فظفر به فحمله إلى أخيه المأمون بخراسان فمات بجرجان سنة ثلاث ومائتين، وذكر الخطيب في ترجمته أنه لما ظفر به صعد المنبر فقال: أيها الناس إني قد كنت حدثتكم بأحاديث زورتها، فشق الناس الكتب التي سمعوها منه وعاش سبعين سنة. قال البخاري: أخوه إسحاق أوثق منه وأخرج له الحاكم حديثاً. قال الذهبي: إنه ظاهر النكارة في ذكر سليمان بن داود عليهما السلام ا.هـ كلام الحافظ ابن حجر في كتابيه المذكورين. والحديث الذي ذكر أن الحاكم أخرجه لمحمد بن جعفر في ذكر سليمان بن داود، وقال فيه الذهبي: إنه ظاهر النكارة، وأقر ابن حجر الذهبي على ذلك، هو ما رواه الحاكم في الجزء الثاني من [المستدرك] (ص٥٨٨) قال: أخبرنا أبو سعيد الأحمسي، ثنا الحسين بن حميد، ثنا الحسين بن علي السلمي، حدثني محمد بن حسان عن محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه قال: (أعطي سليمان بن داود ملك مشارق الأرض ومغاربها فملك سليمان بن داود سبعمائة سنة وستة أشهر ملك أهل الدنيا كلهم من الجن والإنس والشياطين والدواب والطير والسباع وأعطي علم كل شيء ومنطق كل شيء وفي

زمانه صنعت الصنائع المعجبة التي ما سمع بها الناس وسخرت له فلم يزل مدبراً بأمر الله ونوره وحكمته حتى إذا أراد الله أن يقبضه أوحى إليه أن استودع علم الله وحكمته أخاه وولد داود وكانوا أربعمائة وثمانين رجلاً بلا رسالة) هكذا رواه الحاكم وتعقب الحافظ الذهبي إيراده إياه في [المستدرك] بقوله: (قلت: هذا باطل) ا.هـ.

وبعد كتابة ما كتبنا عن هذا الحديث وجدنا في كتاب [معرفة علماء أهل جرجان] لأبي القاسم حمزة بن يوسف السهمي (ص٣١٩ ـ ٣٢١) عدة طرق لرواية محمد بن جعفر المذكور لهذا الحديث فأحببنا إيرادها:

قال: (حدثنا أبوأحمد عبدالله بن عدي الحافظ إملاء في سنة أربع وستين وثلاثمائة، حدثنا أحمد بن حفص السعدي سنة إحدى وتسعين ومائتين، حدثنا محمد بن أبي عمر العدني المكي وعبدالوهاب بن علي الجرجاني قالا: حدثنا محمد بن جعفر بن محمد قال: كان أبي يذكره عن أبيه عن جده عن علي، قال: دخل علي على نفر من قريش قال: فقال: ألا أحدثكم عن أبي القاسم ﷺ، قال: قالوا: بلى قال: لما كان قبل وفاة رسول الله ﷺ بثلاث هبط إليه جبريل وقال: يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك فيقول: كيف تجدك؟ قال: أجدني يا جبريل مغموماً، قال: ثم جاء اليوم الثاني فقال: يا أحمد إن الله أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك: كيف تجدك؟ قال: أجدني يا جبريل مكروباً، قال: ثم جاء اليوم الثالث فقال: يا أحمد إن الله تعالى أرسلني إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة

لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول: كيف تجدك؟ قال: أجدني مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً. قال: وهبط مع جبريل ملك في الهواء يقال له: إسماعيل على تسعين ألف ملك قال: فقال جبريل: يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ما استأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك فقال رسول الله ﷺ: ائذن له قال فدخل قال: فقال ملك الموت: يا أحمد إن الله أرسلني إليك وأمرني أن أطيعك إن أمرتني بقبض نفسك قبضتها وإن كرهت تركتها، قال: فقال جبريل: إن الله قد اشتاق إلى لقائك، فقال رسول الله ﷺ: بل يا ملك الموت امض لما أمرت به، قال: فقال جبريل عليه السلام: يا أحمد عليك السلام هذا آخر وطئي الأرض إنما كنت أنت حاجتي من الدنيا فلما قبض رسول الله ﷺ وجاءت التعزية يسمعون حسه ولا يرون شخصه قال: السلام عليكم ورحمة الله إن في الله عزاء من كل مصيبة وخلفاً من كل هالك ودركاً من كل فائت واتقوا الله، وإياه فارجوا، فإن المحروم منْ حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله. قال فقال علي: أتدرون من هذا؟ قالوا: لا قال: هذا الخضر عليه السلام، أخبرناه إبراهيم بن محمد بن سهل الجرجاني، حدثنا محمد بن إبراهيم الرفاء، حدثنا محمد بن إدريس الرازي، حدثنا أحمد بن الوليد بن برد الأنطاكي حدثنا محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب قال: دخل علي على نفر من قريش، وذكر الحديث، أخبرنا أبوبكر أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبدالله بن محمد بن ناجية، حدثنا ابن النطاح، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي عن أبيه محمد عن جده علي بن الحسين عن علي بن أبي طالب قال: هبط جبريل على أبي القاسم ﷺ

قبل وفاته بثلاث وقال: إن الله أرسلني إليك يقول: كيف تجدك؟ قال: أجدني يا جبريل مغموماً مكروباً فأتاه ثلاثة أيام يقول له مثل ذلك، فلما كان اليوم الثالث أتاه فقال: هذا ملك الموت يستأذن عليك، قال: وما استأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك. وقال ملك الموت: إن الله أمرني أن أطيعك، إن أمرت قبضت روحك، وإن أمرتني تركتها، فقال: امض لما أمرت به، فقال جبريل: يا محمد هذا آخر وطئي الأرض وأنت آخر حاجتي من الدنيا. قال: ثم ذكر حديثاً طويلاً. هكذا كان في كتاب أبي بكر الإسماعيلي، انتهى ما في معرفة علماء جرجان للسهمي من طرق رواية محمد بن جعفر لخبر وفاة النبي ﷺ الذي ورد فيه قول جبريل: (هذا آخر موطئي من الأرض).

يضاف إلى ذلك كله جزم السيوطي في [الإعلام بحكم عيسى عليه السلام] وهو من محتويات [الحاوي للفتاوي] (ج٢ ص١٦٥) ببطلان ما اشتهر على ألسنة الناس أن جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي ﷺ قال: (وهذا شيء لا أصل له، ومن الدليل على بطلانه ما أخرجه الطبراني في الكبير عن ميمونة بنت سعد قالت: قلت: يا رسول الله هل يرقد الجنب؟ قال: ماأحب أن يرقد حتى يتوضأ فإني أخاف أن يتوفى فلا يحضره جبريل، فهذا الحديث يدل على أن جبريل ينزل إلى الأرض ويحضر موتة كل مؤمن حضره الموت وهو على طهارة، قال: ثم وقفت على حديث آخر فيه نزول جبريل إلى الأرض وهو ما أخرجه نعيم بن حماد في كتاب الفتن والطبراني من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ في وصف الدجال، قال: (فيمر بمكة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا ميكائيل بعثني الله؛ لأمنعه

من حرمه ويمر بالمدينة فإذا هو بخلق عظيم فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا جبريل بعثني الله؛ لأمنعه من حرمه، ثم رأيت في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾(١) الآية، عن الضحاك أن الروح هنا: جبريل وأنه ينزل هو والملائكة في ليلة القدر ويسلمون على المسلمين وذلك في كل سنة) ا.هـ كلام السيوطي، وفي ختام الكلام على هذا الحديث نستحسن إيراد كلام للحافظ ابن كثير في أحاديث وفاة نبينا ﷺ ذكره في [البداية والنهاية] (ج٥ ص٢٤٤) نصه:

قد ذكر الواقدي وغيره في الوفاة ـ أي وفاة نبينا ﷺ ـ أخباراً كثيرة فيها نكارة وغرابة شديدة أضربنا عن ذكرها صفحاً؛ لضعف أسانيدها، ونكارة متونها، ولاسيما ما يورده كثير من القصاص المتأخرين وغيرهم، فكثير منه موضوع لا محالة وفي الأحاديث الصحيحة والحسنة المروية في الكتب المشهورة غنية عن الأكاذيب وما لا يعرف سنده).

وفي ختام كلامنا على ما في قصص المولد من التساهل في الأحاديث نورد مما في [مولد الديبع] أمرين يدلان غاية الدلالة على مجاوزة مؤلف ذلك المولد الحد في ذكر الموضوعات:

أحدهما: قوله في فاتحة تلك القصة (ص١٢ ـ ٢١): (فسبحانه تعالى من ملك أوجد نور نبيه محمد ﷺ من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين اللازب، وعرض فخره على الأشياء وقال: هذا سيد الأنبياء وأجل

---

(١) سورة القدر، الآية ٤.

الأصفياء وأكرم الحبائب اللهم صل وسلم وبارك عليه.

قيل: هو آدم؟ قال: آدم به أنيله أعلى المراتب، قيل: هو نوح؟ قال: نوح به ينجو من الغرق ويهلك من خالفه من الأهل والأقارب. قيل: هو إبراهيم؟ قال: إبراهيم به تقوم حجته على عباد الأصنام والكواكب. قيل: هو موسى؟ قال: موسى أخوه ولكن هذا حبيب وموسى كليم ومخاطب، قيل: هو عيسى؟ قال: عيسى يبشر به وهو بين يدي نبوته كالحاجب، قيل: فمن هذا الحبيب الكريم الذي ألبسته حلة الوقار، وتوجته بتيجان المهابة والافتخار، ونشرت على رأسه العصائب؟ قال: هو نبي استخرته من لؤي بن غالب يموت أبوه وأمه ثم يكفله جده ثم عمه الشقيق أبوطالب، اللهم صل وسلم وبارك عليه.

يبعث من تهامة، بين يدي القيامة، في ظهره علامة تظله الغمامة تطيعه السحائب، فجري الجبين، ليلي الذوائب، ألفي الأنف، ميمي الفم، نوني الحاجب، سمعه يسمع صرير القلم، بصره إلى السبع الطباق ثاقب، قدماه قبلهما البعير. فأزالا ما اشتكاه من المحن والنوائب، آمن به الضب، وسلمت عليه الأشجار، وخاطبته الأحجار، وحن إليه الجذع حنين حزين نادب، يداه تظهر بركتهما في المطاعم والمشارب، قلبه لا يغفل ولا ينام، ولكن للخدمة على الدوام مراقب، إن أوذي يعف ولا يعاقب، وإن خوصم يصمت ولا يجاوب، أرفعه إلى أشرف المراتب، في ركبة لا تنبغي قبله ولا بعده لراكب في موكب من الملائكة، يفوق على سائر المواكب. فإذاً ارتقى على الكونين

وانفصل عن العالمين ووصل إلى قاب قوسين، كنت له أنا النديم والمخاطب، اللهم صل وسلم وبارك عليه.

ثم أرده من العرش قبل أن يبرد الفرش وقد نال جميع المآرب، فإذا شرفت تربة طيبة منه بأشرف قالب، سعت إليه أرواح المحبين على الأقدام والنجائب)، فإن ما في هذه الفاتحة من أن الله تعالى أوجد نور نبيه محمد ﷺ من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين اللازب لا أصل له، وكذلك ما فيها من أسئلة وأجوبة بين من زعم صاحب تلك القصة أن الله عرض فخر نبيه عليه وبين الله سبحانه وتعالى لا يوجد في أي مرجع معتبر.

وقد أجاد السيد رشيد رضا حيث قال في جوابه عن سؤال وجه إليه من أحد أهالي جوهر نصه: أنكر أحد طلبة العلم - وهو رجل غريب - قراءة قصة المولد النبوي للديبعي - ولعله غير المحدث - بدعوى أن فيها كذباً وخرافات والقصة المذكورة مما يداوم على قراءتها للعوام عدد وافر من الذين تعتقد فيهم الولاية يقولون للعوام: إن روحانية المصطفى ﷺ تحضره من أوله إلى آخره، وتحضر في غيره عند القيام فقط فترى هجيرى أهل هذه البلاد قصة المولد المذكورة، فهي قد مرت على سمع الجم الغفير من العلماء، ولم ينكرها غير الرجل المذكور فهل هو مصيب أم لا؟ أفيدوا، الله يبقيكم للأمة.

قال في جوابه عن ذلك السؤال في الجزء الثاني من فتاويه (ص٤٦٤) ما نصه: الصواب ما قال ذلك الطالب الغريب، ولعله من الغرباء الذين ذكروا في حديث مسلم: «**بدأ الدين غريباً، وسيعود غريباً**

كما بدأ، فطوبى للغرباء» وقد قرأت طائفة من هذه القصة فإذا بصاحبها يقول في فاتحتها: (فسبحانه وتعالى من ملك أوجد نور نبيه محمد ﷺ من نوره قبل أن يخلق آدم من الطين اللازب وعرض فخره على الأشياء وقال: هذا سيد الأنبياء وأجل الأصفياء وأكرم الحبائب قيل: هو آدم؟ قال: آدم أنيله به أعلى المراتب) ثم ذكر إبراهيم وموسى وعيسى بمثل هذه الأسجاع الركيكة. فهذا كذب صريح على الله تعالى لم يروه المحدثون ا. هـ.

وقد جاء في آخر جواب على آخر سؤال من الأسئلة التي أشرنا إليها آنفاً إشارة إلى أحاديث بعضها غير ثابت وبعضها ثابت إلا أن العبارات التي وردت فيها تلك الإشارات جعلها صاحب تلك القصة من جواب الله تعالى عن سؤال الذي زعم أنه يسأله فلذلك لم ينجح الشيخ محمد بن علوي فيما اعتبره تخريجاً لتلك الأحاديث؛ لأن الوضع يجعل التخريج مستحيلاً.

الثاني من الأمرين: تسمية صاحب تلك القصة خبراً إسرائيلياً أورده عن كعب الأحبار حديثاً نبوياً فإنه قال: (أول ما نستفتح بإيراد حديثين وردا عن نبي كان قدره عظيماً ونسبه كريماً وصراطه مستقيماً قال في حقه من لم يزل سميعاً عليماً: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾[1].

ثم قال بعد ذكره ما اعتبره الحديث الأول قال: (الحديث الثاني عن عطاء بن يسار عن كعب الأحبار قال: علمني أبي التوراة إلا سفراً

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

واحداً كان يختمه ويدخله الصندوق، فلما مات أبي فتحته فإذا فيه: نبي يخـــــرج آخر الزمان، مولده بمكة، وهجرته بالمدينة وسلطانه بالشام، يقص شعره، ويتزر على وسطه، يكون خير الأنبياء، وأمته خير الأمم، يكبرون الله تعالى على كل شرف يصفون في الصلاة كصفوفهم في القتال، قلوبهم مصاحفهم، يحمدون الله تعالى على كل شدة ورخاء، ثلث يدخلون الجنة بغير حساب وثلث يأتون بذنوبهم وخطاياهم فيغفر لهم، وثلث يأتون بذنوب وخطايا عظام فيقول الله تعالى للملائكة: اذهبوا فزنوهم فيقولون: يا ربنا وجدناهم أسرفوا على أنفسهم ووجدنا أعمالهم من الذنوب كأمثال الجبال غير أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، فيقول الحق: وعزتي وجلالي لا جعلت من أخلص لي بالشهادة كمن كذب بي أدخلوهم الجنة برحمتي).

ومن الواضح أن هذا الخبر الذي استخرجه كعب الأحبار من صندوق أبيه لم يدع أنه عن نبينا محمد ﷺ، وإنما زعم أنه في التوراة، فلا وجه لدعوى صاحب تلك القصة أنه حديث عن نبينا ﷺ، وقد انتبه لذلك السيد رشيد رضا في جوابه عن سؤال وجه إليه عن تلك القصة ـ فذكر أن ذاك الخبر أثر عن كعب الأحبار سماه مؤلف القصة حديثاً لجهله، ذكر ذلك في الجزء الثاني من فتاويه (ص٤٦٥) من ضمن ما انتقده في تلك القصة.

ولا غرابة فيما وقع في هذه القصة: إن كان صاحبها الديبع ـ كما في الطبعة الأولى ـ فإنه مجهول وإن كان صاحبها هو عبدالرحمن بن الديبع الشيباني صاحب [تيسير الوصول] كما يدعي محمد بن علوي

فهو ـ وإن كان ذا صلة بالحديث ـ معروف بالتساهل في بعض ما يورده في مؤلفاته من الأحاديث.

فقد قال الشوكاني في [الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة] (ص٤٣٦) ما نصه: (قد توسع المؤرخون في ذكر الأحاديث الباطلة في فضائل البلدان، ولا سيما بلدانهم فإنهم يتساهلون في ذلك غاية التساهل ويذكرون الموضوع ولا ينبهون عليه، كما فعل ابن الديبع في تاريخه الذي سماه [قرة العيون بأخبار اليمن الميمون] وتاريخه الآخر الذي سماه [بغية المستفيد بأخبار مدينة زبيد] مع كونه من أهل الحديث وممن لا يخفى عليه بطلان ذلك، فليحذر المتدين من اعتقاد شيء منها أو روايته، فإن الكذب في هذا قد كثر وجاوز الحد وسببه ما جبلت عليه القلوب من حب الأوطان والشغف بالمنشأ).

وقال الصنعاني في [توضيح الأفكار] (ج١ ص٨٣، ٨٤) في بيان إساءته التصرف في نفس تيسير الوصول: (العجب من الشيخ محمد بن سليمان أنه ينسب التخريج لرزين في كتابه الذي سماه [جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد] فإنه قال في خطبته: إنه نقل ما بيض له ابن الأثير من روايات رزين التي لم ينسبها إلى كتاب فنسبها الشيخ لرزين، كما ينسب روايات البخاري وغيره فيقول مثلاً بعد سياق المتن: للبخاري ويقول بعد سياق المتن: لرزين، فيوهم في نسبته إليه على حد نسبته إلى البخاري مثلاً أنه أخرجه رزين وابن الأثير بيض له ولم ينسبه لرزين؛ لأنه لم يخرجه والحال أن رزيناً ليس من المخرجين للأحاديث على ما ذكره في خطبته وأن أحاديث رزين بيض لها ابن

الأثير فكان عليه أن يبيض لها كابن الأثير أو يتتبع مواضع ما يخرج منه فيخرجها فيأتي بفائدة يعتد بها. وذكرت هذا؛ لأنه يستبعد أن لا يطلع على رزين وقد كان في مكة وجمع من الكتب ما اشتهر عند أهل عصره أنه لم يجتمع عند أحد من أهل عصره مثله، ثم إن ابن الديبع اختصر من [جامع الأصول] كتابه المسمى [تيسير الوصول] فصنع صنع الشيخ محمد بن سليمان في نسبة ما بيض له ابن الأثير إلى تخريج رزين فيقول: أخرجه رزين، وهو خلل كبير وكان الأولى أن يبيض له، كما بيض له ابن الأثير وقد نبهت على هذا في [التحبير شرح التيسير] في محلات كثيرة والحمد لله) ا.هـ كلام الصنعاني.

وفيه مع ما قبله تساهل صاحب تيسير الوصول، لكن لا أظن أن التساهل يصل به إلى التلفيقات المحتوية عليها تلك القصة، والتوفيق بيد الله عزوجل.

ولاحتواء القصص التي تسمى الموالد على أحاديث غير صحيحة بين ابن الحاج في الجزء الثاني من [المدخل] (ص١٤، ١٥) في كلامه على المولد ـ بين أن علماء المالكية يمنعون الجلوس إلى القصاص ثم قال بعد ذلك: سبب المنع أنهم ينقلون القصة على ما نقل فيها من الأقوال والحكايات الضعيفة التي لا يصح أن تنسب إلى منصب من نسبت إليه، كما ذكر من مفاسد اجتماع النساء في زمانه في المولد أنهن لا يجتمعن للمولد إلا بحضور شيخة على عرفهن، قد تكون ـ وهو الغالب ـ ممن تدخل نفسها في التفسير لكتاب الله عزوجل، فتفسر وتحكي قصص الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وتزيد

وتنقص وربما وقعت في الكفر الصريح وهي لا تشعر بنفسها وليس ثم من يردها ويرشدها، قال: وقد بلغني أنه وقع ذلك منها في بيت شيخ من الشيوخ المعتبرين في الوقت ولا غير عليها أحد، بل أكرموها وأعطوها. ومر ابن الحاج إلى أن قال: (وكثير من الرجال من يطالع الكتب ويعرف الصحيح من السقيم قل أن يسلم من هذه المخاصمة فكيف بالمرأة التي هي معوجة أصلاً وفرعاً؟! ثم إنها مع اعوجاجها قليلة المطالعة، وإن طالعت فالغالب أنه يستوي عندها الصحيح والسقيم، والغالب في القصص والحكايات الضعف والكذب، فتنقله ـ إن كانت ثقة ـ على ما رأته فيقع الخطأ، فكيف بها إذا حرفته فزادت أو نقصت فيه فتضل وتضل فيدخلن النسوة في الغالب وهن مؤمنات فيخرجن وهن مفتتنات في الاعتقاد أو فروع الدين، نسأل الله السلامة بمنه) ا.هـ المراد من كلام ابن الحاج في القصاص.

يضاف إلى ذلك ما نقله الحافظ ابن حجر العسقلاني في الجزء الأول من [لسان الميزان] (ص١٣) عن ابن قتيبة ونصه: (قال ابن قتيبة في [اختلاف الحديث]: الحديث يدخله الشوب والفساد من وجوه ثلاثة: منها: الزنادقة، واحتيالهم للإسلام، وتهجينه بدس الأحاديث المستبشعة والمستحيلة. والقصاص فإنهم يميلون وجوه العوام إليهم ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغرائب والأكاذيب[1] من الأحاديث، ومن شأن العوام ملازمة القاص مادام يأتي بالعجائب الخارجة عن نظر العقول.

(١) لفظة (والأكاذيب) ساقطة من [لسان الميزان]، فأخذناها من [اختلاف الحديث].

الثاني
من الأضرار التي تقع في قصص المولد الشرك بالله تعالى

تقع في القصص التي تقرأ بمناسبة الاحتفال باليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى وغيرها من أنواع الكفر، ولذلك عاتب شيخ الإسلام الإمام محمد بن عبدالوهاب سليمان بن سحيم في بعض ردوده عليه على قراءة قصة المولد على المحتفلين به وعلى حضور احتفالاتهم وحذره من ذلك بقوله: (الناس يشهدون عليك أنك تروح للمولد وتقرؤه عليهم ـ أي على المحتفلين بالمولد ـ وتحضرهم وهم ينخون ويندبون مشايخهم ويطلبون منهم الغوث والمدد وتأكل اللقم من الطعام المعد فإذا كنت تقر أن هذا كفر فكيف تروح عليهم وتعاونهم عليه وتحضر كفرهم) ورد ذلك في [روضة الأفكار والأفهام] للعلامة ابن غنام (ج١ ص١٣).

ولوجود الاستغاثة بغير الله وغيرها من أنواع الكفر المترتبة على الإطراء في بعض أبيات البردة للبوصيري حذر الإمام عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب من قراءة ذلك النوع منها فقال في جوابه عن سؤال وجه إليه عن البردة وأمثالها في المديح قال: (المنكر من ذلك: ما فيه شرك كقول صاحب البردة:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به   سواك...........

فدعا غير الله ولاذ به من دون الله، والدعاء مخ العبادة، واللياذ نوع من أنواع العبادة كالعياذ. وقد جاء النبي ﷺ بتغيير ما كان عليه أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن إذا هبطوا وادياً يقولون: نعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾[1] أي: طغياناً، فشرع النبي ﷺ لأمته قصر الاستعاذة على الله وأسمائه وصفاته. فقال في حديث خولة بنت حكيم، وهو في الصحيح: «**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**».

وكذلك قول صاحب البردة:

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي ... فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

وقوله:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

فكل هذا شرك محرم بالكتاب والسنة فما كان من جنس ذلك وجب إنكاره والنهي عنه وتغييره بطمسه، وهذا يتبين بما تقدم من الآيات المحكمات في النهي عن دعوة غير الله والرغبة والتوكل عليه ورجائه)[2] ا.هـ المراد من كلام الإمام عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى.

---

(١) سورة الجن، الآية ٦.

(٢) [مجموعة الرسائل والمسائل النجدية] (ج٢) من مسائل الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ـ طبعة المنار.

وقد نقل الشيخ المحبي في كتابه [خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر] (ج٣ ص٢١٧)[1] عن الشيخ عمر بن عبدالوهاب العرضي الحلبي المولود سنة خمسين وتسعمائة المتوفى سنة أربع وعشرين وألف أنه استدل بقول البوصيري في بيته الأخير الذي ذكره الشيخ عبدالرحمن بن حسن.

ومن علومك علم اللوح والقلم

استدل به لدعوى الأستاذ البكري أن النبي ﷺ يعلم جميع علم الله تعالى ونصه: (ومن تعليقاته - أي العرضي - جوابه عن مقالة الأستاذ محمد البكري أن النبي ﷺ كان يعلم جميع علم الله تعالى، وقد سئل عنها في مجلس درس فأجاب: بأن مقالة الشيخ هذه صحيحة ولا إنكار عليه فيها إذ يجوز أن الله يهبه علمه ويطلعه عليه ولا يلزم من ذلك أن يدرك محمد ﷺ مقام الربوبية إذ العلم المذكور ثابت لله تعالى بذاته وللمصطفى ﷺ بتعليم الله تعالى إياه.

وإلى مثل ذلك أشار البوصيري بقوله:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

انتهى تعليق العرضي على مقالة البكري، وفيه تصريح بأن مراد البوصيري بقوله: (ومن علومك علم اللوح والقلم) هو ما فسره به الشيخ عبدالرحمن بن حسن ورد عليه بما لا يدع مجالاً للشك في أنه شرك محرم بالكتاب والسنة. جزى الله الإمام عبدالرحمن عن دين

---

(١) طبعة دار صادر - بيروت.

الإسلام خير الجزاء.

وقد ذكر ابن القيم في [المنار المنيف في الصحيح والضعيف] (ص٨٠) من الأمور الكلية التي يعرف بها كون الحديث موضوعاً مخالفة الحديث صريح القرآن كحديث مقدار الدنيا وأنها سبعة آلاف سنة وأطال في بيان وضع ذلك الحديث، ثم قال في (ص٨٢ ـ ٨٤) في الغلاة الذين يتعلقون بذلك الحديث الموضوع: (هؤلاء الغلاة عندهم أن علم رسول الله ﷺ منطبق على علم الله سواء بسواء(١) فكل ما يعلمه الله يعلمه رسول الله ﷺ والله تعالى يقول: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾(٢) وهذا في براءة وهو في أواخر براءة وهي من أواخر ما نزل من القرآن، هذا والمنافقون جيرانه في المدينة. ومن هذا حديث عقد عائشة رضي الله عنها لما أرسل في طلبه فأثاروا الجمل فوجدوه. ومن هذا حديث تلقيح النخل وقال: «ما أرى لو تركتموه يضره شيء» فتركوه فجاء شيصاً فقال: «أنتم أعلم بدنياكم» وقد قال الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ ﴾(٣)، وقال: ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾(٤)، ولما جرى لأم المؤمنين عائشة

---

(١) ذكر الشيخ ملا علي قاري في الفصل السادس عشر من موضوعاته الكبرى تعليقاً على هذا: (أن من اعتقد التسوية بين علم رسول الله ﷺ وبين علم الله عزوجل، كفر إجماعاً).

(٢) سورة التوبة، الآية ١٠١.

(٣) سورة الأنعام، الآية ٥٠.

(٤) سورة الأعراف، الآية ١٨٨.

ما جرى ورماها أهل الإفك بما رموها به لم يكن ﷺ يعلم حقيقة الأمر حتى جاءه الوحي من الله ببراءتها. وعند هؤلاء الغلاة أنه عليه الصلاة والسلام كان يعلم الحال على حقيقته بلا ريبة، واستشار الناس في فراقها، ودعا الجارية فسألها وهو يعلم الحال، وقال لها: «**إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله**» وهو يعلم علماً يقيناً أنها لم تلم بذنب، ولا ريب أن الحامل لهؤلاء على هذا الغلو إنما هو اعتقاد أنه يكفر عنهم سيئاتهم ويدخلهم الجنة، وكلما غلوا وزادوا غلواً فيه كانوا أقرب إليه وأخص به، فهم أعصى الناس لأمره وأشدهم مخالفة لسنته، وهؤلاء فيهم شبه ظاهر من النصارى الذين غلوا في المسيح أعظم الغلو، وخالفوا شرعه ودينه أعظم المخالفة. والمقصود: أن هؤلاء يصدقون بالأحاديث المكذوبة الصريحة ويحرفون الأحاديث الصحيحة عن مواضعها لترويج معتقداتهم. ا.هـ.

ومن نظر في قول صاحب البردة في بردته:

لو ناسبت قدره آياتــــه عظمـــاً   أحيا اسمه حين يدعى دارس الرمم

لا يستغرب أي شيء وقع فيه من الإطراء، فإنه قد صرح في هذا البيت بأنه لا يعتبر القرآن العظيم مناسباً لقدر النبي ﷺ، وقد اعترف بدلالة هذا البيت على ذلك المعنى الفاسد البوصيريون، وحاولوا الإجابة عن ذلك إلا أنهم لم يوفقوا.

فقد جاء في كتاب [غرائب الاغتراب]: (أن مما جرى البحث عنه بيت البوصيري هذا) قال: (وهو أمر مشكل وأمر معضل، فإن مقتضى (لو) وكون القرآن داخلاً في آياته ﷺ أن لا يكون القرآن العظيم

مناسباً قدره ـ عليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم ـ وذلك مما لا يكاد يقال؛ لما أن القرآن كلام الملك المتعال). ثم أتى صاحب ذلك الكتاب بأجوبة غير مقنعة.

وجاء في شرح الزرقاني لـ [المواهب اللدنية] (ج٥ ص١٨٢): أن معنى هذا البيت:

لـو نـاسبـت قـدره آيـاتـه عظمـاً   أحيي اسمه حين يدعى دارسَ الرمم

أنه لا يعد شيء من معجزاته ـ أي النبي ﷺ ـ عظيماً بالنسبة إليه إلا أن يكون كل أحد لو دعا باسمه وتوسل في إحياء الموتى وقع له ذلك، ثم قال الزرقاني: (واستشكل بأن منها ـ أي معجزات النبي ﷺ ـ القرآن، فكيف لا يكون فيها ما يناسب قدره شرفاً؟!) وحاول الزرقاني الإجابة عن ذلك إلا أنه لم يوفق، كما لم يوفق غيره.

وذكر الشيخ محمد عليش المالكي في [فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك] (ج١ ص١٠): أن من المتكلمين في مسألة المفاضلة بين النبي ﷺ وبين القرآن من فضل النبي ﷺ على القرآن العزيز تمسكاً بهذا البيت:

لـو نـاسبـت قـدره آيـاتـه عظمـاً   أحيى اسمه حين يدعى دارس الرمم

وقال محمد عليش: قال الجلال المحلي ما حاصله: إن آيات النبي ﷺ دون مقامه في العظم وإن كان منها القرآن، وقد قال فيه المصنف ـ يعني صاحب البردة ـ:

آيات حق من الرحمن محدثة

وقال في حق النبي ﷺ:

وأنه خير خلق الله كلهم

ذكر الشيخ محمد عليش جميع هذا، وزاد الطين بلة حيث لم يتعرض لقول صاحب البردة بأن القرآن لا يناسب قدر النبي ﷺ ولا لقوله بأن القرآن مخلوق، لم يتعرض لأي شيء من ذلك بالرد، بل اكتفى بنقله عن شيخ شيوخه أنه قال: (والأسلم الوقف عن مثل هذا الذي لم ينقل عن السلف الخوض فيه فإنه لا يضر خلو الذهن عنه بخصوصه)، والواجب عليه الرد على دعوى صاحب البردة: أن القرآن لا يناسب قدر النبي ﷺ، وعلى قوله بأن القرآن مخلوق، ولكن التوفيق بيد الله عز وجل.

ورغم هذا كله بلغ غلو صاحب البردة فيها إلى ما ذكره صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي في الجزء الثالث من [الوافي بالوفيات] (ص١١٢، ١١٣)، ونصه: قال البوصيري: كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله ﷺ منها ما كان اقترحه عليَّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أنه أصابني فالج أبطل نصفي ففكرت في عمل قصيدتي هذه البردة فعملتها، واستشفعت به إلى الله عز وجل في أن يعافيني وكررت إنشادها، وبكيت ودعوت وتوسلت به، ونمت فرأيت النبي ﷺ فمسح على وجهي بيده الكريمة، وألقى عليَّ بردة فانتبهت، ووجدت فيَّ نهضة فخرجت من بيتي ولم أكن أعلمت بذلك أحداً، فلقيني بعض الفقراء فقال: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله ﷺ، فقلت: أيها؟ فقال: التي أنشدتها في مرضك وذكر أولها، وقال: والله لقد سمعنا البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله ﷺ، ورأيته ﷺ يتمايل، وأعجبته وألقى على

من أنشدها بردة، فأعطيته إياها، وذكر الفقير ذلك فشاع المنام إلى أن اتصل بالصاحب بهاء الدين وزير الظاهر فبعث إلي واستنسخها، ونذر أن لا يسمعها إلا قائماً حافياً مكشوف الرأس، وكان يحب سماعها هو وأهل بيته، ثم إنه بعد ذلك أدرك سعد الدين الفارقي الموقع رمد أشرف منه على العمى، فرأى في المنام قائلاً يقول له: اذهب إلى الصاحب وخذ البردة واجعلها على عينيك تعافى بإذن الله تعالى، فأتى الصاحب وذكر منامه فقال: ما أعرف عندي من أثر النبي ﷺ بردة، ثم فكر ساعة وقال: لعل المراد قصيدة البردة، يا ياقوت، قل للخادم: يفتح صندوق الآثار ويخرج القصيدة من حق العنبر، ويأت بها، فأتى بها فأخذها سعد الدين ووضعها على عينيه فعوفيتا ومن ثم سميت البردة) ا. هـ.

ومن أشنع الإطراء قول المناوي في شعر بدأ به مولده:

لولاه[1] ما كان ملك الله منتظماً	**دنيا وأخرى به كل قد افتتحت**
قد كان نوراً ولا لوح ولا قلم	**ولا سماء به إلا وقد رفعت**
ولا جنان ولا نار الجحيم ولا	**عرش وفرش ولا حجب قد انتصبت**
ولا نجوم ولا شمس ولا قمر	**ولا سحاب ولا أرض قد انبسطت**
ولا جبال ولا وبر ولا شجر	**ولا رياح جرت في سهلها وسرت**
ولا دواب ولا إنس ولا ملك	**ولا وحوش سعت في وعرها ودبت**
فالكل من نوره الرحمن أوجده	**لولاه ما كانت الآفاق قد نظمت**

وبما ذكرناه من وجود الاستغاثة بغير الله تعالى فيما لا يقدر عليه

(١) أي: نبينا محمد ﷺ.

إلا الله، وأنـــواع خطيـــرة مـــن الإطـــراء في الأشعار التي يستعملها المتأخرون في الاحتفال بالمولد وغيره يتبين أن ما أشار إليه محمد بن علوي المالكي (ص١٠) من قياس ما كان من هذا القبيل من الشعر على أشعار الصحابة باطل.

وقد أجاد الشاطبي في الجزء الأول من [الاعتصام] (ص٢١٨ ـ ٢٢١) حيث قال ما مختصره: (جائز للإنسان أن ينشد الشعر الذي لا رفث فيه ولا ذكر لمعصية، وأن يسمعه من غيره إذا أنشد على الحد الذي كان ينشد بين يدي رسول الله ﷺ، أو عمل به الصحابة والتابعون ومن يقتدى به من العلماء، وذلك أنه كان ينشد ويسمع لفوائد منها: المنافحة عن رسول الله ﷺ وعن الإسلام وأهله؛ ولذلك كان حسان بن ثابت رضي الله عنه قد نصب له منبر في المسجد ينشد عليه إذا وفدت الوفود حتى يقولوا خطيبه أخطب من خطيبنا وشاعره أشعر من شاعرنا، ويقول له ﷺ: «**اهجهم وجبريل معك**»، وهذا من باب الجهاد في سبيل الله.

ومنها: أنهم كانوا يتعرضون لحاجاتهم ويستشفعون بتقديم الأبيات بين يدي طلباتهم، كما فعل ابن زهير رضي الله عنه وأخت النضر بن الحارث مثل ما يفعل الشعراء مع الكبراء، هذا لا حرج فيه ما لم يكن في الشعر ذكر ما لا يجوز.

ومنها: أنهم ربما أنشدوا الشعر في الأسفار الجهادية تنشيطاً لكلال النفوس وتنبيهاً للرواحل أن تنهض في أثقالها، وهذا حسن لكن العرب لم يكن لها من تحسين النغمات ما يجري مجرى ما الناس عليه اليـــوم، بـــل كانـــوا ينشدون الشعر مطلقاً من غير أن يتعلموا هذه

الترجيعات التي حدثت بعدهم، بل كانوا يرققون الصوت ويمططونه على وجه يليق بأمية العرب الذين لم يعرفوا صنائع الموسيقى، فلم يكن فيه إلذاذ ولا إطراب يلهي، وربما كان لهم شيء من النشاط، كما كان عبدالله بن رواحة يحدو بين يدي رسول الله ﷺ، وكما كان الأنصار يقولون عند حفر الخندق:

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيينا أبداً

فيجيبهم ﷺ بقوله:

اللهم لا خير إلا خير الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة

ومنها: أن يتمثل الرجل بالبيت أو الأبيات من الحكمة في نفسه أو يحركها لمقتضى معنى الشعر أو يذكرها ذكراً مطلقاً.

ثم نقل الشاطبي عن أبي الحسن القرافي أنه قال: (إن الماضين من الصدر الأول حجة على من بعدهم ولم يكونوا يلحنون الأشعار ولا ينغمونها بأحسن ما يكون من النغم إلا من وجه إرسال الشعر واتصال القوافي، فإن كان صوت أحدهم أشجن من صاحبه كان ذلك مردوداً إلى أصل الخلقة لا يتصنعون ولا يتكلفون.

قال الشاطبي: (فلذلك نص العلماء على كراهية ذلك المحدث، وحتى سئل مالك بن أنس رضي الله عنه عن الغناء الذي يستعمله أهل المدينة، فقال: إنما يفعله الفساق) ا.هـ باختصار.

الثالث
مما يقع من الأضرار في تلك القصص: القيام عند ذكر ولادته ﷺ وخروجه إلى الدنيا

حثت القصص التي تقرأ بمناسبة الاحتفال باليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي على القيام عند ذكر ولادة النبي ﷺ وخروجه إلى الدنيا، ومما جاء فيها من ذلك ما يلي:

١ ـ قال البرزنجي في مولده (ص١٣)[١]: قد استحسن القيام عند ذكر مولده الشريف أئمة ذوو رواية وروية، فطوبى لمن كان تعظيمه ﷺ غاية مرامه ومرماه.

وورد في نظم مولد البرزنجي (ص١٢٧):

وقد سن أهل العلم والفضل والتقى ... قياماً على الأقدام مع حسن إمعان
بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر ... بأي مقام فيه يذكر بل دان
فطوبى لمن تعظيمه جل قصده ... ويا فوزه يحظى بعفو وغفران

٢ ـ قال الشيخ محمد بن محمد العزب في مولده (ص٦٧):

ولذكر مولده يسن قيامنا ... أدباً لدى أهل العلوم تأكدا

وقد ذكر في توجيه ذلك القيام ثلاثة أشياء:

---

(١) ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، وهو ضمن مجموعة تحتوي عليه وعلى [مولد الديبع] و[مولد العزب].

أحدها: أنه للترحيب بالنبي ﷺ الذي يعتقد أولئك القائمون أنه يحضر بجسده الشريف مجلس الاحتفال بذلك اليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي، وقد يوضع له البخور والطيب في ذلك المجلس على أساس أنه يتطيب ويتبخر، كما يوضع له الماء على أساس أنه يشرب منه، ذكر ذلك الشيخ محمد بن علوي المالكي في رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص٢٤) لكنه لم يرتضه، بل اعتبر دعوى حضور النبي ﷺ بجسده ذلك المجلس من الجرأة على مقام رسول الله ﷺ وشدد النكير على من قال ذلك، وليته اقتصر على ذلك ولم يخض في باطل آخر يستحق أن يقابله بمثل ما قابل به ذلك وهو دعوى أن روح النبي ﷺ هي التي تحضر.

الثاني: أن القيام الذي يقع عند ذكر وضعه ﷺ وخروجه إلى الدنيا كان لحضور روح النبي ﷺ في تلك اللحظة، وهذا هو الذي اختاره الشيخ محمد بن علوي المالكي في رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] بعد جزمه بأن القول بأن النبي ﷺ يحضر المولد بجسده الشريف باطل، فقد قال (ص٢٥): إننا نعتقد أنه ﷺ حي حياة برزخية كاملة لائقة بمقامه، وأن روحه جوالة سياحة في ملكوت الله سبحانه وتعالى، ويمكن أن تحضر مجالس الخير ومشاهد النور والعلم، وكذلك أرواح خلص المؤمنين من أتباعه، وقد قال مالك: بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت، وقال سلمان الفارسي: أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، كذا في [الروح] لابن القيم (ص١٤٤). وأضاف الشيخ محمد بن علوي إلى

ذلك تأييد حضور روح المصطفى ﷺ قال (ص٣١) ما نصه: (إنه عليه الصلاة والسلام متخلق بأخلاق ربه، وقد قال عليه الصلاة والسلام في الحديث القدسي: (أنا جليس من ذكرني)[1]، وفي رواية: (أنا مع من ذكرني) فكان مقتضى تأسيه بربه وتخلقه بأخلاقه أن يكون ﷺ، حاضراً مع ذاكره في كل مقام يذكر فيه بروحه الشريفة.

الثالث: أن ذلك القيام لتشخيص ذات النبي ﷺ جاء ذلك في نظم مولد البرزنجي ونصه:

وقد سن أهل العلم والفضل والتقى قياماً على الأقدام مع حسن إنعام
بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر بأي مقام فيه يذكر بل دان

---

(١) لفظ (أنا جليس من ذكرني) ورد في خبر رواه ابن أبي شيبة في كتاب الزهد من مصنفه (ج١٣ ص٢١٢) قال: حدثنا وكيع قال: حدثنا سفيان عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي عن أبيه عن كعب قال: قال موسى: أي رب، أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ قال: يا موسى، أنا جليس من ذكرني، قال: يارب، فإنا نكون من الحال على حال نعظمك أو نجلك أن نذكرك عليها قال: وما هي؟ قال: الجنابة والغائط، قال: ياموسى، أذكرني على كل حال) ورواه الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد (ص٦٨) رواية ابنه عبدالله عنه قال عبدالله: حدثنا أبي، حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب قال: قال موسى ﷺ: (يا رب، أقريب أنت فأناجيك أو بعيد فأناديك؟ قال يا موسى: أنا جليس من ذكرني قال: يارب، فإنا نكون من الحال على حال نجلك ونعظمك أن نذكرك قال: وما هي؟ قال: الجنابة والغائط، قال ياموسى، اذكرني على كل حال) ومن طريق الإمام أحمد رواه أبونعيم كما ذكره القرطبي في [الجامع لأحكام القرآن] في تفسير قول الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١] قال القرطبي: (ذكر أبونعيم قال: حدثنا أبوبكر بن مالك، حدثنا عبدالله ابن أحمد بن حنبل قال: حدثني أبي قال: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان عن عطاء بن أبي مروان عن أبيه عن كعب الأحبار قال: قال موسى عليه السلام: يا رب) فذكره.

وفي تفسير ذلك التشخيص يقول الشيخ محمد بن علوي المالكي في رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] يقول (ص٢٨) ما نصه: (أي: إن هذا القيام لتصور شخص النبي ﷺ في الذهن) قال: (فالناس يقومون احتراماً وتقديراً لهذا التصور الواقع في نفوسهم عن شخصية ذلك الرسول العظيم مستشعرين جلال الموقف وعظمة المقام) ثم قال بعد ذلك في القيام على أساس ذلك التشخيص ما نصه: (هو أمر عادي، كما تقدم ولذلك فإن من لم يقم لا شيء عليه ولا يكون آثماً شرعاً نعم قد يفسر موقفه ذلك بسوء الأدب أو قلة الذوق أو جمود الإحساس، كما يوصف بذلك كل إنسان يترك أمراً من الأمور العادية التي اصطلح عليها الناس وجرى بها عرفهم) يشير بقوله: (كما تقدم) إلى قوله قبل ذلك في (ص٢٦، ٢٧) ما نصه (اعلم أن القيام في المولد النبوي ليس هو بواجب ولا سنة ولا يصح اعتقاد ذلك أبداً وإنما هي حركة يعبر بها الناس عن فرحهم وسرورهم فإذا ذكر أنه ﷺ ولد وخرج إلى الدنيا يتصور السامع في تلك اللحظة أن الكون كله يرقص فرحاً وسروراً بهذه النعمة فيقوم مظهراً لذلك الفرح والسرور معبراً فهي مسألة عادية محضة لا دينية، إنها ليست عبادة ولا شريعة ولا سنة وما هي إلا أن جرت عادة الناس بها واستحسن ذلك من استحسنه من أهل العلم وقد أشار إلى ذلك البرزنجي مؤلف أحد الموالد النبوية بنفسه إذ قال بالنص: (وقد استحسن القيام عند ذكر مولده الشريف أئمة ذوو رواية وروية فطوبى لمن كان تعظيمه ﷺ غاية مرامه ومرماه، ويقول في المنظوم:

وقد سن أهل العلم والفضل والتقى قياماً على الأقدام مع حسن إمعان
بتشخيص ذات المصطفى وهو حاضر بأي مقام فيه يذكر بل دان

فأنت تراه يقول: وقد سن أهل العلم ولم يقل سن النبي ﷺ أو الخلفاء الراشدون ولم يقل (سنة مطلقة)، بل قال: وقد سن أهل العلم).

الرابع: أن ذلك القيام الذي جرت به عادة كثير من الناس إذا سمعوا بذكر وضعه ﷺ في تلك القصص التي تسمى الموالد هو لتعظيم النبي ﷺ ذكر ذلك بعض الموجهين لذلك القيام من دون بيان وقد وصل الأمر ببعض القائلين بهذا إلى تكفير تارك القيام، كما بينه الشيخ محمد علي بن حسين المالكي في [تهذيب الفروق والقواعد السنية في الأسرار الفقهية] (ج٤ ص٢٧٧) حيث ذكر أن المولى أبا السعود قال: إنه ـ أي: القيام عند ذكر مولد النبي ﷺ في تلك القصص ـ قد اشتهر في تعظيمه ﷺ واعتيد في ذلك فعدم فعله يوجب عدم الاكتراث بالنبي ﷺ وامتهانه فيكون كفراً مخالفاً لوجوب تعظيمه ﷺ. ولم يتعقب الشيخ محمد علي المالكي ذلك إلا بقوله: (أي: إن لاحظ من لم يفعله تحقيره ﷺ بذلك وإلا فهو معصية) ا.هـ.

ومن الواضح أن تعظيم النبي ﷺ إنما يكون بما شرع تعظيمه به وهذا القيام غير مشروع.

الخامس: أن ذلك القيام مقيس على القيام الذي وقع من الشيخ علي بن عبد الكافي السبكي حينما سمع قول الصرصري في قصيدته التي أولها:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب.

قوله:

وأن ينهض الأشراف عند سماعه.

وقد ذكر قصته ابنه التاج أبونصر عبدالوهاب في ترجمة والده من كتابه [طبقات الشافعية الكبرى] (ج٦ ص١٧٤) طبعة دار المعرفة ببيروت قال: (حضر ـ أي والده ـ مرة ختمة بالجامع الأموي وحضرت القضاة وأعيان البلد بين يديه وهو جالس في محراب الصحابة فأنشد المنشد قصيدة الصرصري التي أولها:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب.

فلما قال:

وأن ينهض الأشراف عند سماعه.... البيت

حصلت للشيخ حالة وقام واقفاً للحال فاحتاج الناس كلهم أن يقوموا فقاموا أجمعون) وممن ذكر هذا التوجيه الشيخ أحمد زيني دحلان في سيرته [السيرة النبوية والآثار المحمدية] (ج١ ص٤٥)[(١)] يقول في ذلك القيام الذي اعتاده الذين يحتفلون بالمولد حينما يسمعون في قصص المولد ذكر وضعه ﷺ: (قد حكى بعضهم ـ أي بعض من يقتدى بهم من أهل العلم ـ أن الإمام السبكي اجتمع عنده كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري في مدحه ﷺ:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب ... على ورق من خط أحسن من كتب

وأن تنهض الأشراف عند سماعه ... قياماً صفوفاً أو جثياً على الركب

---

(١) بهامش [إنسان العيون في سيرة الأمين والمأمون] المعروف بـ [السيرة الحلبية] ط مطبعة مصطفى محمد صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

فعند ذلك قام الإمام السبكي وجميع من في المجلس فحصل أنس كبير في ذلك المجلس وعمل المولد واجتماع الناس له كذلك مستحسن، وسبقه إلى ذكره الشيخ علي بن برهان الحلبي في سيرته المعروفة بـ [السيرة الحلبية]، قال فيها (ج١ ص١٠٠) ما نصه: (وقد وجد القيام عند ذكر اسمه ﷺ من عالم الأمة ومقتدي الأئمة ديناً وورعاً الإمام تقي الدين السبكي اجتمع عنده جمع كثير من علماء عصره فأنشد منشد قول الصرصري في مدحه ﷺ:

قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب ... على ورق من خط أحسن من كتب
وأن تنهض الأشراف عند سماعه ... قياماً صفوفاً أو جثياً على الركب

فعند ذلك قام الإمام السبكي رحمه الله وجميع من في المجلس فحصل أنس كبير بذلك المجلس ويكفي مثل ذلك في الاقتداء.

هذه المسالك التي ذكرها أولئك في توجيه ذلك القيام بعد استعراضها نجيب عن كل مسلك منها فنقول وبالله التوفيق:

أما دعوى حضور النبي ﷺ الاحتفال بالمولد بجسده الشريف فأساسها دعوى خاطئة لجماعة من المتصوفة تعلقوا بما رواه البخاري في (باب من رأى النبي ﷺ في المنام) قال: (وحدثنا عبدان قال: أخبرنا عبدالله عن يونس عن الزهري، حدثني أبوسلمة أن أباهريرة قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ولا يتمثل الشيطان بي**» فزعموا أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك وقد تحمس لهذه الدعوى ابن أبي

جمرة، وابن الحاج، والسيوطي، والشيخ محمد عليش واستنكرها المحققون من أهل العلم الذين نذكرهم وعباراتهم فيما يلي:

١ ـ القاضي أبوبكر بن العربي قال: (شذ بعض الصالحين فزعم أنها ـ أي رؤية النبي ﷺ بعد موته ـ تقع بعيني الرأس حقيقة نقل ذلك عنه الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني في [فتح الباري] (ج١٢ ص٣٨٤).

٢ ـ القرطبي شارح [صحيح مسلم][1] ذكر في ذلك الشرح قول الذين حملوا حديث «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**» على أن من رأى النبي ﷺ بعد موته في النوم يراه بعد ذلك في اليقظة ثم تعقب القرطبي ذلك بقوله: وهذا يدرك فساده بأوائل العقول ويلزم عليه أن لا يراه أحد إلا على صورته التي مات عليها وأن يراه رائيان في آن واحد في مكانين وأن يحيا الآن ويخرج من قبره ويمشي في الأسواق ويخاطب الناس ويخاطبوه ويلزم من ذلك أن يخلو قبره من جسده ولا يبقى من قبره فيه شيء فيزار مجرد القبر ويسلم على غائب؛ لأنه جائز أن يرى في الليل والنهار مع اتصال الأوقات على حقيقته في غير قبره. وهذه جهالات لا يلتزم بها من له أدنى مسكة من عقل) وإلى كلام القرطبي هذا أشار الحافظ العسقلاني في [فتح الباري] بذكره اشتداد إنكار القرطبي على من قال: (من رآه في المنام فقد رأى حقيقته ثم يراها كذلك في اليقظة).

---

(١) هو أبوالعباس أحمد بن عمر القرطبي أحد مشايخ أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي مؤلف [الجامع لأحكام القرآن] واسم شرحه لمسلم [المفهم].

٣ ـ شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية قال في [رسالة العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية[١]] (ص٩٣، ٩٤): (الشيطان كثيراً ما يتصور بصورة الإنس في اليقظة والمنام وقد يأتي لمن لا يعرف فيقول: أنا الشيخ فلان أو العالم فلان وربما قال: أنا أبوبكر وعمر وربما قال: أنا المسيح أنا موسى أنا محمد. وقد جرى مثل ذلك أنواع أعرفها وثم من يصدق بأن الأنبياء يأتون في اليقظة في صورهم وثم شيوخ لهم زهد وعلم ودين يصدقون بمثل هذا. ومن هؤلاء من يظن أنه حين يأتي إلى قبر نبي أن النبي يخرج من قبره في صورته فيكلمه، ومن هؤلاء من رأى في دائرة الكعبة صورة شيخ قال: إنه إبراهيم الخليل، ومنهم من يظن أن النبي ﷺ خرج من الحجرة وكلمه وجعلوا هذا من كراماته، ومنهم من يعتقد أنه إذا سأل المقبور أجابه. وبعضهم كان يحكي أن ابن منده كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ودخل فسأل النبي ﷺ عن ذلك فأجابه ـ وآخر من أهل المغرب حصل له مثل ذلك وجعل ذلك من كراماته حتى قال ابن عبدالبر لمن ظن ذلك: ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فهل في هؤلاء من سأل النبي ﷺ بعد الموت وأجابه؟ وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألوا النبي ﷺ فأجابهم، وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثها فهلا سألته فأجابها).

قلت: حكاية ابن منده التي أشار إليها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الكلام ذكرها الحافظ الذهبي في الجزء السابع عشر

---

(١) ضمن المجموعة التي أولها الرسالة العرشية.

من [سير أعلام النبلاء] (ص٣٧، ٣٨) وأعلها ونصه: (قال الحسين بن عبدالملك: حكي لي عن أبي جعفر الهمذاني رئيس حجاج خراسان قال: سمعت بعض خدم تربة رسول الله ﷺ ـ وكان من أبناء مائة وعشرين سنة قال: رأيت يوماً رجلاً عليه ثياب بيض دخل الحرم وقت الظهر فانشق حائط التربة فدخل فيها وبيده محبرة وكاغد وقلم فمكث ما شاء الله ثم انشق فخرج، فأخذت بذيله فقلت: بحق معبودك من أنت؟ قال: أنا أبوعبدالله ابن منده، أشكل عليَّ حديث فجئت فسألت رسول الله ﷺ فأجابني وأرجع) هكذا ساق الذهبي هذه الحكاية في ترجمة أبي عبدالله محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبدالله محمد بن يحيى بن منده وقال فيها: (هذه حكاية نكتبها للتعجب!!)، وقال في إسنادها: (إسنادها منقطع) ا.هـ وإلى هذه الحكاية أشار شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته في العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية ـ بقوله في رده على من يدعي أن من الصالحين من إذا سأل المقبور أجابه: (وبعضهم يحكي أن ابن منده كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ودخل فسأل النبي ﷺ عن ذلك فأجابه) وذكر شيخ الإسلام أن رجلاً آخر من أهل المغرب حكى عنه أنه حصل له مثل ذلك، وأن الإمام ابن عبدالبر رد على من ظن ذلك بقوله: (ويحك أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار فهل في هؤلاء من سأل النبي ﷺ بعد الموت فأجابه. وقد تنازع الصحابة في أشياء فهلا سألوا النبي ﷺ فأجابهم وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثها فهل سألته فأجابها) ا.هـ.

وقال في [الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان]

(ص١٧٤، ١٧٥) في الذين تقع لهم الأحوال الشيطانية من المتصوفة: (ومنهم: من يرى أشخاصاً في اليقظة يدعي أحدهم أنه نبي أو صديق أو شيخ من الصالحين وقد جرى هذا لغير واحد. وهؤلاء منهم من يرى ذلك عند قبر الذي يزوره، فيـــرى القبر قد انشق وخرج إليه صورة فيعتقدها الميت وإنما هو جني تصور بتلك الصورة. ومنهم: من يرى فارساً قد خرج من عند قبره أو دخل في قبره ويكون ذلك شيطاناً. وكل من قال: إنه رأى نبياً بعد وفاته بعين رأسه فما رأى إلا خيالاً).

وقال في [قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة] (ص٢٩) بعد أن ذكر رؤيا النبي ﷺ في المنام ما نصه: (وأما في اليقظة فلا يراه أحد بعينه في الدنيا فمن ظن أن المرئي هو الميت فإنما أتي من جهله ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وبعض من رأى هذا أو صدق من قال: إنه رآه اعتقد أن الشخص الواحد يكون بمكانين في حالة واحدة فخالف صريح المعقول).

٤ ـ الحافظ الذهبي قال في ترجمة الربيع بن محمود المارديني من كتابه الشهير [ميزان الاعتدال في نقد الرجال] مانصه: (دجال مفتر ادعى الصحبة والتعمير في سنة تسع وتسعين وخمسمائة وكان قد سمع من ابن عساكر عام بضع وستين).

يعني الحافظ الذهبي بالصحبة التي ادعاها الربيع بن محمود المارديني ما جاء عنه أنه رأى النبي ﷺ في النوم وهو بالمدينة الشريفة فقال له: أفلحت دنيا وأخرى فادعى بعد أن استيقظ أنه سمعه وهو يقول ذلك: (ذكر ذلك الحافظ العسقلاني في [الإصابة في تمييز الصحابة] (ج١ ص٥١٣) ثم قال الحافظ العسقلاني: قرأت بخط

العلامة تقي الدين بن دقيق العيد أن الكمال بن العديم ـ كتب إليهم أن عمه محمد بن هبة الله بن أبي جرادة أخبره قال: قال لي الشيخ ربيع بن محمود: كنت بمسجد النبي ﷺ فأتيته أستشيره في شيء، فنمت فرأيته فقال لي: أفلحت دنيا وأخـــرى، ثم انتبهت فسمعته يقول لي وأنا مستيقظ وذكر الحكاية بطولها وذكر أشياء من هذا الجنس).

٥ ـ الحافظ الإمام عماد الدين بن كثير ذكر في ترجمة أحمد بن محمد بن محمد أبي الفتح الطوسي الغزالي من [البداية والنهاية] (ج١٢ ص١٩٦) أن ابن الجوزي أورد أشياء منكرة من كلامه. منها: أنه ـ أي أبا الفتح الطوسي ـ كان كلما أشكل عليه شيء رأى رسول الله ﷺ في اليقظة فسأله عن ذلك فدله على الصواب. وأقر ابن كثير ابن الجوزي على عد هذا من منكرات أبي الفتح الطوسي وفي كتاب [القصاص والمذكرين]لأبي الفرج بن الجوزي (ص١٥٦) طبعة دار أمية للنشر والتوزيع مانصه: (أنبأنا محمد بن ناصر عن محمد بن طاهر المقدسي قال: كان أحمد الغزالي آية من آيات الله في الكذب يتوصل إلى الدنيا بالوعظ سمعته يوماً بهمذان يقول: رأيت إبليس في وسط هذا الرباط سجد لي، فقلت: ويحك إن الله تعالى أمره بالسجود لآدم فأبى فقال: والله لقد سجد لي أكثر من سبعين مرة فعلمت أنه لا يرجع إلى دين ومعتقد وكان يزعم أنه يرى رسول الله ﷺ في يقظته لا في نومه وكان يذكر في وعظه أنه كلما أشكل عليه أمر رأى رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك المشكل، قال: وسمعته يوماً يحكي حكاية عن بعض المشايخ فلما نزل سألته عنها فقال: أنا وضعتها في الوقت. وله من هذه الجهالات والحماقات ما لا يحصى).

٦ ـ الحافظ العسقلاني ذكر في [فتح الباري] (ج١٢ ص٣٨٥) أن ابن أبي جمرة نقل عن جماعة من المتصوفة أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا منها متخوفين فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك، ثم تعقب الحافظ ذلك بقوله: (قلت: وهذا مشكل جداً ولو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة ويعكر عليه أن جمعاً جماً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف).

٧ ـ السخاوي قال في رؤية النبي ﷺ في اليقظة بعد موته عليه الصلاة والسلام قال: (لم يصل إلينا ذلك ـ أي ادعاء وقوعها ـ عن أحد من الصحابة ولا عمن بعدهم وقد اشتد حزن فاطمة عليه ﷺ حتى ماتت كمداً بعده بستة أشهر على الصحيح وبيتها مجاور لضريحه الشريف ولم تنقل عنها رؤيته في المدة التي تأخرتهاعنه)، وذكر الحافظ السخاوي أن دعوى ذلك إنما تنقل عن المتصوفة وأن من مصنفاتهم المحتوية على عباراتهم في ذلك [توثيق عرى الإسلام]، للبازري، و[بهجة النفوس] لأبي محمد عبدالله بن أبي جمرة و[روض الرياحين] لليافعي ورسالة الشيخ صفي الدين بن أبي المنصور نقل ذلك القسطلاني في [المواهب اللدنية] (ج٥ ص٢٩٥) عن السخاوي.

٨ ـ البـــــدر بن حسن الأهدل ذكر في مسألة الرؤية له أن من تواترت الأخبار عنهم من المتصوفة بدعوى رؤية النبي ﷺ بعد موته في اليقظة إنما يقع لهم ذلك في بعض غيبة حس وغموض طرف؛ لورود حال لا تكاد تضبطها العبارة، وأن رواة تلك الأخبار عن المتصوفة يغلطون

فيها كثيراً. وقال: (قلما تجد رواية متصلة صحيحة عمن يوثق به وأما من لا يوثق به فقد يكذب وقد يرى مناماً أو في غيبة حس فيظنه يقظة وقد يرى خيالاً أو نوراً فيظنه الرسول، وقد يلبس عليه الشيطان فيجب التحرز في هذا الباب). وجزم البدر بن حسن الأهدل بأن القول برؤيته ﷺ بعد موته بعين الرأس في اليقظة يدرك فساده بأوائل العقول لاستلزامه خروجه من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده الشريف فلا يبقى منه فيه شيء بحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب) ذكر ذلك كله القسطلاني في [المواهب اللدنية] (ج٥ ص٢٩٨، ٢٩٩) عن البدر بن حسن الأهدل وقد استحسن الملا علي قاري في [جمع الوسائل شرح الشمائل] للترمذي (ج٢ ص٢٣٨) كلامه ثم قال: (إنه ـ أي ما ادعاه المتصوفة من رؤية النبي ﷺ في اليقظة بعد موته ـ لو كان له حقيقة لكان يجب العمل بما سمعوه منه ﷺ من أمر ونهي وإثبات ونفي، ومن المعلوم أنه لا يجوز ذلك إجماعاً، كما لا يجوز بما يقع حال المنام ولو كان الرائي من أكابر الأنام وقد صرح المازري وغيره بأن من رآه يأمر بقتل من يحرم قتله كان هذا من الصفات المتخيلة، لا المرئية) ا.هـ كلام علي القاري وفيه فائدة أخرى هي حكايته الإجماع على عدم جواز العمل بما يدعي من يزعم أنه رأى النبي ﷺ في اليقظة أنه سمعه منه من أمر أو نهي أو إثبات أو نفي، وفي حكايته الإجماع على ذلك الرد على قول الزرقاني في [شرح المواهب اللدنية] (ج٧ ص٢٩) ما نصه: (لو رآه يقظة ـ أي بعد موته ﷺ ـ وأمره بشيء وجب عليه العمل به لنفسه ولا يعد صحابياً. وينبغي أن يجب على من صدقه العمل به، قاله

شيخنا). كما أن في حكايته الإجماع على ذلك رداً على دعوى السيوطي تلقي تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون عن النبي ﷺ يقظة وعلى دعواه أن النبي ﷺ قال له يقظة: يا شيخ الحديث، وأخبره بأنه من أهل الجنة من غير عذاب يسبق. ذكر دعواه الأولى الشيخ محمد عليش في [فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك]، (ج١ ص٨١) وذكر الثانية الشيخ نجم الدين الغزي في الجزء الأول من [الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة] (ص٢٢٨، ٢٢٩) وفيما يلي نصهما: (قال الشيخ محمد عليش: قال الشعراني: (رأيت ورقة بخط الشيخ جلال الدين السيوطي عند أحد أصحابه هو الشيخ عبدالقادر الشاذلي مراسلة لشخص سأله في شفاعة عند السلطان قايتباي، اعلم يا أخي، أني قد اجتمعت برسول الله ﷺ إلى وقتي هذا خمساً وسبعين مرة يقظة ومشافهة، ولولا خوفي من احتجابه ﷺ عني بسبب دخولي للولاة لطلعت القلعة وشفعت فيك عند السلطان، وإني رجل من خدام حديثه ﷺ وأحتاج إليه في تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون من طريقهم، ولا شك أن نفع ذلك أرجح من نفعك يا أخي).

وقال النجم الغزي: (ذكر الشيخ عبدالقادر الشاذلي في كتاب ترجمته - أي للسيوطي - أنه كان يقول: رأيت النبي ﷺ يقظة، فقال لي: يا شيخ الحديث، فقلت له: يا رسول الله أمن أهل الجنة أنا؟ قال: نعم، فقلت: من غير عذاب يسبق؟ فقال ﷺ: لك ذلك، وألف في ذلك كتاب [تنوير الحلك في إمكان رؤية النبي والملك].

٩ - السيد رشيد رضا قال في الجزء السادس من فتاويه (ص٢٣٨٥) ما نصه: (صرح بعض العلماء المحققين بأن دعوى رؤية

النبي ﷺ بعد موته في اليقظة والأخذ عنه دعوى باطلة واستدلوا على ذلك بأن أولى الناس بها ـ لو كانت مما يقع ـ ابنته سيدة النساء وخلفاؤه الراشدون وسائر العلماء أصحابه وقد وقعوا في مشكلات وخلاف أفضى بعضه إلى المغاضبة وبعضه إلى القتال فلو كان ﷺ يظهر لأحد ويعلمه ويرشده بعد موته لظهر لبنته فاطمة عليها السلام وأخبرها بصدق خليفته أبي بكر رضي الله عنه فيما روى عنه من أن الأنبياء لا يورثون، وكذا للأقرب والأحب إليه من آله وأصحابه ثم لمن بعدهم من الأئمة الذين أخذ أكثر أمته دينهم عنهم، ولم يدع أحد منهم ذلك وإنما ادعاه بعض غلاة الصوفية بعد خير القرون، وغيرهم من العلماء الذين تغلب عليهم تخيلات الصوفية. فمن العلماء من جزم بأن من ذلك ما هو كذب مفترى، وأن الصادق من أهل هذه الدعوى من خيل إليه في حال غيبة أو ما يسمى (بين النوم واليقظة) أنه رآه ﷺ فخال أنه رآه حقيقة على قول الشاعر:

ومثلك من تخيل ثم خالا.

والدليل على صحة القول بأن ما يدعونه كذب أو تخيل: ما يروونه عنه ﷺ في هذه الرؤية. وبعض الرؤى المنامية مما تختلف باختلاف معارفهم وأفكارهم ومشاربهم وعقائدهم وكون بعضه مخالفاً لنص كتاب الله وما ثبت من سنته ﷺ ثبوتاً قطعياً. ومنه ما هو كفر صريح بإجماع المسلمين. نعم إن منهم من يجلهم العارف بما روي من أخبار استقامتهم أن يدعوا هذه الدعوى افتراء وكذباً على رسول الله ﷺ، ولكن غلبة التخيل على المنهمكين في رياضاتهم وخلواتهم لا عصمة منها لأحد وكثيراً ما تفضي إلى الجنون) ا.هـ.

والخلاصة: أن دعوى حضور النبي ﷺ الاحتفال باليوم الذي يقال: إنه يوافق يوم المولد النبوي بجسده غير صحيحة وأنها تستلزم خروج النبي ﷺ من قبره ومشيه في الأسواق ومخاطبته للناس ومخاطبتهم له وخلو قبره عن جسده الشريف بحيث يزار مجرد القبر ويسلم على غائب، وأن يراه رائيان في آن واحد في مكانين مختلفين، وأن يكون ذلك الرائي صحابياً وأن يجب العمل بماسمعه منه ذلك المدعي لرؤيته، وأن يحظى المدعي لرؤيته ﷺ في اليقظة بما لم تحظ به ابنته فاطمة التي اشتد حزنها عليه حتى ماتت كمداً بعده بستة أشهر على الصحيح، ولم تنقل عنها دعوى رؤيته، كما لم يحظ به غيرها من أصحاب النبي ﷺ، وكل ذلك جهالات يدرك فسادها بأوائل العقول، كما أن التعلق في تلك الدعوى برواية: (من رآني في المنام فسيراني في اليقظة) على أساس أن المتصوفة لم يدعوا ذلك إلا بعد أن رأوه في المنام يعكر عليه أن جمعاً جماً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة، وخبر الصادق لا يتخلف).

وأما رواية «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**» فقد أجيب عنها بأجوبة ذكرها الحافظ ابن حجر في (ج١٢) من [فتح الباري] (ص٣٨٥) طبعة المطبعة السلفية:

أحدها: أن ذلك خاص بأهل عصره ممن آمن به قبل أن يراه.

الثاني: أن المراد بها أنه يراه يوم القيامة بمزيد خصوصية لا مطلق من يراه حينئذٍ ممن لم يره في المنام.

الثالث: أن المراد بها أنه يراه في المرآة التي كانت له إن أمكنه

ذلك قال الحافظ: (وهذا من أبعد المحامل).

الرابع: أن المراد بها أنه سيرى في اليقظة تأويلها بطريق الحقيقة أو التعبير.

الخامس: حمل الرواية على التشبيه والتمثيل بدليل الرواية الأخرى (فكأنما رآني في اليقظة).

وأما دعوى أن الذي يحضر مجلس المولد هو روحانية النبي ﷺ ففي الرد عليها يقول السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من [الفتاوى] (ص٤٦٥) في إجابته عن سؤال وجه إليه عن دعوى أن روحانية النبي ﷺ تحضر قراءة [مولد الديبع] من أولها إلى آخرها وتحضر في غيرها من قصص المولد عند القيام فقط يقول ما نصه: (أما قول قراء هذه القصة من المحتالين على الرزق بدعوى الولاية: إن روحانية المصطفى تحضر مجالسهم التي يكذبون فيها عليه فمثله كثير من أولئك الدجالين ولا علاج لهذا الجهل إلا كثرة العلماء بالسنة والدعاة إليها بين المسلمين وذلك بساط قد طوي وإن كثيراً من المسلمين ليعادوننا ولا ذنب لنا عندهم إلا الانتصار للسنة السنية والدعوة إلى الله ورسوله بالحق لا بالأهواء). وممن سبق السيد رشيد رضا إلى الرد على دعوى حضور روحانية النبي ﷺ شيخ الإسلام ابن تيمية، قال في الجزء الثاني من [الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح] (ص١٨٨، ١٨٩): (قد يقوم شيخ من الشيوخ ويخلف موضعه شخصاً في صورته، يسمونه: روحانية الشيخ ورفيقه، وهو جني تصور في صورته، وهذا يقع لكثير من الرهبان وغير الرهبان من المنتسبين إلى الإسلام، وقد يرى أحدهم

في اليقظة من يقول له: أنا الخليل أو أنا موسى أو أنا المسيح أو أنا محمد أو أنا فلان لبعض الصحابة أو الحواريين ويراه طائراً في الهواء وإنما يكون ذلك من الشياطين ولا تكون تلك الصورة مثل صورة ذلك الشخص، وقد قال النبي ﷺ: «**من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي**» فرؤيته في المنام حق. وأما في اليقظة فلا يرى بالعين هو ولا أحد من الموتى مع أن كثيراً من الناس قد يرى في اليقظة من يظنه نبياً من الأنبياء إما عند قبره وإما عند قبر غيره وقد يرى القبر انشق وخرج منه صورة إنسان فيظن أن الميت نفسه خرج من قبره أو أن روحه تجسدت وخرجت من القبر وإنما ذلك جني تصور في صورته ليضل ذلك الرائي فإن الروح ليست مما يكون تحت التراب وينشق عنها التراب فإنها وإن كانت قد تتصل بالبدن فلا يحتاج في ذلك إلى شق التراب، والبدن لم ينشق عنه التراب وإنما ذلك تخييل من الشيطان. وقد جرى مثل هذا لكثير من المنتسبين إلى المسلمين وأهل الكتاب والمشركين ويظن كثير من الناس أن هذا من كرامات عباد الله الصالحين ويكون من إضلال الشياطين، كما قد بسط الكلام عليه في هذا الباب في غير هذا الكتاب مثل [الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان].

وقال في [الفرقان بين الحق والباطل] (ص٥٩، ٦٠) في كلامه على الذين يدعون المكاشفات: (وكثير من هؤلاء يظن أن النبي ﷺ نفسه أو غيره من الأنبياء أو الصالحين يأتيه في اليقظة ومن يرى ذلك عند قبر النبي ﷺ أو الشيخ فهو صادق في أنه أتاه من قال: إنه النبي أو الشيخ أو قيل له فيه ذلك لكن غلط فيه حيث ظن صدق أولئك،

والذي له عقل وعلم يعلم أن هذا ليس هو النبي ﷺ تارة لما يراه منهم من مخالفة الشرع مثل أن يأمروه بما يخالف أمر الله ورسوله وتارة بعلمه أن النبي ﷺ ما كان يأتي أحداً من أصحابه بعد موته في اليقظة ولا كان يخاطبهم من قبره فكيف يكون هذا إليَّ؟ وتارة: يعلم أن الميت لم يقم من قبره وأن روحه في الجنة لا تصير في الدنيا هكذا وهذا يقع كثيراً من هؤلاء ويسمون تلك الصورة رفيقة فلان وقد يقولون هو معناه يشكل وقد يقولون روحانيته ا.هـ.

هذا ومما ينبغي التنبيه عليه أن ما يذكر مُدَّعُو رؤية الأرواح أنهم استفادوه من تلك الأرواح من درجات للأحاديث أو تشريع أو تعبد جديد لا يعمل به، كما بينه السيد رشيد رضا في الجزء الثاني من [الفتاوى] (ص٥٩١، ٥٩٢): (قال: وقد عرفنا نحن غير واحد من الصوفية الذين يدعون رؤية الأرواح ومخاطبتها: ومنهم من قال: إنه سأل النبي ﷺ عن أحاديث كثيرة من [الجامع الصغير] للسيوطي فأنكرها ﷺ وهكذا نسمع عنهم التناقض في الكشف وفي رؤية النبي ﷺ، فهل يصح أن نحكمهم في الحديث؟ حتى مع التسليم لهم لا لا). وقال في الجزء السادس من [الفتاوى] (ص٢٣٨٥): (إن صح عقلاً أن منهم - أي من غلاة المتصوفة - من يرى أرواح الأنبياء والصالحين فعلاً فلا يجوز شرعاً أن تتضمن هذه الرؤية تشريعاً ولا تعبداً جديداً. ومنهم من كذب أتباعهم عليهم في ذلك وغيره من الدعاوى الباطلة، ومنه ما يسمونه الشطح) ا.هـ.

وأما قول الإمام مالك: (بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث

شاءت) فليس المراد به ما ادعاه السيد محمد بن علوي المالكي من أن الأرواح جوالة يمكن أن تحضر مجالس الخير ومشاهد النور والموالد، بل المراد به بيان سرعة انتقال أرواح المؤمنين الموتى من العرش إلى الثرى ثم انتقالها من الثرى إلى مكانها، كما بينه ابن القيم في نفس كتاب [الروح] (ص١٢٦) طبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن الثالثة.

وأما ما روي عن سلمان الفارسي أنه قال: (أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت) فقد فسره ابن القيم في (ص١٣٤) من كتاب الروح بما نصه: (وأما قول من قال: إن أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت فهذا مروي عن سلمان الفارسي، والبرزخ هو الحاجز بين شيئين وكأن سلمان أراد بها في أرض بين الدنيا والآخرة مرسلة هناك تذهب حيث شاءت) قال: (وهذا قول قوي فإنها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة، بل هي في برزخ بينهما: فأرواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم. وأرواح الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾[1] فالبرزخ هنا ما بين الدنيا والآخرة، وأصله الحاجز بين الشيئين.

وأما تشبيه الشيخ محمد بن علوي النبي ﷺ بربه عز وجل في كونه جليس من ذكره ومع من ذكره فمن باب الإطراء الذي نهى عنه رسول الله ﷺ.

---

(١) سورة المؤمنون، الآية ١٠٠.

وأما اعتبار ذلك القيام الذي يقع عند ذكر وضع النبي ﷺ وخروجه إلى الدنيا في قصص المولد من تعظيم النبي ﷺ فقد جزم الشامي والهيتمي والسيد رشيد رضا بأنه غير صحيح. وأنه بدعة لايعذر من يفعلها من الخواص، وصرح الشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي بأنه محرم، وفيما يلي نصوصهم:

قال الشيخ محمد بن يوسف الصالحي الشامي في الجزء الأول من سيرته (ص٤١٥): (جرت عادة كثير من المحبين إذا سمعوا بذكر وضعه ﷺ أن يقوموا تعظيماً له ﷺ، وهذا القيام بدعة لا أصل لها).

وقال ابن حجر الهيتمي في [الفتاوى الحديثية] (ص٥٨) بصدد كلامه على الوثوب عند قراءة قول الله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾[1] واعتباره إياه بدعة بعد زوال سبب الوثوب عند نزوله وهو الفزع الذي زال بنزول ﴿فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾، كما ذكره الواحدي فلا ينبغي فعله بعد زواله لما فيه من إيهام العامة ندبه، قال بعد استنكاره ذلك الوثوب ما نصه: (ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده ﷺ ووضع أمه له من القيام، وهو أيضاً بدعة لم يرد فيه شيء على أن الناس إنما يفعلون ذلك تعظيماً له ﷺ فالعوام معذورون لذلك بخلاف الخواص).

وقال السيد رشيد رضا في جوابه عن تلقين العلويين في (جاوه) الناس أن من لم يقم أثناء حفلات المولد عند سماعــه (مرحباً بالنبي) إلخ، فهو كافر، قال في فتاويه (ج٥ ص٢١١٣) ما نصه: (أما القيام

---

(١) سورة النحل، الآية ١.

عند ذكر وضع أمه ﷺ وإنشاد بعض الشعر أو الأغاني في ذلك فهو من جملة هذه البدع، وقد صرح بذلك الفقيه ابن حجر المكي الشافعي الذي يعتمد هؤلاء العلويون على كتبه في دينهم فقال عند ذكر الإنكار على من يقوم عند قراءة ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾(١) لما ورد في ذلك بسبب قد زال ما نصه: (ونظير ذلك فعل كثير عند ذكر مولده ﷺ ووضع أمه له من القيام وهو أيضاً بدعة لم يرد فيه شيء على أن العوام إنما يفعلون ذلك تعظيماً له ﷺ فالعوام لذلك معذورون بخلاف الخواص).

وقال الشيخ محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الفاسي في كتابه [الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي] (ج١ ص٩٣) ط مكتبة النمنكاني في كلامه على الاستحسان: (ومنه ـ أي: من الاستحسان المحرم ـ أيضاً القيام عند ذكر الولادة النبوية مع ورود النص، بل النصوص الصريحة بالنهي عنه، انظر رسالتنا [صفاء المورد في عدم القيام عند سماع المولد] ورسالتنا [الحق المبين في الرد على من رد عليها وهو صاحب حجة المنذرين].

وأما قول الصرصري في قصيدته:

وأن ينهض الأشراف عند سماعه قياماً صفوفاً أو جثياً على الركب

فليس بدليل شرعي على صنيع السبكي فضلاً عن قياس القيام أثناء قراءة بعض القصص التي تقرأ في الاحتفال بالمولد النبوي على

---

(١) سورة النحل، الآية ١.

قيام السبكي، وليس الصرصري ممن يؤخذ بقوله في مثل هذا وشعره يقع منه أحياناً ما لا يرضى، كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على البكري حيث قال في التسوية في الاستغاثة بالنبي ﷺ بين حياته وبين مماته (ص٢٥١): (هذا ما علمته ينقل عن أحد من العلماء لكنه موجود في كلام بعض الناس مثل الشيخ يحيى الصرصري ففي شعره قطعة منه، والشيخ محمد بن النعمان كان له كتاب المستغيثين بالنبي ﷺ في اليقظة والمنام). ثم قال: (وهؤلاء ـ أي الصرصري وابن النعمان ومن حذا حذوهما ـ لهم صلاح ودين ولكنهم ليسوا من أهل العلم العالمين بمدارك الأحكام الذين يؤخذ بقولهم في شرائع الإسلام، ومعرفة الحلال والحرام، وليس معهم دليل شرعي ولا نقل عن عالم مرضي، بل عادة جروا عليها، كما جرت عادة كثير من الناس بأنه يستغيث بشيخه في الشدائد ويدعوه) ا.هـ. وإنما قيام السبكي عند سماعه ذلك البيت من قبيل الغلو الذي وصل به إلى أن يقول ما ورد في رسالته التي سماها [التعظيم والمنة في ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾[1]] وهو أن الأنبياء الذين كانوا قبل نبينا محمد ﷺ نواب له بشرائعهم وأن ما جاء به كل نبي منهم إلى قومه هو شرع محمد ﷺ لهم. وقد عاب ذلك على السبكي وشنعه عليه الشهاب أحمد الخفاجي المصري في الجزء الأول من كتابه [نسيم الرياض في شرح شفاء القاضي عياض] (ص٢٤٣) فذكر أن الرسل والأنبياء الذين قبله غير مكلفين بأحكام شرعه، وإلا لم يكونوا أصحاب شرع وكتاب مستقل، وأن النصوص

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٨١.

العقلية والنقلية ناطقة بخلاف ما قاله السبكي، وذكر من تلك النصوص قول الله تعالى: ﴿۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾(١) وذكر أن في معناها آيات أخر. وقال الخفاجي: (إذا عرفت هذا فاعلم أن ما قاله السبكي رحمه الله تعالى واحتج به واستحسنه هو ومن بعده ممن وقف عليه لا وجه له عند من له بصيرة نقادة) قال: (وكيف يتأتى ما قاله مع قوله تعالى: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾(٢) ، فإنه عكسه).

وممن سبق الخفاجي إلى الرد على تلك الدعوى الإمام تقي الدين بن تيمية قال في رسالته [حقيقة مذهب الاتحاديين] أو وحدة الوجود وبيان بطلانه بالبراهين النقلية والعقلية (ص١٢٦) قال: (إن الرسل ليس منهم من يأخذ من آخر إلا من كان مأموراً باتباع شريعته كأنبياء بني إسرائيل. والرسل الذين فيه الذين أمروا باتباع التوراة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾الآية(٣) . وأما إبراهيم فلم يأخذ عن موسى وعيسى، ونوح لم يأخذ عن إبراهيم، ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى لم يأخذوا عن محمد وإن بشروا به وآمنوا به، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾الآية(٤)، قال ابن عباس ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه العهد في أمر محمد وأخذ العهد

---

(١) سورة النساء، الآية ١٦٣.
(٢) سورة النحل، الآية ١٢٣.
(٣) سورة المائدة، الآية ٤٤.
(٤) سورة آل عمران، الآية ٨١.

على قومه ليؤمنن به، ولئن بعث وهم أحياء لينصرنه) ا.هـ.

هذا بعض ما تحتوي عليه القصص التي تقرأ في الاحتفالات باليوم الذي يقال: بأنه يوافق يوم المولد النبوي ـ من المحاذير نقلناها عن أهل العلم الذين شاهدوها في أزمنتهم. وقد كان الشيخ محمد بن علوي المالكي على علم بكثير من ذلك إلا أن علمه بذلك لم يحل بينه وبين أن يقول في تعليقه على [مولد ابن الديبع] الطبعة الأولى (ص١١، ١٢)، وفي مقدمته لـ [المورد الروي في المولد النبوي] (ص١٤)، وفي رسالته [حول الاحتفال بالمولد النبوي الشريف] (ص١٣، ١٤) ما نصه: (إن الله تعالى قال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[1] يظهر منه أن الحكمة في قص أنباء الرسل عليهم السلام تثبيت فؤاده الشريف بذلك، ولا شك أننا اليوم نحتاج إلى تثبيت أفئدتنا بأنبائه وأخباره أشد من احتياجه هو ﷺ). وهذا غريب من ابن علوي فإن ما كان من قصص الموالد محتوياً على ما بيناه فيما تقدم من المحاذير لا يحصل به تثبيت أفئدة المحتفلين بالمولد فقياسه على ما قصه الله على نبيه ﷺ من أنباء الرسل قياس باطل، وقد أجاد أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي في إيضاح الحكمة في قص الله تعالى على نبيه محمد ﷺ ما قصه عليه من أنباء الرسل، حيث قال ما نصه: (في الحكمة في قص الله تعالى على المصطفى ﷺ أخبار الأنبياء الماضين والأمم السالفين أمور: منها: إظهار نبوته والاستدلال بذكرها على رسالته؛ لأنه ﷺ كان أمياً لم يختلف إلى مؤدب ولا معلم

---

(١) سورة هود، الآية ١٢٠.

ولا فارق وطنه مدة يمكنه الانقطاع فيها إلى عالم يأخذ ذلك عنه فإذا علم بها وتدبر العاقل من قومه ذلك علم أنه بوحي من الله سبحانه وتعالى فآمن به وصدقه، وكان ذلك من المعجزات الدالة على صحة نبوته وقد ينكر ويجحد حسداً وعناداً. ومنها: التأسي بهم فيما أثنى الله عليهم به والانتهاء عن ضده، ومنها: التثبيت له والإعلام بشرفه وشرف أمته حيث عوفي وأمته من كثير مما امتحن به من قبلهم وخفف عنهم في الشرائع، وخصوا بكرامات انفردوا بها عنهم، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾(١) : إن الظاهرة: تخفيف الشرائع، والباطنة: تضعيف الصنائع. ومنها: التهذيب والتأديب لأمته، كما أشار إليه تعالى في قوله: ﴿ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝﴾(٢) و﴿عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(٣) و﴿وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾(٤) ؛ ولذا كان الشبلي يقول فيها: اشتغل العامة بذكر القصص، والخاصة باعتبار من القصص. ومنها: الإحياء لذكرهم وآثارهم؛ ليكون للمحسن سبباً للاجتهاد في العمل رجاء تعجيل ثوابه وبقاء لذكره وآثاره الحسنة، كما رغب خليل الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ قال: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ۝﴾(٥) . نقل هذا كله السخاوي في [الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ] (ص١٦، ١٧) ط مطبعة الترقي بدمشق عن أبي إسحاق الثعلبي.

---

(١) سورة لقمان، الآية ٢٠.
(٢) سورة يوسف، الآية ٧.
(٣) سورة يوسف، الآية ١١١.
(٤) سورة آل عمران، الآية ١٣٨.
(٥) سورة الشعراء، الآية ٨٤.

خاتمة
في ذكر قواعد لابد لمن يريد الحق من الانتباه لها
القاعـــدة الأولـــى
في بيان أن صاحب البدعة لابد له من تأويل

إن صاحب البدعة يتصور أن يكون عالماً بكونها بدعة، وأن يكون غير عالم بذلك، وغير العالم بكونها بدعة على ضربين: وهما المجتهد في استنباطها وتشريعها. والمقلد له فيها. وعلى كل تقدير فالتأويل يصاحبه فيها ولا يفارقه، وإذا حكمنا له بحكم الإسلام؛ لأنه مصادم للشارع مراغم للشرع بالزيادة فيه أو النقصان منه أو التحريف له فلابد له من تأويل، كقوله: (هي بدعة ولكنها مستحسنة)، أو يقول: (إنها بدعة ولكني رأيت فلاناً الفاضل يعمل بها) أو يقر بها ولكنه يفعلها لحظ عاجل كفاعل الذنب لقضاء حظه العاجل خوفاً على حظه أو فراراً من خوف على حظه، أو فراراً من الاعتراض عليه في اتباع السنة، كما هو الشأن اليوم في كثير ممن يشار إليه وما أشبه ذلك. وأما غير العالم وهو الواضع لها فإنه لا يمكن أن يعتقدها بدعة، بل هي عنده مما يلحق بالمشروعات؛ كقول من جعل يوم الإثنين يصام؛ لأنه يوم مولد النبي ﷺ، وجعل الثاني عشر من ربيع الأول ملحقاً بأيام الأعياد؛ لأنه عليه السلام ولد فيه، وكمن عد السماع والغناء مما يتقرب به إلى الله بناء على أنه يجلب الأحوال السنية، أو رغب في الدعاء بهيئة الاجتماع

في أدبار الصلوات دائماً بناء على ما جاء في ذلك حالة الوحدة أو زاد في الشريعة أحاديث مكذوبة؛ لينصر في زعمه سنة محمد ﷺ فلما قيل له: إنك تكذب عليه وقد قال: «**من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**» قال: لم أكذب عليه وإنما كذبت له. أو نقص منها تأويلاً عليها؛ لقوله تعالى في ذم الكفار: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ۝٢٨﴾[1] فأسقط اعتبار الأحاديث المنقولة بالآحاد لذلك وما أشبهه؛ لأن خبر الواحد ظني فهذا كله من قبيل التأويل. وأما المقلد فكذلك أيضاً؛ لأنه يقول: فلان المقتدى به يعمل بهذا العمل ويثني كاتخاذ الغناء جزءاً من أجزاء طريقة التصوف بناء منهم على أن شيوخ التصوف قد سمعوه وتواجدوا عليه ومنهم من مات بسببه، وكتمزيق الثياب عند التواجد بالرقص وسواه؛ لأنهم قد فعلوه، وأكثر ما يقع مثل هذا في هؤلاء المنتمين إلى التصوف وربما احتجوا على بدعتهم بالجنيد والبسطامي والشبلي وغيرهم فيما صح عندهم عنهم أو لم يصح، ويتركون أن يحتجوا بسنة رسول الله وهي التي لا شائبة فيها إذ نقلها العدول وفسرها أهلها المكبون على فهمها وتعلمها، ولكنهم مع ذلك لا يقرون بالخلاف للسنة بحتاً، بل يدخلون تحت أذيال التأويل إذ لا يرضى منتم إلى الإسلام بإبداء صفحة الخلاف للسنة أصلاً).

ذكر هذه القاعدة الشاطبي في الجزء الثاني من [الاعتصام] (ص٥٤، ٥٥).

---

(١) سورة النجم، الآية ٢٨.

القاعــدة الثانيــة
في أن اعتبار فعل بعض المشايخ حجة على ما تقرر في الشريعة، هو الذي أفسد الكثير من الناس

إن اعتبار فعل المشايخ حجة على ما تقرر في شريعة المصطفى ﷺ هوالذي أفسد أحوال بعض الناس، فتجد أحدهم يعمل البدعة ويتهاون بها فتنهاه عن ذلك أو ترشده إلى الترك فيستدل على أن ذلك هو السنة، وأن ذلك ليس بمكروه، بكونه رأى شيخه ومن يعتقده يفعل ذلك فيقول: كيف يكون مكروهاً أو بدعة وقد كان سيدي فلان يعملها؟! فيستدل بفعل سلفه وخلفه وشيوخه على جواز تلك البدعة وأنها مشروعة، فصار فعل المشايخ حجة على ما تقرر بأيدينا من أمر الشريعة، وليسوا بمعصومين، ولا ممــن شهــد لهم صاحب العصمة صلوات الله عليه وسلامه، وهذا أمر قد اتفقت الأمة على أنه مردود إذ إن ذلك لو جاز لوقع الخلل في الشريعة بسببه، فأي من استحسن شيئاً وفعله وأي من كره شيئاً وتركه يقع الاقتداء به فيكون ذلك نقصاً معاذ الله. ولو كان ذلك كذلك لم يبق بأيدينا اليوم شيء من أمر هذه الشريعة المحمدية. وقد عصم الله هذه الملة ـ والحمد لله ـ من التبديل فكل من أتى بشيء مخالف لما كان عليه متقدمو هذه الأمة وسلفها فهو مردود عليه محجوج بفعلهم وبما نقل عنهم. ذكر ذلك ابن الحاج في [المدخل] (ج١ ص٩٤، ٩٥) وقال: وهذا هو الذي أذهب شريعة

عيسى عليه السلام: أعني التقليد لأحبارهم ورهبانهم دون دليل يدلهم على ذلك حتى صار أمرهم أنه في كل جمعة من الأحد إلى الأحد يجدد لهم القسيس شريعة جديدة بحسب ما يراه لهم من المصلحة في وقته على ما يقتضيه نظره وتسديده على زعمه، فتجدهم يخرجون من كنائسهم وهم يقولون لقد جدد اليوم شريعة مليحة وقد عصم الله - والحمد لله - هذه الشريعة، فالحذر الحذر من هذا الداء العضال فإنه سم قاتل مغفول عنه وقل من يسلم منه إلا من كان مراقباً لهم في أفعالهم وأقوالهم يزنها على أفعال السلف على ما تقدم أعني: أنه لا يفعل ذلك حتى لا يقتدى من أفعالهم إلا بما كان منها على سبيل الاقتداء بالمتقدمين إن كان من أهل العلم وإلا فبالسؤال من العلماء المتبعين منهم في أفعالهم يعلم ذلك ويتبين له.

وأما إن نظر إلى أفعالهم ووزنها بغرض غير هذا فلا ينبغي ذلك؛ لأنه من باب التشاغل بعيوب الناس والبحث عن مثالبهم، وذلك منهي عنه.

القاعدة الثالثة
في الحض على الحق وعدم الاستيحاش من قلة أهله

إن الاستيحاش من الوحدة وقول: أين ذهب الناس؟ فلي بهم أسوة؟ هو الذي أفسد حال أكثر الخلق وهو الذي أهلكهم، فالبصير الصادق لا يستوحش من قلة الرفيق ولا من فقده إذا استشعر قلبه مرافقة الرعيل الأول الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، فتفرد العبد في طريق طلبه دليل على صدق الطلب، ولقد سئل إسحاق بن راهويه عن مسألة، فأجاب عنها، فقيل له: إن أخاك أحمد بن حنبل يقول فيها بمثل ذلك فقال: ما ظننت أن أحداً يوافقني عليها، ولم يستوحش بعد ظهور الصواب له من عدم الموافقة، فإن الحق إذا لاح وتبين لم يحتج إلى شاهد يشهد به، والقلب يبصر الحق كما تبصر العين الشمس فإذا رأى الرائي الشمس لم يحتج في علمه بها واعتقاده أنها طالعة إلى من يشهد بذلك ويوافقه عليه. وما أحسن ما قال أبومحمد عبدالرحمن بن إسماعيل المعروف بأبي شامة في كتاب [الحوادث والبدع] حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة فالمراد به لزوم الحق واتباعه وإن كان المتمسك به قليلاً والمخالف له كثيراً؛ لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه. ولا نظر إلى كثرة أهل الباطل بعدهم قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذاً باليمن فما فارقته

حتى واريته في التراب بالشام، ثم صحبت بعده أفقه الناس عبدالله بن مسعود رضي الله عنه فسمعته يقول: عليكم بالجماعة، فإن يد الله مع الجماعة، ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول: سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فإنها لكم نافلة، قال: قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري ما تحدثونا، قال: وما ذاك؟ قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول: صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة! قال: يا عمرو بن ميمون، قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية تدري ما الجماعة؟ قلت: لا. قال: إن جمهور الجماعة الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك. وفي طريق أخرى: فضرب على فخذي وقال: ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة وإن الجماعة ما وافق طاعة الله عزوجل. قال نعيم بن حماد: يعني إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة حينئذٍ، ذكره البيهقي وغيره. وقال أبوشامة عن المبارك عن الحسن البصري قال: السنة ـ والذي لا إله إلا هو ـ بين الغالي والجافي، فاصبروا عليها رحمكم الله فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى وهم أقل الناس فيما بقي الذين لم يذهبوا مع أهل الأتراف في أترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم، فكذلك إن شاء الله فكونوا. وكان محمد بن أسلم الطوسي الإمام المتفق على إمامته مع رتبته أتبع الناس للسنة في زمانه حتى قال: ما بلغني سنة عن رسول الله ﷺ إلا عملت بها، ولقد حرصت على أن أطوف بالبيت راكباً فما مكنت من ذلك، فسئل بعض

أهل العلم في زمانه عن السواد الأعظم الذي جاء فيهم الحديث «**إذا اختلف الناس فعليكم بالسواد الأعظم**» فقال محمد بن أسلم الطوسي: هو السواد الأعظم وصدق والله فإن العصر إذا كان فيه عارف بالسنة داع إليها فهو الحجة وهو الإجماع وهو السواد الأعظم وهو سبيل المؤمنين التي من فارقها واتبع سواها ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً) ذكر هذه القاعدة الإمام ابن القيم في الباب العاشر في علامات مرض القلب وصحته من [إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان] (ص٣٨، ٣٩) وقال في [مفتاح دار السعادة] (ج١ ص١٤٧) ما نصه: (إياك أن تغتر بما يغتر به الجاهلون فإنهم يقولون: لو كان هؤلاء على حق لم يكونوا أقل الناس عدداً والناس على خلافهم فاعلم أن هؤلاء ـ أي الذين هم على الحق ـ هم الناس ومن خالفهم فمشبهون بالناس وليسوا بناس فما الناس إلا أهل الحق وإن كانوا أقلهم عدداً. قال ابن مسعود: (لا يكن أحدكم إمعة يقول: أنا مع الناس ليوطن أحدكم نفسه على أن يؤمن ولو كفر الناس) وقد ذم سبحانه الأكثرين في غير موضع، كقوله: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[1]، وقال: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾[2]، وقال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾[3]، وقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[4]، وقال بعض

---

(١) سورة الأنعام، الآية ١١٦.
(٢) سورة يوسف، الآية ١٠٣.
(٣) سورة سبأ، الآية ١٣.
(٤) سورة ص، الآية ٢٤.

العارفين: انفرادك في طريق طلبك دليل على صدق الطلب.

مت بداء الهوى وإلا فخاطر　　واطرق الحي والعيون نواظر
لا تخف وحشة الطريق إذا سرت　　وكن في خفارة الحق سائر

وقال في الجزء الثالث من [إعلام الموقعين] (ص٣٩٧، ٣٩٨): (اعلم أن الإجماع والحجة والسواد الأعظم هو العالم صاحب الحق وإن كان وحده وإن خالفه أهل الأرض. قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذاً باليمن فما فارقته حتى واريته في التراب بالشام ثم صحبت من بعده أفقه الناس عبدالله بن مسعود فسمعته يقول: عليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة ثم سمعته يوماً من الأيام وهو يقول: سيولى عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فصلوا الصلاة لميقاتها فهي الفريضة وصلوا معهم فإنها لكم نافلة قال: قلت: يا أصحاب محمد ما أدري ما تحدثون؟ قال: وما ذاك قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها ثم تقول لي: صل الصلاة وحدك وهي الفريضة وصل مع الجماعة وهي نافلة قال: يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية أتدري ما الجماعة؟ قلت: لا، قال: إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعة، الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك، وفي لفظ آخر: فضرب على فخذي وقال: ويحك إن جمهور الناس فارقوا الجماعة وإن الجماعة ما وافق طاعة الله تعالى. وقال نعيم بن حماد: إذا فسدت الجماعة فعليك بما كانت عليه الجماعة قبل أن تفسد وإن كنت وحدك فإنك أنت الجماعة حينئذٍ. ذكرهما البيهقي وغيره. وقال بعض أئمة الحديث وقد ذكر له السواد الأعظم فقال:

أتدري ما السواد الأعظم؟ هو محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه. فمسخ المختلفون الذين جعلوا السواد الأعظم والحجة والجماعة هم الجمهور وجعلوهم عياراً على السنة وجعلوا السنة بدعة والمعروف منكراً لقلة أهله وتفردهم في الأعصار والأمصار وقالوا: من شذ شذ به في النار. وما عرف المختلفون أن الشاذ ما خالف الحق وإن كان الناس كلهم عليه إلا واحداً منهم فهم الشاذون وقد شذ الناس كلهم زمن أحمد بن حنبل إلا نفراً يسيراً فكانوا هم الجماعة. وكانت القضاة حينئذٍ والمفتون والخليفة وأتباعه كلهم هم الشاذون وكان الإمام أحمد وحده هو الجماعة. ولما لم يتحمل هذا عقول الناس قالوا للخليفة: يا أمير المؤمنين أتكون أنت وقضاتك وولاتك والفقهاء والمفتون كلهم على الباطل وأحمد وحده هو على الحق؟ فلم يتسع علمه لذلك فأخذه بالسياط والعقوبة بعد الحبس الطويل، فلا إله إلا الله ما أشبه الليلة بالبارحة وهي السبيل المهيع لأهل السنة والجماعة حتى يلقوا ربهم مضى عليها سلفهم وينتظرها خلفهم ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾[1] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) ا.هـ كلام ابن القيم.

وذكر الشاطبي في الجزء الأول من [الاعتصام] (ص٢٩٣، ٢٩٤) أن المراد بالجماعة المأمور باتباعها في الحديث المتبع للسنة وإن كان رجلاً واحداً في العالم ثم قال: (قال بعض الحنابلة: لا تعبأ بما يعرض من المسائل ويدعى فيها الصحة بمجرد التهويل أو بدعوى

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٢٣.

أن لا خلاف في ذلك وقائل ذلك لا يعلم أحداً قال فيها بالصحة فضلاً عن نفي الخلاف فيها وليس الحكم فيها من الجليات التي لا يعذر المخالف فيها).

قال: وفي مثل هذه مسائل قال الإمام أحمد بن حنبل: من ادعى الإجماع فهو كاذب وإنما هذه دعوى كثير وابن علية يريدون أن يبطلوا السنن بذلك يعني أحمد: أن المتكلمين في الفقه على أهل البدع إذا ناظرتهم بالسنن والآثار قالوا: هذا خلاف الإجماع وذلك القول الذي يخالف ذلك الحديث لا يحفظونه إلا عن بعض فقهاء المدينة أو فقهاء الكوفة مثلاً فيدعون الإجماع من قلة معرفتهم بأقاويل العلماء واجترائهم على رد السنن بالآراء حتى كان بعضهم تسرد عليه الأحاديث الصحيحة في خيار المجلس ونحوه من الأحكام فلا يجد لها معتصماً إلا أن يقول: هذا لم يقل به أحد من العلماء، وهو لا يعرف إلا أن أبا حنيفة أو مالكاً لم يقل بذلك ولو كان له علم لرأى من الصحابة والتابعين وتابعيهم ممن قال بذلك خلقاً كثيراً. ففي هذا الكلام إرشاد لمعنى ما نحن فيه، وأنه لا ينبغي أن ينقل حكم شرعي عن أحد من أهل العلم إلا بعد تحققه والتثبت؛ لأنه مخبر عن حكم الله فإياكم والتساهل فإنه مظنة الخروج عن الطريق الواضح إلى البنيات، وقال في الجزء الثاني من [الاعتصام] (ص٢٣٠): (روى أبونعيم عن محمد بن القاسم الطوسي قال: سمعت إسحاق بن راهويه وذكر في حديث رفعه إلى النبي ﷺ قال: «**إن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم**» فقال رجل: يا أبا يعقوب، من السواد الأعظم؟ فقال: محمد بن أسلم الطوسي وأصحابه ومن تبعهم،

ثم قال: سأل رجل ابن المبارك: من السواد الأعظم؟ قال: أبوحمزة السكري، ثم قال إسحاق في ذلك الزمان يعني: أبا حمزة، وفي زماننا محمد بن أسلم ومن تبعه، ثم قال إسحاق: لو سألت الجهال عن السواد الأعظم لقالوا: جماعة الناس ولا يعلمون، الجماعة: عالم متماسك بأثر النبي ﷺ وطريقه، فمن كان معه وتبعه فهو الجماعة ثم قال إسحاق: لم أسمع عالماً منذ خمسين سنة كان أشد تمسكاً بأثر النبي ﷺ من محمد بن أسلم.

قال الشاطبي بعد ذكر هذا من طريق أبي نعيم: (فانظر في حكايته تبين غلط من ظن أن الجماعة هي جماعة الناس وإن لم يكن فيهم عالم، وهو وهم العوام لا فهم العلماء، فليثبت الموفق في هذه المزلة قدمه؛ لكي لا يضل عن سواء السبيل. ولا توفيق إلا بالله).

القاعـدة الرابعـة
في إيضاح ما تطلق عليه لفظة (السنة)

يطلـق لفـظ (السنـة) على ما جاء منقولاً: عن النبي ﷺ وعلى الخصوص مما لم ينص عليه في الكتاب العزيز إنما نص عليه من جهته عليه الصلاة والسلام كان بياناً لما في الكتاب أولاً ويطلق أيضاً في مقابلة البدعة فيقال: فلان على سنة إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ كان ذلك مما نص عليه في الكتاب أولاً، ويقال: فلان على بدعة إذا عمل على خلاف ذلك وكان هذا الإطلاق إنما اعتبر فيه عمل صاحب الشريعة فأطلق عليه لفظ السنة من تلك الجهة وإن كان العمل بمقتضى الكتاب. ويطلق أيضاً لفظ (السنة) على ما عمل عليه الصحابة وجد ذلك في الكتاب أوالسنة أو لم يوجد[1] لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا أو اجتهاداً مجتمعاً عليه منهم أو من خلفائهم فإن إجماعهم إجماع. وعمل خلفائهم راجع أيضاً إلى حقيقة الإجماع من جهة حمل الناس عليه حسبما اقتضاه النظر المصلحي عندهم فيدخل تحت هذا الإطلاق المصالح المرسلة والاستحسان، كما فعلوا في حد الخمر وتضمين الصناع وجمع المصحف وحمل الناس على القراءة بحرف واحد من الحروف السبعة وتدوين الدواوين وما أشبه ذلك،

---

(١) أي: سواء عثرنا عليه في السنة أو لم نعثر عليه فيها؛ لقول الشاطبي بعد ذلك: (لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم).

ويدل على هذا الإطلاق قوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**» وإذا جمع ما تقدم تحصل منه في الإطلاق أربعة أوجه: قوله عليه الصلاة والسلام، وفعله، وإقراره، وكل ذلك إما متلقى بالوحي أو بالاجتهاد بناءً على صحة الاجتهاد في حقه وهذه ثلاثة والرابع: ما جاء عن الصحابة أو الخلفاء. وهو وإن كان ينقسم إلى القول والفعل والإقرار ولكن عد وجهاً واحداً إذ لم يفصل الأمر فيما جاء عن الصحابة تفصيل ما جاء عن النبي ﷺ.

ذكر هذا كله الشاطبي في الجزء الرابع من [الموافقات] (ص٣ - ٧) ويبين مراده بقوله: (يدل على هذا الإطلاق قوله عليه الصلاة والسلام: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**» يبينه قوله في الجزء الأول من [الاعتصام] (ص١٤٦) بصدد الكلام على عمل الخلفاء الراشدين بالمصالح المرسلة ما نصه: (وفي الصحيح قوله ﷺ: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور**» فأعطى الحديث، كما ترى أن ما سنه الخلفاء الراشدون لاحق بسنة رسول الله ﷺ؛ لأن ما سنوه لا يعدو أحد أمرين: إما أن يكون مقصوداً بدليل شرعي فذلك سنة لا بدعة. وإما بغير دليل ومعاذ الله من ذلك ولكن هذا الحديث دليل على إثباته سنة إذ قد أثبته كذلك صاحب الشريعة ﷺ فدليله من الشرع ثابت فليس ببدعة ولذلك أردف اتباعهم بالنهي عن البدع بإطلاق ولو كان عملهم ذلك بدعة لوقع في الحديث التدافع).

القاعــدة الخامســة
في أن من الكلمات ما هو من جيوش الباطل والتحذير من الانقياد إلى ما كان منها كذلك

قال الشيخ محمد عبده في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾[1] قال: (نقرأ هذا التشديد والوعيد ونسمعه من القارئين، ولا نزدجر عن اتباع أهواء الناس ومجاراتهم على بدعهم وضلالاتهم حتى إنك ترى الذين يشكون من هذه البدع والأهواء ويعترفون ببعدها عن الدين يجارون أهلها عليها ويمازجونهم فيها وإذا قيل لهم في ذلك، قالوا: ماذا نعمل ما في اليد حيلة، العامة عمى آخر زمان، وأمثال هذه الكلمات هي جيوش الباطل تؤيده وتمكنه من الأرض حتى يحل بأهله البلاء ويكونوا من الهالكين)، وقد علق السيد رشيد رضا في [تفسير المنار] (ج٢ ص١٨، ١٩) تعليقاً جيداً على كلام شيخه هذا فقال: (وأعجب من هذا الذي ذكره الإمام - أي: الشيخ محمد عبده - أنك ترى هؤلاء المعترفين بهذه البدع والأهواء ينكرون على منكرها، ويسفهون رأيه ويعدونه عابثاً أو مجنوناً إذ يحاول ما لا فائدة فيه عندهم، فهم يعرفون المنكر وينكرون المعروف ويدعون

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٤٥.

مع ذلك أنهم على شيء من العلم والدين.

وأعجب من هذا الأعجب أن منهم من يرى أن إزالة هذه المنكرات والبدع ومقاومة هذه الأهواء والفتن جناية على الدين ويحتج على هذا بأن العامة تحسبها من الدين، فإذا أنكرها العلماء عليهم تزول ثقتهم بالدين كله لا بها خاصة، وبأنها لا تخلو من خير يقارنها، كالذكر الذي يكون في المواسم والاحتفالات التي تسمى بالموالد وكلها بدع ومنكرات حتى إن الذكر الذي يكون فيها ليس من المعروف في الشرع. والسبب الصحيح في هذا كله هو محاولة إرضاء الناس بمجاراتهم على أهوائهم وتأويلها لهم ولولا ذلك لما سكت العالمون بكونها بدعاً ومنكرات عليها. إنهم إنما سكتوا بالثمن ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[1]، وهم مع ذلك يظهرون التعجب من جحود أهل الكتاب للنبي والقرآن وما كانوا أشد منهم جحوداً ولا أقوى جموداً).

---

(١) سورة التوبة، الآية ٩.

القاعـدة السادسـة
في التحذير من وضع العوائد موضع السنن

قل أن يظهر الحق مع العوائد إلا بتأييد وتوفيق من الله سبحانه وتعالى ولأجل العوائد وما ألفت النفوس منها أنكرت قريش على النبي ﷺ ما جاء به من الهدى والبيان، وكان ذلك سبباً لكفرهم وطغيانهم وعنادهم بقولهم: إن هذا إلا سحر مبين. سحر مستمر. سحر يؤثر. أن امشوا واصبروا على آلهتكم. أجعل الآلهة إله واحداً. ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة. إن هي إلا حياتنا الدنيا. إلى غير ذلك من الألفاظ التي كفروا بها بسبب ما تربوا عليه ونشأوا فيه فالحذر الحذر من هذا السم فإنه قاتل ومل مع الحق حيث كان وكن متيقظاً لخلاص مهجتك بالاتباع وترك الابتداع واقبل نصيحة أخ مشفق فإن الاتباع أفضل عمل يعمله المرء في هذا الزمان والله يوفقنا وإياك لما يرضاه بمنه فإنه القادر عليه) ذكر هذا ابن الحاج في (ج٢) من [المدخل] (ص٢٦٢، ٢٦٣)، وذكر في الجزء الثالث منه (ص٩٧، ٩٨) أن النفوس تميل غالباً إلى ما يكثر ترداده عليها ثم قال: (ومن هاهنا والله أعلم كثر التخليط على بعض الناس في هذا الزمان لمجاورتهم ومخالطتهم لقبط النصارى مع قلة العلم والتعلم في الغالب فأنست نفوسهم بعوائد من خالطوه فنشأ من ذلك الفساد وهو أنهم وضعوا تلك العوائد التي أنست بها نفوسهم موضع السنن حتى إنك إذا قلت لبعضهم

اليوم: السنة كذا، يكون جوابه لك على الفور عادة الناس كذا وطريقة المشايخ كذا فإن طالبته بالدليل الشرعي لم يقدر على ذلك إلا أنه يقول: نشأتَ على هذا وكان والدي وجدي وشيخي وكل من أعرفه على هذا المنهاج ولا يمكن في حقهم أن يرتكبوا الباطل أو يخالفوا السنة فيشنع على من يأمره بالسنة ويقول له: ما أنت أعرف بالسنة ممن أدركتهم من هذا الجم الغفير.

وقد تقدم إنكار بعض العلماء على الإمام مالك رحمه الله في أخذه بعمل علماء المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فكيف يحتج هذا المسكين بعمل أهل القرن السابع مع مخالطتهم لغير جنس المسلمين من القبط والأعاجم وغيرهما؟! نعوذ بالله من الضلال.

القاعـدة السابعـة
في أن سكوت العلماء عن الأفعال التي لا تليق يؤدي إلى انقلاب الحقائق

لا شك في أن سكوت بعض العلماء عن الأفعال التي لا تليق يؤدي إلى انقلاب الحقائق إذ أن مرتكبيها لو ارتكبوها وهم يعتقدون أنها بدعة لرجيت لهم التوبة والإقلاع ولكن زادوا على ذلك اعتقادهم أن فعل ذلك من إظهار شعائر الإسلام وإذا تقرر هذا عندهم فلا يتوب أحد من إظهار الشعائر وفعلها، ذكر ذلك ابن الحاج في الجزء الثاني من [المدخل] (ص٣١٣) بصدد كلامه على ما يرتكب من البدع في ليلة الختم من رمضان حتى في وقت الصلاة قال: (فمن أراد السلامة من هذا الأمر المخوف فليغير ذلك مهما استطاع جهده فإن عدم الاستطاعة فلا يصلي فيه ـ أي: في ذلك الموضع الذي ترتكب فيه البدع ـ تلك الليلة؛ لأن بصلاته فيه يكثر سواد أهل البدع ويكون حجة إن كان قدوة للقوم بأن ذلك جائز غير مكروه؛ لقول من يقول: قد كان سيدي فلان يحضره ولا يغيره فلو كان بدعة لما حضره ولا رضي به، وهذا والحالة هذه زيادة في الدين وهي مسألة معضلة إذ إن إثم ذلك كله على من فعله أو أمر به أو استحسنه أو رضي به أو أعان عليه بشيء ما أو قدر على تغييره بشروطه فلم يفعل وكذلك الحكم في كل شيء أحدث في الدين فليجتنب هذا جهده والله الموفق.

القاعـــدة الثامنـــة
في أن كلام من يحاول إظهار بدعة دائماً يكون متناقضاً

جرت سنة الله عز وجل فيمن يحاول إخماد سنة وإظهار بدعة أن كلامه يكون متناقضاً متبايناً فالرد عليه من كلامه فكفى الغير مؤنة ذلك إذ أن الحق واحد لا يتغير ولا يزيد ولا ينقص قال الله سبحانه في كتابه العزيز: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[1].

ذكر هذه القاعدة ابن الحاج في الجزء الرابع من [المدخل] (ص٢٦٢) وهي واضحة غاية الوضوح في كتابات الشيخ محمد بن علوي في المولد فإنها كثيرة التناقض وشديدة الاضطراب.

انتهت هذه القواعد التي لابد لمن يريد الحق من الانتباه لها وبانتهائها انتهى هذا الرد، والله أسأل أن أكون موفقاً فيه وهو حسبنا ونعم الوكيل.

إسماعيل بن محمد الأنصاري

---

(١) سورة النساء، الآية ٨٢.

فهـــرس كتـــاب
القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل

الموضـــوع	الصفحة
مقدمة تحتوي على ما يلي:	
١ ـ تلخيص كلمة سماحة العلامة الأثري الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز في [حكم الاحتفال بالمولد]	٣٩١
٢ ـ نص تلك الكلمة	٣٩٣
٣ ـ بيان الذين أثاروا الضجة حول تلك الكلمة القيمة	٣٩٩
دعوى أن الاحتفال بالمولد ليس من مخترعات المتسمين بالفاطميين وإنما اخترعه صاحب إربل	٤٠١
الاستدلال للاحتفال بالمولد بآية: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ الآية	٤٠١
التعلق بتخريج الحافظ ابن حجر في فتواه في المولد عمل المولد على حديث صوم يوم عاشوراء وخطأ الرفاعي في عزو تلك الفتوى إلى الهيتمي	٤٠٢
التعلق بتخريج السيوطي عمل المولد على ما روي أن النبي ﷺ عق عن نفسه	٤٠٦
التعلق بتخريج عمل المولد على ما جاء عن عروة في تخفيف العذاب عن أبي لهب كل يوم الإثنين بسبب عتقه لثويبة حينما بشرته بولادة خير الخلق	٤٠٧

دعوى أن أول من احتفل بالمولد وهو صاحب إربل ملك عادل
ذكر ابن خلكان وسبط ابن الجوزي نتفاً من احتفاله به . . . ٤٠٩
ثناء أبي شامة على صاحب إربل لاحتفاله بالمولد وتأليف ابن
دحية وهو من العلماء كتاباً في المولد ٤٠٩
كلام لشيخ الإسلام في [الاقتضاء] استدل به الشيخ محمد بن
علوي بعد تصرفه فيه ٤٠٩
ثناء ابن بطوطة في رحلته على بعض قضاة مكة أيام وصوله إلى
مكة باحتفاله بالمولد النبوي ٤١١
قياس الاحتفال بالمولد النبوي على الاحتفالات التي تقام للرؤساء
إحياء للذكرى ٤١١
دعوى أن الاحتفال بالمولد إذا لم يقتصر فيه على وقت معين
لا حرج فيه ٤١٢
دعوى أن للإمام ابن كثير مصنفات عديدة في الاحتفال بالمولد
ذكر بعضها صاحب [كشف الظنون] وبعضها ابن فهد ٤١٣
دعوى أن علماء الأقطار استحسنوا الاحتفال بالمولد وقد ورد
في الحديث «**ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن**» ٤١٤
الاستدلال بأن المولد اجتماع ذكر وصدقة ومدح وتعظيم
للجناب النبوي وهي أمور مطلوبة شرعاً ٤١٥
الاستدلال لزيارة أهل مكة ليلة المولد للمولد المكاني واحتفالهم
به بما ورد في بعض روايات حديث الإسراء أن النبي ﷺ صلى
ركعتين ليلة الإسراء ببيت لحم بأمر جبريل ٤١٨
معارضة الأحاديث الثابتة في ذم البدع بحديث «**من سن سنة حسنة**» ٤١٩

معارضتها بأثر ابن مسعود (ما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن) الحديث ٤٢١
معارضتها بإجماع السلف الصالح على جمع القرآن وكتبه في المصاحف وعلى جمع الناس على المصاحف العثمانية ٤٢٢
معارضتها بتقسيم من قسم من أهل العلم البدعة إلى أحكام الشريعة الخمسة ٤٢٢
معارضتها باستعمال المسلمين السلاح المتطور ٤٢٧
مقدمة: في بيان أن الاحتفال بالمولد النبوي لم يقع من السلف الصالح وأنه من البدع ٤٢٩
قول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك ٤٢٩
رسالة العلامة تاج الدين عمر بن علي الفاكهاني واعتماد العدوي وعليش عليها ٤٣٠
فتوى الأستاذ أبي عبدالله الحفار المالكي في ذلك ٤٣٦
قول المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ....
قول الإمام الشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب والجواب عما قد يتوهم منه خلافه ٤٣٨
قول العلامة محمد بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ٤٣٩
قول السيد علي فكري ٤٤١
قول الشيخ محمد بن عبدالسلام الشقيري ٤٤١
قول ابن الحاج في [المدخل] ٤٤٢
قول الحافظ أبي زرعة العراقي ٤٤٣

قول الحافظ ابن حجر العسقلاني ٤٤٣
قول السخاوي في فتاواه ٤٤٤
قول ابن الطباخ ٤٤٤
قول ظهير الدين التزمنتي ٤٤٤
تقرير أن ترك ما تركه النبي ﷺ سنة مما يدل على عدم احتفال
السلف الصالح بيوم المولد النبوي اختلافهم في تحديده ٤٤٤
كلام أبي عبدالله الحفار في ذلك ٤٤٦
كلام ابن كثير في الخلاف في تحديد يوم المولد النبوي ٤٤٧
كلام القسطلاني في [المواهب اللدنية] في ذلك ٤٤٨
صاحب إربل يحتفل بالمولد سنة في ثامن شهر ربيع الأول وسنة
في ثاني عشر ربيع الأول مراعاة للخلاف في تحديده ٤٤٩
ابن الحاج والفاكهاني يقرران أن الشهر الذي ولد فيه النبي ﷺ هو
بعينه الشهر الذي مات فيه فليس الفرح بأولى من الحزن فيه ٤٤٩
فصل: في إثبات احتفال بني عبيد القداح بالموالد قبل صاحب إربل
وأنهم أول من احتفل بالمولد بها ٤٥١
كلام المقريزي في ذلك ٤٥١
كلام القلقشندي فيه ٤٥٦
كلام مفتي الديار المصرية محمد بخيت المطيعي فيه ٤٥٧
كلام علي محفوظ في الإبداع في مضار الابتداع فيه ٤٦١
نص كتاب [المعز لدين الله] تأليف الدكتورين حسن إبراهيم حسن
وطه أحمد شرف في احتفالات بني عبيد القداح بالمولد ٤٦٢
نص تأليف مختار العبادي في التاريخ العباسي والفاطمي ٤٦٥

فصل: في الجواب عما استدل به المعارضون على مشروعية الاحتفال بالمولد النبوي ٤٦٦
الجواب عن الاستدلال بآية: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ بأن ذلك من حمل النص على ما لم يحمله عليه السلف الصالح والعمل به على غير الوجه الذي عملوا به وهما ممنوعان ٤٦٦
كلام الشاطبي في [الموافقات] في منع حمل النص على ما لم يحمله عليه السلف الصالح والعمل به على غير الوجه الذي عملوا به . ٤٦٦
كلامه في [الاعتصام] في ذلك ٤٧٣
كلام الحافظ ابن عبدالهادي في [الصارم المنكي] فيه ٤٧٤
كلام [مختصر الصواعق] محمد بن الموصلي فيه ٤٧٤
تفسير ابن القيم آية ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ وهو حجة على من يستدل للاحتفال بالمولد بها ٤٧٥
الجواب عن تخريج عمل المولد على حديث صوم يوم عاشوراء ٤٧٥
تلخيص جواب السيد رشيد رضا عن فتوى ابن حجر العسقلاني في عمل المولد التي جاء فيها ذلك التخريج ٤٧٧
الجواب عن تخريج عمل المولد على ما روي أن النبي ﷺ عق عن نفسه بأنه غير ثابت ٤٨٠
قول مالك في ذلك الحديث ٤٨٠
قول عبدالرزاق فيه ٤٨٠
قول الإمام أحمد بن حنبل فيه ٤٨٠
قول ابن حبان فيه ٤٨١
قول البزار فيه ٤٨١

قول البيهقي فيه ٤٨٢
قول النووي فيه ٤٨٢
قول الحافظ أبي الحجاج المزي فيه ٤٨٣
قول الذهبي فيه ٤٨٣
قول ابن حجر العسقلاني فيه ٤٨٣
قول الزرقاني فيه ٤٨٥
الجواب عن تخريج عمل المولد على ما ورد عن عروة في تخفيف العذاب عن أبي لهب لإعتاقه ثويبة حينما بشرته بولادة النبي ﷺ ٤٨٦
الإجابة عنه بأنه مرسل كما يظهر من سياقه عند البخاري ٤٨٦
الإجابة عنه بأنه رؤيا منام فلا حجة فيه ٤٨٦
الإجابة عن ذلك المرسل بمخالفته لما عند أهل السير وهو أن إعتاقه إياها كان بعد الإرضاع بدهر طويل ٤٨٦
الإجابة عن ذلك المرسل بمخالفته ظاهر القرآن وبيان التفرقة بين قضية أبي طالب وقضية أبي لهب ٤٨٦
الجواب عن احتفال صاحب إربل بالمولد وما يتعلق بذلك ٤٩٠
جواب سماحة المفتي الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ عنه بأن فعله ذلك يعارض الأحاديث الثابتة في ذم البدع فلا يقبل ٤٩٠
طعن سماحته في صاحب إربل بمحبته للسماع وإيراد ما هو صريح في ذلك ٤٩١
طعن ياقوت في صاحب إربل بأن طباعه مختلفة متضادة وبأنه غيرمتزن ٤٩١
إيضاح أن صاحب إربل قد سبقه إلى الاحتفال بالمولد بنو عبيد

القداح والشيخ عمر بن محمد الملا بالموصل وبعمر هذا اقتدى صاحب إربل ٤٩١
عدم اعتبار إيراد ابن خلكان نتفاً من مظاهر صاحب إربل بالمولد لما في تاريخه من أمور غير مرضية ٤٩١
إنكار أهل العلم على ابن خلكان ذكره في تاريخه انتياب الناس للقبور وتبركهم بها........................ ٤٩٣
إنكارهم عليه أنه يطيل تراجم الشعراء ويترجم العلماء ترجمة يسيرة ويترك بيان زندقة الزنادقة..................... ٤٩٤
عدم تجريح ابن خلكان ابن الراوندي المشهور بالزندقة ومعاتبة ابن كثير إياه على ذلك وترجمة ابن كثير لابن الراوندي ٤٩٤
تعجب ابـــن العمـــاد في [شذرات الذهب] ج٢ ص٢٣٥ من سكوت ابن خلكان عن إلحاد ابن الراوندي مع اطلاعه عليه ... ٤٩٦
إيراد ترجمة ابن الراوندي في [تاريخ ابن خلكان] لإيضاح تساهله في السكوت عن زندقته......................... ٤٩٦
عدم اعتبار إيراد سبط ابن الجوزي في [مرآة الزمان] احتفال صاحب إربل بالمولد ٤٩٧
ذكر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية والذهبي وعبدالقادر القرشي الحنفي في سبط ابن الجوزي [ومرآة الزمان]............. ٤٩٧
قول أبي شامة في سبط ابن الجوزي رأيته ـ أي بعد وفاته ـ في المنام في حالة منكرة ورآه غيري ـ أي كذلك ـ أيضاً......... ٤٩٨
إحراج بعض المتصوفة إياه بسؤال عن سبب انتقاله عن مذهب

أحمد بن حنبل إلى مذهب أبي حنيفة ٤٩٨
الجواب عن ثناء أبي شامة على صاحب إربل لاحتفاله بالمولد بأن أباشامة لم يذكر له مستنداً سوى الاقتداء في ذلك العمل بالصوفي عمر الملا ٤٩٩
الجواب عنه بما ذكره الإمام ابن تيمية وهو أن مع المنكرين لذلك الاحتفال كتاب الله وسنة رسوله ومعهم عامة المتقدمين .. ٥٠٠
جزم الشيخ محمد بخيت المطيعي مفتي الديار المصرية بأنما يعمله صاحب إربل في عمل المولد لا يمكن الحكم عليه كله بالحل ٥٠١
معارضة الثناء على ابن دحية مؤلف [التنوير في مولد السراج المنير] بكلام أهل العلم فيه ٥٠١
كلام سبط ابن الجوزي فيه ٥٠٤
كلام الحافظ الضياء فيه ٥٠٤
كلام ابن واصل قاضي حماة فيه ٥٠٤
كلام ابن نقطة فيه ٥٠٥
كلام ابن النجار فيه وقصة سجادته ٥٠٦
كلام الحافظ الذهبي فيه ٥٠٨
كلام الإمام ابن كثير فيه ٥٠٩
اتهام ابن خلكان نفسه لابن دحية ٥١٠
الرد على التعلق بعبارة [الاقتضاء] في المولد ٥١٣
إيضاح شيخ الإسلام أن إثابة الواقع في المواسم المبتدعة هي على ما فيها من المشروع وأنها لا تمنع النهي عنها ٥١٣

معارضة شيخ الإسلام ما في المولد وغيره من المواسم من المنفعة بما فيها من المفاسد ٥١٤
معارضته الاحتفال بيوم المولد بالاختلاف فيه وبأن الاحتفال به لم يفعله السلف مع قيام المقتضى وعدم المانع منه ٥١٦
ذكره أن أكثر الذين يحرصون على ذلك الاحتفال تجدونهم فاترين في أمر الرسول عما أمروا بالنشاط فيه ٥١٦
تصريحه بأن مع المنكرين لذلك الاحتفال كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ومعهم عامة المتقدمين الذين هم أفضل ٥١٧
الجواب عن الاحتجاج بثناء ابن بطوطة في رحلته على قاضي مكة أيام وصوله إليها باحتفاله بالمولد............... ٥١٧
كلام الشيخ حسن السائح في مقدمته لرحلة البلوي في رحلة ابن بطوطة ٥١٧
من كذبات ابن بطوطة في رحلته دعواه أنه رأى الإمام ابن تيمية نزل على منبر جامع دمشق وقال: إن الله ينزل إلى السماء الدنيا كنزولي هذا ٥١٨
تبرئة الشيخ محمد منير الدمشقي شيخ الإسلام ابن تيمية من تلك الفرية ... ٥١٨
تبرئة السيد رشيد رضا الإمام ابن تيمية منها ٥٢١
من مزاعم ابن بطوطة في رحلته أن أهل مكة في زمانه اعتقدوا الولاية في مجنون ٥٢٢
تفنيد سماحة المفتي محمد بن إبراهيم - في رسالته في المولد قياس الاحتفال بالمولد النبوي على الاحتفالات التي تقام للرؤساء إحياء للذكرى ٥٢٤
دعوى رفع الحرج على من احتفل بيوم المولد إذا لم يقتصر

على وقت معين يردها كلام العسقلاني في فتواه.......... ٥٢٦
تحقيق حول دعوى أن لابن كثير في الاحتفال بالمولد النبوي مؤلفات عديدة منها [جامع الآثار في مولد النبي المختار] و[اللفظ الرائق في مولد خير الخلائق] و[مورد الصادي في مولد الهادي] ٥٢٦
الجواب عن دعوى أن الاحتفال بالمولد النبوي أمر استحسنه العلماء ٥٣٠
جواب السيد رشيد رضا عن الاستدلال لمشروعية الاحتفال بالمولد بما فيه من ذكر وصدقة ومدح للجناب النبوي وكلام السيد رشيدرضا.......................... ٥٣٢
وحسنين مخلوف وعلي محفوظ على بدعة الصاري ٥٣٣
إذا اقتضى الدليل أمراً في الجملة مما يتعلق بالعبادات فأتى المكلف فيه بكيفية مخصوصة أو قيده بزمان أو مكان من غير أن يدل الدليل على ذلك كان الدليل بمعزل عن ذلك المعنى المستدل عليه ... ٥٣٦
نفس نية المولد في ذلك العمل بدعة ٥٣٩
عدم الاعتماد على دعوى المحتفل بالمولد أن النبي ﷺ أمره بالاحتفال به في المنام ٥٤٠
إيضاح النووي أن الرؤيا في المنام لا تبطل بها سنة ولا تثبت بها سنة ٥٤٠
قول صاحب [المدخل] في ذلك ٥٤٢
قول الشاطبي فيه ٥٤٥
قول الحافظ ابن كثير فيه ٥٤٨
قول ابن مفلح المقدسي فيه ٥٤٨

قول الحافظ العراقي فيه ٥٥٠
قول الحافظ أبي زرعة العراقي ٥٥٣
قول السخاوي ٥٥٣
قول الشيخ ملا علي قاري ٥٥٤
ذكر نبذة مما ورد في الطالع السعيد من الغلو في القبور ٥٥٤
دعوى بعض أولياء الطالع السعيد التصرف في الكون وبعضهم علم الغيب وبعضهم الاجتماع بالنبي ﷺ يقظة ٥٥٥
كون السبتي شيخ أبي حيان لا يقتضي قبول كل ما يقوله ولا رضا أبي حيان به وذكر ما وقع بين أبي حيان وبين شيخه ابن الطباع . ٥٦٢
مصادمة اعتبار السبتي يوم المولد يوم عيد للأدلة ٥٦٣
إيراد السيوطي في [حسن المقصد] قصة السبتي لا يوجب قبولها لعدم تحريه في كثير مما يورده في مؤلفاته ٥٦٣
أمثلة لما وقع في بعض كتب السيوطي من الاستغاثة بغير الله تعالى
اعتماد السيوطي في تلك الاستغاثة على كتاب [المستغيثين بخير الأنام] وكلام شيخ الإسلام في صاحب ذلك الكتاب ٥٦٤
رجوع السيوطي عن بعض مؤلفاته وغسله إياها من أدلة سوء تصرفه في بعض كتاباته ٥٦٦
عدم فهم السيوطي كلام صاحب [المدخل] في عمل المولد ... ٥٦٧
رفض السيوطي ما لا يوافق هواه من كلام الأدفوي في [الطالع السعيد] وإن كان صواباً ٥٦٧
من أمثلة ذلك رفضه لما أوضحه الأدفوي من أن الشخص الواحد لا يشغل مكانين ٥٦٨

دعوى السيوطي في [المنجلى] أن الكعبة تطوف بالأولياء..... ٥٧٣
ما ورد في صلاة النبي ﷺ ليلة الإسراء ركعتين ببيت لحم بأمر
جبريل عليه السلام.......................... ٥٧٤
الجواب عما ورد في ذلك من رواية شداد بن أوس وانتقاد الذهبي
وابن كثير تصحيح البيهقي إسناد تلك الرواية............ ٥٧٦
الجواب عما ورد في ذلك من رواية أنس عند النسائي في [المجتبى] ٥٧٧
الجواب عما ورد في ذلك من رواية أبي هريرة عند ابن حبان وجزم
ابن حبان بأن تلك الرواية موضوعة وتلقي ابن الجوزي والسبكي
وابن كثير والشوكاني كلام ابن حبان بالقبول وكلام ابن تيمية وابن
القيم في ذلك.............................٥٧٩
تصريح ابن ظهيرة في [الجامع اللطيف] بأن ما يصنعه أهل مكة ليلة
المولد كل عام من زيارة المولد المكاني والاحتفال به لم يجد له أصلاً ٥٨٤
إجابة الشاطبي عن حديث «من سن سنة حسنة» بجوابين يدلان
على أن المراد بقول النبي ﷺ: «من سن سنة» من عمل بسنة ثابتة
لا من اخترعها.............................٥٨٥
جوابه عن حديث «**من ابتدع بدعة ضلالة**»............. ٥٨٨
الجواب عن الاستدلال بحديث «**ما رآه المسلمون حسناً فهو عند
الله حسن**» بأن المراد بالمسلمين فيه الصحابة............٥٨٩
جواب ابن حزم وابن قدامة وابن القيم والشاطبي عنه بأن المراد به
ما أجمع عليه المسلمون...................... ٥٩١
دعوى العجلوني أن أثر ابن مسعود (ما رآه المسلمون حسناً فهو
عند الله حسن) ليس في مسند أحمد وتوهيمه في ذلك....... ٥٩٤

جزم ابن الجوزي وابن القيم وابن عبدالهادي ببطلان رفع هذا الأثر ٥٩٦
واستغراب الزيلعي رفعه وإيراد نصوصهم في ذلك ٥٩٨
الجواب عن جمع الصحابة المصحف وقصرهم الناس عليه ... ٥٩٩
والجواب عن كتابة العلم ٦٠٢
الجواب عن تقسيم القرافي البدعة إلى أقسام أحكام الشرع الخمسة وعما اعتبره أمثلة لذلك ٦٠٣
الجواب عن تقسيم العز البدعة إلى أقسام أحكام الشرع الخمسة وعما مثل به لذلك ٦٠٩
الجواب عن إيراد المحاربة بالرصاص والمدافع والدبابات والطيارات والأساطيل على ذم البدعة ٦٢٤
جزم شيخ الإسلام بأن تقسيم البدعة الشرعية إلى أحكام الشرع الخمسة سلب لعموم «**كل بدعة ضلالة**» ٦٢٦
رد السيد رشيد رضا على ذلك التقسيم ودعوته شيخ الأزهر إلى تأليف لجنة من العلماء تقوم بالواجب نحو التصريح بالحق في الموالد وفي غيرها من البدع ٦٢٦

فصل: فيما يترتب على الاحتفال بالمولد النبوي من أمور خطيرة ومفاسد كثيرة ٦٢٩

صدور أوامر من بعض الولاة بتصيير ذلك اليوم عيداً ٦٢٩
تصريح بعض المتأخرين من أهل العلم باعتباره عيداً وكلام شنيع للسخاوي في ذلك ورد الملا علي القاري عليه ٦٣٠

فتوى ابن عباد وابن عاشر بمنع صومه على أساس أنه عيد واستحسان القوري والدسوقي ذلك والرد عليه ٦٣١
دعوى أن ليلة المولد أفضل من ليلة القدر والرد عليها وعلى القسطلاني الذي اغتر بها ٦٣٧
التوسع في الموالد جرياً على طريقة بني عبيد القداح المسمين بالفاطميين ٦٤٢
دعوى أن في يوم المولد ساعة من صادفها يسأل الله تعالى شيئاً أعطاه إياه قياساً على يوم الجمعة وتعقيب الزرقاني على ذلك . ٦٤٤
غلط الشيخ محمد بن علوي في الحديث الذي ورد في فضل يوم الجمعة . . ٦٤٨

علماء العصور المتأخرة يذكرون المفاسد الموجودة في أزمنتهم في الموالد ويستنكرونها ٦٤٨

ابن الحاج يذكر في المدخل المفاسد الموجودة في الموالد في زمانه . . . ٦٥٩
ويلخص كلامه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ أحسن تلخيص ٦٥٩
القاضي المنستيري والفقهاء يذكرون أن في احتفال الأمير أبي يحيى بالمولد مجاهرة بالذنب لاحتوائه على اللهو ورفع قناع الحياء ويصرحون بأن النبي ﷺ لو حضر تلك الليلة لم يأذن لهم في ذلك الاجتماع ٦٥٩
بعض علماء المغرب يقول فيما أحدثه العزفي وولده أبوالقاسم في عمل المولد لا يخلو من مزاحم في النية أو مفسد للعمل أو دخول شهوة ٦٦١

البناني المالكي يعتبر الإيصاء بإقامة المولد في زمانه إيصاء بالمعصية لما فيه من اختلاط الرجال بالنساء وغير ذلك من المناكير ٦٦٢
الهيتمي يذكر أن أكثر الموالد في زمانه مشتمل مع ما فيه من الخير على الشر ويمنع ما كان كذلك بناء على أن درء المفاسد أولى من جلب المصالح ٦٦٢
شيخ الإسلام ابن تيمية يسرد في الاقتضاء ما في الموالد وغيرها من المفاسد الاعتقادية والحالية ٦٦٣
الشيخ محمد بخيت المطيعي يذكر المحرمات والمكروهات التي تقع في عمل المولد ويمنع الصرف عليه من بيت المال ومن الأوقاف ٦٦٤
السيد رشيد رضا يذكر اشتمال الموالد في زمنه على المعاصي المعلوم تحريمها من الدين بالضرورة ويذكر منها تعطيل الصلاة .. ٦٦٥
السيد علي فكري يسهب في تعداد المفاسد والمخازي التي توجد في الموالد ويدعو الولاة إلى إزالتها ٦٦٥
علي محفوظ يذكر في [الإبداع] ما يقع في الموالد من المحرمات والمكروهات ٦٦٧
صاحب الإبداع يضيف إلى ذلك التصريح بأن الموالد صارت مراتع للفسوق والفجور وأسواقاً تباع فيها الأعراض ٦٧٠
السيد رشيد رضا يصف الموالد بأوصاف تدل على الرغبة عن الشرع ويستنكر صرف الأموال في ذلك ويذكر أن ما يعمل فيها

من أسباب تأخر المسلمين ٦٧١

ابن خلكان يصف ما في احتفال صاحب إربل بالمولد من الإسراف .. سبط ابن الجوزي يذكر أن صاحب إربل ينفق على المولد في كل سنة ثلاثمائة ألف دينار ٦٧٧

السخاوي يحزر ما أنفقه سلطان مصر في ليلة المولد بنحو عشرة آلاف مثقال من الذهب ٦٧٨

المقري التلمساني يصف إسراف أبي حمو موسى بن يوسف في احتفاله بالمولد ٦٧٩

فصل في الكلام على قصص المولد ٦٨٤

الإمام محمد بن عبدالوهاب يبين أن الاجتماع على قراءة قصص المولد بدعة ٦٨٤

السيد رشيد رضا يقول: إن أول من ابتدع الاجتماع لقراءة قصة المولد الشراكسة ٦٨٥

الأضرار التي تقع في قصص المولد ٦٨٥

الأول: إيراد أحاديث غير ثابتة فيها ٦٨٥

كلام السخاوي في ذلك ٦٨٥

قول السيد رشيد رضا فيه ٦٨٥

قول السيد علي فكري فيه ٦٨٦

أمثلة لذلك ٦٨٦

حديث جابر الذي جاء فيه (إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك

يا جابر) بألفاظه عند القسطلاني والديار بكري وأبي الربيع ٦٨٦
حديث (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) ودعوى الشيخ محمد بن علوي أن العلقمي صححه ودعوى علي القارىء أن الأحاديث الصحيحة تشهد لمعناه ٦٩٠
حديث (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث) ٦٩١
حديث (كنت نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر ألف عام) وكلام القسطلاني ومحمد بن علوي فيه ٦٩٢
حديث أن آدم عليه السلام لما رام القرب من حواء طلبت المهر منه فقال: يا رب وماذا أعطيها قال: يا آدم صل على محمد عشرين مرة ففعل ٦٩٥
حديث (أن الأرواح خلقت قبل الأجساد) وتفسير السبكي به حديث «**كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد**» ٦٩٦
حديث عمر بن الخطاب في توسل آدم بمحمد ﷺ ٦٩٧
حديث ابن عباس أوحى الله إلى عيسى عليه السلام آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقتك .. ٦٩٨
حديث رفع النبي ﷺ نسبه إلى نزار ٦٩٨
حديث (أنا ابن الذبيحين) ٦٩٩
حديث وضع الحوامل الذكور في السنة التي ولد فيها خير الخلق كرامة له ٦٩٩
حديث نطق كل دابة لقريش ليلة الحمل بمحمد ﷺ ٦٩٩
وقالت: حمل به، وحضور آسية ومريم ونساء من الحور العين ولادة النبي ﷺ ٦٩٩
حديث أن النبي ﷺ ولد مختوناً ٧٠٠

حديث مناغاة النبي ﷺ القمر في المهد ٧٠١
حديث أن آمنة رأت وهي حامل برسول الله ﷺ أنه قيل لها: إنك حبلى بخير البرية الحديث ٧٠١
حديث سلمان عند ابن عساكر أن جبريل هبط على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول: إن كنت اتخذت إبراهيم خليلاً الحديث وفيه (ولولاك ما خلقت الدنيا) ٧٠٢
ما ورد في حديث الوفاة النبوية أن جبريل قال: يا رسول الله هذا آخر موطئي من الأرض ٧٠٢
الجواب عن حديث جابر الذي ورد فيه (إن الله خلق نور نبيك قبل الأشياء يا جابر) ٧٠٣
شيخ الإسلام يوضح أن النبي ﷺ خلق مما خلق منه البشر لا من نور وأن ما تضمنه حديث جابر غير صحيح ٧٠٣
السيوطي يذكر في الحاوي قطعة من ذلك الحديث ويبين أنه ليس له سند يعتمد عليه ٧٠٧
الشيخ سليمان بن سحمان يذكر أن ذلك الحديث موضوع مخالف للكتاب والسنة ويوضح تلك المخالفة ٧٠٧
صاحب [السنن والمبتدعات] يوضح في تعليقه على ما اقتطفه ابن نباتة في خطبته من ذلك الحديث أنه لا أصل له وبيان قوة ارتباط خطب ابن نباتة بـ[نهج البلاغة] ٧١١
كلام أهل العلم في كتاب [نهج البلاغة]. ٧١٤
السيد رشيد رضا يجزم بأن حديث (إن الله خلق قبل الأشياء نور نبيك يا جابر) لا أصل له ٧١٧

الغماري يذكر أن لفظ حديث جابر في أن الله خلق نور نبيه قبل الأشياء وخلق منه الأشياء عند الديار بكري موضوع وإيراد لفظه ٧١٩
أبونعيم يورد حديث (خلقني الله من نوره) إلخ ويصرح ببطلانه والذهبي والعسقلاني يبينان أن آفته المنبجي ٧٢٢
الجواب عن حديث كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ٧٢٣
كلام شيخ الإسلام في رده على أهل وحدة الوجود في بطلان ذلك الحديث ٧٢٤
كلامه في رسالته في [أحاديث القصاص] في بطلانه ٧٢٨
اعتماد الإمام ابن القيم على كلام شيخه ٧٣٠
اعتماد السخاوي على كلام الإمام ابن تيمية ٧٣٠
إيضاح ابن كثير المراد بالأحاديث التي زعم الملا علي قاري أنها تشهد لحديث كنت نبياً وآدم بين الماء والطين ٧٣١
كلام الملا علي قاري في [شرح مشكاة المصابيح] في ذلك الحديث يخالف كلامه في [المورد الروي] ٧٣٥
كلام الحافظ ابن كثير في حديث (كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث) في تفسيره وفي تاريخه ٧٣٦
خبر (لما أراد الله أن يخلق محمداً ﷺ أمر جبريل أن يأتيه بالطينة التي هي قلب الأرض) الحديث ٧٣٨
رواية حديث (كنت نوراً بين يدي ربي قبل خلق آدم بأربعة عشر ألف عام) عند ابن القطان وعدم الاعتماد عليها لعدم ذكر سندها ٧٣٩
رواية القطيعي إياه في زياداته في [فضائل الصحابة] للإمام أحمد عن سلمان الفارسي موضوعة ٧٣٩

كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في الأحاديث التي استدل بها من قال:
بأن حقيقة النبي كانت موجودة قبل أن يخلق ٧٤٠
حول عزو الشيخ محمد بن علوي لفظ (كنت نوراً بين يدي ربي)
إلخ إلى مسند العدني ٧٤٢
حول عزوه ذلك اللفظ إلى [الوفاء] لابن الجوزي ٧٤٣
حول عزوه إياه إلى كتاب [الموضوعات] لابن الجوزي ٧٤٤
حول عزوه إياه إلى [اللآلىء المصنوعة] للسيوطي ٧٤٥
مراد القاضي عياض بقوله في حديث إن قريشاً كانت نوراً بين يدي
الله يشهد لصحته شعر العباس في النبي يعني قوله من قبلها طبت
في الظلال الأبيات ٧٤٦
قول الذهبي في [الشفا]: (إنه محشو بالأحاديث الموضوعة
والتأويلات الواهية) ٧٤٧
ذكر تقي الدين بن تيمية أن في [الشفا] من الأحاديث والآثار ما ليس
له أصل ٧٤٨
حول دعوى الشيخ محمد بن علوي أن الحافظ ابن حجر أورد
أبيات العباس في ترجمة خريم من الإصابة ٧٤٨
حول تعلقه بسكوت الذهبي عن قول الحاكم في [المستدرك]
حينما روى بسنده هذه الأبيات رواية الأعراب عن آبائهم ومثلهم
لا يضعون ٧٤٩
تعقب الذهبي في [سير أعلام النبلاء] كلام الحاكم في أولئك
الرواة بأنهم لا يعرفون وقوله في [الميزان] في زحر بن حصين
راويه عن جده) لا يعرف ٧٥٠

كلام الحفاظ في أبي السكين زكريا بن يحيى الطائي الذي عليه مدار ذلك الحديث ٧٥٣
بيان معنى تلك الأبيات على فرض ثبوت الحديث الذي وردت فيه ٧٥٤
إعلال رواية (أن قريشاً كانت نوراً) ٧٥٦
لا أصل لحديث (أن الملائكة قالت لآدم حين مد يده إلى حواء: مه حتى تؤدي مهرها، قال: وما مهرها؟ قالوا: تصلي على محمد ثلاث مرات ففعل ٧٥٨
خبر خلق الأرواح قبل الأجساد غير صحيح كما بينه ابن القيم والسيوطي والهيتمي ٧٥٩
رواية الحاكم لحديث عمر في توسل آدم بالنبي محمد ﷺ التي فيها (ولولا محمد ما خلقتك) وتصحيحه سندها ٧٦٢
تضعيف البيهقي ذلك الحديث ونقل ابن كثير ذلك عنه في موضعين من تاريخه ٧٦٤
تعقب شيخ الإسلام ابن تيمية تصحيح الحاكم لإسناده وقوله بأن أئمة الحديث أنكروا على الحاكم روايته وتصحيحه لسنده ٧٦٤
جزم ابن عبدالهادي في الصارم بأن ذلك الحديث غير ثابت؛ لأن فيه عبدالرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف جداً وبأن إسناده من الحاكم إلى عبدالرحمن مفتعل ٧٦٥
كلام الحافظ الذهبي فيه في [تلخيص المستدرك] ٧٦٦
قول الحافظ ابن حجر فيه في [اللسان] وحكايته عن بعض أهل العلم أن الحاكم حصل له تغير وغفلة ٧٦٧

إعلال رواية الطبراني في [الجامع الصغير] لذلك الحديث بعبدالرحمن بن زيد بن أسلم ٧٦٨

تضعيف حديث ابن عباس (أوحى الله إلى عيسى عليه السلام يا عيسى آمن بمحمد وأمر من أدركه من أمتك أن يؤمن به فلولا محمد ما خلقت آدم) إلخ ٧٦٩

حديث (لولا حبيبي محمد ما خلقت سمائي ولا أرضي ولا جنتي ولا ناري) وكلام الإمام عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب فيه ٧٧٠

كلام البيهقي وابن كثير فيما ورد في الحديث من رفع النبي نسبه إلى عدنان وكلام العسقلاني في رواية أخرى فيها رفعه إياه إلى النضر ٧٧٢

حديث (أنا ابن الذبيحين) ودعوى الحاكم ثبوت هذا اللفظ عن النبي ﷺ ورد الحفاظ عليه ٧٧٣

دعوى العجلوني أن الزرقاني حسن هذا الحديث وأنه قال فيه: صححه الحاكم والذهبي وتوهيمه في ذلك ٧٧٧

قول السيوطي بأن حديث وضع الحوامل في السنة التي ولد فيها النبي ﷺ الذكور كرامة له ـ منكر شديد النكارة ٧٧٩

لفظ حديث أن كل دابة لقريش نطقت ليلة الحمل بمحمد ﷺ وقالت: حمل برسول الله ﷺ في [دلائل النبوة] لأبي نعيم ٧٨٠

ذكر لفظه الذي أورده ابن كثير في [البداية والنهاية] وعزاه إلى أبي نعيم ثم قال: (هكذا أورده أبونعيم وسكت عليه وهو غريب جداً ٧٨٣

ذكر لفظه الذي أورده السيوطي في [الخصائص الكبرى] وعزاه إلى

أبي نعيم ثم قال: فيه نكارة شديدة ٧٨٦
ذكر ما أورده القسطلاني في [المواهب اللدنية] مفرقاً وفي بعض ألفاظه عنده حضور آسية ومريم ونساء من الحور العين ولادته وعزا الجميع إلى أبي نعيم وضعفه ٧٨٩
إعلال حديث أن النبي ﷺ ولد مختوناً وأن ذلك من خصائصه... ٧٩٢
كلام الحافظ ابن كثير فيما ورد في ذلك الباب.......... ٧٩٢
كلام ابن القيم في [تحفة المودود بأحكام المولود] في أحاديث الباب ٧٩٥
كلامه في زاد المعاد في هدي خير العباد في أحاديث الباب ... ٨٠٠
كلام الحافظ الذهبي في [الميزان] وفي تاريخ الإسلام فيها ٨٠٢
تعقب الحافظ الذهبي في تلخيص المستدرك دعوى الحاكم تواتر الأخبار بأن رسول الله ﷺ ولد مختوناً.............. ٨٠٤
ما جاء عن الإمام أحمد بن حنبل في هذا الباب.......... ٨٠٤
حديث مناغاة النبي ﷺ القمر في المهد ذكر الحافظ في [الإصابة] أن سنده واهٍ جداً، وأعله البيهقي بأحمد بن إبراهيم الحلبي ... ٨٠٥
تعقب قول الصابوني في المائتين في هذا الحديث هو حسن في المعجزات ٨٠٦
حديث بريدة أن آمنة قيل لها في المنام وهي حامل بالنبي: إنك حبلى بخير البرية وسيد العالمين فإذا ولدتيه فسميه أحمد أو محمداً وعلقي عليه هذه) في سنده تالفان.............. ٨٠٦
جعل بعض أهل السير الأبيات المذكورة في ذلك الحديث من حديث ابن عباس لا أصل له.................. ٨٠٩

سند رواية حديث سلمان عند ابن عساكر أنه قال: هبط جبريل على النبي ﷺ فقال: إن ربك يقول: إن كنت اتخذتك خليلاً إلخ واه جداً . . ٨٠٩

سند رواية ابن الجوزي في [الموضوعات] لهذا الحديث فيه مجهولون وضعفاء وقد بينْ ذلك ابن الجوزي ٨١٠

إعلال ما جاء في بعض روايات خبر الوفاة النبوية أن جبريل قال للنبي ﷺ: (هذا آخر موطئي من الأرض) بالإعضال وبعضها بالإرسال ٨١٢

إعلال رواية محمد بن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه عن علي بن أبي طالب التي أوهم السيوطي أنها ثابتة وبيان حال محمد بن جعفر راويها ٨١٢

إيضاح الخطيب البغدادي في تاريخه أنه قد اعترف بوضعه الأحاديث كلام الذهبي فيه في [الميزان] ٨١٤

اعتماد الحافظ ابن حجر على كلام الخطيب والذهبي فيه وإعلال حديثه في الباب بذلك. ٨١٦

إيراد عدة طرق لحديث محمد بن جعفر في الباب عند السهمي في معرفة علماء جرجان. ٨١٨

جزم السيوطي في الإعلام بحكم عيسى عليه السلام بأن ما اشتهر على ألسنة الناس من أنْ جبريل لا ينزل إلى الأرض بعد موت النبي عليه السلام باطل لا أصل له ٨٢٠

كلام لابن كثير في كثرة الأخبار المنكرة والغريبة والموضوعة في باب الوفاة النبوية. ٨٢١

مجاوزة مؤلف المولد الذي يعزى للديبع أو ابن الديبع الحد في

ذكر الموضوعات ٨٢١
ذكره في فاتحته أن الله تعالى أوجد نور نبيه محمد ﷺ من نوره
قبل أن يخلق آدم ولا أصل لذلك ٨٢١
زعمه أن الله عرض فخر نبيه على الأشياء وأنه قد وقعت بينه
وبين من عرض عليه ذلك أسئلة وأجوبة وذلك كذب صريح على
الله كما بينه السيد رشيد رضا ٨٢٣
تسميته خبراً استخرجه كعب الأحبار من صندوق أبيه حديثاً نبوياً ٨٢٤
إيضاح أن مؤلف ذلك المولد إن كان الديبع كما في طبعة ذلك
المولد فهو مجهول وإن كان ابن الديبع صاحب [تيسير الوصول]
فهو معروف بالتساهل كما بينه الشوكاني والصنعاني ٨٢٥
منع الجلوس إلى القصاص الذين يقرؤون قصص الموالد ٨٢٧
كلام ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث في أن القصاص يميلون
وجوه العوام إليهم ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغرائب
والأكاذيب من الأحاديث ٨٢٨
الثاني: من الأضرار التي تقع في قصص المولد: الشرك بالله تعالى ٨٢٩
من عيوب قصص الموالد ما يوجد فيها من الاستغاثة بغير الله
تعالى وغيرها من أنواع الكفر ٨٢٩
معاتبة الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ابن سحيم على
حضوره قراءة المولد لذلك ٨٢٩
تحذير الإمام عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب مما في
البردة وأمثالها في المديح من ذلك ٨٢٩
وصول الغلو بالعرضي أحد أعيان القرن العاشر والحادي عشر إلى

القول بأن النبي يعلم جميع علم الله استدلالاً بقول البوصيري:
ومن علومك علم اللوح والقلم ٨٣١
من غلو البوصيري قوله، لو ناسبت قدره آياته عظماً، البيت
حيث زعم أن القرآن غير مناسب قدره ﷺ ٨٣٣
محاولة المدافعين عن البوصيري الإجابة عن ذلك وعجزهم عنها ٨٣٤
تصريح الجلال المحلي بأن القرآن دون مقام النبي ﷺ وتفضيله
النبي على القرآن استدلالاً ببيتين للبوصيري في البردة منهما ذلك البيت ٨٣٤
أبيات غريبة في [مولد المناوي] أولها (لولاه ما كان ملك الله
منتظماً) تدل على ما أوصله إليه الغلو والإطراء ٨٣٦
بطلان قياس أشعار المديح التي تستعمل في الموالد على أشعار
الصحابة رضي الله عنهم ٨٣٧
الثالث: مما يقع من الأضرار في تلك القصص: القيام عند ذكر
ولادته ﷺ وخروجه إلى الدنيا ٨٣٩
من محاذير قصص الموالد القيام عند ذكر ولادة النبي ﷺ
وخروجه إلى الدنيا وقد حث عليه أصحاب تلك الموالد ٨٣٩
توجيه ذلك القيام بأنه ترحيب بالنبي ﷺ على أساس أنه يحضر
مجلس الاحتفال بجسده الشريف ٨٤٠
توجيهه بأنه لحضور روح النبي ﷺ لا ذاته؛ لأن روحه تحضر
مجالس الخير ٨٤٠
استدلال الشيخ محمد بن علوي لحضور روحه وأرواح المؤمنين
مجالس الخير ببلاغ مالك أن الروح مرسلة حيث شاءت ٨٤٠
استدلاله لذلك بقول سلمان الفارسي: أرواح المؤمنين في برزخ

من الأرض تذهب حيث شاءت ٨٤٠
استدلاله لحضور روح النبي ﷺ بأنه متأس بأخلاق ربه الذي ورد في الحديث القدسي أنه قال: (أنا جليس من ذكرني) و(أنا مع من ذكرني).......................... ٨٤١
توجيه ذلك القيام بأنه لتشخيص ذات النبي ﷺ وتفسير الشيخ محمد بن علوي ذلك وقوله بأن ذلك القيام شيء عادي ٨٤١
توجيهه بأنه لتعظيم النبي ﷺ من دون إيضاح المراد بذلك ودعوى أبي السعود أن تركه كفر ٨٤٣
توجيهه بأنه مقيس على قيام السبكي حين سمع قول الصرصري في قصيدة له أولها قليل لمدح المصطفى الخط بالذهب. وأن ينهض الأشراف عند سماعه ٨٤٣
الجواب عن تلك التوجيهات
دعوى حضور النبي ﷺ الاحتفال بيوم المولد بناءً على دعوى بعض المتصوفة رؤية النبي ﷺ في اليقظة دعوى مردودة عند المحققين من أهل العلم ٨٤٥
كلام للقاضي أبي بكر بن العربي في استنكار ذلك ٨٤٥
كلام القرطبي شارح صحيح مسلم فيه ٨٤٦
كلام شيخ الإسلام ابن تيمية فيه في ثلاث رسائل من مؤلفاته .. ٨٤٦
اعتبار الحافظ الذهبي في ترجمة الربيع بن محمود المارديني من [الميزان] مدعي رؤية النبي ﷺ بعد موته يقظة مدعياً للصحبة وحكمه عليه بأنه مفترٍ دجال ٨٤٩
نقل الحافظ ابن كثير عن ابن الجوزي إنكاره على أبي الفتح

الطوسي دعواه أنه كلما أشكل عليه شيء رأى رسول الله ﷺ في اليقظة فسأله عنه فدله على الصواب ٨٥٠
نص كلام ابن الجوزي في ذلك في كتاب [القصاص والمذكرين]له ٨٥٠
ذكر الحافظ في [فتح الباري] أن ابن أبي جمرة نقل عن جماعة من المتصوفة أنهم رأوا النبي ﷺ في المنام ثم رأوه بعد ذلك في اليقظة وسألوه عن أشياء كانوا متخوفين منها فأرشدهم إلى طريق تفريجها فجاء الأمر كذلك......................... ٨٥٠
رد الحافظ على ذلك بأنه لو حمل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة............. ٨٥١
إيراد الحافظ على استدلال المتصوفة بحديث «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**» الحديث أن جمعاً جماً رأوه في المنام ثم لم يذكر واحد منهم أنه رآه في اليقظة وخبر الصادق لا يتخلف.... ٨٥١
كلام السخاوي في دعوى رؤية النبي ﷺ في اليقظة.......... ٨٥١
كلام البدر بن حسن الأهدل في ذلك واستحسان الملا علي قاري إياه . الإجماع على عدم جواز العمل بما يدعي مدعي رؤية النبي في اليقظة بعد موته أنه سمعه منه من أمر ونهي وإثبات ونفي ٨٥١
الرد على دعوى السيوطي تلقي تصحيح الأحاديث التي ضعفها المحدثون عن النبي ﷺ يقظة وعلى دعاوى أخرى له في الباب بذلك الإجماع ٨٥٣
كلام السيد رشيد رضا في دعوى رؤية النبي بعد موته في اليقظة
خلاصة ما بينه المحققون من أهل العلم في إنكار رؤية النبي بعد موته في اليقظة وما لذلك من اللوازم ٨٥٣

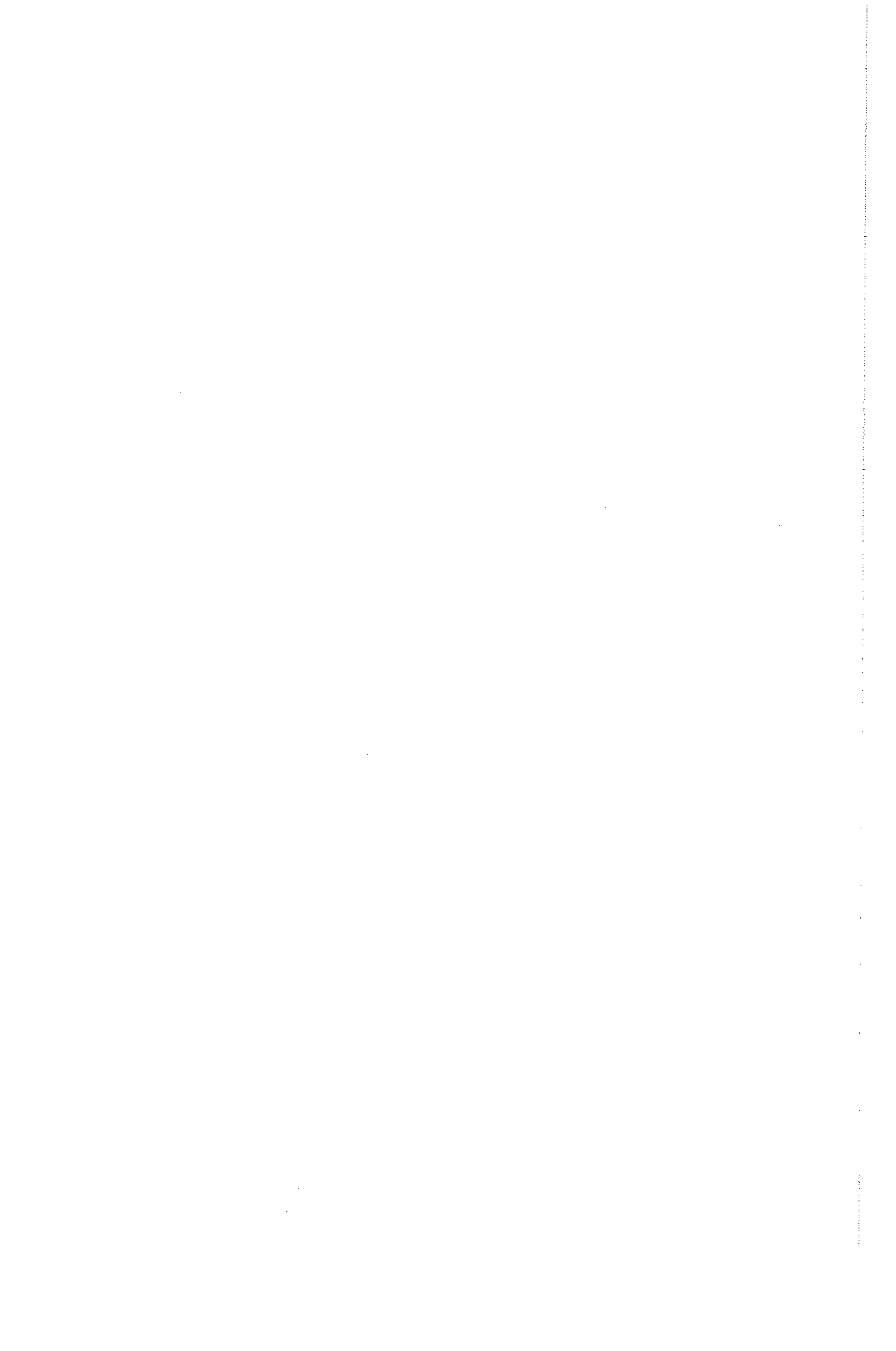
أجوبة أهل العلم عن الاستدلال لتلك الدعوى بحديث «**من رآني في المنام فسيراني في اليقظة**» ٨٥٥
رد السيد رشيد رضا دعوى حضور روحانية النبي ﷺ مجلس الاحتفال بالمولد .. ٨٥٦
عبارات لشيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على تلك الدعوى ٨٥٦
منع العمل بما تتضمنه رؤية الأرواح المزعومة من بيان درجة حديث أو تشريع أو تعبد جديد ٨٥٨
معنى قول الإمام مالك بلغني أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت ٨٥٨
معنى ما روي عن سلمان الفارسي أنه قال: أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت ٨٥٩
قياس الشيخ محمد بن علوي النبي ﷺ على ربه في كونه جليس من ذكره ومع من ذكره من الإطراء الذي نهى عنه ٨٥٩
رد الشامي والهيتمي ورشيد رضا والحجوي على اعتبار القيام الذي يقع عند ذكر وضع النبي وخروجه إلى الدنيا تعظيماً له ٨٦٠
الرد على توجيه القيام أثناء قراءة قصص المولد بأنه مقيس على قيام السبكي حينما سمع قول الصرصري وأن ينهض الأشراف عند سماعه قياماً صفوفاً أو جثياً على الركب ٨٦١
تقع في شعر الصرصري وكلام محمد بن النعمان ومن حذا حذوهما أمور تدل على أنهم غير عالمين بمدارك الأحكام الشرعية ٨٦٢
وصول الغلو بالسبكي إلى القول بأن الأنبياء الذين قبل نبينا نواب له وأن ما جاء به كل نبي منهم إلى قومه هو شرع محمد ﷺ ورد الخفاجي على ذلك ٨٦٢
إيضاح الإمام ابن تيمية أن الرسل الذين كانوا قبل نبينا محمد ﷺ لم يأخذوا عنه وإن بشروا به وآمنوا به ٨٦٣
دعوى الشيخ محمد بن علوي أن احتياج الناس اليوم إلى تثبيت أفئدتهم بقصص الموالد أشد من احتياج النبي إلى تثبيت فؤاده بما

قصه الله عليه من أنباء الرسل ومناقشته ٨٦٤
خاتمة في ذكر قواعد لابد لمن يريد الحق من الانتبها لها ٨٦٤
القاعدة الأولى: في بيان أن صاحب البدعة لابد له من تأويل كقوله:
(هي بدعة مستحسنة) وقوله: رأيت فلاناً الفاضل يعمل بها .. ٨٦٦
القاعدة الثانية: في اعتبار فعل المشايخ حجة على ما تقرر في
الشريعة هو الذي أفسد الكثير من الناس ٨٦٨
القاعدة الثالثة: في الحض على الحق وعدم الاستيحاش من قلة أهله .. ٨٧٠
كلام ابن القيم في ذلك في [إغاثة اللهفان] و[مفتاح دار السعادة]
و[إعلام الموقعين] ٨٧٢
كلام الشاطبي في ذلك في [الاعتصام] ٨٧٤
القاعدة الرابعة: في إيضاح ما نطلق عليه لفظة [السنة] وكلام قيم
للشاطبي في [الموافقات] و[الاعتصام] في ذلك ٨٧٧
القاعدة الخامسة: في أن من الكلمات ما هو من جيوش الباطل
والتحذير من الانقياد إلى ما كان منها كذلك، وكلام الشيخ
محمد عبده والسيد رشيد رضا في التحذير منها ٨٧٧
القاعدة السادسة: في التحذير من أن وضع العوائد موضع السنن
سم قاتل، وتحذير صاحب [المدخل] منه ٨٨١
القاعدة السابعة: في أن سكوت العلماء عن الأفعال التي لاتليق
يؤدي إلى انقلاب الحقائق ٨٨٣
القاعدة الثامنة: في أن كلام من يحاول إظهار بدعة دائماً يكون
متناقضاً، وكلام صاحب المدخل في ذلك ٨٨٤
الفهرس ٨٨٥

الرسالة السابعة

الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع

لفضيلة الشيخ محمد بن سعد بن شقير



مقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على عبده ورسوله النبي الأمين، وبعد:

لما رأيت الخلاف بين المسلمين في قضية المولد بين مؤيد ومعارض، فقد عقدت العزم على أن أدلي بدلوي لعلي أقدم ما يشفي غليل من يريد الحق والصواب، ويلتمس الطريق الموصل إلى بر النجاة، ولعلي في هذا الكتيب قد بيَّنت أموراً قد تخفى على عامة الناس.

وأما الذي يتعصب لأمر من الأمور ويهواه ويدافع عنه، سواء كانت الأدلة الشرعية في جانبه أو ضده، فإن مثل هذا من المستحيل أن يصرفه عن موقفه أي دليل أو برهان، ولو كان مثل الشمس في رابعة النهار.

ولقد تأصلت بدعة الاحتفال بالمولد في نفوس هؤلاء أكثر من تأصل السنة، وأنا لم أكتب هذا من أجل ثني هذا النوع من الناس، ولكني كتبته لطالب الحق عسى الله أن يوفقنا وجميع المسلمين إلى الحق الذي يرضاه رب العالمين، ولا شك أن رسول الله ﷺ وأصحابه على الحق يقيناً. ولـــذا فأنـــا أدعو لأخذ طريقة سلف الأمة وترك الابتداع، والعاقل لا يترك طريقًا واضحةً توصله إلى الهدف يقيناً ثم يلتمس طرقاً أخرى الوصول إلى الهدف عن طريقها غير مضمون، والله الهادي إلى سواء السبيل.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله النبي الأمين، وبعد:

لقد جرت العادة في كثير من بلاد المسلمين أن يحتفل الناس بذكرى مولد الرسول ﷺ، كما أن بعض الناس ـ تقليداً للنصارى ـ يجعل لنفسه عيد ميلاد يحتفل به كل عام، وسوف أتعرض لموضوع الموالد بالبحث والمناقشة، مؤيدًا ما أذهب إليه بالأدلة. فالذين يحتفلون بمولد الرسول ﷺ ويتخذونه عيداً إنهم ينهجون في ذلك مناهج شتى. فمنهم من يقول: يستحب صومه، ومنهم من يقول: يكره صومه؛ لأنه أشبه بالعيد، ومنهم من يذكر الله على شكل حلق، ومنهم من يقرأ القصائد في مدح الرسول ﷺ، ومنهم من يذبح الذبائح ويقيم الولائم، ومنهم من يستخدم آلات الطرب والأغاني، وبعضهم يختلط الرجال مع النساء ويبيتون في الخيام أو في العراء أياماً ويحصل فيه من المنكرات ما لا يخفى على عاقل، ومنهم من يعظم الصالحين ويدعوهم لقضاء حاجته وشفاء مريضه حتى أوقعهم ذلك في الشرك بالله الذي هو أعظم ذنب عند الله تعالى، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وإذا نظرنا إلى حياة المصطفى ﷺ وسيرته وجدناه لم يحتفل بمولده ولم يأمر به ولم يفعله أحد من الصحابة ولا من التابعين ولا من تابعي التابعين.

كما لم يفعله ولم يقل به أحد من الأئمة الأربعة، هذا هو شأن سلف الأمة الصالح الذين قال عنهم رسول الله ﷺ: «**خير القرون**

قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»، فهذه القرون الثلاثة المفضلة على سائر القرون إلى يوم القيامة لم يحتفل أحد منهم بمولد الرسول ﷺ ولا بمولد غيره، وإنما أول من احتفل بمولد الرسول ﷺ في الإسلام هم الفاطميون الرافضة في مصر في القرن الرابع الهجري، ذلك أنهم لما رأوا النصارى يحتفلون بمولد عيسى عليه السلام ويعظمونه ويعطلون فيه البيع والشراء اقتبسوا منهم هذا فأخذوا يحتفلون بمولد الرسول ﷺ، ثم أخذوا يحتفلون بمولد علي والحسن والحسين وفاطمة الزهراء رضي الله عنهم.

وكان هذا التاريخ هو أول إدخال هذه البدعة في بلاد المسلمين، فعليهم وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة.

وإذا نظرنا إلى احتفال النصارى بمولد عيسى عليه السلام وجدنا أن ذلك ليس من دينهم أيضاً بل هو بدعة وثنية دخلت النصرانية فلم تستطع الكنيسة مقاومتها فتركتها، ومن أراد التأكد من ذلك فلينظر الموسوعة البريطانية أو الموسوعة الأمريكية، وإذا كان أصل الاحتفال بمولد الرسول ﷺ هو تقليد للنصارى باحتفالهم بعيسى، فإن الرسول ﷺ قد حذرنا من أخذ طريقتهم أو التشبه بهم، قال ﷺ محذراً: **«لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه»**، قالوا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: **«فمن؟»**. أي: فمن يكون غيرهم إذا لم يكونوا هم، أخرجه البخاري ومسلم، وأخرج مسلم عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنهم: أن النبي ﷺ قال: **«ليس منا من تشبه بغيرنا، لا تشبهوا باليهود**

ولا بالنصارى»، رواه الترمذي. وقال أيضاً: «**من تشبه بقوم فهو منهم**»، أخرجه أحمد وأبوداود، وقال أيضاً: «**اتبع ولا تبتدع**» أخرجه الدارمي.

أما تعريف البدعة فقد عرفها بعض العلماء بأكثر من تعريف، نختار منها تعريف الإمام الشاطبي رحمه الله وهو من علماء المالكية حيث حارب البدعة وتمسك بالسنة فقال: (البدعة: طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه). إذن نفهم من هذا التعريف أن البدعة الممنوعة شرعاً هي ما كانت في الدين، أما البدعة في أمور الدنيا فليست بمذمومة؛ لأن هناك قواعد عامة، فكل أمور الدنيا من مآكل ومشارب وملابس ومساكن وعقود وغيرها فإن الأصل فيها الحل والإباحة إلا ما ورد دليل شرعي بتحريمه كتحريم الخمر والربا. وأما أمور الدين فإن الأمر بالعكس، فإن الأصل فيها الحظر والمنع، فلا عبادة إلا بدليل شرعي من كتاب أو سنة، ومن يتأمل أمور الدين فإنه لن يجد أي عبادة مشروعة إلا بدليل من كتاب أو سنة، ومادام الاحتفال بالمولد لم يرد فيه دليل شرعي فإنه يبقى على الأصل وهو الحظر والمنع، وإن دين الله قد كمل قبل وفاة الرسول ﷺ بدليل قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وإن الله سبحانه يذم الذين يبتدعون في الدين ما ليس منه، قال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١].

وأما الأحاديث الواردة في شأن الإحداث والابتداع في الدين

فكثيرة نذكر بعضها. فعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: (وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى الله عز وجل والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد، فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»)، وأخرج مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ كان يقول في خطبه: «**أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»، رواه البخاري، ومعنى في أمرنا، أي: في ديننا، ومعنى فهو رد، أي: مردود عليه لا يقبله الله تعالى، وفي رواية لمسلم: «**من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد**»، وقد بيَّن الرسول ﷺ أن الإحداث في الدين يكون سبباً في منع الناس من الورود إلى حوضه في عرصات يوم القيامة، ذلك اليوم الذي قدره خمسون ألف سنة، فقد روى البخاري ومسلم وأحمد عدداً من الأحاديث في الحوض وفيها وصف للحوض وآنيته وأنه يصب فيه ميزابان من نهر الكوثر في الجنة، من شرب منه لم يظمأ أبداً، إلى أن قال: «**ليردنَّ علي أقوام أعرفهم ويعرفونني، ثم يحال بيني وبينهم فأقول: إنهم من أمتي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً لمن غير بعدي**»، ومعنى سحقاً، أي: بعداً، إن هذا من

أضرار الإحداث والابتداع في دين الله ما ليس منه، والرسول ﷺ حريص على سعادة أمته وفلاحها فقد قال: «**سألت ربي لأمتي ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة. سألت ربي لأمتي أن لا يهلكهم بسنة عامة وسألت ربي أن لا يسلط على أمتي عدواً فيستبيح بيضتهم، وسألت ربي أن لا تكون أمتي شيعاً وأحزاباً، فقال الله عز وجل: يا محمد، إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن اجتمع عليهم من بأقطارها إلا أن يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً**»، فالتفرق قد كتبه الله على هذه الأمة، وإن البدع هي سبب تفرق المسلمين إلى فرق وأحزاب، قال ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**»، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، وإن من يريد أن يكون من هذه الفرقة الناجية فإن مواصفاتها واضحة، ومن يريد أن يكون منها فعليه أن يلتزم ويقتدي برسولنا ﷺ والسلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين ومنهم الأئمة الأربعة حيث لم يقل أحد منهم بالاحتفال بمولد الرسول ﷺ ولا بمولد غيره ولم يبتدعوا في دين الله ما ليس منه.

ومع أن الاحتفال بالمولد بدعة في الدين فهو أيضاً من الغلو الذي نهى الله ورسوله عنه، وقد سمعنا من أهل البدع من يبالغ ويغلو في رسول الله ﷺ حيث رفعوه إلى مرتبة الألوهية، فبعضهم يقول: إن الرسول ﷺ ليس بشراً، والله سبحانه يقول: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ

إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، ومنهم من يقول: إنه نور عرش الرحمن ومن نوره خلقت الشمس والقمر، والله جل وعلا يقول: ﴿۞ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [النور: ٣٥]، ومنهم من يقول: إنه يعلم الغيب، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، والقرآن يخبر أنه ﷺ وهو حي لا يعلم ببعض المنافقين وهم معه في المدينة، قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْۚ﴾ [التوبة: ١٠١].

وكل هذه الأقاويل والخرافات لا يسندها دليل عقلي أو نقلي، فمحمد ﷺ بشر بنص القرآن يحيا حياة بشرية ويموت كما يموت البشر إلا أن الله تعالى شرفه بالنبوة والرسالة، فالغلو لا يجوز في دين الله، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المائدة: ٧٧]. وقال ﷺ: «**إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو**»، وعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: أنت خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، فقال: «**أيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبدالله ورسوله، وما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**» رواه النسائي، وقال ﷺ: «**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبده فقولوا: عبدالله ورسوله**» والإطراء هو: المبالغة في المدح.

فالتفرق قد كتب على هذه الأمة كما كتب على الأمم قبلها، ولكن بعد بيان طريق النجاة، كما قال تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ

بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، فالذين رحم ربنا لا يختلفون ولا يتفرقون، ونهى الإسلام عن تفرق المسلمين إلى فرق وجماعات فقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وقال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣]، وقد قال ﷺ: «**إنها ستكون فتن كقطع الليل المظلم**»، قالوا: فما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: «**كتاب الله وسنة رسوله**».

أما محبة الرسول ﷺ فهي واجبة على كل مسلم ولا يؤمن أحد حتى يحب الله ورسوله أكثر من ماله وولده ووالده والناس أجمعين، بل وحتى أكثر من نفسه كما في قصة عمر، ثم إن الصلاة على رسول الله ﷺ من أفضل الأعمال، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وقد قال ﷺ: «**من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً**»، وهي مشروعة في كل وقت، ويستحب الإكثار منها في يوم الجمعة وليلتها، وأما الذين يحتفلون بمولده ﷺ ويدَّعون أن هذا من محبته فقد خالفوا سنته ولم يلتزموا بها، وهل من محبة الرسول ﷺ أو التأدب معه أن يعقب مسلم على رسول الله ﷺ حين قال: «**وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»، فيعقب عليه فيقول: لا، بل البدع منها بدعة حسنة وبدعة سيئة، أو يقول: تنقسم إلى: بدعة واجبة وبدعة مستحبة وبدعة مباحة وبدعة

مكروهة وبدعة محرمة، مع أن «كل» في الحديث تفيد الاستغراق، أي: استغراق جميع الأفراد أي معناها في الحديث: أن جميع البدع في الدين ضلالة بدون استثناء، كما في قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فهل يمكن أن يقول أحد إن بعض الناس لن يموتوا؟! إن المحبة الصادقة لرسول الله ﷺ تكون بطاعته والانقياد للشرع الذي جاء به، فلا يعبد الله إلا بما شرع الرسول ﷺ؛ لأن أصول المحبة الاتباع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]. وقال الشاعر:

تعصي الإلـه وأنت تظهر حبه ... هـذا لعمـري فـي القيـاس شنيـع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحـب لمـن يحـب مطيـع

فالمحبة الصادقة لرسول الله ﷺ تكون بطاعته وبكثرة الصلاة عليه والعودة إلى سنته، فندرس أحاديثه ونعمل بها ونقرأ سيرته ونقتدي به، ونقدم قوله على كل قول، فإنه لا أحد من الأمة معصوم من الخطأ إلا رسول الله ﷺ، فيجب أن يؤخذ قوله كله ولا يرد منه شيء، وما أحسن ما قال إمام دار الهجرة الإمام مالك رحمه الله حيث قال: (كلٌ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر)، ويشير إلى قبر النبي ﷺ، وقال الإمام مالك أيضاً: (من زعم أن في الإسلام بدعة حسنة فقد زعم أن محمداً خان الرسالة).

فما دمنا نريد لأنفسنا الصلاح والفلاح والنجاة فعلينا العودة إلى دراسة أحاديث رسول الله ﷺوالعمل بها،بدلاً من الاعتماد على الهوى والاستحسان بغير دليل شرعي، وقد قال الإمام علي رضي الله عنه:

(لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه)، وقال ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله**».

أسأل المولى جلت قدرته أن يجعلنا من هذه الطائفة المفلحة وأن يرد الضال عنها إلى الحق، إنه على كل شيء قدير.

وأما الذين يعملون لأنفسهم أعياد ميلاد فهذا تقليد لأعداء الإسلام، وفيه خطر كبير وهو مردود شرعاً بالأدلة السابقة؛ ولأن الأعياد هي من أمور الدين وليست من أمور الدنيا، والله الهادي إلى سواء السبيل.

* * *

شبه والرد عليها

يثير بعض المؤيدين للاحتفال بالمولد بعض الشبه لجعل الاحتفال بالمولد مشروعاً أو مباحاً على الأقل وفيما يلي إيرادها ومناقشتها:

الشبهة الأولى:

أن قول الرسول ﷺ: «**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار**»، لا يدل على أن جميع البدع ضلالة؛ لأن «**كل**» ليست تشمل الجميع، ومن العلماء من قال: تنقسم البدعة إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة، ومنهم من قال: إن البدعة تنقسم إلى بدعة واجبة وبدعة مستحبة وبدعة مباحة وبدعة مكروهة وبدعة محرمة.

والجواب عنها:

إن حديث رسول الله ﷺ على ظاهره وهو يدل على أن جميع البدع في الدين ضلالة بدون استثناء؛ لأن «**كل**» تفيد الاستغراق أي: استغراق جميع الأفراد، خاصة وأن الرسول ﷺ قدم عليها أداة التحذير «**وإياكم ومحدثات الأمور**»، فهل يمكن مع كل هذا أنه يريد البعض؟!

ونسأل القائلين بهذا: إذا كان قول الرسول ﷺ لا يريد أن جميع البدع ضلالة بقوله: «**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار**»، فأي عبارة ترونها أبلغ من هذا للدلالة على رفض البدع كلها!. وأما قول من قال من العلماء إن البدعة تنقسم إلى بدعة حسنة وبدعة سيئة أو قول من قال إن البدع تنقسم إلى الأحكام الخمسة، فهذه الأقوال تتعارض مع قول الرسول ﷺ، فهل نأخذ بأقوالهم أم بقول الرسول ﷺ؟ أعتقد أنه لا يمكن لمسلم أن يقدم قول أي إنسان ـ مهما كان هذا الإنسان ـ على قول المصطفى المعصوم ﷺ.

الشبهة الثانية:

قالوا: إن الاحتفال بالمولد ليس بدعة، بل هو سنة حسنة، بدليل قول الرسول ﷺ: «**من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**».

والجواب عنها:

أن السنة الحسنة تكون فيما له أصل في الشرع كالصدقة التي هي سبب ورود الحديث، فقد روي أن قوماً قدموا إلى النبي ﷺ وهم في حالة يرثى لها من الحاجة والفاقة فحث الرسول ﷺ أصحابه على التصدق لهؤلاء القوم وجاء رجل بصرة من الدراهم عجزت عن حملها يده فتسابق القوم إلى التصدق مقتدين بهذا الرجل، وعندها قال النبي ﷺ هذا الحديث، وأما الاحتفال بالمولد فهو بدعة أحدثت بعد مضي

القرون المفضلة.

الشبهة الثالثة:

قالوا: صحيح أن الصحابة والتابعين وتابعي التابعين لم يحتفلوا وذلك لقرب عهدهم بالرسول ﷺ وليسوا في حاجة إلى الاحتفال لهذا السبب.

الجـواب:

أن بعد المسافة الزمنية بيننا وبين رسول الله ﷺ لا يبرر الإحداث في دين الله ما ليس منه، ومادام أن هذه القرون الثلاثة المفضلة وهم أفضل القرون إلى يوم القيامة ما دام أنهم لم يحتفلوا مع كونهم أشد حباً لرسول الله ﷺ ممن بعدهم فإن الصواب أن نترسم خطاهم لننال المحبة الحقيقية لرسول الله ﷺ، ولأنهم على الحق يقيناً.

الشبهة الرابعة:

قالوا: لقد ظهر بدع كثيرة حسنة رضي بها علماء الإسلام وسار عليها المسلمون إلى يومنا هذا مثل جمع عمر بن الخطاب المسلمين في صلاة التراويح على إمام واحد، وغيَّر أيضاً قانون الطلاق الذي سار عليه الرسول ﷺ وأبوبكر، وألغى صرف الصدقة للمؤلفة قلوبهم، وجمع عثمان القرآن ولم يكن جمع قبله.

الجـواب:

أما بالنسبة لصلاة التراويح: فإن الذي شرعها رسول الله ﷺ وصلاها وصلى الناس معه ثم تركها خشية أن تفرض عليهم وبعد وفاة الرسول ﷺ وانقطاع الوحي وزوال السبب الذي تركت من أجله، وهو

خشية فرضيتها أعاد عمر صلاتها جماعة. ثم إن فعل الخلفاء الراشدين سنة بدليل قوله ﷺ: «**فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين**» ففعل الخلفاء الراشدين لا يسمى بدعة ولذلك لم ينكر أحد من المسلمين عليهم شيئًا مما ذكر ولم ينازع فيه منازع على الإطلاق، والأمة لا تجتمع على باطل، والمصلحة في هذه الأمور ظاهرة وأما بالنسبة للاحتفال بالمولد فهو على العكس إذ لا مصلحة ظاهرة منه، ورأيناه يؤدي إلى المخالفات والمفاسد، والدليل على أن الاحتفال بالمولد ليس من قبيل ما ذكر أن تلك الأمور لم يحصل فيها منازعة، وأما الاحتفال بالمولد فمع مرور أكثر من ألف سنة على بدايته فما زال الكثير من المسلمين ـ وخاصة العلماء ـ يعترضون عليه في الشام، وفي مصر وفي الجزيرة العربية وفي الهند وفي باكستان وغيرها، وربنا جل شأنه يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، أي إلى الكتاب والسنة فما وافقهما يؤخذ وما خالفهما يترك.

الشبهة الخامسة:

قالوا: هل تمنعون ذكر الله، وقراءة سيرة الرسول ﷺ؟!

الجـواب:

لا نمنع ذكر الله ولا قراءة سيرة الرسول ﷺ، بل نحبذه وإنما نمنع تخصيص ذلك بيوم في السنة من غير مخصص.

الشبهة السادسة:

قالوا: إن الذين يحتفلون بمولد الرسول ﷺ هم أكثر المسلمين،

والمانعون لذلك إنما هم قلة.

الجـواب:

إن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين له ولا بقلتهم وإنما يعرف بالدليل، والقرآن تحدث عن الكثرة فقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وتحدث عن القلة فقال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

الشبهة السابعة:

قالوا: قال ابن الجزري: رؤي أبولهب في المنام فقيل له: كيف حالك؟ قال: في النار، ولكنه يخفف عني كل ليلة اثنين؛ لأنني فرحت بمولد الرسول وأعتقت جاريتي ثويبة، فما دام هذا حال كافر استفاد بسبب فرحه بمولد الرسول ﷺ فكيف حال من يفرح ويحتفل بمولده كل عام وهو مسلم يعبد الله؟!

الجـواب:

لم أر دليلاً أوهى من هذا الدليل، فالرائي مجهول، والمرئي المخبر كافر، ومتى كانت الأحلام دليلاً على إثبات حكم شرعي؟!

الشبهة الثامنة:

قالوا: إن الرسول ﷺ كان يصوم يوم الإثنين ولما سئل عنه قال: «**ذاك يوم ولدت فيه**»، فالرسول ﷺ كان يصوم يوم الإثنين بمعنى أنه يحتفل به؛ لأنه ولد فيه.

الجـواب:

لا ننكر مشروعية صوم يوم الإثنين وفضلـه، وكذلك يوم الخميس فصومهما مستحب على طول العام لا في وقت دون آخر، ولكن قياس ما هو مشروع ـ وهو الصيام ـ على ما لم يشرع ـ وهو الاحتفال ـ قياس مع الفارق، وهو قياس باطل.

الشبهة التاسعة:

قالوا: إن النعم تقتضي الشكر، بدليل أن الرسول ﷺ لما قدم المدينة ورأى اليهود يصومون يوم عاشوراء قال: «**ما هذا اليوم الذي تصومون؟**»، قالوا: هذا يوم أنجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فيه فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً له فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ: «**نحن أحق بموسى منكم**»، فصامه وأمر بصيامه، وإن ميلاد هذا النبي من أكبر النعم وهي تقتضي الشكر، فاحتفالنا بمولده هو من الشكر على هذه النعمة.

الجـواب:

نقول: صحيح أن النعم تستوجب الشكر عليها، والنعمة الكبرى على هذه الأمة هي بعثة الرسول ﷺ وليس مولده: إذ القرآن لم يشر إلى المولد ولم يهتم به وإنما أشار إلى بعثته ﷺ على أنها نعمة ومنة من الله تعالى قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وقال جل شأنه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾

[الجمعة: ٢]. وهذا هو الشأن في جميع الرسل، فإن العبرة ببعثتهم لا بمولدهم كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [البقرة: ٢١٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، فلو كان الاحتفال جائزاً لكان الأولى به ذكرى بعثته ﷺ وليس مولده، وصوم الرسول ﷺ يوم عاشوراء وهو مشـرِّع ومبلغ عن ربه لا يجوز لنا أن نقيس عليه فنبتدع، إذ المطلوب منا أن نتبع ولا نبتدع.

الخلاصـــة:

خلاصة القول أنه لا يجوز الاحتفال بالمولد للأسباب التالية:

١ ـ أنه بدعة في الدين والأدلة الشرعية تحذر من البدع في الدين، وأن الأعياد والاحتفالات من أمور الشريعة.

٢ ـ أن القرون الثلاثة المفضلة وهم أشد حباً منا لرسول الله ﷺ، لم يحتفل أحد منهم بالمولد.

٣ ـ أن هذا الاحتفال أدى إلى مفاسد ومخالفات في الدين سبق ذكرها، والقواعد الشرعية تقضي بأن المباح ـ وهذا على فرض أنه مباح ـ إذا أدى إلى محرم، فإنه يحرم من باب سد الذرائع.

٤ ـ لأنه من الغلو الذي نهى الله ورسوله عنه.

٥ ـ لأنه من الإطراء الذي نهى عنه رسول الله ﷺ.

٦ ـ لأن الرافضة هم الذين ابتدعوا ذلك، والرافضة هم أكثر الفرق الإسلامية ابتداعاً، وهل يليق بأهل السنة الاقتداء بالرافضة في

ابتداعهم.

٧ ـ أن الاحتفال تقليد للنصارى في احتفالهم بعيسى، والنصوص الشرعية تقتضي مخالفتهم وعدم التشبه بهم.

٨ ـ أن محبة الرسول ﷺ لا تتحقق بالاحتفال بمولده وإنما تتحقق بالعمل بسنته، وتقديم قوله على كل قول وعدم رد شيء من أحاديثه.

٩ ـ أن الرسول ﷺ وأصحابه قد وسعهم دين الله من غير احتفال بمولده، إذاً فليسعنا ما وسع رسول الله ﷺ وأصحابه.

والله تعالى أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم

* * *

فهرس كتاب
الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١٩٧
شبهة والرد عليها	٩٢٧
الشبهة الأولى والجواب عنها	٩٢٧
الشبهة الثانية والجواب عنها	٩٢٨
الشبهة الثالثة والجواب عنها	٩٢٩
الشبهة الرابعة والجواب عنها	٩٢٩
الشبهة الخامسة والجواب عنها	٩٣٠
الشبهة السادسة والجواب عنها	٩٣٠
الشبهة السابعة والجواب عنها	٩٣١
الشبهة الثامنة والجواب عنها	٩٣١
الشبهة التاسعة والجواب عنها	٩٣٢
الخلاصة	٩٣٣
الفهرس	٩٣٥

فهرس الكتاب

الجزء الأول:

الرسالة الأولى: المورد في عمل المولد (حكم الاحتفال بالمولد النبوي) تصنيف الشيخ الإمام أبي حفص تاج الدين الفاكهي ٥

الرسالة الثانية: حكم الاحتفال بالمولد النبوي والرد على من أجازه لسماحة مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ ١٥

الرسالة الثالثة: حكم الاحتفال بالمولد النبوي لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز ٥٥

الرسالة الرابعة: الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي لفضيلة الشيخ حمود بن عبدالله التويجري ٦٥

الرسالة الخامسة: الإنصاف فيما قيل من الغلو والإجحاف لفضيلة الشيخ أبي بكر جابر الجزائري ٣٢٥

الجزء الثاني:

الرسالة السادسة: القول الفصل في حكم التوسل بخير الرسل لفضيلة الشيخ إسماعيل بن محمد الأنصاري ٣٨٩

الرسالة السابعة: الاحتفال بالمولد بين الاتباع والابتداع لفضيلة الشيخ محمد بن سعد بن شقير ٩١٥